

# كتاب الفريسيين

عن

معاوية الهمداني ونقائض التوحيد

تأليف

خالد محمد عليك الحاج

الجزء الأول

حقيقته ودراسة

عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد المنعم بن عبد الوهاب

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

بمدينة قطر



مكتبة الأنصاري

الرقم العام :

الرقم الفني :

تاريخ الورد :

# الكشاف الفريد

عَنْ مَعَاوِلِ الْهَدْمِ وَنَقَائِضِ التَّوْحِيدِ

تأليف

عبد محمد عيسى الخياط

الجزء الأول

٢١٥  
٤٤٤

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري

الرقم العام : ٣٥

رقم التصنيف : ٤٤٤

حقيقه وراجعه

خادم العام

عبد الله بن عبد الصمد الأنصاري

٧٩٥

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

بدولة قطر



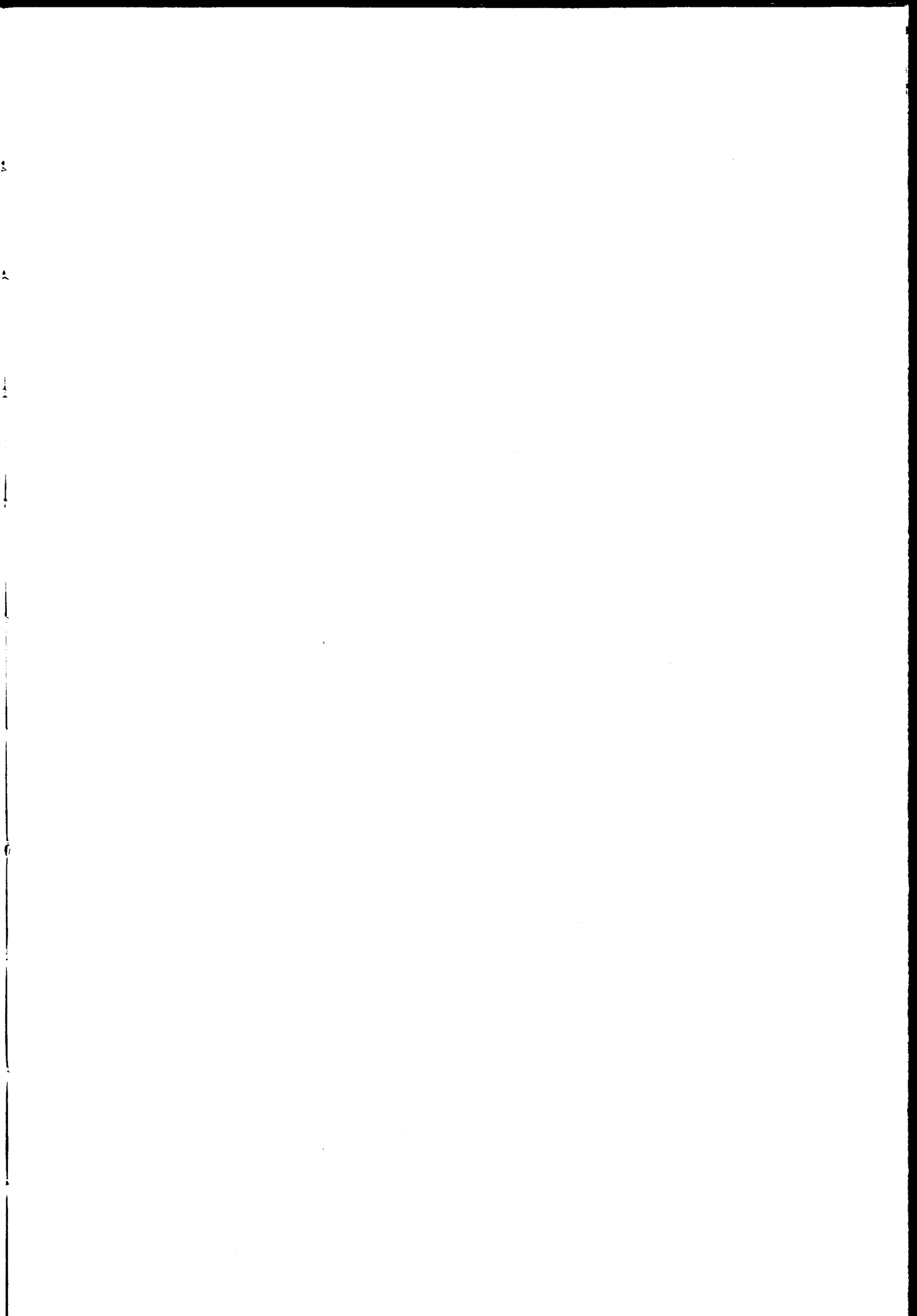
## الإهداء

إلى من جبانى بمزيد فضله ، وأسبح على من  
جميل عونه ، وأمتع المسامير بمطالعة الكثير من نفائس  
الكتب الإسلامية ، صاحب الفضيلة الأستاذ:  
الشيخ عبد بن إبراهيم الأنصاري

إلى صديقي الوفي وأخي الكبيب الأستاذ الشيخ:

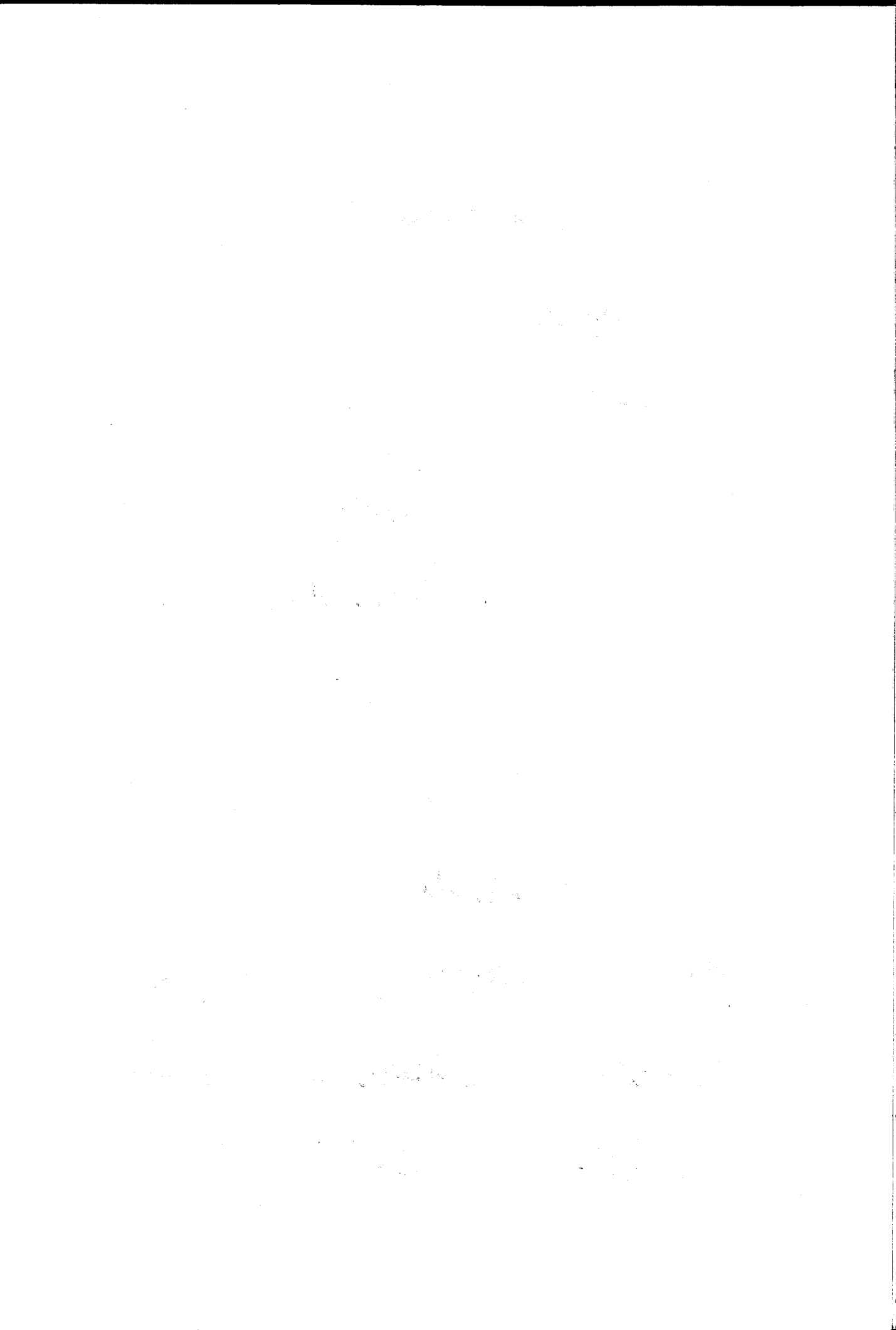
محمود يوسف القدومي

أقدم هذا الكتاب رمزاً للتقدير والعرفان



## شكر وتقدير

بمزيد من آيات الشكر والعرفان ، وفيض من مشاعر التقدير والامتنان  
أقدم بها لصاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر  
وولي عهده المحبوب - حفظهما الله لما نبذله هذه الدولة الفتية الناهضة  
من دعم مادي وأدبي للإسلام والمسلمين ، وخصوصاً ما تقوم به وزارة التربية  
والتعليم وعلى رأسها معالي وزير التربية والتعليم الموقر ولإدارة إحياء التراث الإسلامي  
بدولة قطر ممثلة في شخص مديرها صاحب الفضيلة الأستاذ / الشيخ  
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري لما يبذله من جهد في طباعة الكثير من المؤلفات  
الإسلامية النافعة لنشر الوعي الإسلامي في المشرق والمغرب ، وتدعيم لثبات المسلمين  
في وجه التيارات الفكرية والعقائدية المصطرفة ، عملاً بقوله تعالى :  
" وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أُرِيكُمْ إِنَّكُمْ لَمُؤْمِنُونَ "





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

لفضيلة الشيخ عبد الله ابراهيم الأنصاري

الحمد لله الذي أرشدنا إلى طاعته ، وزجرنا عن معصيته . سبحانه من إله يلهمنا السداد لما فيه خير العباد ، ويرعانا برعايته . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بوحدانيته . وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ اعترافاً بنبوته . أرسله - على حين فترة من الرسل - بدين الحق ليظهره على الدين كله ، وجعله قدوة لنا ، ومناًراً لهدايتنا وإرشادنا وإسعادنا : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) (١) فهدى من وفقه بفضلته ، وأضل من خذله بعدله ، ويسر المؤمنين لليسر، وشرح صدورهم للذكرى فآمنوا بالله بألسنتهم ناطقين ، وبقلوبهم مخلصين معتقدين له الدين ، وبما أتتهم به رسله وكتبه عاملين ، وتعلموا ما علمهم ، ووقفوا عند ما حد لهم ، واستغنوا بما أحل لهم عما حرم عليهم .

اللهم صلِّ وسلِّم على محمد الرسول الأمين ، الذي أرسلته رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) سورة الاحزاب : ٢١ .

أما بعد :

فإن الإسلام يواجه في هذا العصر تحديات ضارية من أكثر من جهة واتجاه . وإن خصوم هذا الدين الحق يمتلكون قوى مدنية وعسكرية هائلة ، ويرسمون سياساتهم في أناة وحيلة وذكاء ، وعلى قدر كبير من البرود والثقة والغدر والمكر .

إن التحديات التي تواجه الإسلام ، إنما هي في حقيقتها تحديات حركات عالمية ؛ كالحركة الصهيونية، والحركة الماسونية ، والحركة الشيوعية ، والحركة التنصيرية الصليبية - والوثنية أيضاً - استيقظت كلها مرة واحدة ، وبيتت النية على اغتيال هذا الدين من نفوس أبنائه ، وتملكتها رغبة معتوهة مجنونة للقضاء عليه، وانتهاز ما يسود ديار الأمة الإسلامية من غفلة وفرقة لتوجيه الضربة الأخيرة إليه .

وكانت وسيلتهم إلى ذلك ، بث الأفكار والأنظمة المادية والوضعية ؛ طوراً بإثارة النعرات العصبية القومية ، وطوراً بإنشاء ونشر الحركات والأنظمة الإلحادية والتنصيرية - المضادة للإسلام والحاقدة عليه والمتناقضة مع فلسفته الكونية ومبادئه الأخلاقية - بالطرق والأساليب كلها التي من شأنها تشكيك المسلمين بمعتقداتهم وتشريعاتهم .

فعضفت الأفكار المادية ، والفلسفات الإلحادية بأدمغة الأجيال ، ووصل مستوى الانحلال الخلقي إلى الدرك الأسفل ، بعد أن نفذت الروح الغربية إلى جسم العالم الإسلامي ، وانتزعت منه إحساسه الروحي

وشرفه المعنوي ، ومجده الباذخ ، واستقلاله الذاتي ، وتركته مقطّع الأوصال والوشائج ، منفصم العرا ؛ لا تعارف بين دياره ولا تآلف ؛ يقتل بعضهم بعضاً ، ويكفر قوم قوماً ...

وأزاغ الشيطان قلوب أقوام من أبناء المسلمين ، فاعتنقوا آراءً مريضة وأنظمة مدمرة ، وحملوا في أوطانهم رايات باهتة ، وتقدموا صفوف الغزو الفكري للعالم الإسلامي يريدون الأمة الإسلامية ومصالحها ومراشدها .

يقولون في ذلك بما يسعه طغيانهم على القول واتساعهم في الكلام ، واقتدارهم على الشرثرة ؛ حيث إنهم يقتسرون الفكرة جراً وتلفيقاً وتلزيقاً ؛ فهذا عندهم كذب ولا دليل عليه ، وهذا محال ولا برهان فيه ، وهذا قائم على الشك ... حتى إذا فتشت وحققت لم تجد في ثرثرتهم إلا ذواتهم وأغراضهم وأهواءهم ؛ يريدون أن يبتلوا بها الناس في دينهم وأخلاقهم وديناهم ( يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) (١) .

مؤامرات تتكاتف فيها القوى العالمية الثلاث - الصهيونية والشيوعية والصليبية - وورديفتها الوثنية لضرب كل يقظة أو اتجاه إسلامي ، وعزل الفكر الإسلامي عن الحياة .

كلها دوائر تستدير على نقطة ، ومدارات تسير وفق خطة فاشلة ألا وهي : محق الإسلام ، وإزهاق هذا الدين ، وامتلاك مقدرات دياره ، واستعباد أهله .

(١) سورة الصف : ٨ .

إن طغيان الباطل وفجور أهله ، يحفز دائماً الحق وأهله ، إلى مزيد من الإصرار والتمرد والثبات . والواقع أن الباطل لا يذيع ويشيع إلا في غفلة أهل الحق وضعفهم ، وانعزالهم عن ميادين البذل والجهاد .

وما هي إلا جولة أو بعض جولة ، حتى ينكشف مثار النقع ، وتتجلى حكمة الله تعالى فيما يحوط به هذا الدين ، وقرآنه العربي الخالد ؛ فكلما وهن عصر من عصوره ، رماه الله بزندق أو فاسق - أو بكليهما - فإذا الناس أشد ما كانوا ذوداً ، وأبلغ ما كانوا دفعاً ومحاماة ، وإذا الإسلام أقوى ما كان فيهم وأثبت ، وإذا بآيات الله تهب بهم : ( وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ) (١) . ( وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ) (٢) . ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ) (٣) . ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ) (٤) .

وبعد :

فإن من واجب العلماء العاملين ، تنبيه أبناء هذه الأمة الإسلامية من غفلتهم ، وتبصيرهم لما يحيط بهم من خطر ، وما يحيق بهم من مكر وخديعة وشر . وذلك عملاً بقوله تعالى : ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ) (٥) . ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) (٦) .

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال : ٤٦ .

(٣) سورة النحل : ٩٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٥ .

(٥) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٦) سورة فصلت : ٣٣ .

ليعودوا إلى دينهم الحق، يحكمونه في شؤون حياتهم ، فيسري في عروقهم نبض الحياة ، ويتقدموا مواكب الإيمان وركب الحضارة هادين مهتدين .

لهذا أتقدم إلى قراء العربية - والعالم الإسلامي - بنشر هذا الكتاب - الكشاف الفريد عن معاول الهدم وقائض التوحيد - لمؤلفه الشيخ خالد محمد علي الحاج ، الذي هو غني عن الوصف والتعريف ، حيث برز بجهاده ونضاله في ميدان الدراية والمشاهدة؛ وتآليفه تغني عن تعريفه.

وإن في عنوان الكتاب ما يغني عن كل بيان ، إذ عبر عن فحواه خير تعبير . . . ولا أريد أن أطيل في هذه العجالة فأشرح محتوى هذا السفر المفيد ، لأن المؤلف - جزاه الله خيراً - قد بحث واستقصى كل شائبة علقت بهذا الدين ، فغور بنا وأنجد ، شارحاً ومعللاً كل فكرة أو مذهب أو رأي ؛ ما له وما عليه ، مصدره ومورده ، أغراضه وهدفه ، ما يتوسل به من وسائل لتحقيق هذا الغرض ، أو بلوغ ذلك الهدف . عارضاً كل مقالة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مبيناً ومفنّداً أباطيل المبطلين ، وزخرف قول المرجفين والمضلين .

يتألف الكتاب في جملته من جزأين ، أما هذا - الجزء الأول - فقد قسمه إلى بابين وخمسة فصول ، حيث عرض في الباب الأول طلائع معاول الهدم في الإسلام ، موضحاً مواقف اليهود عبر السنين ، ثم ما نشأ من فرق إسلامية في الفصل الثاني . أما الفصل الثالث من الباب الأول فقد أفرد فيه البحث عن الفرق الباطنية ذاكراً مقولات

مؤسسيها وأتباعهم ، مبيّناً أدوار كل منهم عبر التاريخ الإسلامي ، وما قام به الاستعمار، والتبشير الصليبي، والصهيونية من حضارة لدعاوى الملاحدة الكفرة في ديار المسلمين ، تزيّت بزّي الإسلام تقريباً من الجاهلين كي يكونوا أتباعاً ، وتمكيناً للاستعمار والصهيونية في بلاد المسلمين ؛ كالدعوة البهائية والقاديانية وغيرهما .

أما الباب الثاني - ويقع في فصلين - فقد حدثنا فيه المؤلف عن مختلف معاول الهدم الخارجية - الوافدة من خارج الوطن الإسلامي - كالصليبية الغازية والماسونية . ثم بين المعاول التي أفرزها المجتمع الإسلامي في شتى أدواره ، ومختلف مراحل نموه ؛ كأحداث الردة ، ودعاوى المتنبيين وبعض المتصوفة .

سطر المؤلف ذلك كله بعبارات رشيقة ، وجمل فصيحة أنيقة ، ولغة متينة وافية ؛ وإن دل ذلك على شيءٍ فإنما يدل على ثقافة واعية ، وسعة اطلاع ، ومدى الجهد المضني الذي بذله للوقوف على هذه المعلومات ووضعها بين يدي القارئ المسلم ، بعبارات وجيزة متزنة ، فيها الكثير من الأناة وخبرة الأريب الذي عرف الداء ومواطن العلة ، فوصف لها العلاج الناجع الشافي بإذن الله .

وهو في هذا كله إنمّا يدعو المسلمين إلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وما كان عليه السلف الصالح .

ويسر إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر - تحقيقاً لرسالتها -

أن تضع هذا السفر بين أيدي القراء المسلمين ، آملين أن تتحقق منه  
الفائدة المرجوة إن شاء الله .

نسأله تعالى أن يكتب الخير وحسن الثواب لأخينا الشيخ خالد محمد  
علي الحاج ، وأن يتقبل عملنا هذا بقبول حسن خالصاً لوجهه الكريم  
إنه خير مأمول وأحسن مسئول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ! والصلاة والسلام على سيد  
المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ..

**عبدالله بن إبراهيم الأنصاري**

مدير عام إدارة إحياء التراث الإسلامي





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

« إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . »

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ) (١) . ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ وَلِيًّا ) (٢) .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ) (٣) .

أما بعد :

« فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ

(٢) سورة النساء : ١ .

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

الأُمُور مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ  
فِي النَّارِ . »

ثم إنني اطلعت على بعض فصول من كتاب : الكشف الفريد عن  
معاول الهدم ونقائص التوحيد لمؤلفه فضيلة الشيخ خالد محمد علي  
الحاج مضروباً على الآلة الكاتبة ، ولم يطبع بعد ، وهو في جزأين  
في حدود ألف صفحة وزيادة .

ذكرني هذا الكتاب - وأنا أطلع فصوله - بالكلمة الخالدة التي  
قالها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينقض الإسلام عروة عروة من  
يدخل في الإسلام ولا يعلم أمور الجاهلية .

فجدير بكل مسلم ، عرف الإسلام الحق ودان به ، أن يطلع أيضاً على  
الجاهليات الجهلاء التي طرأت على المسلمين في مختلف عصورهم  
- بعد العصر النبوي الأول والحكم الإسلامي الراشد - ويلم بها إماماً كاملاً  
ليرى الفارق الكبير بين الإسلام الذي دوى به صوت النبي الكريم  
محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ، وبين الهترقات والزندقات والترهات  
والأباطيل التي ما خلت منها فرقة من الفرق ، ما عدا الفرقة الناجية  
التي وصفها عليه الصلاة والسلام بأن أصحابها : « هُمْ مَا أَنَا عَلَيْهِ  
الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » .

وفي اعتقادي أن الجاهليات الجهلاء التي أناخت بكلكلها على  
المسلمين بعد القرون الخيرة ، كانت أدهى وأمر من الجاهلية الأولى  
بل لو قارنا بين الجاهلية الأولى ، وبين الجاهليات الأخرى ، لما كانت

الجاهلية الأولى شيئاً مذكوراً بالنسبة لتلك الجاهليات العمياء التي عصفت بقلوب كثير من المسلمين ، فقدفت بهم بعيداً عن الهدى النبوي إلى دركات سحيقة ، ومناهات مفضلة عن الطريق السوي والنهج المحمدي .

ولولا أن الله تعالى تعهد بحفظ قرآنه العظيم ، وصحيح سنة نبيه الكريم ، لكان الإسلام أثراً بعد عين ، لا يعرف له مقر ، ولا يوقف له على مستقر .

فالحمد لله على ما أنعم وأفضل ، فقد حفظ لنا أسس ديننا ليعود إليه المخلصون كلما عصفت بالمسلمين ردة ، أو قامت بين صفوفهم جاهلية ... فيأخذوا بأيدي التائهين ويقودوهم إلى المنزل الأول والمنطلق النبوي الأكمل .

فلقد حاول مؤلف الكتاب أن يستعرض الفرق ، ويصف كل فرقة بنحلتها ليطلع عليها المسلمون ، ويعلموا ما كانوا عليه من الضلال والبعد عن المنطلق النبوي الأول .

فذكر الخوارج والمعتزلة ، والأشاعرة والمرجئة ، والجهمية ، والجبرية والشيعية وغلاتها ، والباطنية ، كالإسماعيلية والقرامطة والعبيدية - الذين سموا أنفسهم بالفاطميين - وما تفرع عنها من فروع ؛ كالنصيرية والدروز والشيخية والحشاشين ، وذكر بعض الطرق الصوفية وما جرّت على الإسلام والمسلمين من الرزايا .

وذكر أيضاً الفرق الحديثة ، كالبابية والبهائية والقاديانية والبهرة والآخانية ، فأجرى لكل فرقة من هذه الفرق نعتاً ودراسات كشف خفاياها وعراها جميعاً ، فظهرت - بلا لبس ولا خفاء - على حقيقتها الواقعية ، وحدد بعدها عن الإسلام الحق .

وذكر ما لليهود من النشاط الواسع في إيجاد هذه الفرق ليزعزعوا المسلمين عن دينهم ، وجعلوا من تعدد هذه الفرق معاول هدم للإسلام في كل عصر من العصور التي تلت عصر النبوة الزاهر .

كما حاول أيضاً أن يكشف القناع عن معاول الهدم المتجلية في الماسونية والصهيونية والشيوعية والمادية والاشتراكية والرأسمالية والوجودية والاستعمار ، وتعاون الكنيسة معه ، بالاشتراك مع التنصير والمنصرين، والاستشراق والمستشرقين والملحدّين والعلمانيين والفلاسفة . وحلول القوانين الوضعية ، والقول بفصل الدين عن السياسة وإبعاد الدين عن الدولة ، وإيجاد فئات من الحكام يقبلون بهذه الأحابيل أن يطوق الأعداء بها أعناقهم .

فقد وُفق المؤلف - حفظه الله - في محاولته لتعرية هذه الفرق والنحلّات جميعاً ، التوفيق الذي يعين القارئ المسلم على تفهم خفايا هذه الفرق الضالة المضلة كلها ، ويقارنها مع الإسلام الحق ، فيرى الحق جلياً واضحاً في الإسلام ، وفي عقيدته السمحة الراسخة .

ويقف وقفة تامة كاملة على تفهم كلمة عمر رضي الله عنه ، التي ما تزال

تُدَوِّي في الأسماع والقلوب : ينقص الإسلام محرومة عروة من يدخل في الإسلام ولا يعلم أمور الجاهلية ..

وبخاصة للذين يتعرضون إلى الإصلاح ؛ فيجب أن يطلعوا اطلاعاً واسعاً على وصف تلك الفرق ، ويعلموا ما فيها من الألفاظ الناسفة للعقيدة الإسلامية ، ويصفوها بجلالة للذين اغتروا فيها وظنوا أنها الحق وفي الواقع إنها الباطل الواضح الصريح .

ثم يتعرض المؤلف - حفظه الله - إلى ذكر معاني التوحيد الخالص ثم يُعَرِّي نواقضه ليجتنبها الموحِّدون ، ويعلموا أنها تنقض التوحيد عروة عروة ، موضحاً ذلك في تعرضه لذكر الكهان والعرافين والتمائم والرقى والأحجية والاشتغال بالسحر ، ودعوى الكهان بعلم الغيب واستخدام الجن ، واتخاذ القبور مساجد ، ودعاء أصحابها ، والاستعانة والاستغاثة بهم ، والنذر والذبح لهم ، وزيارات القبور غير الشرعية وعبادة الأهواء ، واتباع الآباء والشيوخ .

ثم يأتي دور معالجة البدع والتدليس ، وتعريف البدعة والسنة ويأتي على أسباب كل ما وقع فيه المسلمون من الانحرافات ويعالجها معالجة موضوعية ، ويخرج بنتيجة طيبة في كشف الحقائق لكل ذي بصر وبصيرة ...

ثم يحمل حملة صادقة على علم الكلام ، وداء الجدل بغير الحق وعلى التعصب المذهبي ، والتقليد الأعمى ، والافتاء بلا علم ، ويعزو هذا كله إلى فقدان الوازع الديني ، وضعف حس الخوف من الله ... فيكشف عن هذه الأفتنة والبراقع كلها ، ويرد على كل شبهة واردة ، ويدافع عن المصلحين - الذين قاموا بالإصلاح - ما رماهم به المبطلون من الأكاذيب والافتراءات .

ولا أٌغالي إذا قلت: إن هذا الكتاب لا يستغني عنه المصلحون في أي زمن ، بل سيكون لهم - إن شاء الله - المعين على كشف الأفتنة عن ما تقدم كله ، من الفرق القديمة والحديثة والمعاصرة .

كما لا يستغني عنه الذين يريدون أن يدرسوا الإسلام ، ويقارنوه بالدعوات الباطلة ، التي اخترعها وابتدعها الذين أكل البغض والحسد أكبادهم وعملوا على تغطية الإسلام بتلك الترهات والخرافات والزندقات .  
( يريدون أن يُطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) (١) .

إن المؤلف وأمثاله من الغيورين على الإسلام - حفظهم الله - هم الذين يحفظ الله بهم دينه ، ويعلي كلمته ، فأبتهل إلى الله تعالى أن يحفظهم بحفظه ، كما حفظوا هذا الدين الكريم ودافعوا عنه بكل ما أوتوا من قوة وعلم وفهم .

أرجو الله تعالى لهذا المؤلف النافع الرواج والانتشار ، ولمولفه الأجر والثواب في الدارين ، وأدعوه تعالى أن يُكثِرَ من أمثاله ليقوموا على خدمة هذا الدين الكريم ، والدفاع عنه وإظهاره على حقيقته الناصعة الواضحة ليسلك المسلمون محجته البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك .  
وصلى الله على محمد وآله وأصحابه ، وكل من اتبع هداه إلى ما شاء الله . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خاتم الدعوة السلفية  
إلى الصراط المستقيم  
محمد نسيب الرفاعي

١٨ - ١٠ - ١٣٩٩ هـ

(١) سورة التوبة : ٣٢ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### من أنوار التنزيل

قال الله تعالى :

( إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلَامُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) .  
سورة آل عمران ( ١٩ ) .

( يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) .  
سورة الصف ( ٨ ) .

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) .  
سورة النور ( ٥٥ ) .

( هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ) .  
سورة إبراهيم ( ٥٢ ) .

## من مشكاة النبوة

عن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ؛ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ » .  
رواه أحمد وأبو داود وحسنه الترمذي

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا » . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ . قال : « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ » . قال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ . قال : « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » .  
رواه أبو داود وغيره

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » .  
رواه مسلم وغيره .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا » .  
رواه أبو داود والحاكم وصححه

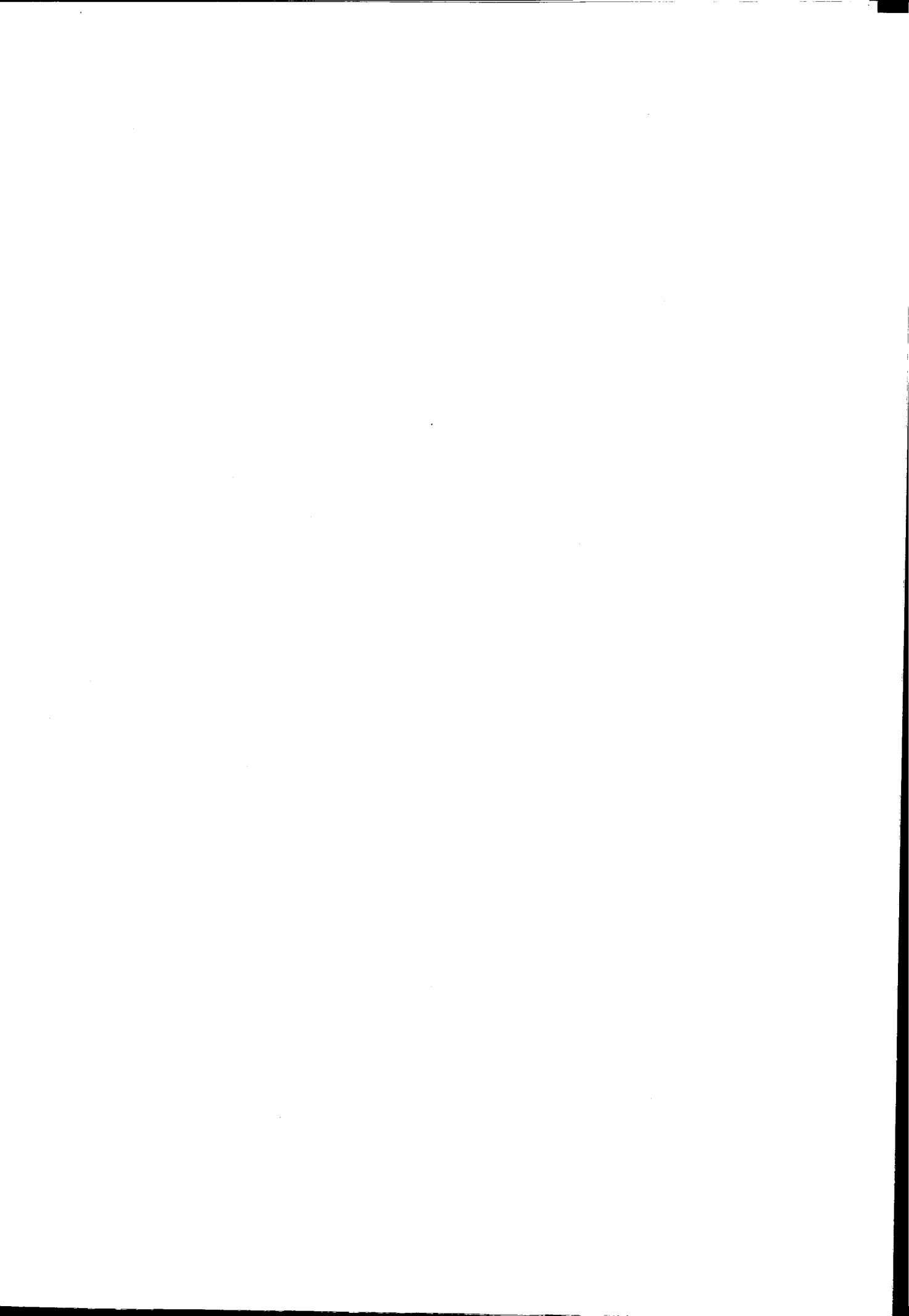


## من درر التراث

[ روي عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال : سمعت سفيان ابن عيينة يقول : إن العالم لا يماري ولا يداري ؛ ينشر حكمة الله تعالى ، فإن قُبلت حمد الله ، وإن رُدَّت حمد الله . ]

\* \* \* \* \*

[ قال العماد الأصبهاني رحمه الله : إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ] .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### القرآن

« إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . »

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ) (١) . ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) (٢)

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ) (٣) .

أما بعد :

« فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ . (٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ . تعرف هذه الخطبة بـ (خطبة الحاجة) ومن السنة البدء بها لافتتاح الخطب والدروس والمقالات وغيرها .

الأُمُور مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدَعَةٍ ، وَكُلُّ بِدَعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فقد مر على البشرية حين من الدهر ، وهي تتخبط في دياجير الظلمة وتتعرثر في متاهات الضلال ، وتسير في غمرة من الأوهام ، ومضطرب فسيح من فوضى الأخلاق وتنازع الأهواء ، وفي ظل هذه الظروف هانت على الإنسان إنسانيته ، وفسدت عليه عقليته ، بعد أن بلغت الوثنية أوجها ، حتى أصبح بطن الأرض خيراً له من ظهرها .

ورحمة بهذه البشرية الضالة المعذبة ، وتخليصاً لها من معاناتها وشقائها ، فقد اقتضت المشيئة الإلهية لها أن ترقى بروح من أمر ربها وتسعد بوحى السماء ، فاصطفى سبحانه وتعالى خيرة خلقه من رسله محمداً بن عبد الله ﷺ الذي صنعه على عينه، واختاره أميناً على وحيه، فأرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

لقد كانت بعثته ﷺ على حين فترة من الرسل ، ليخرج عباد الله جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، فقد صدع - عليه الصلاة والسلام - بأمر ربه ، وقام في القوم منادياً : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا » (١) .

وهكذا قام الرسول العظيم، والهادي البشير بإبلاغ دعوته للناس ، حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها ، ولم يعرض عنه إلا نفر قليل ، إذ كانت على القلوب منهم أقفالها ، ثم دارت عجلة الزمن ، ولم يلبث أن

(١) رواه البخاري .

دخل الناس في دين الله أفواجا ، وعندها ارتفعت أعلام التوحيد خفاقة فوق ربوع الضلال ومعاقل الطاغوت ، وأقلم المسلمون صرح الحق والعدل مُشَيِّداً على أنقاض الظلم والباطل .

وتحت قيادة رسول الله ﷺ توحدت كلمة العرب والمسلمين ، وقويت شوكتهم ، وعز سلطانهم ، وفتحوا العالم ، وأهلوا له رسالة التوحيد والإيمان ، وأنقذوه من أوحال الشرك وطغيان المادة .

وبعد أن لحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى ، تسلم زمام الأمر من بعده الخلفاء الراشدون والتابعون لهم بإحسان ، الذين ساروا على أنوار هديه ، وعملوا بمقتضى أحكام شرعه ، واستطاعوا في فترة وجيزة أن ينشروا الإسلام في معظم أرجاء المعمورة ، وهناك بعيداً عن مهبط الوحي زرعوا بذور الإيمان ، ودشنوا مزارع التوحيد .

وعندما خفت الرقابة الدينية في صدر الإسلام ، تطاول الحاقدون ، وعبث الماجنون ، وانقض المتمردون المتربصون بدين الإسلام ، المتمنون وأده المستعجلون ساعته ، فخرقوا سياجه ، وبعثوا معاول الهدم من مراقدها ، ونبشوا عظام دعوات الضلال من مقابرها .

ثم انجلت الأيام بظهور الفلسفات الضلالية ، والفرق الإسلامية ؛ حيث ظهرت الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والجبرية ، وغلاة الباطنية المتوترة ، وبذلك التبست حقيقة الإسلام على أهله ، وذهبوا في تفسيره وتأويل حقائقه مذاهب شتى ، مما ساعد على التشرذم والتصدع في كيان الأمة .

وقد نجم عن الفتوحات واتساع رقعة الإسلام: دخول أناس في الإسلام من أرباب الديانات والثقافات المختلفة ، نقلوا معهم إلى المسلمين - أصحاب السماحة واليسر - ما لديهم من هذه الفنون والمعارف والفلسفات التي ترجمت إلى العربية وصبغت بصبغتها ، وأدخلوا على الثقافة والعقيدة الإسلامية ما لا يتفق مع صفاتها وسماحتها ، مما ساعد على الفرقة واختلاف الجماعة الإسلامية الواحدة .

وبعد انقضاء القرون المفضلة كثرت الاختلافات ، وعمت الفرقة وانتشرت البدع ، وهيمن الشرك ، وحُرِّفت العبادات، وشوَّهت العقائد وقدمت الأقوال على السنة المطهرة ، والتقليد المذموم على الأخذ من الوحيين ، وفشت حركة التأويل على يد المدرسة الباطنية الخبيثة وعلى رأسها: الشيعة وفروعها ؛ كالإسماعيلية، والقرامطة، والفاطمية، والدرزية، والنصيرية ، وبعض الحركات الصوفية .

وهكذا سرى تيار الباطنية الهدام كريح السموم إلى معظم معاقل الإسلام ، ثم كانت الفتن العمياء والانقسامات الهوجاء التي أعمت البصائر عن مقاصد الوحي الإلهي ، الداعي للوحدة والتمسك بحبل الله المتين، وتفرق الناس في الدين شيعاً ، وأحدثوا فيه بدعاً ، وكانت فتن كقطع الليل المظلم ، لا خلاص منها إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا نجاة من شرها إلا بالتمسك بالقرآن ؛ وهو الحبل الذي طرفه بيد الله وطرفه بأيديهم .

صحيح أن التعاليم الدينية ظلت - وستظل بحمد الله - حية في قلوب

مؤمنة مستمسكة بدينها ظاهرة على الحق ، ولكن المظهر الغالب والحال  
الشامل - مع الأسف - تتمثل فيه وبوضوح المخالفة والفرقة ، ويبدو  
بلا شك شرخ الانفصال عن تعاليم الدين وأحكامه .

وفي غفلة من الزمن استطاع أعداء الله أن ينفذوا بشبهاتهم فوق أسوار  
البناء الإسلامي المكين ، تحت أعين الغافلين عن حراسته في القرون  
الآخيرة ؛ وذلك حينما ترك المسلمون الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله ، وواجهوا دنيا مليئة بالشرور  
والمفاسد ، وتيارات مختلفة من الدعوات الهدامة، والمبادئ المستوردة  
والنزعات الشريرة ، ينادي بها مزيج من أهل الضلال والإلحاد والزندقة  
والشرك .

وقد برزت دعوات « اللادينية » كالشيوعية ، والصليبية ،  
والصهيونية ، هذا الثلاث النجس الذي حاول - ولا يزال يحاول - باذلاً  
طاقاته وجهوده كلها - أن يقوم بعملية احتواء فكري لعالمنا الإسلامي - رغم  
اختلاف المصالح والتباين الفكري فيما بينه - وإن يوجد أسلوباً من الصراع  
تلتقي فيه هذه القوى كلها لمحاربة الإسلام وتقويض دعائمه .

ولعل أخطر هذه الأساليب هو تجنيد الشباب المثقفين ، وبعض القادة  
والساسة المأجورين في عالمنا الإسلامي ، الذين تأثروا بفلسفات أصحاب  
تلك الدعوات وتقاليدهم ، ليكونوا جنوداً في خدمة الأغراض الدنيئة  
التي يعملون من أجلها ، مستغلين في ذلك وسائل الإغراء كافة  
لأولئك المغرورين لشراء ذمهم ، مستغلين حالة الاضطراب الفكري

والقلق النفسي ، وفقدان الوازع الديني الذي يعيشون فيه ، وهذا ما حذرنا منه ، لعدم الوقوع فيه ، رسول الإسلام ﷺ حين قال : « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ؟ . قَالَ : « فَمَنْ <sup>(١)</sup> ؟ ! » .

وقد كانت حرب الصليب بداية لتجربة مريرة بين معسكر الإيمان وجحافل الشيطان ، امتدت قروناً عديدة ، ولا زالت تستشري ويشتد عودها ، بعد أن رافقها ظهور الاستعمار الخبيث الذي جند أكبر عدد من العملاء والمرتزقة ، فزحف بخيله ورجله على معاقل الإسلام وحصونه ، وجند جنده للقتال في صفه ، حتى شمل كل منافق وفاسق ومدلس وجاهل وموتور وحاقد ، أولئك زمرة الباطل ودعاة الإلحاد ورجال الكفر وجنود الجاهلية العتاة في كل زمان ومكان .

أولئك هم الذين يعيشون في الأرض الفساد ، ويزرعون قنابل الموت في كل موقع وناد من ديار الإسلام ، ليصبح أثراً بعد عين ، وما هم ببالغيه ، لأن الغلبة لجند الحق مهما طال الزمن ، ومهما كان يملك الشيطان من قوة وجنود . ( إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ) <sup>(٢)</sup> .

ومع ذلك فقد اتسع الشرخ وصعب التثامه ، وتفرق المجتمع الإسلامي شيعاً وأحزاباً ، وانكمش على نفسه بعد أن تقوضت أركانه ، وانقسم إلى دويلات هنا وهناك ، وسرى هذا التفرق من زمن إلى زمن ، ومن بلد إلى

(٢) سورة غافر : ٥١ .

(١) متفق عليه .



بلد ، ووصل إلى الحد الذي يُؤثِّرُ فيه المؤمنُ الكافرَ على أخيه المؤمن المخالف له في الفكرة والمبدأ ، وهذا ما جناه المسلمون من ثمار العداة والتشيع والحزبية البغيضة التي استغلها أعداء الإسلام ، فأنتجت هذه التفرقة والشحناء والتشتت والتبعية .

لقد منح الله تاريخ الإسلام عباقرة أفذاذاً ، وعلماء عاملين قيَّضهم لدينه في كل عصر ، يحملون لواء الحق، ويدفعون كيد المبطلين ، وينفون دجل المدلسين، وتخريب الهدامين ، وينقون الدِّين من شوائب المبتدعة، وشبهات الملاحدة ، وأوهام المتصوفة ، ونزعات القبوريين ، ونزوات الحكام الجائرين، وهوى الزندقة ، وكذب الاستشراق ، وتضليل الاستعمار ، وفساد الأنظمة السياسية والوضعية ، ووسائل الإعلام المستوردة والثقافة الدخيلة .

وشعوراً بالمسؤولية، وقياماً بالواجب الإسلامي ، فقد شرعت بإعداد هذا الكتاب ، الذي يجمع بين دفتيه أهم معاول الهدم التي أعملت جهودها ضد هذا الدين ، وساعدت على إضعاف المسلمين، وتفرق كلمتهم، وتشتيت وحدتهم ، وسميته : الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائص التوحيد .

وفي الصفحات التالية سيرى القارئ الكريم عرضاً لأهم معاول الهدم القديمة والحديثة ، مقترنة بالحديث عن أهم نواقض التوحيد التي وقع فيها جمهرة من أبناء الأمة الإسلامية ، جهلاً وتهاوناً وعدواناً .

هذا وقد اعتمدت على نصوص من القرآن قاطعة ، وأدلة من السنة النبوية الصحيحة الساطعة ، بما في ذلك أقوال السلف الصالح وأفعالهم . كما استعنت بأهم المصادر التاريخية الموثقة قديماً وحديثاً ، فجاءت خيوط الكتاب بعون الله منسوجة بدقة ، وصلت فيها أفكار الماضي بالحاضر كي تتخذ أساساً لمستقبل إسلامي زاهر .

وقد جعلت كتابي هذا في جزأين :

الجزء الأول : ويقع في بابين وخمسة فصول ؛ وقد رتبته على النحو التالي :

الباب الأول : معاول الهدم الأولى ؛ ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ويشتمل على تمهيد أو ما يشبه مدخلاً لدراسة هذه المعاول .

الفصل الثاني : وفيه فصلت القول عن الفرق الإسلامية وضلالاتها ؛ كالخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرها .

الفصل الثالث : وفيه أسهبت القول عن الفرق الباطنية ودورها في هدم تعاليم الإسلام ، مثل : الإسماعيلية ، والقرامطة ، والفاطمية .

الباب الثاني : معاول الهدم الحديثة ؛ ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : ويبحث في معاول الهدم الخارجية ؛ كالماسونية والصهيونية والشيوعية وغيرها .

الفصل الثاني : وفيه تكلمت عن معاول الهدم الداخلية ؛

التي نخرت الإسلام من داخل حصونه ،  
وأربابها المنافقين والمتنبئين وبعض  
المتصوفة وغيرهم .

\* \* \* \* \*

الجزء الثاني : ويقع في بابين وأربعة فصول وخاتمة، مرتبة على النحو التالي :

الباب الأول : الشرك والابتداع والتدليس، ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : نقائص التوحيد .

الفصل الثاني : الابتداع والتدليس .

الباب الثاني : شبهات وردها ، ومعارف ونقدها . ويتضمن فصلين :

الفصل الأول : شبهات وردها .

الفصل الثاني : معارف ونقدها .

وختمت الكتاب - بفضل الله ومنته - عن الفرقة الناجية - جعلنا

الله منها - مستعرضاً صفاتها وأصول المبادئ التي قامت عليها .

وفي الختام ، فإني أقدم إلى القارئ الكريم ثمرة جهد استمر ما يقرب

من خمس سنين ، وصلت خلالها سواد الليل ببياض النهار ، بحثاً

ودراسة ومناقشة وكتابة ؛ ولا أدعي أنني وصلت به حد الكمال

فالكمال لله وحده ، وإنما هي محاولة أقدمها في نشدان هذا الكمال

وأستغفر الله لما طغى به القلم .

وكلي رجاء وأمل بالله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب أبناء الإسلام ، وأن

يجعله أفضل وسيلة لفهم مقاصد الأعداء القديمة والحديثة ، وأن يدخر

لي ثمرة هذا العمل عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله  
بقلب سليم .

وأخيراً ، فإن واجب عرفان الجميل يقتضي أن أتوجه بالشكر إلى كل  
من قدم إليّ عوناً ، وسهلاً لي صعباً ، واستمدت من مقالاته أو كتبه  
شيئاً ، فلني أثبت لهم جزيل شكري وتقديري ، وأخص بالذكر الأخ  
المفضال الشيخ محمد سالم حسين ، الذي بذل جهوداً مشكورة في طباعة  
مخطوط هذا الكتاب .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم ، وتقبله بقبول حسن  
واجعله كنز المرصود في يوم الميعاد .

وصلى الله على سيدنا محمد إمام المتقين وآله وأصحابه الأطهار  
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بقيام: الراجحي عفوريه

أبي بسام / خالد محمد علي الحاج

الأردن - الزرقاء

ص . ب ( ٣٤٠ )

١٥ رمضان / ١٣٩٩ هـ

الفصل الأول

طلائع معاول الهدم



## طلّاح معاول الهدم

كان اليهود أول طلّاح الهدم الذين قاوموا الإسلام منذ بدء الدعوة الإسلامية ، فالرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة عقد مع اليهود اتفاقاً عاماً ، ضَمِنَ لليهود فيه الحرية في شؤون عبادتهم وأحوالهم الشخصية ، وأشرك اليهود في القيام بتكاليف الدفاع عن كيان المدينة السياسي والحربي ... (١)

إلا أن اليهود - وقد راعهم انتشار الدعوة الإسلامية - تنكروا لهذا الاتفاق ، وأخذوا يدسون السموم، ويحاولون التفرقة بين صفوف الأنصار والمهاجرين من جهة ، وبين الأنصار أنفسهم - خزرجهم وأوسهم - من جهة أخرى ؛ ولم يكتفوا بهذا بل أخذوا يحاولون إثارة الشكوك والريب حول الدعوة الإسلامية الناشئة . . . وتطور العداء بين الطرفين إلى أن أدى إلى الاصطدام السافر الذي انتهى بانتصار الإسلام ، وجلاء قسم من اليهود عن المدينة المنورة ، ولكن الباقين منهم فيها ألّبوا مشركي العرب - من قريش وغطفان وغيرهم - على رسول الله ﷺ ، فحاصر هؤلاء المدينة المنورة ، إلا أن الرحمة الإلهية أدركت المسلمين فانتصروا على أعدائهم ، فلم تقم بعد ذلك لليهود قائمة في المدينة ... (٢) .

(١) سيرة ابن هشام : ص ٥٠١ . وأسرار الماسونية : ص ١٢ .

(٢) راجع سورة الأحزاب .

وفي عصر الراشدين ، لما رأَت اليهودية أن الإسلام قد انتشر وتمكن في القلوب ، وأن لا يقبلَ لهم بمقاومته علانية ، اعتنق بعض خبيثاتهم الإسلام بغية الدس والتشويه ، إلا أن حزم الخليفة عمر رضي الله عنه أوقفهم عند حدهم . ولما بدأت الفتن تتحرك بدأ ابن سبأ ينفث سمومه ؛ فنشأت «السبئية الهدامة»<sup>(١)</sup> التي هي أولى الحركات اليهودية الهدامة في الإسلام ، فقاومها الخليفة علي رضي الله عنه أشد مقاومة ، حتى قيل إنه أحرق بعض زعمائها بالنار .

وفي العصر العباسي انفسح المجال لدعاة الهدم ، أمثال : الزنادقة ، والقرامطة ، والحشاشين ، والشعوبيين ، والباطنيين وغيرهم ، كي يعملوا بمعاولهم في هدم كيان الإسلام وتحريف قواعده وأحكامه ، إلا أن الإسلام قد خرج ظافراً في النهاية من كل هذه المطامع .

ولما انتقلت الخلافة إلى الأتراك العثمانيين لم يكن لليهودية أي نفوذ في أوائل عصورها ، ولكن لما تغيرت الأمور واضطربت أحوال الدولة ، بدأ النفوذ اليهودي يتسرب إلى أخطر مرافق الدولة ، كالجيش والمعارف ، واستغلت اليهودية الماكرة دعاة الإصلاح الغربي لتنفيذ مآربها ، وسجلت انتصاراً باهراً بخلع السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله ، الذي كان يعارض بشدة وعنف هجرة اليهود إلى فلسطين وتمكنهم فيها .

ولم تكتف اليهودية ورببيتها الماسونية بهذا ؛ لأن الدولة لا تزال قائمة ، والصبغة الإسلامية هي الغالبة عليها ، فدفعوا بها إلى حرب مزقت أوصالها شرّ تمزيق ، ثم تعاونوا مع القوى الاستعمارية لإلغاء الخلافة الإسلامية .

(١) راجع كتاب العرب والإسلام : ص ٢٠ - عمر فروخ .



وكان أشهر أبطال هذه المؤامرة الغادرة «حاييم ناحوم» - رئيس الحاخامين في استانبول ، الذي انتقل إلى مصر في السنين الأخيرة لكي يحيك المؤامرات ضد الحركة الإسلامية الناشئة التي أقضت مضاجع الاستعمار واليهودية والماسونية<sup>(١)</sup> .

وأخيراً سقطت فلسطين في أيدي الصهاينة الفاشيين ، الذين نكّلوا بسكانها، وهدموا البيوت على أصحابها، ودنّسوا مساجدها ، كما حرقوا المسجد الأقصى المبارك وانتهكوا حرمت الإسلام .

وفي الصفحات التالية سيجد القارئ الكريم بسطاً وافياً، وتحليلاً شافياً لمعاول الهدم التي تعرض لها المسلمون عبر العصور المتعاقبة ، كما سيجد فصولاً مستفيضة مدعومة بالحجج والبراهين المستندة إلى الوقائع التاريخية ، وهي تكفي لبيان معظم التيارات المعادية والدعوات الهدامة والمكايد التي كادها أعداء الإسلام والمسلمين لهدم الإسلام وتمزيق جماعة المسلمين على مدار التاريخ .

## اليهودية

### توطئة :

هذه لمحات موجزة عن ملامح اليهود كما صورها القرآن والواقع التاريخي نذكرها، ونذكرُ القراء ، ونحیی بها المقاتلين المجاهدين لرفع

(١) أسرار الماسونية : ص ٣٠ بتصرف .

رأية التوحيد ، وتطهير أرض المسلمين ومقدساتهم من رجس أعداء الله ، أولئك المجاهدون الذين طبقوا شرع الله واهتدوا بهدي رسول الله ﷺ فهم دائماً في تأهبهم لمواصلة الزحف وقتال أعداء الله وأعدائهم وأعداء دينهم ، وبالتالي أعداء الإنسانية ، يعملون لتطهير الأرض من أخطار اليهود وفسادهم ، لتعود للبشرية الطمأنينة والكرامة في ظل الإسلام الحنيف .

## أعداء الحق والإيمان

لا شك أن أعداء الحق والإيمان هم اليهود ؛ الذين يقول الله فيهم : ( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) (١) . وهم الذين يقول فيهم سبحانه وتعالى : ( لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) (٢) .

ويقول فيهم أيضاً : ( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) (٣) . ويقول : ( كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ) (٤) .

(٢) سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩

(٤) سورة المائدة : ٦٤

(١) سورة المائدة : ٨٢

(٣) سورة البقرة : ٢٧

وقد وصف الله نفوس هؤلاء وأحوالهم وأعمالهم ، مما يؤكد للمؤمنين عداةهم لهم وعداءهم لكل ما هو خير وحق ، كما يفهم من قوله تعالى فيهم : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ) (١) . وقوله في تعليل ما حاق بهم من ذل ومسكنة : ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ) (٢) .

إنهم الذين آذوا سيدنا موسى عليه السلام بكل ألوان الأذى ؛ فقالوا له ضائقين به متبرمين منه : ( أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ) (٣) . ولم يؤمن به إلا القليل منهم - على حذر وخوف - ولما أنجاهم الله من الغرق كان منهم ما يحكيه القرآن عنهم إذ يقول الله فيهم : ( وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ) (٤) . وكان منهم كذا ...

هؤلاء الذين قتلوا أشعياء وزكريا ويحيى ، وحاولوا قتل عيسى ومحمد عليهم السلام ، وما لا يتسع له المجال لذكره من أسماء الأنبياء الكرام . أما الذين يأمرون بالعدل وإنصاف المظلومين على أيديهم من الناس ، فهم كذلك أعداء لهم لأنهم يريدون للبشرية تطبيق ما يقولون به ،

(٢) سورة البقرة : ٦١ .

(١) سورة آل عمران : ١١٨ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ .

(٣) سورة الأعراف : ١٢٩ .

وتنفيذ ما يرغبون ، وكل من خالف مخططاتهم ومؤامراتهم ودسائسهم الماكرة فهو عرضة للأذى منهم ، والمصير هو القتل والفتك إذا ظفروا به ، وأقرب مثل معاصر على ذلك : « قتل الكونت برنادوت » وسيط دولي - و « همر شيلد » أمين عام هيئة الأمم سابقاً ، و « كنيدي » لمجرد كلام صدر منهم لا يتفق مع أهوائهم ومكائدهم .

من القواعد المقررة في الإسلام أنه : ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ) (١) .  
وأن المخالفين في الدين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين كما يفهم من قوله تعالى : ( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ) (٢) ، وقد بين الرسول ﷺ ذلك حيث يقول : « إِذَا ظَلَمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ كَانَتْ الدَّوْلَةُ دَوْلَةَ الْعَدُوِّ » (٣) . والأحاديث الشريفة في هذا الموضوع كثيرة ، تدل على ما اتسم به التشريع الإسلامي من عدل وفضل .

وقد كان اليهود قد تسللوا إلى الحجاز وأقاموا في أماكن متفرقة ينتظرون مجداً كانوا يلمون به ، ونبوة يتطلعون إلى تحقيقها ، يستعيدون بها مجدهم ودولتهم ، حيث أقاموا حصوناً وقلاعاً قوية في تلك الجهات ، وكان عملهم مع العرب إثارة الفتن والدسائس ، ثم الانتفاع بما ينشب بينهم من حروب ، ولهذا حالف بعضهم الأوس وبعضهم الآخر الخزرج ، حيث كان الخلاف بين القبيلتين الكبيرتين مستمراً بين الحين والآخر ، وكانوا يثيرون تلك الفتن والقلاقل بدسائسهم ومؤامراتهم

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سورة المائدة : ٨ .

(٣) رواه الطبراني عن جابر . انظر تفسير المنار للآية « ٨ » من سورة المائدة .

لإضعاف هاتين القبيلتين ، لتبقى قوتهم وشوكتهم ، وعندما أنعم الله على البشرية برسول الإسلام ﷺ المنقذ من الظلمات إلى النور ومحطم الوثنية وعهودها ، لم يؤمنوا بهذا الرسول العظيم ﷺ كما حسدوا العرب على ذلك ، وعلى ظهور النبوة الخاتمة للنبوات فيهم ، ويرون - في عماية وغرور - أنهم دون غيرهم المختصون بهذا الفضل ، ومع سوء المواقف والمواريب والضلال وفساد الطوية تركهم النبي ﷺ وما يختارون لأنفسهم من دين ، وعقد مخالفة بين جميع سكان المدينة المنورة ، كتبت في صحيفة نصّ فيها على :

« أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وأن جميع سكان المدينة متضامنون في حماية الناس ، وصيانة أرواحهم وأموالهم ، وأنهم جميعاً جبهة واحدة ضد من يعتدي عليهم ، وأنهم لا يصح لأحدهم أن يطعن الآخر بعقد صلح منفرد دون رغبته وعلمه ، وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم ... الخ (١) .

ولكن متى كان هؤلاء أوفياءً بالعهود، وهم الذين يقول الله فيهم :  
( الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) (٢) .

(١) لقد غدروا بالمسلمين فنالوا العقاب جزاءً وفاقاً لسوء صنيعهم . راجع كتاب أعداء الماضي

والحاضر : ص ٤٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٧ .

## المسلمون مع بني النضير

لقد كان دور المسلمين مع يهود بني النضير كدورهم مع يهود بني قنيقاع<sup>(١)</sup> من حيث البداية ؛ فقد ذهب النبي ﷺ ليستعينهم في دفع دية قتيلين من حلفائهم بني عامر ، عدا عليهم عمرو بن أمية الضمري ، ليثأر أو ليدرك بعض الثأر لأربعين مسلماً قتلوا غيلة ، بعد أن اطمأنوا إلى جوار بي عامر ؛ قوم هذين الرجلين .

ولم يكن عمرو يعلم أن هذين الرجلين أخذوا عهداً من النبي ﷺ ومع هذا أبي النبي ﷺ إلا أن يتحمل ديتهما ، وأن يستعين ببني النضير على دفع هذه الدية ، فقابله بنو النضير متظاهرين بالفرح والسرور لقدمه ، ورحبوا به وهشوا للقاءه ، ولما سمعوا منه ما يريد ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ما استعنت بنا عليه . ولما جلس ﷺ إلى جوار بيت من بيوتهم مطمئناً إلى ما رأى وسمع منهم ، رأوا الفرصة سانحة للفتك به والقضاء عليه ، وخلا بعضهم إلى بعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ... فَمَنْ رجل يعلو سطح هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ... ؟ . وقبل بعضهم أن يقوم بهذه المهمة ، وحسبوا أن الله - وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - سيغفل عنهم ، وسيمكّنهم من تنفيذ هذه المؤامرة الدنيئة ، وانتظروا ريثما يصعد الرجل البيت ويلقي الصخرة على النبي ﷺ وهو بين أصحابه أبي بكر وعمر وعلي (رضي الله عنهم) ، ولكن الوحي كان أسرع إلى قلب

(١) المرجع السابق أعداء الماضي والحاضر والمستقبل : ص ٤١-٤٢ .

النبي ﷺ من خطوات المجرم الأثيم ، فهزن ~~و~~ وخامر المكان قبل أن يتم تدبير الشيطان<sup>(١)</sup> ، وفهم اليهود وأصحابه أنه ذهب لقضاء حاجة ثم يعود ، ولكنه لم يعد ، فلحق به أصحابه في المدينة ، وعلموا ما كان من نية الغدر وتدبير الشر ، وكان ما لا بد أن يكون ، فأمر الرسول ﷺ أصحابه للتهيؤ لحربهم وحصارهم ، ثم استسلموا بعد حصار شديد ، وتم إجلاؤهم عن المدينة ، ورحلوا إلى بلاد الشام وخيبر نظير غدرهم وخيانتهم .

## المسلمون وبنو قريظة

لقد فعل بنو قريظة مثل ما فعل بنو قنيقاع وبنو النضير ؛ بل فعلوا ما هو أدهى وأكثر جرماً وخيانة وظلماً في غزوة الأحزاب ، ونظراً لخيانتهم وسوء أعمالهم ومؤامراتهم ، فقد أسرع المسلمون فضربوا حولهم الحصار خمساً وعشرين ليلة حتى نفذ زادهم ، ونخارت قواهم ، وداخلهم الرعب ، وقبلوا المفاوضة في أمر التسليم ، وكان حكم حليفهم فيهم حكماً عادلاً . والحاكم في أمرهم في هذه المسألة هو الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه وقد ارتضوه حكماً عليهم ، وقد كان حكمه فيهم : قتل مقاتليهم وأخذ أموالهم وسبي نسائهم وذرائعهم ، ونزل في ذلك قول الله تعالى :

( وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي

(١) أعداء الماضي والحاضر والمستقبل .

(٢) أعداء الماضي والحاضر والمستقبل .

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ  
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (١).

ولقد كان حكم سعد فيهم - كما كان حكم الله - كما ورد في التوراة  
ومن ثم قال النبي ﷺ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ  
سَمَاوَاتٍ » .

وهكذا استراحت المدينة المنورة، واستراح المسلمون فيها من هؤلاء  
الأعداء الذين كانوا يكذبون صفوها، ويعكرون جوها في الداخل  
والخارج ، وبقي على المسلمين أن يتبعوهم حيث يجتمعون في خيبر ،  
وأخيراً جاءت ساعة الخلاص ، حيث وجهت الضربة الأخيرة لأعداء الله  
في جزيرة العرب ، حيث تطهرت أخيراً من رجسهم واستراح المسلمون  
من مؤامراتهم ، وقضي على شوكتهم، ولم يبق لهم بعد ذلك قائمة .

وفي الأيام الحاضرة عاد هؤلاء في ظل الاستعمار إلى أرض فلسطين ،  
وفعلوا بأهلها ما ينم عن وحشية الجبان إذا استأسد ، واتسعت آمالهم  
بمقدار ما اتسع خيالهم ؛ فكان منهم ما كان مما كشف للعالم حقيقتهم  
وطبيعتهم وخطرهم على الإنسانية ، فما الذي ينتظرهم وينتظر المسلمين  
معهم ... ؟

لا شك أن سنة الله معهم في طول التاريخ وعرضه هي ما يفهم من  
قوله تعالى :

(١) سورة الأحزاب : ٢٦ - ٢٧ .



( ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنْ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ) (١)

وقد انقطع جبل الله بانتهاء أنبيائهم ، وإن اليهود ومؤامراتهم وفجورهم وسوء طويتهم ستكون وبالاً عليهم ، وسيدفعون الثمن غالباً وسيأتي اليوم الذي يتحقق فيه قول النبي ﷺ :

« تُقَاتِلُكُمْ يَهُودٌ فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَا مُسْلِمٌ، وَرَائِي يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ... » (٢)

وأخيراً كانت لهم الكرة على العرب والمسلمين ، بمعونة الشيوعية والاستعمار ، وباستيلائهم على أقدس مقدمات الإسلام - أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين - المسجد الأقصى الذي حرقوه كذلك ، وسيأتي وعد الآخرة إن لم يكن قد أتى ليعود العرب والمسلمون صفاً واحداً ، ويحققوا قول الله لبني إسرائيل : ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ) (٣)

إن الله - الخبير بالنفسيات ، العليم بالسرائر - يصف لنا بصراحة ووضوح في قرآنه الكريم أخلاقيات اليهود ، ويكشف في صدق وعمق عن طبائعهم وجبلاتهم ، ويسجل عليهم انحرافاتهم ومختلقاتهم

(١) سورة آل عمران : ١١٢ .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) سورة الإسراء : ٧ .

وأحاسيس نفسياتهم السوداء ، ونبض قلوبهم المريضة ، قسوة وغدراً  
وظلماً وقتلاً وتحريفاً وتخريباً واستكباراً وتكديباً واستغلالاً وجشعاً  
وخداعاً وغشاً وتدليساً ، وتلبيس الباطل بالحق لتنبه السبل على طالبي  
الحقيقة .

هذه أخلاقيات اليهود كما صورها القرآن الكريم كشف عنها : ( فِيمَا  
نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ  
وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ) (١) .

وعن التكذيب والقتل يقول القرآن الكريم : ( أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ  
رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ ) (٢) .

وعن تلبيسهم الحق بالباطل يقول القرآن :

( لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) (٣) .

ويقول الله تعالى : ( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ  
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا  
نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) (٤) .

(١) سورة المائدة : ١٣ .

(٢) سورة البقرة : ٨٧ .

(٣) سورة آل عمران : ٧١ .

(٤) سورة المائدة : ٨٢ .

## أضواء على العلاقات اليهودية النصرانية

أرسل الله تعالى السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل، فدعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده، والتزام أحكام شريعته، ولقد لقي نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام صنوفاً من الأذى والاضطهاد على أيدي بني إسرائيل العتاة؛ الذين قاوموا دعوته، وخرجوا على تعاليمه، ولم يؤمن برسالته إلا قلة قليلة؛ اهتدت به، والتفت حوله، وآمنت بالله الواحد القهار.

وعلى الرغم مما لقيه هذا الرسول الكريم من العنت والإرهاب من قبل بني إسرائيل، شأنه كسائر إخوته من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، إلا أنه استمر في تبليغ دعوته. وقد لقيت هذه الدعوة المباركة بعض التأييد والمؤازرة من قبل إحدى طوائف بني إسرائيل الذين آمنوا بهذا الرسول العظيم وناصروا دعوته؛ مع أن جمهرة كبيرة منهم - وهم اليهود أبناء الأفاعي وناكثو العهود - كفروا بهذه الدعوة وبرسولها وحاربوه بالوسائل كلها، وأخيراً دبروا مؤامرة اغتياله<sup>(١)</sup>

(١) ولما فشلت مخططات اليهود في تفويض دعوة عيسى عليه السلام، أخذوا يوسوسون للحاكم الروماني ويوهمونه أن في دعوة عيسى زوالاً لملك قيصر، وهكذا تمكنوا من حمل الحاكم ليصدر أمره بإعدامه صلباً. انظر روح الدين الإسلامي : ص ٤٤٢ .

ولكن الله نجّاه من شرّهم، وهم أشر خلق الله ، وأسوأ ملل الأرض وأشدّهم  
لؤماً، وفساداً ، وعتوّاً، وعناداً، وفجوراً .

ولنتأمل هذه الأدلة والآيات القرآنية التي تبين كيف كان موقف  
اليهودية الماكرة من دعوة السيد المسيح عليه السلام ؛ قال تعالى :  
( وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ  
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ  
أَحْمَدٌ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) (١) .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا  
مصدق ما أخبرت عنه ، وأنا مبشر بمن بعدي ، وهو الرسول النبي الأمي  
العربي المكي أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ،  
وقد أقام في ملائكة بني إسرائيل مبشراً بمحمد ، وهو أحمد خاتم الأنبياء  
 والمرسلين ، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة (٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا  
قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ  
أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَائِفُ مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ  
آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ) (٣) .

قال ابن كثير في تفسيره : يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين ؛ أن  
يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم ؛ بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٣٥٩ .

(١) سورة الصف : ٦ .

(٣) سورة الصف : ١٤ .

وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ولرسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال ( مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ) أي: من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل . ( قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ) وهم أتباع عيسى عليه السلام: ( نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ) أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به ، ومؤازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين .

وقوله تعالى : ( فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتُ طَائِفَةٌ ) أي: لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه وآزره من آزره من الحواريين ، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به ، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به ، ووجدوا نبوته ورموه وأمه بالعظام ، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فرقاً وشيعاً ؛ فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة ؛ الأب والابن وروح القدس . ومن قائل إنه الله (١) .

وعلاوة على ما تقدم ، فهذه بعض الحوادث والنقول التي تكشف عن كوامن الحقد والعداء ، بين اليهودية الماكرة وأتباع النصرانية - قديماً وحديثاً - ومنها: كان المسيح عليه السلام لا يأمن من اليهود ، ومما قاله عنهم : الخلاص هو من اليهود (٢) .

أما القديس بولس فقد قال : إنهم لما عرفوا الله لم يُمجِّدوه ولم يشكروه

(١) راجع تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٢) انظر الصهيونية في الميزان : ص ٦٢ .

بل سفهوا واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد ، بشبه صورة إنسان ذي فساد ، وطيور ذوات أربع وزحافات (١) . وكذلك فإن الاعتقاد الديني السائد لدى اليهود - تبعاً لنصوص التلمود - أنهم إذا لم يضعوا دم النصراني في خبز الفطير ، في عيد الفصح ، فإن الفطير ينتن ، ودم النصراني ضروري لأنه تذكار ، لما أمر الله به بني إسرائيل بأن يلطخوا أبواب بيوتهم بدم الحمل المذبوح في عيد الفصح ، عندما كانوا تحت عبودية فرعون ... ثم هم يستعملون هذا الدم في الرش على طاولات الطعام قبل العشاء السنوي ، ويضعون منه قليلاً في الخمر ثم يلعنون الديانة النصرانية (٢) .

وأراد المسيح عليه السلام أن يكسر حدة جشع اليهود وحبهم للمال وعبادة الذهب ، فندد بذوي الأموال ؛ وطبيعي أن يكون مقصود المسيح عليه السلام بذلك التنديد ، هم اليهود الذين يكتزون الذهب والفضة ، ويكفرون بالله ويخالفون الشريعة .

[ فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه : ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله . فتحير التلاميذ من كلامه ، فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم : يا بني ما أعسر دخول المتكلمين على الأموال إلى ملكوت الله ؛ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله ] (٣)

(١) انظر الصهيونية في الميزان : ص ٦٢ .

(٢) نفس المصدر : ص ٦٢ - ٦٣ للأستاذ محمود أرشيد الشيبات .

(٣) متى صح ٢٣ : ١٣ - ٣٤ نقلاً عن جنور البلاء : ص ٨٧ .

ولم يصنع اليهود - وهم غلاظ الأكباد والرقاب - إلى تعاليم المسيح السامية ، وإرشاداته القويمة ، لأنها تتعارض مع أخلاقهم وعاداتهم الذميمة ، التي استعصت على جميع أنبيائهم السابقين ، ثم كانت الطامة الكبرى بالنسبة لأحقادهم على المسيح حين زار أورشليم ووجدهم يحيلون الهيكل إلى بورصة تجارة ووكر دعارة .

[ ولما دخل يسوع الهيكل ابتداءً يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلب مواثد الصيارفة وكراسي باعة الحمام ، ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع ، وكان يُعَلَّمُ قائلاً لهم : أليس مكتوباً بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم ؟ ! . وأنتم جعلتموه مغارة لصصوص ! . وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه ... ]<sup>(١)</sup> .

وأول جريمة وحشية اقترفها اليهود في عهد النصرانية ، كانت رقصة الأفعى - سالومي ابنة هيروديا - أمام هيرودس ، وما كان من إعجاب هيرودس بالفتاة اللعوب إلى الحد الذي جعله يلبي طلبها ، ويقدم رأس يوحنا المعمدان هدية إعجاب لها ، وكانت المؤامرة قد حبكت بمعرفة أمها - هيروديا - التي رفض يوحنا المعمدان أن يزوجها إلى هيرودس باعتبارها زوجة أخيه ، وتمت الجريمة ، وقدم هيرودس رأس المبشر الأول بالمسيحية هدية إعجاب إلى فتاة يهودية لعوب<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر مرقس : ص ١١ : ١٥ - ١٨ نقلاً عن جنور البلاء : ص ٨٨ .

(٢) راجع متى : ص ١٤ : ١١ - ٣١ عن جنور البلاء : ص ٩٠ - ٩١ .

وبعد جرائم اليهود الموجهة إلى المسيح عليه السلام نفسه ، فقد فتكوا بالنصارى عام ٤١ م ؛ وقطعوا رأس مار يعقوب<sup>(١)</sup> . وعندما جاء الامبراطور «هدريان» [١١٧-١٣٨] لم يجد بدأ من الفتك باليهود واستئصال شأفتهم، وحماية البلاد من مؤامراتهم ودسائسهم وأحقادهم . وظهر في عهد «هدريان» مسيح كذاب هو اليهودي «باركوخبا» قاد اليهود إلى الهلاك ، فقتل منهم في حربهم ضد «هدريان» «٥٨٠» ألفاً من جملتهم «باركوخبا» نفسه<sup>(٢)</sup> .

ومن أكبر جرائم اليهود ضد النصارى - قبل مجيء الإسلام - مذبحة الأخدود ؛ التي اقترفها اليهود ضد النصارى ، وقضى فيها ذونواس على عشرات الألوف منهم حرقاً سنة ٥٢٤ م<sup>(٣)</sup> . وقصة الأخدود هذه ورد ذكرها في القرآن الكريم .

هذه بعض الحوادث والأعمال الإجرامية والمعارك الدموية التي وقعت بين أتباع الديانتين السابقتين ، واكتوى بناها أتباع كل من اليهودية والنصرانية . أما حوادث العنف والإرهاب والإفساد التي وقعت بين أتباع كل من اليهودية والنصرانية في العصر الحديث<sup>(٤)</sup> ، فهي أكثر من أن تُحصَر ، وأشار إلى بعضها فيما يلي :-

(١) انظر مؤامرة اليهود على المسيحية : ص ٣٢ عن جنور البلاء : ص ٩١ .

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم : ص ٣١٩ عن جنور البلاء : ص ٩٢ .

(٣) راجع اميل حرب : ص ٣٤ عن جنور البلاء : ص ٩٢ .

(٤) للوقوف على المزيد من أعمال البطش والإرهاب والتخريب والإفساد ، التي ارتكبتها الصهاينة في فلسطين ، يستحسن مراجعة نصوص بروتوكولات حكماء صهيون ، والإرهاب اليهودي في هذا الكتاب .



بعد أن تكشفت لنابليون بونابرت حقيقة اليهود ، الذين عمل جاهداً لمساعدتهم قال : لقد عزمت على تحسين أحوال اليهود غير أنني لا أريد زيادة منهم في مملكتي ... لقد عملت بالفعل كل ما يثبت ازدرائي لأحقر شعب على وجه الأرض<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : إن الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية ، فلا يجوز أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا<sup>(٢)</sup> .

والمعروف أن الجمعيات السرية جمعيات يهودية هدامة منتشرة في بقاع الأرض كافة . ومن خلال مطالعاتنا لأحداث التاريخ وكتب الأديان فقد عرفنا الكثير من أخلاق اليهودية الشاذة ، وكيف يحاربون الأديان

---

(١) لقد عامل الإسلام الكتائين - بل وكل من عاش في كنفه - معاملة طيبة تليق بالإنسان ومن جهة ثانية فعلى مدى عدة قرون ، بينما كان اليهود في أوروبا النصرانية يتعرضون لأشد العقوبات والاضطهاد والانتقام ، حملة إثر حملة ، كان الإسلام يمنحهم مكاناً خاصاً في قلب الجماعة الإسلامية ، وبين ظهرائي المسلمين .

أما في أرض الإسلام الحالي فقد كان اليهود والنصارى وغيرهم يتبوؤون المراكز الرفيعة والمنازل الممتازة ؛ إذ كان منهم الفلاسفة والأدباء والشعراء والعلماء والمؤرخون والأطباء وغيرهم ، حيث ترتفع أقدارهم على ارتفاع مواهبهم ، وإن ظلوا يهوداً خالصاً . والنصارى على نصرانيتهم ، يمارس الكل منهم طقوسه الدينية وعبادته بأمن وطمأنينة .

كما كانت الحقوق محفوظة للجميع في ظلال الإسلام الرائد . قال تعالى :

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتنحة : ٨)

وباليت أبناءهم يعترفون بفضل الإسلام الذي حماهم وحقق لهم الحرية والطمأنينة

مع أن سهام النقد ونكران الجميل هي التي يوجهها المستشرقون وأشباههم من أصحاب الأقلام المأجورة الذين يتناولون على الإسلام العادل ورسائله السمحة الخالدة .

(٢) راجع الأفعى اليهودية في معادل الإسلام : ص ٤٢٦ .

بشتى الوسائل ؛ فاليهودي لا يقنع بهزيمة النصرانية ، بل يريد تهويد أتباعها . إنه يحطم العقيدتين الكاثوليكية والبروتستنتية ، ويشير الخلافات، ويفرض إرادته على العالم من حيث الأخلاق وأساليب الحياة ، يفرضها على أولئك الذين قضي على عقائدهم ، ويعمل في سبيل هدفه الأزلي : محو دين المسيح .<sup>(١)</sup>

وكذلك لم ينس اليهود ما حل بآبائهم وأجدادهم ، وهامهم الآن يحاولون الاقتصاص من النصرانية ، مع أن النصرانية هي التي أهدت لهم فلسطين ، وقام بهذا الدور بريطانيا الاستعمارية ، وأمريكا أيضاً هي التي تمد الكيان الصهيوني بكل ما يلزمه من الرغبة حتى الصاروخ ، بعد أن أصبحت مزرعة يهودية يتصرف اليهود في اقتصادها وتجاريتها وصحافتها .

كما جعلت الصهيونية من أميركا وأوروبا بؤرة فساد وفحشاء ومنكر ؛ ينشرون الرذيلة في كل موقع ، ويحاربون الفضيلة في كل مكان ، تنفيذاً لما ورد في كتبهم وتلمودهم من دعوة سافرة إلى الفسق والمجون والدعارة ..

أما عن أعمالهم في فلسطين فحدث ولا حرج ، خاصة عن فسقهم وإجرامهم . فقد حرقوا المسجد الأقصى ، ودنسوا مقدسات المسلمين .

وبالرغم من العداء المستفحل بين اليهودية والنصرانية إلا أنهم - كدعاة باطل - يلتقون جميعاً على حرب الإسلام ؛ لأنه يدعوهم إلى الحق . فعلى المسلمين اليقظة والحذر حتى يأمنوا شر أعدائهم وهم كثير ...

(١) نفس المصدر : ص ٦٦ .

## الكفرملة واحدة

توطئة :

من البدهيات أن الصراع بين الحق والباطل مستمر ولن يتوقف ، وعلى كثرة دعاة الباطل فهم يتوزعون الأدوار في جنبات المجتمع كل في موقعه ، متسترين بأقنعة مختلفة ويحملون شعارات متباينة ويزرعون قنابل الموت في كل موقع وساحة للقضاء على دعاة الحق من جند الله ، ونيل الفوز والغلبة ، وما هم ببالغيها ، إن شاء الله - ومع ذلك فهم جادون في تمثيل الأدوار والمهمات الملقاة على عواتقهم ، وإن اختلفوا في الهويات والأقنعة والشعارات ، حيث يلتقون في نهاية المطاف على صعيد واحد ، ويصبون في مستنقع واحد ، لأن الهدف والمخطط والمصير واحد .

( أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ) (١) .

## كيف تتعاون ملل الكفر

لعل من المفيد أن أذكر أن دعاة الإيمان وعساكر الرحمن قد واجهت محناً ونكسات وكوارث عبر العصور - ولا تزال - من قبل أنصار الكفر

(١) سورة البقرة : ١٦ .

وعبدة الأوثان ، وأن هذا الصراع سيبقى محتدماً حتى يرث الله الأرض  
ومن عليها .

لقد تعرض صاحب الرسالة الإسلامية نبينا الكريم ﷺ للكثير من  
مؤامرات ودسائس اليهودية والنصرانية وعبدة الوثنية ، ومع ذلك فقد  
كتب الله النصر لهذا الرسول العظيم ولدينه القويم ، وكتب الذل  
والشقاء والهزيمة لطواغيت الكفر والأوثان .

وقد استمرت دسائس الأعداء - أعداء الله - خلال العصور المتعاقبة  
لهدم الإسلام وتقويضه ، وقد كانت حصيلة تلك المؤامرات والحروب  
والثورات : سقوط بغداد والأندلس ، ثم أعقب ذلك تجمع قوى الشر  
والكفر ، المتمثل في حرب الصليب ، الذي شنته دول أوروبا النصرانية  
وأتباعها على العالم الإسلامي لاجتثاث الإسلام من الوجود ، وقد حققت  
بعض النصر حيناً من الدهر ، ولكن هذه الموجات المتلاحقة والحملات  
المسعورة والهجمات المخدولة لم تحقق غاياتها ، بل رُدت على أعقابها  
مهزومة مدحورة ؛ لأن الله سبحانه مؤيد لدينه ، وناصر لأتباعه ، وخاذل  
لأعدائه : ( وَكَيْنُصْرُنَّ لِلَّهِ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) (١) .

وعندما كنت أضع اللمسات الأخيرة لهذه الفصول ، شاء الله أن تقوم  
عصابات الصهاينة الإجرامية باعتداء غاشم على الجنوب اللبناني ، حيث  
اخترقت قواتها الغازية خطوط المواجهة عبر مناطق تواجد قوات الطوارئ

---

(١) سورة الحج : ٤٠ .

الدولية ، الموجودة على خط التماس وهو الحد الفاصل بين فلسطين  
المغتصبة ولبنان العربي .

وتأكيداً لما ذكرت فقد قامت قوات الطوارئ الدولية بدور الشريك  
في هذه الغزوة الصهيونية وباركتها ؛ إذ أفسحت المجال لقوات العدو  
الصهيوني لدخول الأراضي اللبنانية - برأ وجواً - والتوغل إلى الداخل ،  
والوصول إلى القرى والمدن اللبنانية الآمنة والآهلة بالسكان ، ثم قامت  
بالأعمال البشعة ، فقتلت الأهالي الأبرياء ، وهدمت البيوت على أصحابها  
وضربت قوات لبنان - الوطنية المشتركة - وذلك بالتعاون مع عصابات  
الموارنة الصليبية<sup>(١)</sup> الانعزالية ، التي خرجت عن إرادة الأمة ودستور  
البلاد وقانونه ، وضربت به عرض الحائط لتنفيذ مخططات الأعداء .  
وكان يؤازرها قوات الطوارئ الدولية التي أرسلتها هيئة الأمم المتحدة  
لإعادة الأمن والنظام إلى لبنان ، في أعقاب احتلال الجنوب اللبناني من  
قبل إسرائيل الغازية ، والتي تطمع في ابتلاع الجنوب اللبناني لتنفيذ  
حلمها - على مراحل - من النيل إلى الفرات .

هذا مع أنه كان يفترض في قوات الطوارئ الدولية أن تحمي  
المعتدى عليه وتقف في وجه المعتدي ، إلا أنها - للأسف - عكست الأمر

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن مرتزقة من النصارى العرب من - مصر والأردن وسورية - يقاتلون  
مع إخوانهم الانعزاليين - الموارنة - ضد المسلمين في لبنان . . . وقد قدر أن عدد مرتزقة  
المصريين قد بلغ ألف مقاتل . . . هذا غيض من فيض والعامل من اعطز بغيره . ألا فلنحذر  
دسائس الأعداء وكيدهم ( إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) (سورة الزمر : ٩)

فساندت المعتدي . وهذا الأمر يثير الدهشة والاستغراب ! . ومع ذلك فالأمر غير مستغرب لأن ملة الكفر واحدة .

وهكذا أخي القارىء يلتقي الكفرة معاً في صف واحد لضرب قوى الحق وانتصاراً للبغي والعدوان . ومن الجدير بالذكر أن هذا العمل الإجرامي المشترك بين طوائف الشر والكفر قد حدث في مطلع عام ١٩٧٩ م الذي اعترفت به بعض الدول المشاركة في قوة الطوارئ الدولية ، وأشارت إليه وسائل الإعلام في حينه .

وبناءً على ما تقدم يتضح أن قوات الطوارئ الدولية التي أنيط بها حماية جنوبي لبنان وإعادة الأمن إلى ربوعه ، قد تخلت عن دورها هذا وقامت بمساعدة قوى الظلم والعدوان ، وتمكينها من دخول لبنان ثانية بدلاً من صدها ودحرها وحماية أمن البلاد ، وإنقاذ السكان الآمنين الذين تطوعت هيئة الأمم المتحدة لمساعدتهم كما يتبجحون !! . وهكذا نجد أعداء الإسلام يلتقون جميعاً على محاربة المسلمين ، لأنه لا لقاء ولا وفاق بين دعاة الإيمان وجند الباطل من أتباع الشيطان (سنة الله ولكن تجد لسنة الله تبديلاً...) (١) .

أقول : قد ينتهي منك العجب إذا ما عرفت السبب ؛ والسبب الكامن هو أن الكفر ملة واحدة .

وبعد : فلنتأمل قول الحق سبحانه : ( يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) (٢) .

(١) سورة الفتح : ٢٣ .

(٢) سورة الصف : ٨ .

وأثناء الحرب الأهلية في لبنان انقسم الموارنة وأتباعهم - الكتائبيون والشمعونيون وحلفاؤهم - وخرجوا على دستور البلاد وشكلوا جبهة مناوئة للحكومة الشرعية ، وتحالفوا مع الصهاينة في فلسطين المحتلة الذين أزروهم وأمدوهم بكل احتياجاتهم ، من البندقية حتى الدبابة ، وبالمؤن وكافة مقومات بقائهم .

وفي هذا المقام نشرت مجلة البلاغ خبراً هاماً رأيت أن أذكره للقراء كأنموذج لتعاون ملة الكفر ، ووقوفها في وجه دعوة الحق والإيمان وإجهاضها ، وهذا هو نص الخبر : أذاع مكتب النائب الإسرائيلي « صموئيل فلوطو شارون » نداءً موجهاً إلى العالم النصراني ، لدعم حملته التي تهدف إلى تجميع عشرين ألف مقاتل للقتال إلى جانب الموارنة النصارى في لبنان<sup>(١)</sup> ، وكذلك لجمع عشرة ملايين دولار لمساعدتهم في حربهم العنصرية الانفصالية .

وقال النداء : إنه سيتم تجميع المتطوعين في مكان ما في أوروبا الغربية تمهيداً لنقلهم إلى المناطق التي يسيطر عليها الموارنة النصارى في لبنان لتدعيم موقفهم الانعزالي فيها . وجاء في بيان « فلوطو شارون » قوله : إننا معشر اليهود نواجه الخطر نفسه الذي يواجهه نصارى لبنان ، وإذا تمكن الأعداء - المسلمون - من إبادة موارنة لبنان اليوم ، فسيكون دورنا في

(١) حتى يتمكنوا من طرد الفلسطينيين من لبنان ، والقضاء على الحركة الإسلامية والوطنية فيه ، ليجعلوا من لبنان دولة صليبية وقاعدة متقدمة للصليبية العالمية في الشرق الإسلامي ، لتقوم بيث السموم في جسم الأمة الإسلامية وتمزيقها وإضعافها، ألا فليحذر المسلمون - حكاماً ومحكومين - هذه الأخطار المحدقة من قبل أن تلحق بهم النيران ، والشقي من اتعظ بنفسه .

الإبادة قريباً ، ولذلك فإنني أدعو كل يهودي وكل نصراني إلى التكاتف والقتال جنباً إلى جنب ضد عدونا المشترك . (ويقصد طبعاً المسلمين).

ومن الجدير بالذكر أن «صموئيل فلوطو شارون» هذا كان قد فر من فرنسا ، بعد أن أصبح ملاحقاً لدى دوائر الأمن فيها بعدة تهمة احتيال وابتزاز ، وتزعم إحدى عصابات الإجرام المنظم ، والتجأ إلى إسرائيل - اللقيطة وموئل القراصنة وعصابات الإجرام - حيث أصبح فيها عضواً في الكنيست الإسرائيلي ... «أ. ه. (١).

وجاء في كتاب : «استعباد الإسلام» : ها قد هبت النصرانية والموسوية - اليهودية - لمقاتلة المحمدية ، وهما تأملان أن تتمكننا من تدمير عدوتهما . (٢).

صرح الكاردينال بور - كاردينال برلين - لمجلة «تابلت الإنجليزية الكاثوليكية» يوم سقوط القدس عام ١٩٦٧ م ، بعد أن رعى صلاة النصراري مع اليهود في كنيس يهودي لأول مرة في تاريخ النصرانية قال : إن النصراري لابد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الإسلام وتخليص الأرض المقدسة (٣).

وقال راندولف تشرشل : لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم النصراري واليهود على السواء ، إن سرور النصراري لا يقل

(١) مجلة البلاغ عدد ٤٧٤ - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م الكويت .

(٢) راجع كتاب استعباد الإسلام : ص ٤٤ عن كتاب دمروا الإسلام .

(٣) نشرة التعايش المشبوه : ص ٤ عن كتاب دمروا الإسلام : ص ١٢ .



عن سرور اليهود ... أن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين . وقد أصدر الكنيست اليهودي - البرلمان - ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود (١) .

ومن أمثلة التعاون بين اليهودية والنصرانية على محاربة الإسلام: العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م . الذي اشتركت فيه الدولتان الصليبيتان بريطانيا وفرنسا - عدوتا الإسلام القديمتان - مع صنيعتهما إسرائيل اللقيطة .

وكذلك فقد خرج أعوان إسرائيل في باريس بمظاهرات قبل حرب الـ ٦٧ يحملون لافتات ، سارت تحت هذه اللافتات جان بول سارتر (٢) . كتبوا على هذه اللافتات وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل ، جملة واحدة من كلمتين هما :

## ﴿قاتلوا المسلمين﴾

فالتهب الحماس الصليبي الغربي وتبرع الفرنسيون - النصارى (٣) -

(١) راجع راندولف تشرشل حرب الأيام الستة مترجمة للعربية . عن دمروا الإسلام : ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) فيلسوف الوجودية ، فرنسي ، وكان يزعم بأنه من دعاة الحرية ومناصرة قضايا العرب قبل أن يهلك ، قاتل الله الكفرة .

(٣) لا أدري ماذا دهم بعض حكام العرب والمسلمين ؛ الذين مازالوا يرتبطون مع دول الكفر =

بألف مليون فرنك فرنسي خلال أربعة أيام فقط ، لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة ، وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين (١) .

أما المنصرون فلهم مع الإسلام مواقف مشبوهة تدل على حقدهم وفساد طوياتهم ، فهذا المنصر « لورانس براون » يقول :

لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد اختبار لم نجد مبرراً

= من أعداء أمتهم ودينهم بعلاقات ودية ، ويوالونهم ويصادقونهم ، ويعلقون عليهم آمالاً كبيرة ، أملاً في مساعدتهم والوقوف بجانبهم في ساعة العسرة ، لاستمرار بقائهم وتقديم الحلول السريعة لما يعانون من مشاكل خاصة تتعلق بكراسيهم . مع أن العكس هو الصحيح . والذي نأمله أن يراجع بعض هؤلاء القادة والحكام مواقفهم ، وينتهجوا النهج السليم الصحيح الذي يرضي الله ويحقق الخير والعزة للإسلام والمسلمين . وصدق الله العظيم حيث يقول :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) .  
( المائدة : ٥١ ) .

ومن المعلوم أن دول الكفر بمجموعها - النصارى وأضرابهم والشيوعية ومن سار في فكها - كلهم متفقون على محاربة الإسلام ، وإن لم يعلنوا ذلك ، وماضيهم الأسود خير شاهد على ما أقول .

لقد سارعت كل من أمريكا وروسيا الشيوعية بالاعتراف بقيام دولة الأخطبوط الصهيوني على أرض الإسلام - فلسطين - خلال الساعات الأولى من إعلانها ، كما أن بريطانيا - صديقة العرب غير الوفية - قد أهدت بيت المقدس لقراصنة الشعوب - اليهود .

(١) راجع كتاب دمروا الإسلام : ص ٣٨ .

لمثل هذه المخاوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي ، وبالخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي - الشيوعي - إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه ؛ إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد .

ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر ، فهناك دول ديمقراطية كبرى تقاومها ... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ؛ إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي (١) .

أقول : فمن خلال مطالعة الأمثلة والأقوال السابقة يتبين لكل ذي عينين ، كيف تتعاون قوى الكفر والإلحاد على محاربة المسلمين والقضاء على وجودهم ، وبما لا يخفى فقد تعرضت أمتنا ولا تزال لكوارث جمة، ومصائب متتابعة من دول الغرب والشرق ، وفي مقدمتها: الولايات المتحدة ، وروسيا الشيوعية ، وبريطانيا - صديقة العرب التقليدية - وفرنسا التي عانت منها أمتنا الكثير من المحن والمصائب ، وإن جرائمها في سورية والجزائر - بلد المليون شهيد - ستبقى وصمة عار في جبينها أبد الدهر ، فلا يجوز أن ننسى فظائع هذه الدول الكافرة المستعمرة التي التقت كلها، ومعها هيئة الأمم المتحدة على محاربة الإسلام. وما جرى - ولا يزال يجري - في فلسطين أرض المقدسات ، لأكبر شاهد لما نقول .

(١) راجع كتاب أجنحة المكر الثلاثة : ص ٦٧ .

وفي هذا العالم المضطرب المتنافس نجد دولاً كبرى - وهي دول كافرة - تدعم باطل اليهود الصهاينة الغزاة ضد حق المسلمين في فلسطين ، كما أن دولاً أخرى مختلفة المذاهب والعقائد تلتقي فيما بينها لمقاومة المسلمين وإبادتهم ؛ كما يحصل الآن في الفلبين وأريتريا وأوغندا<sup>(١)</sup> وغيرها من البلاد التي يتواجد فيها دعاة التوحيد وحملة الإسلام .

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا » . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كُفَّاءُ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ » . قال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ !! قال : « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ »<sup>(٢)</sup> .

ولإني لأعجب لأشد العجب من حكام العرب والمسلمين ، الذين انجرفوا في تيار الدول المستعمرة من أعداء أمتنا التقليديين ، فتوددوا

(١) ومن أمثلة تعاون ملل الكفر ما حدث عام ١٣٩٩ هـ إذ تلاقى قوى الشر والكفر ؛ من صليبية وشيوعية وصهيونية في غزو دولة أوغندا الإسلامية ، والإطاحة برئيسها المسلم عيدي أمين الذي داس على كرامة الغرب وصنيعته إسرائيل ؛ فقد غزته فلول الصليبي موبوتو ودعم الشيوعي نيريري تحت مظلة الشيطان الأكبر أمريكا ، وباركت هذا العدوان السفير بريطاني والكنائس العالمية ممثلة البابا داعية السلام الكاذب . كما أن هيئة الأمم المتحدة - على الخداع والتضليل - لم تحرك ساكناً وكان الأمر لا يمس السلام الذي تدعي حمايته .

(٢) انظر سنن أبي داود: ج ٢ ص ٤٢٦ . ط مصر سنة ١٩٥٢ . ومشكاة المصابيح: ج ٣ رقم ٥٣٦٩ .

إليهم بالتحالف والموالاتة والصداقه ، وكأنهم نسوا قول الله تعالى :  
( وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) (١) .  
وكما هو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ، فها هي جحافل الكفر  
والشرك بخيلها ورجلها تساندها قوى الشر والضلال ، وتؤازرها ضد  
دعوة : ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) التي أرادها الله الراية الوحيدة لاتباع دينه  
الحنيف .

أقول - باطمئنان وثقة : ليطمئن دعاة التوحيد وحملة الإسلام بنصر  
الله القريب الأكيد ، فما عليهم إلا الاستمرار في حمل راية الإسلام  
ونشر الدين بين الأنام ، ولا شك أن هذا يتطلب الصبر والمزيد من  
التضحيات ، ولنا في رسولنا الأعظم ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة  
ومهما بلغ كيد الأعداء ، ومهما تعاظمت قوتهم وكثرت جنودهم ، فساعة  
النصر آتية لا محالة ، والله هو المنتقم ( وَاللَّهُ مِنْ ورائِهِمْ مُحِيطٌ ) (٢) .  
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) سورة المائدة : ٥١ .

(٢) سورة البروج : ٢٠ .

## الماضي درس للمستقبل

تمهيد :

تزخر كتب السير والتاريخ بأحداث الأمم وأخبارها ، وهي السجل الأمين الذي يروي للخلف أخبار السلف ، وينبئهم بما حوته في بطونها من حوادث وعبر ، حلت بالأمم والشعوب السابقة عبر القرون المتعاقبة على سطح هذا الكوكب .

ومما لا شك فيه أن أمتنا الإسلامية قد لحق بها ما لحق بغيرها من شعوب الأرض وأممها المختلفة ، فقد تعرضت لمحن ومصائب شتى أفقدتها وعيها حيناً ، ثم نهضت من كبوتها وتابعت مسيرتها بعد أن قيض الله لها من يقيلها من عثرتها ويحقق لها ما يمكنها من البقاء والاستمرار .

وللوقوف على أحداث الماضي ومشاكله المعقدة ، وما تعرضت له الأمة الإسلامية بشكل خاص من خير وشر<sup>(١)</sup> ، فقد رأيت أن من المفيد التعرض له ليتمكن المسلم من الاطلاع عليه ، لأن التاريخ قد يعيد نفسه - أحياناً - كما يقولون ، والذكرى تنفع المؤمنين .

(١) إن الأمة إذا نسيت ماضيها مدت طرفها إلى ما عند غيرها ، وأخذت عنهم تقاليدهم وعاداتهم وبذلك تصبح ضائعة مسوخة . وصدق من قال : من فات قدومه تاه .

وبهذا يستطيع العاقل الكَيِّسُ أن يتدارك الأخطاء والمحن التي ابتلي بها السابقون ، ويتخلص من مغبة تكرارها ويأمن العاقبة ، لأن العاقل من اتعظ بغيره ( وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) (١) .

من هذا المنطلق يكون الإنسان اليقظ النابه مستعداً لكل طارئٍ بناءً على معطيات الأحداث السابقة ونتائجها ، وما يترتب عليها من أمور ؛ فما لحق بالشعوب في عهودها الغابرة من الخير والشر يكون خير درس وأبلغ عبرة للأجيال اللاحقة .

إن دراسة الماضي والعودة لحلقات التاريخ لعبرة جديرة بالمسلم الواعي ليعتبر بما مضى وسبقت به الأحداث ومرت عليه السنون ، فأمامنا تجارب القرون الماضية - تجارب كثيرة - تظهر فيها ملامساته وأحداثه ، والنظر إلى مثل هذا الموضوع هو ما نفتقده الآن (٢) وعلينا أن نكتسبه ، وأن نستخلص منه العبر والدروس ، وينبغي أن يوضح مثل هذا الأمر بدقة ، وبصورة كافية ومقنعة ، ولا بد أن أتناوله ، وإن لم أبلغ به الدرجة التي أريد لها من الوضوح والبيان ، لأن وضوح هذا يكون له أثر فعال في نظر المسلم ، وموقفه من مشاكله المعاصرة عند مقارنتها بالمصائب السابقة والأمراض الشائعة ، للحذر من تكرارها علاوة على ما سيجد وما تلده الأيام المظلمة .

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ .

(٢) وأقصد من الماضي دراسة أحداثه وما تعرض له المسلمون ، وما نبت فيه من فرق وأعداء في الداخل والخارج ؛ كالباطنية وغيرها من معاول الهدم .

وهكذا يدرك المسلم ما حدث من وقائع تاريخية لأقوام سبقوه، وأحداث جديدة حدثت لمعاصريه، أو أحداث أخرى ستحدث فيما بعد ليأخذ حذره، وليكون مستعداً لكل طارئ .

والذي يؤكد عمومية الموضوع أن الله سبحانه يقول للرسول ﷺ: ( قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ ) (١) . ويصور الرسول ﷺ هذا الموضوع بصورة من يرى المستقبل من خلال السنن حين يقول: « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ حَذْوً الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ... » حتى إنه يصل في المشابهة إلى أن يحشرهم في جحر الضب .

ومثل هذا النظر إلى الموضوع هو ما نفتقده الآن، بل ونحن في أشد الحاجة إليه، يقول ابن خلدون: ولم أترك شيئاً في أولية الأجيال والدولة، وأسباب التصرف والحوار، وما يعرض في العمران من دولة وملة، ومدينة وهلة، وعزة وذلة، فجاء هذا الكتاب فذاً بما ضمنته من العلوم الغربية والحكم المحجوبة القريبة (٢) .

وإن ابن خلدون له من التطلع إلى ما وراء الأحداث من أسباب، سواء كانت هذه الأحداث دولاً وملاً وعزة وذلة... وكثرة وقلة، فإن ما يذكره ابن خلدون هو هذه الأشياء الظاهرة مما بالقوم من غنى وفقر وصحة وسقم وعزة وذلة... وابن خلدون صار له من التطلع إلى مبررات ومسببات هذه النعم والنقم، لما بالأقوام والدول والملل، ما دعاه إلى أن يعمل فكره؛ فوصل إلى ما وصل إليه. وهو يقول في ذلك: فإن التاريخ

(١) سورة الأحقاف: ٩ .

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ١٢ .



في ظاهره ، لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، وفي باطنه نظرة وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير أن يعد في علومها وخليق (١) .

إن عدم إدراك ما آل إليه العالم الإسلامي - حتى وصل إلى هذا المستوى الهابط - يكمن في الجهل المطبق الذي يرتمي شباب المسلمين في أحضانه ، وعدم متابعتهم لمسيرة الحياة ومراجعة عِبَرِ أحداث الماضي ، والاستفادة من عبر التاريخ ، ففي التاريخ عِبْرَةٌ .

وهذه العبر أسوقها هنا للاعتبار ، وهي للعلامة المؤرخ ابن خلدون حيث قال : ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الأمس واليوم ، نبهت عين القريحة في سنة الغفلة والنوم ؛ فأنشأت في التاريخ كتاباً ، ورفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجاباً ، وفصلته في الأخبار والاعتبار باباً باباً ، وأبدت فيه لأولية الأول والعمران عللاً وأسباباً ، فهذبت مناحيه تهذيباً ، وقربته لأفهام العلماء والخاصة تقريباً ، واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً ، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني عن العوارض الذاتية ، ما يمتنع بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدولة من أبوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك (٢) .

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون ففيها بسط وتفصيل .

(١) المصدر السابق نفسه .

## سنن الحياة وعبرها

لابد لدارس أحوال الماضين وأوضاع السابقين أن يلم إلماماً واسعاً بذلك الرصيد الذي جمع فأوعى ؛ جمع مآثر الأولين وأخطاءهم ، وتلك حصيلة ممتازة وعبرة مستفادة ، جديرة بتصحيح مسار الحياة .

وما يجدر ذكره أن أهم شيء يحث عليه القرآن ، ومن أجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل هو تصحيح العقائد وتغيير المجتمعات ، فلهذا كان الإلحاح في القرآن لينظر الناس إلى سنن الذين خلّوا من قبل ؛ وهي التي على أساسها ترتفع وتنخفض المجتمعات ، وعلى أساسها يكافئ الله ويعاقب ، وعلى البشر أن يتفهموا هذه السنن حتى ينالوا رحمة الله ويبتعدوا عن انتقامه . . . وفي هذا يقول تعالى :

( وَإِنْ يَعودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ) (١)

أي : وإن يعودوا لأعمالهم الفاسدة الناشئة عن تصوراتهم واعتقاداتهم الخاطئة ، فقد مضت سنة الله في نزول العقاب على أمثال هؤلاء . وتعتبر سنة الماضين - حسب نهج القرآن - دعماً للبشر ومساعداً لهم في الابتعاد عن الوقوع في الخطأ مرة أخرى . وكل التجارب البشرية العريقة في القدم ، والموزعة على أقطار البسيطة ، تراث من العبر لكل الناس إذا أرادوا أن ينظروا إليها . وكل الذين لا يتذكرون ما وقع فيه الماضون من أخطاء ، يكونون معرضين لإعادة دفع ثمن جهلهم اجتماعياً

(١) سورة الأنفال : ٣٨ .

في حياتهم الدنيا ، كما هم معرضون لخسارة أنفسهم في الآخرة حين يقولون : ( لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ) (١) ، كما وقد حذر رسولنا ﷺ من عدم التدبر والحذر، ونبه حين قال : « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ » (٢) .

والبشر في سيرهم تتراكم الأمثلة والنماذج أمامهم ، ليعتبروا بها ويستفيدوا منها ، ولهذا يدخل في سنة الاعتبار الأحداث التي حدثت لمن بعد عن القرآن خلال هذه العصور ، في كل أقطار الأرض التي وصلها الإسلام ، سواء في المجتمعات المؤمنة أو الكتابية أو الوثنية . وإدراك مثل هذه السنن ، وعلاقة ما بالأنفس بما يحدث للأقوام ، هو الذي جعل العالم « ويلز » يقول : إن مصائب الحرب العالمية وما حل عليهم من عذاب كان الجزاء الوفاق لما يحمله الناس من أفكار خاطئة (٣) .

والقرآن في وصفه للمجتمع الإسلامي في المدينة ، وتذكيره بسنن الذين خلوا من قبل يقول : ( لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) (٤) .

(١) سورة الملك : ١٠ . وانظر تفسير الجلالين ص ١٤٨ .

(٢) متفق عليه .

(٣) معالم تاريخ الإنسانية : ص ١١٥٠ - ١١٦٠ .

(٤) سورة الأحزاب : ٦٠ - ٦٢ .

إن للصراع في المجتمع سنناً ، ومن لا يتبع السنن يخرّ صريعاً  
ولهذا يعقب الله على وصف حال مجتمع المدينة بقوله تعالى : ( سُنَّةَ اللَّهِ  
فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) .

ويذكر الأنموذج الحاضر في المدينة ، ويشير إلى الذين خلوا من قبل ،  
ثم يضع القاعدة بأن هذا الحدث تابع لسنة الله ، ولن تجد لسنة الله  
تبديلاً<sup>(١)</sup> .

إن الله تعالى حين يعرض أنموذج المجتمع المدني ، لا يعرضه كحدث  
خاص بمجتمع المدينة المنورة ، بل إن هذا الذي حدث في المدينة أنموذج  
من النماذج التي تتبع لقاعدة : ( لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) .

فكل من يريد أن يبني مجتمعاً - أيّاً كان هذا المجتمع ، وأياً كان  
مثله الأعلى - إن لم يسر على السنة ، وإن لم يعرف عوامل الهدم والبناء ؛  
فلن يتمكن من إقامة مجتمع . وحين يتعلم الإنسان كيف يتعامل مع  
السنن ، يستطيع أن يستفيد من أخطاء ومن صواب الكافرين ، فضلاً  
عن المؤمنين ، وذلك إذا استطاع التعامل مع السنن مباشرة دون أن  
تتدخل عداوة أو صداقة أو أية أهواء أخرى في تسخير هذه السنن .

والقرآن الكريم يعرض لنا الأمثلة ممزوجة بالسنن وبالواقع المعاش  
وبالعبر الماضية . فانظر مثلاً إلى قوله تعالى :

---

(١) انظر : كتاب حتى يغيروا ما بأنفسهم : ص ١٨٧ للأستاذ جودت سعيد .

( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ  
 إِحْدَى الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا . اسْتَكْبَارًا فِي  
 الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ  
 إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ  
 تَحْوِيلًا أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي  
 السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ) (١) .

وهكذا نستطيع أن نستكشف أحوال الماضي وملابساته ، ويمكن رؤية  
 الارتباط بين تلك الأحوال وأسبابها ، وذلك بالنظر إلى تاريخ الأولين  
 السابقين خلال أحداث التاريخ ، ويتضح ذلك لمن يسير في الأرض  
 وينظر ويقرأ ويقارن ليأخذ الدرس والعبرة المفيدة .

وهكذا يمكن استيعاب العبر من السير في الأرض والنظر إلى العواقب ،  
 لأن ذلك يكسب الإنسان معرفة بأحداث التاريخ ، كما يكسبه قوانين  
 الحياة وسننها ... وهذا الأمر لا يتحقق بمجرد الدرس وإنما بالسير  
 والكشف أيضاً .

إن الاستفادة من السنن وملاحظة الأمثلة والأحداث ، تقدم للناس  
 بصراً ومعرفة - نظرية وعملية - حتى لا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم ،  
 أو تنقذهم إذا وقعوا فيها ، أو على أقل تقدير تكسبهم صلابة موقف  
 من يدرك سنة الأوائل ، لأن موقف من يرى السنن يختلف عن نظر وموقف

(١) سورة فاطر : ٤٢ - ٤٤ .

من يجهل مصدر الأحداث والأمراض والمحن التي حلت فيمن مضوا ،  
فإن حيرة وخوف من يجهل الماضي ، غير بصيرة من يعلم وغير طمأنينته .

إن إدراك السنن والتعامل معها هو الذي يجعل الإنسان يمشي سوياً على  
الأرض ، ومن يجهلها فهو المكب ... والله تعالى يقول :

( أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ) (١)

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر يمشي على وجهه  
لا يدرك أين يسلك ، بل هو تائه حائر ضال بعكس حال المؤمن .

ولعله من المناسب أن نستأنس هنا بما قاله حكيم الشرق جمال الدين  
الأفغاني في خاطرته ، بمناسبة أحداث السودان يومذاك : من أن بريطانيا  
أخرجت من جرابها ألعوبة - حصار غوردون - فأصدرت إلى المصانع  
ليباشروا مدسكة حديد من سواكن إلى بربر ... وتزعم أن لا باعث لها  
على ذلك إلا الرغبة في تخليص - غوردون - إن كان في خطر ... إذا  
فرضنا هلاكه - كما هو الغالب - أو خلاصه ، فهل تهدم دولة انكلترا  
طريق الحديد أو تتبرع بها لمصر سخاءً ؟ . كلا والله ... لا هذا ولا ذلك ،  
ولكن طريق للاستيلاء على السودان . ا . ه .

قال المخزومي : أتيت يوماً لجمال الدين وكاشفته بقولي : هذه المقالة  
نقلتها إلى الخاطرات حسب إشارتك ، ولكن توقفت عن نقل

(١) سورة الملك : ٢٢ . راجع تفسير ابن كثير : ج ٤ - ص ٣٩٨ .

ما تبقى، لأنني ما رأيت جدوى في نهقل حوادث جرت وانقضى أمرها وكاد الناس أن ينسوها ، ولا فائدة من إعادة ذكرها ... سمع لي جمال الدين بإصغاءٍ ، ولما انتهيت قال: يا شيخ بني مخزوم ، وعزة الحق إن ما تراه اليوم من الفضول بذكر حوادث مضت ، وأعمال أتى بها الانجليز في مصر والهند إن مضت أعيانها فستأتي أشكالها وأمثالها ؛ فبريطانيا لا تفتقر تحدث فتوقاً في البلاد فتدخل من أضيقتها فتوسعه ، وترقب أصغر حدث فتجمعه ، وتعمل على شق عصا القوم وتقسيمهم أحزاباً ، وتكون نصير المتباغضين ... سنة جرت عليها دولة بريطانيا ورجالها فلا يحيدون عنها (١) .

لم يكن هم الأفغاني ذكر الأحداث ، ولكنه التنبيه إلى السنة التي تتبعها بريطانيا مع الشعوب ، ويعرف الأفغاني أنها إن مضت أعيان الحوادث والمصائب فستأتي أشكالها وأمثالها . وحقاً فقد أخرجت بريطانيا بعد هذه الحادثة بعشرين عاماً حاوياً آخر في الوقت المناسب ، كما قال مالك بن نبي : عرف الأوروبي كيف يختار السياسة التي تناسب تلك الساعة ، وهو الذي يتمتع بالمقدرة الانتهازية الفطرية ، فعرف لورانس مثلاً - في الساعة التي هدد فيها - فون أرمين - قناة السويس ١٩١٥ - كيف يثير الثورة العربية المشهورة ، حين دلى ضعف الشيخوخة لدى عجوز ، هو الشريف حسين ، وتملق حفنة من الزعماء الشباب المخمورين بفكرة المملكة العربية (٢) .

(١) راجع : الخاطرات ص ٢٨٧ .

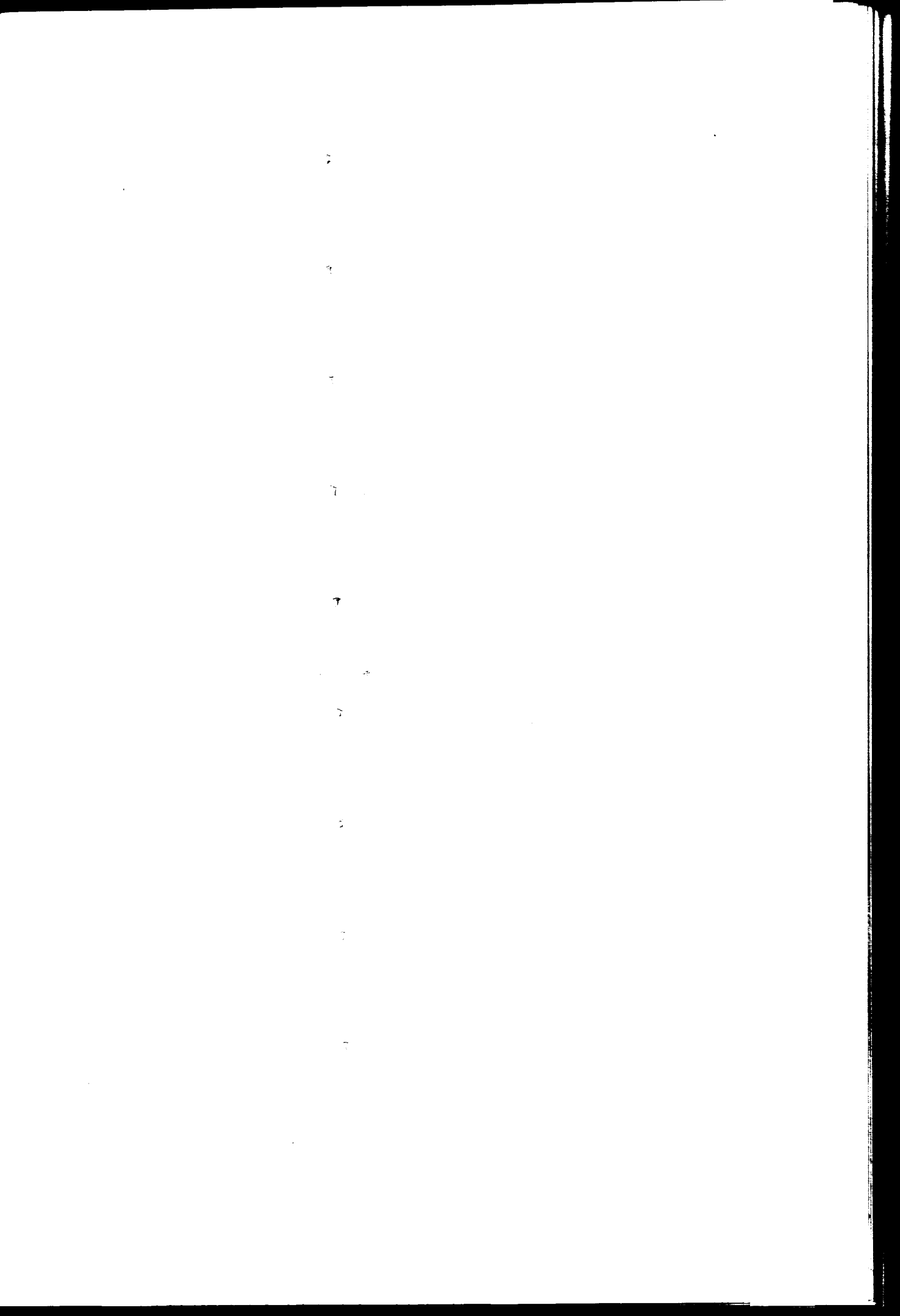
(٢) فكرة الأفروآسيوية عن كتاب حتى يغيروا ما بأنفسهم : ١٩٠ - ١٩١ .

وفي الصفحات التالية بسط وتفصيل لأحداث جسام - لحقت  
بالمسلمين - وفيها كثير من الدروس والعبر التي نرجوا أن تكون عوناً  
للأجيال ، لتلمس الطريق على هدى وبصيرة... ولا فائدة من ذكر هذه  
الأحداث إن لم تُحصَّن من الوقوع في أمثالها... إنها الذكرى :  
( وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) سورة الذاريات : ٥٥ .



الفصل الثاني

الفرق الإسلامية



## أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية

كانت شبهة إبليس - لعنه الله - هي أول شبهة وقعت في الخليقة ، وكان مصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص ، واختياره الهوى في معارضته الأمر ، واستكباره بالمادة التي خُلِقَ منها - وهي النار - على مادة آدم عليه السلام وهي الطين<sup>(١)</sup> .

وقد انشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسرت في الخليقة ، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة ، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأنجيل الأربعة ، ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بين إبليس وبين الملائكة ؛ بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه . والمعروف أن كل الشبهات الناشئة هي من شبهات اللعين إبليس .

وجاء في التنزيل في قوله تعالى : ( وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ )<sup>(٢)</sup> .

وشبه النبي ﷺ كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة فقال : « الْقَدْرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُهُمْ »<sup>(٣)</sup> . وقال : « وَالْمُشْبَهَةُ يَهُودٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ

(١) الملل والنحل : ج ١ ص ٢١ وما بعدها . (٢) سورة البقرة : ١٦٨ .

(٣) إسناده ضعيف . له طرق يتقوى بها .

وَالرَّوَافِضُ نَصَارَاهَا . وقال عليه الصلاة والسلام جملة : « لَتَتَّبِعَنَّ  
سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ - رِيشِ السَّهْمِ - حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا  
جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » (١) .

وهكذا يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ، ودور صاحب كل ملة  
وشريعة أن شبهات أمته في آخر زمانه ، ناشئة من شبهات خصماء أول  
زمانه من الكفار والملحدين ، وأكثرها من المنافقين ، وإن خفي علينا ذلك  
في الأمم السالفة لتمادي الزمان ، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها  
نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه الصلاة والسلام ، إذ لم  
يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى . وشرعوا فيما لا مسرح للفكر  
فيه ولا مسرى ، وسألوا عما مُنعوا من الخوض فيه والسؤال عنه ؛ جادلوا  
بالباطل فيما لا يجوز الجدل فيه .

اعتبر حديث ذي الخويصرة التميمي إذ قال : اعدل يا محمد ، فإنك  
لم تعدل . حتى قال عليه الصلاة والسلام : « إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ ؟ ! »  
فعاد اللعين وقال : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى . وذلك خروج  
صريح على النبي عليه الصلاة والسلام . وقد صار من اعترض على  
الإمام المحق خارجياً ، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون  
خارجياً ، أو ليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقبيلحه ؟ . وحكماً بالهوى  
في مقابلة النص ، واستكباراً على الأمر بقياس العقل ؟ . حتى قال عليه

(١) رواه الشيخان . سنن : بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم . والمعنى : لتتبعن طريقهم  
في كل ما فعلوه ، وتشبهوهم في ذلك كتشابه ريش السهم .

الصلاة والسلام : « سَيَخْرُجُ مِنْ ضَيْضِي هَذَا الرَّجُلِ قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » (١) .

واعتبر حال طائفة أخرى من المنافقين يوم أحد إذ قالوا : ( هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ) (٢) . وقولهم : ( لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ) (٣) . وقولهم : ( لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ) (٤) .

فهل ذلك إلا تصريح بالقدر ؟ . وقول طائفة من المشركين : ( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ) (٥) . وقول طائفة : ( أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ) (٦) فهل هذا إلا تصريح بالجبر ؟ .

واعتبر حال طائفة أخرى جادلوا في ذات الله ، تفكراً في جلاله ، وتصرفاً في أفعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى :  
( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) (٧) .

فهذا ما كان في زمانه عليه الصلاة والسلام وهو على شوخته وقوته ، وصحة بدنه ، والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض في كل وقت على حركاته وسكناته ، فصارت الاعتراضات كالبذور وظهرت منها الشبهات كالزروع .

(١) رواه البخاري : الضئضي : الجنس . والأصل والمحتد ، يقال : فلان من ضئضيء صدق : أي من محتد صدق .

(٢ ، ٣) آل عمران : ١٥٤ .

(٥) سورة النحل : ٣٥

(٤) آل عمران : ١٥٦ .

(٧) سورة الرعد : ١٣

(٦) سورة يس : ٤٧

وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه عليه الصلاة والسلام ، وبعد وفاته بين الصحابة رضي الله عنهم ، فهي اختلافات اجتهادية كما قال العلماء ، كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع ، وإدامة مناهج الدين .. وتعميماً للفائدة نذكر بعض الخلافات الاجتهادية التي وقعت بين أصحاب النبي ﷺ وهي خلافات ما كانت في العقيدة ولا في صلب الإسلام ، إنما كانت خلافات سياسية أو إن شئت فقل إدارية .

### فأول تنازع :

وقع في مرض الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال : « ائْتُونِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدِي » . فقال عمر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله . وكثر اللغظ ، فقال النبي ﷺ : « قَوْمُوا عَنِّي لَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ » . قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ .

### الخلاف الثاني :

في مرضه ﷺ أنه قال : « جَهِّزُوا جَيْشَ أُسَامَةَ . لَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ » . فقال قوم : يجب علينا امتثال أمره - وأسامه قد برز من المدينة - وقال قوم : قد اشتد مرض النبي عليه الصلاة والسلام فلا تسع قلوبنا مفارقتة ، والحالة هذه ، فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره .

وإنما أوردت هذين التنازعين ، لأن المخالفين ربما عدّوا ذلك من الخلافات المؤثرة في أمر الدين ، وليس كذلك ، وإنما كان الغرض كله إقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب ، وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الأمور<sup>(١)</sup> .

### الخلاف الثالث :

في موته عليه الصلاة والسلام ، قال عمر بن الخطاب : من قال إن محمداً قد مات قتلته بسيفي هذا ، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام . وقال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يموت ولن يموت . وقرأ قول الله سبحانه وتعالى :

( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ) (٢) .

فرجع القوم إلى قوله . وقال عمر رضي الله عنه : كأني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر .

### الخلاف الرابع :

في موضع دفنه عليه الصلاة والسلام ، أراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة لأنها مسقط رأسه ، ومأنس نفسه ، وموطئ قدمه ، وموطن

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(١) نائرة الفتنة : أسبابها .

أهله ، وموقع رحله . وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ، ومدار نصرته . وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنه موضع دفن الأنبياء ، ومنه معراجه إلى السماء ، ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام : « الْأَنْبِيَاءُ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ » .

### الخلافة الخامسة :

في الإمامة ؛ وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة ، إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان ، وقد سهل الله تعالى في الصدر الأول ؛ فاختلف المهاجرون والأنصار فيها ، فقالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . واتفقوا على رئيسهم سعد بن عباد الأنصاري ، فاستدركه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الحال ؛ بأن حضرا سقيفة بني ساعدة وقال عمر : كنت أزور<sup>(١)</sup> في نفسي كلاماً في الطريق ، فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلم فقال أبو بكر : مه<sup>(٢)</sup> يا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر ما كنت أقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب ، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الفتنة ، إلا أن بيعة أبي بكر كانت فلتة<sup>(٣)</sup> وفي الله المسلمين شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، فأبما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنهما تَغَرَّةٌ<sup>(٤)</sup> يجب أن يقتلا .

(١) أزور كلاماً : أحسن كلاماً وأقومه وأتممه .

(٢) مه : اكفف . (٣) فلتة : دون تدبر وتمهل .

(٤) تغرة : غرر بنفسه تغريراً وتغريةً : عرضها للهلاك .



وإنما سكنت الأنصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي عليه الصلاة والسلام : « الأئمة من قريش » . وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة ، ثم لما عاد إلى المسجد انثال<sup>(١)</sup> الناس عليه وبايعوه عن رغبة ، سوى جماعة من بني هاشم وأبي سفيان من بني أمية ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ كان مشغولاً بما أمره النبي ﷺ من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة .

### الخلاف السادس :

في أمر فدك<sup>(٢)</sup> والتوارث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، ودعوى فاطمة عليها السلام وراثته ثأره وتمليكاً أخرى ، حتى دُفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه الصلاة والسلام « نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ » .

### الخلاف السابع :

في قتال مانعي الزكاة ؛ فقال قوم : لا نقاتلهم قتال الكفرة . وقال قوم : بل نقاتلهم . حتى قال أبو بكر رضي الله عنه : لو منعوني عقلاً مما أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه . ومضى بنفسه إلى قتالهم ، ووافقهم جماعة الصحابة بأسرهم . وقد أدى اجتهاد عمر رضي الله عنه

(١) انثال عليه الناس : انصبوا عليه وتكاثروا حوله .

(٢) فدك : قرية شمال المدينة كانت لليهود ، ولما انهزم يهود خيبر خشي يهود فدك على أنفسهم فسلموا قريتهم للنبي عليه الصلاة والسلام دون قتال ، فكانت خالصة له يتفق منها ، وعلى بعض المحتاجين من أبناء بني هاشم .

في أيام خلافته إلى رد السبايا والأموال إليهم وإطلاق المحبوسين منهم والإفراج عن أسراهم .

### الخلاف الثامن :

في تخصيص<sup>(١)</sup> أبي بكر عمرَ بالخلافة وقت الوفاة ، فمن الناس من قال : قد وليت علينا فظاً غليظاً . وارتفع الخلاف بقول أبي بكر : لو سألتني ربي يوم القيامة لقلت : وَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُمْ .

وقد وقع في زمانه اختلافات كثيرة في مسائل ميراث الجد والإخوة والكلالة<sup>(٢)</sup> وفي عَقْل<sup>(٣)</sup> الأصابع وديات الأسنان ، وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نص . وإنما أهم أمورهم : الاشتغال بقتال الروم ، وغزو العجم ، وفتح الله تعالى الفتوح على المسلمين ، وكثرت السبايا والغنائم ، وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر رضي الله عنه ، وانتشرت الدعوة، وظهرت الكلمة ، ودانت العرب ، ولانت العجم .

### الخلاف التاسع :

في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها ؛ واتفقوا كلهم علىبيعة عثمان رضي الله عنه ، وانتظم الأمر، واستمرت الدعوة في زمانه، وكثرت الفتوح وامتلاً بيت المال ، وعاشر الخلق على أحسن خُلق، وعاملهم بأبسط يد ،

(١) انظر كلام أبي بكر في هذا الموضوع : ج ١ ص ٨ من الكامل للمبرد . مصطفى الحلبي .

(٢) من عدا الولد والوالد من الورثة ، وقيل : الكلالة من مات ولا والده ولا ولد .

(٣) العَقْل : ما يدفع للمجنني عليه كتمريض لما أصابه .

غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نُهابر<sup>(١)</sup> فركبته ، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمنه اختلافات كثيرة ، وأخذوا عليه أحداثاً كلها محالة<sup>(٢)</sup> على بني أمية . منها :

- ردّه الحَكَم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد أن تشفع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك ، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً .

- نفيه أبا ذر إلى الرَبْذة<sup>(٣)</sup> ، وتزويجه مروان بن الحكم بنته ، وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار .

- إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان رضيعة - بعد أن أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه ، وتوليته إياه مصر بأعمالها وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث ، إلى غير ذلك مما نعموا عليه ، وكان أمراء جنوده : معاوية بن أبي سفيان عامل الشام . وسعد بن أبي وقاص عامل الكوفة ، وبعده الوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر عامل البصرة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر ؛ وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه وقتل مظلوماً في داره ، وثارَت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه ولم تسكن بعد .

(١) مهالك ، جمع نهبورة بضم النون فيهما .

(٢) محالة أي : محولة ومنسوبة .

(٣) الربذة : من قرى المدينة .

## الخلافة العاشر :

في زمان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له .

فأوله : خروج طلحة والزبير إلى مكة ، ثم حمل عائشة إلى البصرة ثم نصب القتال معه . ويعرف ذلك بحرب الجمل ، والحق أنهما رجعا وتابا ؛ إذ ذكّرهما أمراً فتذكراه . فأما الزبير فقتله ابن جرموز بقوس وقت الانصراف ، وهو في النار لقول النبي ﷺ : « بَشْرٌ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ » . وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الإعراض<sup>(١)</sup> فخر ميتاً .

وأما عائشة رضي الله عنها فكانت محمولة على ما فعلت ، ثم تابت بعد ذلك ورجعت .

والخلافة بينه وبين معاوية وحرب صفين ، ومخالفة الخوارج ، وحمله على التحكيم ، ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري ، وبقاء الخلافة إلى وقت وفاته مشهور .

وكذلك الخلافة بينه وبين الشراة<sup>(٢)</sup> المارقين بالنهروان<sup>(٣)</sup> عقداً وقولاً ونصب القتال معه فعلاً ظاهراً معروفاً ، وبالجملة كان علي رضي الله عنه مع الحق والحق معه ، وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن

(١) وقت الإعراض : وقت أن أعرض عن القتال ، أي كف واعتزل الحرب .

(٢) الشراة : الخوارج والواحد : شراري سموا بذلك لقولهم : شربنا أنفسنا في طاعة الله .

(٣) النهروان : عدة قرى بين واسط وبغداد .

قيس ، ومسعود بن مذكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي وغيرهم ، وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه، مثل: عبد الله بن سبأ وجماعة معه ، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة ، وصدق فيه قول النبي ﷺ :  
 « يَهْلِكُ فِيهِ اثْنَانِ : مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ » (١)

(١) راجع الملل والنحل : ج ١ ص ٢٧ ففيه بسط وتفصيل .

تعليق بشأن عثمان رضي الله عنه :

أورد الطبري في تاريخه ، روايات كثيرة وصلته عن الفتنة في صدر الإسلام ، بأسانيدها حتى يُعرف أوثقها من خلال الجرح والتعديل ؛ وأوثق روايات الطبري في هذا السبيل تلك التي يروها السري عن شعيب عن سيف بن عمر . . . وأونها رواية أبي مخنف ، لوط بن يحيى . . . فقد قال علماء الرجال عن سيف بن عمر : « كان إخبارياً عارفاً » وقالوا : « ثقة في التاريخ » وقالوا عن لوط بن يحيى ، أبي مخنف ، « شيعة تالف ، صاحب هوى متروك » وجل التحريف في تاريخ فترة صدر الإسلام مصدره أبو مخنف الذي لم يُقبل إخبارياً عند علماء الرجال ، ولم يُقبل محدثاً . . . ولو أن رواياته حذفت من تاريخ الطبري لزال معظم التحريف والتشويه في تاريخ تلك الفترة . . . يروي الطبري [ الجزء الثالث ص : ٢٧٢ - ٢٧٣ من تاريخه ] عن سيف بن عمر ، ما يلي :

اختار - عثمان - رجلين ، أحدهما من بني زهرة ، والآخر من بني مخزوم للتعرف على نوايا هؤلاء المتظاهرين في العمرة - أصحاب الفتنة - وكان هذان الرجلان قد نالتهما عقوبة عثمان ، فيمكن أن يطمنن المتظاهرون إليهما . . . فلما رأوهما يأتوهما وأخبروهما بما يريدون ، قالوا : من معكم على هذا من أهل المدينة ؟ قالوا : ثلاثة نفر . قالوا : هل إلا ؟ قالوا لا . قالوا : فكيف تريدون أن تصنعوا ؟ قالوا : نريد أن نذكر له أشياء قد زرناها في قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أننا قرناها بها ، فلم يخرج ولم يتب ، ثم نخرج كأننا حجج حتى نقدم فتحيط به فنخلعه ، فإني أرى قتلنا وكانت إياها . . .

ارسل عثمان رضي الله عنه الى الكوفيين والبصريين ، ونادى الصلاة جامعة - وهم عنده في أصل المنبر - فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم خبير القوم ، وقام الرجلان « الزهري والمخزومي اللذان كشفا المؤامرة » .

فقالوا جميعاً : اقتلهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا أحل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم » . فقال عثمان : بل نعفو ، ونقبل ، ونبصرهم جهنماً ، ولا نحاذر ( نعاقب ) أحداً حتى يركب حداً أو يبدي كفرًا .

إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم ، ألا إنهم زعموا أنهم يذاكرونها ليوجبوا عليّ عند من لا يعلم . . .

.. وقالوا : . . . حميت الحمى . وإني والله ما حميت ، حمي قبلي ، والله ما حوا شيئاً لأحد ، ما حوا إلاّ ما غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من رعيه أحداً . . . واقتصروا للصدقات المسلمين يحمونها لثلاث يكون بين من

بيقي ، وفي عمري ، وودعت الذين لي في أهلي ، قال الملحدون ما قالوا ١٩ وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً - ضريبة أو أتاوة - وما قدم علي إلا الأخماس ، ولا يحمل لي منها شيء ، فَوَلَّى المسلمون وضعها في أهلها دوني ، ولا يتفلت من مال الله بفلس فما فوقه ، وما أتبلغ منه ، ما أكل إلا مالي . . .  
نفي أبي ذر رضي الله عنه :

روى ابن خلدون في تاريخه ( العبر ١٣٩/٢ ) أن أباهر استأذن عثمان رضي الله عنه في الخروج من المدينة ، وقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلماً » فأذن له ، ونزل الرينة ، وبني بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً ، وكان يتعاهد المدينة . . وبين المدينة والرينة ثلاثة أميال . قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .  
خمس غنائم افريقيا :

أما إعطاؤه خمس غنائم افريقيا لمروان بن الحكم فلم يصح ، ولا دليل عليه ، والذي صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده ، ثم عاد فاسترده منه . .

روى الطبري في تاريخه ( حوادث سنة ٢٧ ) أن عثمان رضي الله عنه لما أمر عبد الله بن سعد بالزحف من مصر على تونس لفتحها ، قال له : « إن فتح الله عليك غداً افريقيا فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة فضلاً » فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض افريقية وفتحوها ، سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على المنبر ما أفاء الله عليهم ، وأخذ خمس الخمس ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان رضي الله عنه مع وثيمة النصرى ، فشكا وفد من معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله ، فقال لهم عثمان : أنا أمرت له بذلك ، فإن سخطتم فهو رد . قالوا : إنا نسخطه . فأمر عثمان عبد الله بن سعد أن يرده ، فرده .

ملحوظة : ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس ، وينفذ فيه ما أذاه إليه اجتهاده ، وإن أعطاه لواحد جاز ؛ وقال الشعبي : « إنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله . . وأقطع عمر طلحة ، وجريير ابن عبد الله ، والربيل بن عمرو ؛ وأبا مقرر » وفي كتاب « الخراج » لأبي يوسف ، وكتاب « الخراج » ليحيى بن آدم أمثلة كثيرة على ذلك من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

مروان بن الحكم :

● من الأمور التي اتهم فيها مروان بن الحكم في روايات الاخباريين ، من أصحاب الأهواء ، تزويره كتاباً على لسان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتلاعبه بمقدرات الدولة وما الى ذلك . . إلا أن الروايات الصحيحة الصادقة وآراء علماء الجرح والتعديل - المحدثين - تختلف اختلافاً بيناً عن هذه الصورة الزائفة . .

وهذه رواية الطبري في تاريخه عن السري عن شعيب عن سيف بن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان . . .

فأتاهم - البغاة الثائرين - الناس ، فكلموهم ، وفي الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : - ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن دياركم ؟ - قالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا .

وأتاهم طلحة رضي الله عنه ، فقال البصريون مثل ذلك . وأتاهم الزبير رضي الله عنه ، فقال الكوفيون مثل ذلك . وقال الكوفيون والبصريون : فنحن ننصر اخواننا - المصريين - ونمنعهم جميعاً . - فقال لهم علي رضي الله عنه : كيف علمتم يا أهل الكوفة ، وبأهل البصرة ، بما لقي أهل مصر ، وقد سرتهم ثم طويتم عنا ؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة . .

قالوا : فضعوه حيث شئتم .

وهناك روايات أخرى تؤكد تزوير كتب علي لسان علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعاً تزعم أنهم هم الذين استدعوا البغاة إلى المدينة المنورة . . .

وكيف يكتب مروان إلى ابن أبي سرح والي مصر بقتلهم ، وكان قد استأذن الخليفة رضي الله عنه في القدوم إلى المدينة عن طريق العقبة والعريش بعد أن وقعت الفتنة ، وأذن له ، واستخلف على مصر : السائب بن هشام ، وقبل أن يصل عبد الله بن أبي سرح إلى المدينة بلغه خبر استشهاد الخليفة مظلوماً رضي الله عنه ؟ !

أما افتراؤهم أنه قتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فلم يصح في ذلك خبر قط ، ولماذا يقتله وهو الذي خرج لمقاتلة البغاة للاقتصاص منهم لدم عثمان الخليفة المظلوم رضي الله عنه ، ومروان في زعم هذه الروايات هو المطلوب هؤلاء البغاة الذين يقاتلهم طلحة ، ولا يمكن أن يكون في الجيش المقابل ؟ .

ولقد كان مروان بن الحكم موضع ثقة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وزين العابدين أحد الذين يروون عن مروان ، روى ذلك الحفاظ والائمة ، وآخرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة . . وعن نص ابن حجر على روايته عن مروان ، سعيد بن المسيب واخوانه من فقهاء المدينة السبعة ، وأماهم كعراك بن مالك الغفاري المدني فقيه أهل دهلك ، وعبد الله بن شداد ابن الهاد أحد الرواة عن عمرو وعلي ومعاذ رضي الله عنهم ، وإن رواية عروة بن الزبير عن مروان في كتاب الوكالة من صحيح البخاري ، وفي مسند الامام أحمد بن حنبل . . وفي مصنف الامام عبد الرزاق بن همام الصنعاني إمام اليمن . . فكيف يوثقه علماء الجرح والتعديل يأخذون بحديثه لو كان كما يفترى المفترون ؟ وشدة علماء الحديث في التوثيق معروفة ومشهود بها حتى من الاعداء . . أليست الغاية اذن : الطعن في دين الله عز وجل عن طريق العيب على الصحابة رضي الله عنهم ، وهم حملة الدين ونقلته إلى الناس ؟

وابن أبي سرح يقول عنه الليث بن سعد ، إمام مصر وعظيمها ، فيما يرويه عنه الحافظ ابن حجر في

الاصابة : ٣١٧/٢ : كان ابن ابي سرح على الصعيد في زمن عمر ، ثم ضم اليه عثمان مصر كلها ، وكان محموداً في ولايته ، إذن هو محمود السيرة ، والذي ولاه في البداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهل هو قريب لعمر ؟

وكانت ولايته على مصر كلها عام ٢٥ هـ . وفي عام ٢٧ هـ افتتح افرقية كلها ، وكان ذلك من اعظم الفتوح ، وكان العبادلة على جلالة قدرهم تحت قيادته في هذا الجهاد ، وهو قائد المسلمين في معركة ذات الصواري عام ٣٤ هـ . التي حطم فيها الاسطول البيزنطي وحقق نصراً مؤزرأ في البحر للمسلمين . . .

لما وقعت الفتنة ضد امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، كتب اليه يستأذنه في القدوم إلى المدينة لينصره - عن طريق العريش والعقبة . واستخلف السائب بن هشام عليها ، وقبل ان يصل بلغه استشهاد الخليفة رضي الله عنه . فعاد يريد مصر ، فوجد محمد بن ابي حذيفة متغلباً عليها ، فمضى إلى فلسطين واختار الاقامة بين عسقلان والرملة ، واحتزل الناصر إلى سنة ٥٧ هـ حيث توفي . . روى البغوي باسناد صحيح عن يزيد ابي حبيب ، قال : « خرج ابن ابي سرح إلى الرملة ، فلما كان عند الصبح قال : اللهم اجعل آخر عملي الصبح ، فتوضأ ثم صلى ، فسلم عن يمينه ، ثم ذهب يسلم عن يساره ، فقبض الله روحه ، يرجه الله .



## ظهور الفرق

وما أن استشهد عثمان رضي الله عنه ، حتى ابتداءً ظهور الفرق ؛ لأنَّ حادث استشهاده أثار العديد من القضايا ، فتلاحقت الأحداث وأخذ بعضها برقاب بعض ؛ فبينما بايع الصحابة علياً رضي الله عنه ، رأى معاوية الاقتصاص من قتلة عثمان ، ثم اقتتل الفريقان ، وظهر التحكيم كوسيلة لرأب الصدع ، وألح أصحاب علي على التحكيم ، بالرغم من معارضته ، لأنه كان قاب قوسين أو أدنى من الظهور على الفريق الآخر .

ولما أطاعهم كارهاً ، عاد أتباعه فأعلنوا أنه لا حكم إلا لله . وخرجوا عليه وكفروه . واستتبع ذلك انقسام المسلمين إلى ثلاثة أقسام ؛ فريق يؤيد علياً ، وفريق يؤيد معاوية ، وفريق ثالث أبي الخوض في النزاع . ومن ثم ظهر التشيع في بدايته لتأييد علي ، ثم تحول إلى عقائد كلامية عند مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء<sup>(١)</sup> .

وعن سعيد بن المسيَّب قال : وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبق من أصحاب بدر أحداً ، ثم وقعت الفتنة الثانية ، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً ، ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ<sup>(٢)</sup> .

(١) قواعد المنهج السلفي : ص ٦٣ - ٦٤ للدكتور مصطفى حلمي .

(٢) طباخ : عقل وقوة .

فالخوارج والشيعة ، حدثوا في الفتنة الأولى ، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية ، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة . فصار هؤلاء ( الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا ) (١) . يقابلون البدعة بالبدعة ، أولئك غلوا في الوعيد ، حتى نفوا بعض الوعيد ، أعني المرجئة !! . وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات ، وهؤلاء غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه !! .

وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع ، ويعرضون عن الأوائل (٢) اليهود والنصارى والمجوس والصابئين ، فإنهم قرؤوا كتبهم فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم ، وغيروه في اللفظ تارة وفي المعنى أخرى ، فلبسوا الحق بالباطل ، وكتموا حقاً جاء به نبينهم ، فتفرقوا واختلفوا ، وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم نفيًا وإثباتاً .

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم ، عدولهم عن الصراط المستقيم ، الذي أمرنا الله باتباعه ، فقال تعالى : ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) (٣) . وقال تعالى : ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ) (٤) .

فوحّد لفظ «صراطه» و «سبيله» وجمع «السبل» المخالفة له ..

(١) سورة الأنعام : ١٥٩ .

(٢) العقيدة الطحاوية : ص ٥٩٣ وما بعدها .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(٤) سورة يوسف : ١٠٨ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(١)</sup> : خط لنا رسول الله ﷺ خطأ وقال :  
 « هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره . وقال :  
 « هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ » . ثم قرأ : ( وَأَنَّ هَذَا  
 صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ  
 وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )<sup>(٢)</sup> .

وسننظر في أهم آراء هذه الفرق ، ثم نتبعها ببيان مدى انحرافها  
 عن مسلك الجماعة الإسلامية كل على حدة .

## الخوارج

يقال للخوارج: الحرورية، والنواصب، والشراة، والحكمية، والمارقة ..  
 فأما الخوارج فجمع خارج ؛ وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن  
 عصيانه، وألب عليه ؛ بعد أن يكون له تأويل . وعلماء الشريعة يسمونهم  
 بغاة<sup>(٣)</sup> .

لما اختلفت الخوارج فيما بينها صارت عشرين فرقة، وكل واحدة  
 تكفر سائرها ... وهذه أسماؤها : -

١ - المحكّمة الأولى : الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
 رضي الله عنه حين جرى أمر المحكّمين . ورأسهم عبد الله بن الكواء

(١) رواه الحاكم (صحيح) تخريج السنة : انظر شرح الطحاوية ص ٢٩٤ .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٣ . (٣) الفرق بين الفرق : ص ٧٢ .

وعتّاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن جرير،  
ويزيد بن أبي عاصم المحاربي وحرقوق بن زهير البجلي المعروف بذي  
الثدية<sup>(١)</sup>

- ٢ - الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق . أكثر الفرق عدداً وأشدّهم شوكة .  
٣ - النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفي .  
٤ - الصفرية : أتباع زياد بن الأصفر .  
٥ - العجاردة : أتباع عبد الكريم بن عجرد . وافترقت العجاردة إلى  
عدة فرق منها :

٦ - الخازمية . ٧ - الشيبية . ٨ - العلومية .

٩ - المجهولية : أصحاب طاعة لا يراد الله بها .

١٠ - الصلتية : أتباع صلت بن عثمان ، وقيل : صلت بن أبي الصلت .

١١ - الشيبية . ١٢ - الشيبانية . ١٣ - المعبدية .

١٤ - الرشيدية . ١٥ - المكرمية . ١٦ - الحمزية .

١٧ - الشمراخية . ١٨ - الإبراهيمية . ١٩ - الواقفة .

٢٠ - الإباضية : أتباع عبد الله بن إباض . وافترقت الإباضية معظمها

فريقان : حفصية وحارثية . أما اليزيدية من الإباضية، والميمونية

من العجاردة فإنهما من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة<sup>(٢)</sup> .

(١) الملل والنحل : ج ١ ص ١١٥ .

(٢) الفرق بين الفرق : ص ٧٣ بتصرف .

## جذور بدعة الخوارج

تعتبر بدعة الخوارج من البدع البارزة المشهورة ، والتي لازالت آثارها تتردد بين أنحاء العالم الإسلامي إلى الآن . وقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن شرها ، وحذر من الأخذ بها، وطالب بالقضاء عليها ومحاربتها .

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه - الذين ساروا إلى الخوارج - فقال علي رضي الله عنه : أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيهِمْ - المراد عدم انتفاعهم بالعبادة - يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ (١) . لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَأَتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ الشَّنْدِيِّ عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرَكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلِفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ

(١) أي يخرجون خروج السهم إذا نفذ في الصيد المرمي وخرج من الناحية الأخرى .

الْقَوْمَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ - أَيِ  
الْأَنْعَامِ الَّتِي تَرَعَى وَمَنْ يَرَعَاهَا - فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ . صحيح مسلم .

قال سلمة بن كهيل : فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال : فمررنا  
على قنطرة ، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي ،  
فقال لهم : ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها . فإني  
أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء . فرجعوا فوحشوا برماحهم  
- رموا بها عن بعد - وسلّوا السيوف ، وشجرهم الناس برماحهم  
- أي طعنوهم - قال : وقتل بعضهم على بعض ، وما أصيب من الناس  
يومئذ إلا رجلان ، فقال علي رضي الله عنه : التمسوا فيهم المخدج  
- الذي تقدم وصفه بأنه له عضد وليس له ذراع - فالتمسوه  
فلم يجده ، فقام علي بنفسه حتى أتى أناساً قد قتل بعضهم على بعض  
قال : أخروهم . فوجدوه مما يلي الأرض . فكبر ثم قال : صدق الله وبلغ  
رسوله . قال : فقام إليه عبدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين ،  
الله الذي لا إله إلا هو ، لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟  
فقال : أي والله لا إله إلا هو . حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له (١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسّمها  
رسول الله ﷺ بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس الحنظلي ، وعيينة بن بدر

(١) النووي على صحيح مسلم : ج ٧ ص ١٧١ وقد اضطررنا إلى ذكر الحديث بطوله لأن آخره  
يؤكد أوله . ورواه أبو داود . وفي البخاري بعض بنحوه : ج ٤ ص ١٦٠ ، ج ٩ ص ١٥ .

الفزازي، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي، ثم أحد بني نبهان، قال : فغضبت قريش فقالوا : أيعطي صنديد نجد ويدعنا ؟ ! . فقال رسول الله ﷺ : « إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ » (١) فجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتي الجبين، مخلوق الرأس فقال : اتق الله يا محمد ... قال : فقال رسول الله ﷺ : « فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنَّ عَصِيئَتَهُ ؟ . أَيَأْمِنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمِنُونِي ؟ » . قال : ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل . من القوم في قتله - يرون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِنْ ضِئْضِئٍ (٢) هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ » (٣) .

وفي رواية عنه أيضاً - بعد أن ذكر قصة هذا الرجل - فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، ائذن لي فيه أضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ؛ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ (٤) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ (٥) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى

(١) أستميلهم إلى الإسلام بما يحبونه من المال حتى يتم تفهمهم له .

(٢) أي من عنصره وذريته .

(٣) النووي على صحيح مسلم : ج ٧ ص ١٦١ ، والبخاري : ج ٩ ص ١٢٩ .

(٤) النصل : حديدة السهم . (٥) بكسر الراء : مدخل النصل من السهم .

نَضْبِهِ (١) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ - وَهُوَ الْقِدْحُ - ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ (٢)  
 فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، سَبَقَ الْفَرْثُ (٣) وَالِدَمَّ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ إِحْدَى  
 عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ (٤) تَدْرَدَرُ ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ  
 فُرْقَةٍ (٥) مِنَ النَّاسِ .

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي  
 ابن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس  
 فوجد ، فأني به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت (٦) .

ومن هذه الأحاديث نستطيع أن نتبين جذور بدعة الخوارج وأساس  
 ظهورهم ، وكيف تفرعت حتى وصلت إلى ما وصلت إليه . وأخيراً  
 لم يجد علي بن أبي طالب بدأ من قتالهم والقضاء على شرورهم ،  
 فقاتلهم ، وأقام الدليل على أنهم المقصودون بالأحاديث النبوية ، وأنهم  
 خرجوا ببدعتهم عن الدين خروجاً كلياً أو جزئياً ، ولقد فصلت  
 الروايات الصحيحة في كتب السنة المعتمدة (٧) كيف خرجوا ، وما  
 لاقوه من قتل وتشريد جزاءً وفاقاً ، ليس هنا مورد ذكرهم . وقد انقرض  
 الخوارج إلا طائفة من الإباضية تقيم جهة عُمان ، وفي جزيرة جربة اتجاه  
 تونس ، وفي جنوبي الجزائر ، وغربي ليبيا (٨) .

(١) القدح : السهم قبل أن يركب نصله . (٢) القدح بضم القاف ريش السهم .

(٣) الفرث : ما في الكرش من الفضلات ..

(٤) البضعة : بفتح الباء قطعة اللحم . تدردر : تضطرب .

(٥) أي في حالة الفرقة بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما .

(٦) النووي على مسلم : ج ٧ ص ١٦٠ . والبخاري ج ٩ ص ١٥ وغيرهما .

(٧) الفصل في الملل : ج ٥ ص ٣٠ . (٨) الفرق الإسلامية : ص ٢٥ وما بعدها .



قال الإمام ابن حزم الظاهري : ... وشاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب ، ويحرمون أكل قضيب التيس والشور والكبش ، ويوجبون القضاء على من نام نهاراً في رمضان فاحتلم . ويتيممون على الآبار التي يشربون منها إلا قليلاً منهم .

وقال أبو إسماعيل البطيحي وأصحابه - وهم من الخوارج - أن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة وركعة أخرى بالعشي فقط ، ويرون الحج في جميع شهور السنة ، ويحرمون أكل السمك حتى يذبح ، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ، ويكفرون من خطب في الفطر - عيد الفطر - والأضحى ، ويقولون: إن أهل النار في النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك<sup>(١)</sup> .

هذا ويجمع الخوارج على وجوب الخروج على الإمام الجائر ، حتى إنهم ساعدوا عبد الله بن الزبير - وليس منهم - لما رأوه خارجاً على يزيد ، لاعتقادهم الجور في يزيد ، كما يجمعون أيضاً على إكفار الحكمين ومن رضي بحكهما ؛ حتى إنهم أقروا على أنفسهم بالكفر إذ أقام عليهم ابن عباس الحجة ثم قالوا : إننا تائبون . وهم يرون إكفار علي ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل .

أما التكفير بارتكاب المعاصي فلم يجمعوا عليه ؛ فمنهم من قال : إنما يكفر من ارتكب معصية ليس لها عقوبة في القرآن محدودة ،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج ٥ ص ٣٠ .

وأما ما لها حد منصوص، كالزنا والسرقة والقتل، فلا يكفر فاعلها بل يوصف بما ارتكبه، كالزنا والسرقة والقتل .

وأصحاب عبد الله بن إباح قالوا : إن صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين . وهم جميعاً يبرؤون من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة<sup>(١)</sup> . ونخلص إلى أن هؤلاء هم المقصودون بالأحاديث النبوية السابقة وغيرها التي تدل على تمسكهم الظاهري بالدين، وهجرهم في الحقيقة له، وأنهم أصحاب بدع وضلال<sup>(٢)</sup> .

## أهم بدع وضلالات الخوارج

- ١ - الخروج على الإمام الحق، مهما كان صلاحه وعدله ، إذا فعل ما يروونه مخالفاً ، كما حدث ممن اعترض على الرسول ﷺ، وما حدث منهم مع علي رضي الله عنه، بل مع عثمان رضي الله عنه قبله .
- ٢ - الحكم على من خالفهم بالكفر - حيث خالف القرآن في زعمهم - من الخلفاء الراشدين ، فضلاً عن غيرهم ، وجواز قتله، بل وجوبه كما حدث في قتلهم عبد الله بن الأرت وغيره<sup>(٣)</sup> .
- ٣ - تجويز الإمامة في غير قريش، والقول بعدم اختصاصها بهم .

(١) الفرق الإسلامية .

(٢) راجع الملل والنحل للشهرستاني : ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) راجع الاعتصام ؛ في قتلهم عبادة بن قرط وعدم رضاهم عنه بالشهادة : ج ٢ ص ١٩٥ .

٤ - إنكارهم تحكيم الرجال، وادعاؤهم أنه كفر . قال الشهرستاني :  
ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما .  
ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك  
ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام - إذا  
خالف السنة - حقاً واجباً<sup>(١)</sup> .

٥ - رد السنة إذا لم يرد ما يؤيدها صراحة في القرآن .

قال ابن تيمية رحمه الله : والخوارج لا يتمسكون من السنة إلا بما  
فسر مجملها دونما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجمون الزاني  
ولا يرون للسرقة نصاباً<sup>(٢)</sup> .

### المعتزلة أو القدرية وفرقها

أصل هذه الفرقة واصل بن عطاء الملقب بالغزالي<sup>(٣)</sup> ، ولد سنة ٨٠ هـ  
ومات سنة ١٣١ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك . وهم غلاة في نفي  
الصفات الإلهية ؛ فسموا من أجل ذلك معطلة .

فيقولون مثلاً : إن الله سميع بذاته بصير بذاته لا بصفته . ويقولون  
بالحسن والقبح العقليين .

(١) الملل والنحل للشهرستاني : ج ١ ص ١٠٦ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ١٣ ص ٤٨ عن كتاب البدعة : ص ٢٩١ .

(٣) لقب بالغزالي لأنه كان يلزم حوانيت الغزاليين .

يريدون بذلك أن الشيء يجب فعله لما في ذاته من الحسن ، ويجب تركه لما في ذاته من القبح ، والأول يوجب العقل ، والثاني يحيله العقل<sup>(١)</sup> .

لقد اختلفت المعتزلة - المعتزلة عن الحق - إلى فرق كثيرة ، كل فرقة منها تكفر سائرهما ، وفيما يلي أهمها : -

- |                     |  |
|---------------------|--|
| الوَأَصْلِيَّةُ :   | أتباع واصل بن عطاء الغزال .              |
| الْعَمْرِيَّةُ :    | أتباع عمرو بن عبيد بن باب .              |
| الْهَذَلِيَّةُ :    | أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف . |
| النُّظَامِيَّةُ :   | أتباع إبراهيم بن سيار النظام .           |
| الْأَسْوَارِيَّةُ : | أتباع علي الأسواري .                     |
| المَعْمَرِيَّةُ :   | أتباع معمر بن عباد السلمي .              |
| البِشْرِيَّةُ :     | أتباع بشر بن المعتمر .                   |
| الْهَشَامِيَّةُ :   | أتباع هشام بن عمرو الغوطي .              |
| المُرَادِيَّةُ :    | أتباع عيسى بن صبيح الملقب بالمراد .      |
| الجَعْفَرِيَّةُ :   | أتباع جعفر بن حرب ، وجعفر بن مبشر .      |
| الإِسْكَافِيَّةُ :  | أتباع محمد بن عبد الله الإسكافي .        |
| الثَّمَامِيَّةُ :   | أتباع ثمامة بن أشرس .                    |
| الجَاحِظِيَّةُ :    | أتباع عمرو بن بحر الجاحظ .               |
| الشُّحَامِيَّةُ :   | أتباع أبي يعقوب الشحام .                 |

(٢) الفرق الإسلامية : ص ٣٠ ، والفرق بين الفرق .

- الْخِيَّاطِيَّة : أتباع أبي الحسين الخياط .
- الْكَفِيَّة : أتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي .
- الْجُبَّائِيَّة : أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي .
- الْبَهْشَمِيَّة : أتباع أبي هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي زعيم الفرقة السابقة .

يرى الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ أن السبب في تسمية المعتزلة بهذا الاسم أنه دخل واحد على الحسن البصري، فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به من الملة ، وهم وعيدية الخوارج . وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة .

فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ؛ لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن . فقال الحسن : اعتزل عنا واصل . فسمي هو وأصحابه معتزلة<sup>(١)</sup> .

(١) الملل والنحل : ج ١ ص ٤٨ .

أما أصولهم التي قام عليها مذهبهم فخمسة : العدل، والتوحيد، والوعيد،  
والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لقد ظهرت القدرية الضالة - صاحبة بدعة القدرية - في آخر أيام  
الصحابة رضي الله عنهم ؛ قام بها معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وتبعهما  
عليها واصل بن عطاء رئيس المعتزلة .

وكان يقول في تقرير هذه البدعة - فيما حكاه الشهرستاني عنه - إن  
الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، ولا يجوز  
أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحتم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه .  
فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية  
وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله ، وأفعال العباد  
محصورة في الحركات، والسكنات، والاعتمادات، والنظر، والعلم .

قال : ويستحيل أن يخاطب العبد ب (افعل) وهو لا يمكنه أن يفعل  
ولا هو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ، ومن أنكروه فقد أنكروا الضرورة .

وكانت هذه البدعة - بدعة القدرية - أول سهم يوجه إلى كبد  
التوحيد<sup>(١)</sup> ، فإنها تجعل للعبد استقلالاً يخلق فعله ، ولذلك ورد في  
بعض الأحاديث : « الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، إِذَا مَرَضُوا فَلَا تَعُودُهُمْ  
وَإِذَا مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُهُمْ »<sup>(٢)</sup> .

(١) دعوة التوحيد بتصرف .

(٢) حديث حسن . رواه أبو داود في سننه عن ابن عمر ، شرح الطحاوية ص ٥٩٣ . وقال عنه  
الشيخ ناصر الدين الألباني : إسناده ضعيف وله طرق يتقوى بها . شرح الطحاوية ص ٣٠٤ .

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : القدر نظام التوحيد  
 فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيدَه . وقد روي عن عبد الله بن عمرو  
 مرفوعاً : « مَا هَلَكْتَ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا بِالشُّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا أَشْرَكَتْ قَطُّ  
 إِلَّا كَانَ بَدْءُ إِشْرَاكِهَا التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ » (١)

## بيان مقالات فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق

ومن بدع المعتزلة التي تلتقي عليها ما يلي :

١ - نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، وقولها بأنه ليس  
 لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية .  
 وزادوا على هذا بقولهم : إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم  
 ولا صفة .

٢ - قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وزعموا أنه لا يرى  
 نفسه ولا يراه غيره ، واختلفوا فيه هل هو راءٍ لغيره أم لا ؟ !  
 فأجازوه قوم منهم ، وأباه قوم آخرون .

٣ - اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل ، وحدوث أمره  
 ونهيه وخبره ، وكلهم يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث  
 وأكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقاً .

٤ - قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ، ولا لشيء

(١) وفي إسناده ضعف .

من أعمال الحيوانات ، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم، ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير. ولأجل هذا القول سمّاهم المسلمون: قَدْرِيَّةً .

٥ - اتفاهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين؛ وهي أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر . ولأجل هذا سمّاهم المسلمون - معتزلة - لاعتزالهم قول الأمة بأسرها .

٦ - قولهم إن كل ما لم يأمر الله تعالى به أو ينهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئاً منها<sup>(١)</sup> .

قال ابن حزم : قالت المعتزلة بأسرها - حاشا بشر بن المعتمر وضرار ابن عمرو - إنه لا يحل لأحد تمني الشهادة ، ولا إن يريد لها ولا أن يرضاها لأنها تغليب كافر على مسلم ، وإنما يجب على المسلم أن يحب الصبر على الجراح وألمها إذا أصابته فقط .

وقال ابن حزم : وهذا خلاف دين الإسلام والقرآن والسنن والإجماع المتيقن . وقالوا كلهم - حاشى ضراراً وبشراً - ان الله لم يُمت رسولاً ولا نبياً ولا صاحب نبي ولا أمهات المؤمنين ، وهو يدري أنهم لو عاشوا فعلوا خيراً ، ولكن أمات كل من أمات منهم إذ علم أن لو أبقاه طرفة عين لكفر أو فسق . ولا بد هذا قولهم في أبي بكر وعمر وعلي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وعائشة وخديجة .

(١) الفرق بين الفرق : ص ١١٤ - ١١٥ .



نعم . وفي رسول الله ﷺ وفي موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام .  
فاعجبوا لهذه الضلالات الوحشية . وكان الجعدُ - وهو من شيوخهم -  
يقول : إذا كان الجماع يتولد منه الولد ، فأنا صانع الولد ومدبره وفاعله  
لا فاعل له غيري ، وإنما يقال إن الله خلقه مجازاً لا حقيقة . فأخذ  
أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الطرف الثاني من الكفر فقال :  
إن الله تعالى خلق الحبل والموت ، وكل من فعل شيئاً فهو منسوب إليه ،  
فإن الله تعالى هو محبل النساء وهو أحبل مريم بنت عمران (١) .

وبالجملة فهذا المبدأ المعتزلي فيه - كما في غيره - من مبادئهم إجراء  
مقاييس العباد على خالق العباد فيما تظاهرت النصوص بالمنع من الخوض  
فيه ، فوجوه البدعة فيه متعددة . والابتداع فيه مركب والخطأ فيه  
ناتج عن استعمال العقل فيما لا مجال للعقل فيه (٢) .

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج ٥ ص ٤٤ .

(٢) راجع البدعة : ص ٤٣٠ دكتور علي عيد .

## الشيعة

الشيعة في اللغة هم الأتباع والأنصار ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ؛ وهو من المشايعة والمتابعة<sup>(١)</sup> .  
وفي العرف العام أصبح التشيع علماً على من تولى علياً وبنيه وأقر بإمامته .

يقول الشهرستاني<sup>(٢)</sup> : الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً وإما خفياً . واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده . وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله . يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبار والصغائر ، والقول بالتولي والتبيري قولاً وفعلاً وعقيدة إلا في حالة التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ، ولهم في تعديده الإمام كلام وخلاف كثير ، وعند كل تعديده وتوقف مقالة ومذهب وخطب .

(١) انظر القاموس المحيط . .

(٢) الملل والنحل : ج ١ ص ١٤٦ وما بعدها .

## فرق الشيعة :

والشيعة خمس فرق ؛ بعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه :

١ - الكيسانية : أصحاب كيسان ؛ مولى علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه .

٢ - الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، على أن يكون عالماً شجاعاً كل فاطمي خرج بالإمامة . وهم عدة فرق .

٣ - الإمامية : وهي عدة فرق ؛ وهم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً ، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين . ويتفرع منها عدة فرق .

٤ - الغالية : هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ؛ فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . وتنحصر بدعهم في أربع : التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ .

٥ - الإسماعيلية : قالوا بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر ؛ ولهم عدة تسميات ؛ ففي العراق : يسمون : القرامطة والباطنية والمزدكية . وفي خراسان : يسمون التعليمية والملحدة<sup>(١)</sup> .

(١) المصدر السابق .

يقول الأستاذ أحمد أمين : والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ... كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم .

فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة ... وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلاً . كما قال اليهود : ( لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً . )<sup>(١)</sup> . والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه . وقالوا : إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي<sup>(٢)</sup> .

وتحت فكرة التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح ، وتجسيم الله ، والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة ، والمجوس ، والفلاسفة قبل الإسلام .

وقد ذهب الأستاذ - وهوزن - إلى أن العقيدة الشيعية نبتت من اليهودية ، مستدلاً بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودي .

يقول صاحب كتاب فجر الإسلام<sup>(٣)</sup> : ومن هنا نرى بأن التشيع أخذ

(١) سورة البقرة : ٨٠ .

(٢) فجر الإسلام : ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق .

صبغة جديدة بدخول عناصر أجنبية فيه من يهودية ونصرانية ومجوسية وأن هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم .

وبما أن أكبر عنصر دخل في الإسلام كان العنصر الفارسي ، لهذا كان أكبر الأثر في التشيع للفرس . وعند إقامة الدولة العباسية كانوا قد أظهروا تشييعهم - وكذلك الإسماعيلية والقرامطة والدروز وأخيراً البهائية - للتستر بهذا الستار للوصول إلى مآربهم الشخصية الهدامة مما عاد بالأخطار الجسيمة على المسلمين .

## ذكر شَنِع الشيعة

قال أبو محمد الإمام ابن حزم الظاهري<sup>(١)</sup> : أصل الشنع من هذه الفرق ثلاث طوائف :

أولها: الجارودية من الزيدية ، ثم الإمامية من الرافضة ، ثم الغالية . فأمَّا الجارودية فإن طائفة منهم قالت : إن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ؛ القائم بالمدينة على أبي جعفر المنصور ، وجه إليه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فقتل محمد بن عبد الله بن الحسين - رحمه الله - فقالت هذه الطائفة : إن محمداً المذكور حي لم يقتل ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

(١) الفصل في الأهواء والملل والنحل : ج ٥ .

وقالت طائفة أخرى منهم : إنه يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القائم بالكوفة أيام المستعين ، فوجه إليه محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين - بأمر المستعين - ابن عمه الحسن بن إسماعيل بن الحسين ؛ وهو ابن أخي طاهر بن الحسين ، فقتل يحيى بن عمر - رحمه الله - فقالت الطائفة المذكورة : إن يحيى بن عمر هذا حي لم يقتل ، ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وقالت طائفة منهم : إن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - القائم بالطالقان أيام المعتصم - حي لم يموت ولا قتل ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وكما قالت السبئية - أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي - مثل ذلك في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزادوا أنه في السحاب ، فليت شعري ! في أي سحابة هو من السحاب ؟. والسحاب كثير في أقطار الهواء مسخر بين السماء والأرض . كما قال تعالى : .. وقال عبد الله بن سبأ إذ بلغه قتل علي رضي الله عنه : لو أتيتموني بدماعه سبعين مرة ما صدقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . إلى آخر هذه المزاعم الباطلة .

ثم قال ابن حزم : إن الفرق الغالية من الشيعة قسمان : قسم أوجببت النبوة بعد النبي ﷺ لغيره ، والقسم الثاني أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل ؛ فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر . فالطائفة التي أوجببت النبوة بعد النبي ﷺ فرقة منهم الغرابية ؛ وقولهم إن

محمدًا ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب ، وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي فغلط جبريل بمحمد عليه السلام ، ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط . وقالت طائفة منهم : بل تعدد ذلك جبريل . وكفروه ولعنوه ، لعنهم الله<sup>(١)</sup> . ا . هـ .

### الشيعة الإمامية الاثني عشرية

إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٧٣ هـ . وسموا قطعية ، ساقوا الإمامة بعده في أولاده ، فقالوا : الإمام بعد موسى الكاظم ولده علي الرضا ، ومشهده بطوس . ثم بعده محمد التقي الجواد أيضاً ، وهو في مقابر قريش ببغداد . ثم بعده علي بن محمد التقي ، ومشهده بقم . وبعده الحسن العسكري الزكي ، وبعده ابنه محمد القائم المنتظر ، الذي هو بسُرّ من رأى<sup>(٢)</sup> وهو الثاني عشر . هذا هو الطريق الاثني عشرية في زماننا<sup>(٣)</sup> .

وسموا بالاثني عشرية لدعواهم أن الإمام هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب ، وقد اختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته ؛ فمنهم من قال : كان ابن أربع سنين . ومنهم من قال : كان ابن ثماني سنين . واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت ؛ فمنهم من زعم أنه في ذلك

(١) الفصل في الأهواء والملل والنحل : ج ٥ .

(٢) مدينة مشهورة في العراق بسامراء .

(٣) الملل والنحل : ج ١ ص ١٦٩ .

الوقت كان إماماً عالماً بما يجب أن يعلمه الإمام، وكان مفروض الطاعة على الناس ، وهناك آراء أخرى . وهو الآن الإمام الواجب طاعته وإن كان غائباً<sup>(١)</sup> .

يقول الأستاذ محمود الملاح في كتابه<sup>(٢)</sup> : ألا تعجب من فرقة الاثنى عشرية ، التي لا يجاوز عددها في شرقي الأرض وغربها ٢٠ مليوناً !! . وهي متنازدة فيما بينها ؛ يكفر بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً ، تفرض خرافاتها على ٤٠٠ مليون مسلم سني ، وتحرم عليهم الأرض التي فتحوها بسيفهم ، وهي قاعدة تتربص بهم الدوائر، وتحلها لنفسها بقواعد مزعومة لا أساس لها من عقل ولا نقل ، ولا قالت بها ملة من الملل ولا قانون من القوانين ، والأمر جد في نظرها ما لم يردعها رادع فيردها إلى كهف التقية ، ولا دواء كالتقية .

وهناك طوائف شيعية أخرى لا تؤمن بالثاني عشر ولا بولادته ولا بغيبته ولا بسلطته المدعاة ؛ كالإسماعيلية من البهرة والدروز والآغاخانية . كل هذه محرومة من الأرض ، إلا أن يأذن لها غائب الاثنى عشرية أو نائبه كالخالصي والحكيم .

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

هذه القاعدة وما شاكلها من القواعد المتحجرة عند الطوائف الشيعية قاطبة لا يستطيعون نقضها ولا إبطالها، وإذا تجرؤوا على نقضها أو إبطالها

(١) الفرق بين الفرق : ص ٦٤ - ٦٥ . (٢) مجموع السنة : ص ٢١٩ .



انتقضت قواعد بنيانهم وخر عليهم السقف من فوقهم ، لولا الزواجر التي تضطرهم إلى التظاهر بغير حقيقتهم ؛ والمخدوعون الذين يجهلون هذه الغرائب إذا وجدوا مسائل فرعية مشتركة قالوا : ليس بيننا إلا فرق جزئي لا يمنع من التقارب في هذا التحارب أو التخارب !! نحن نقول بالعودة للحق . ١ . هـ . وأنا أقول : فالعود أحمد .

الأسس الرئيسية التي قام عليها

الشيعة الإمامية الاثني عشرية

وفيما يلي أهم الأسس الدينية لدى الإمامية الاثني عشرية :

١ - لقد شك بعضهم في صحة القرآن الكريم وطعن فيه ، وإذا اصطدم بشيء من معتقداتهم يؤولونه تأويلات عجيبة تتفق مع مذهبهم ، ولذا سمي هؤلاء بالمتأولة . أما بخصوص الأحاديث الشريفة فلا يأخذون إلا بما نسب لآل البيت ، ويرفضون ما سوى ذلك ، عدا بعض أحاديث من كان مع علي في معاركة السياسية ، ولا يهتمون بصحة السند ولا الأسلوب العلمي<sup>(١)</sup> .

٢ - يرون أن الصحابة قد كفروا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرأ قليلاً لا يتجاوز أصابع اليدين ، ويضعون علياً في مكانة خاصة ؛ فبعضهم يراه وصياً ، وبعضهم يراه نبياً ، وبعضهم يراه إلهاً . فمن انتخب للخلافة قبله فهو ظالم أو كافر أو فاسق ، وكذلك الحال لمن خالف ذريته .

(١) انظر كتاب الخطوط العريضة للأسس الدينية لدى الاثني عشرية . لمحج الدين الخطيب :

ومن هنا أحدثوا في التاريخ فجوة هائلة من العداة والافتراء ، وصارت قضية التشيع مدرسة تاريخية تحظى بهذه التعاليم الضارة عبر الأجيال ، وهذا ما يخالف أهل السنة الذين يرون أن الصحابة عدول جميعاً، كما يجمعون على احترامهم والترضي عنهم .

٣ - يؤمنون بالله تعالى ووحدانيته ولكنهم يشوبون هذا الاعتقاد بتصرفات شركية ؛ فهم يدعون عبادة غير الله، ويقولون : يا علي، يا حسين يا زينب . وينذرون ويذبحون لغير الله ، ويطلبون من الأموات قضاء الحوائج ... ويعتقدون أن أئمتهم معصومون، وأنهم يعلمون الغيب، ولهم في الكون تدبير ... والشيعنة هم الذين اخترعوا التصوف لتكريس هذه المعاني المنحرفة ، ويزعمون أن هناك قدرة خاصة للأولياء والأقطاب وآل البيت ، وأن هناك الامتياز الطبقي في الدين الذي ينتقل لأبنائهم بالوراثة ، وكل ذلك لا أصل له في الدين ... ومعرفة الله تجب عندهم بالعقل لا بالشرع .

٤ - لا يؤمنون برؤية الله في الدنيا ولا في الآخرة ، عكس أهل السنة والجماعة والذين يقولون بأن رؤية الله في الآخرة فقط لقوله تعالى :  
( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) (١) .

ويزعمون أن معرفة الغيب من حق أئمتهم وحدهم وليس من حق النبي أن يخبر عن الغيب، ولذلك فإن بعضهم ينسب الألوهية لهؤلاء

(١) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

الأئمة . وهذا عكس ما يؤمن به أهل السنة والجماعة؛ الذين يقولون بأن الله تعالى اختص نفسه بالغيب، وإنما أطلع أنبياءه ومنهم محمداً ﷺ على بعض أمور الغيب لضرورات معينة .

( وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ) (١) .

٥ - يقولون بالشريعة والحقيقة ؛ فيرون أن الشريعة هي الأحكام التي جاء بها النبي محمد ﷺ وهي التي تهم العوام والسطحيين فقط ، ولكن الحقيقة أو العلم الخاص عن الله ، فلا يعلمه إلا أئمة أهل البيت؛ أي بعض عائلة النبي ﷺ فقط . وأنهم يتلقون علوم الحقيقة بالوراثة جيلاً بعد جيل وتبقى عندهم سرّاً، وأن الأئمة معصومون من الخطأ وعلمهم كله تشريع ، وأن كل تصرفاتهم جائزة، وأن الصلة بالله لا تتم إلا عن طريق الوسائط ، أي أئمتهم . ولذلك تورطوا في تسمية أنفسهم بألقاب فيها مبالغة ، كقولهم : وليّ اللّٰه ولباب اللّٰه والمعصوم، وحجة اللّٰه، وآية اللّٰه الخ . وفي كل هذا يخالفون أهل السنة والجماعة ، الذين يرون أن الشريعة هي الحقيقة ، وأن الرسول ﷺ لم يُخْفِ عن أمته شيئاً من العلم ، وما ترك خيراً إلا دلنا عليه ولا شراً إلا وحذرتنا منه ، وقد قال تعالى : ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ) (٢) . وأن مصادر الدين هي الكتاب والسنة لا تحتاج لما يكملها ، والصلة بالله واضحة بلا وسائط ، والله وحده يعلم بحقائق العبادة .

٦ - يرون الولاء ركناً من أركان الإيمان ، وهو عندهم التصديق

(٢) سورة المائدة : ٣ .

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

بالأئمة الاثني عشر ، ومنهم ساكن السرداب، عكس أهل السنة والجماعة الذين يرون أن الانقياد التام لا يكون إلا لرسول الله ﷺ لقوله تعالى : ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) (١). وما عداه من الناس فلا ولاء له إلا بحسب ما قررته القواعد الشرعية ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٧ - يرون أن الإمامة أو رئاسة الدولة - الحكم - عندهم وراثي في علي وأبناء فاطمة ، مع اختلاف بينهم ، ولا يخلصون لحاكم قط من غير هذه السلسلة ، وقد أضافوا نظرية الرجعة ، ومعنى ذلك أن آخر أممتهم - ويسمى القائم - سيقوم في آخر الزمان ويخرج من السرداب وينبئ جميع خصومه السياسيين ، ويعيد للشيعه حقوقهم المغتصبة ، كما قالوا بالتقية، ويرونها فريضة لا يقوم المذهب إلا بها ، ويتلقون أصولها سراً وجهرأ، خاصة عند الشدة والملاحقة ، وهذه مخادعة لا تجوز ، كما أن الخليفة يجب أن ينتخب انتخاباً من بين المسلمين مع توفر شروط الكفاءة (٢).

## التقية

التقية: اسم مصدر لتوقى واتقى، نقول : توقيت الشيء واتقيته وتقيته تقى، أي حذرته . فهي مداراة وتظاهر بما ليس هو الحقيقة . وهي عند الشيعة النظام السري في شؤونهم ، فإذا أراد إمام الخروج والثورة على الخليفة ، وضع لذلك نظاماً وتدابير، وأعلم أصحابه بذلك فكتموه ،

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها مذهب الإمامية الاثني عشرية . ملخصاً من ص ٤٨-٥٥

وأظهروا الطاعة حتى تم الخطط المرسومة ، فهذه تقية ، وإذا أحسوا ضرراً من كافر أو سني داروه وجاروه وأظهروا له الموافقة ، فهذه أيضاً تقية . وهكذا (١) .

والتقية عند الشيعة جزءٌ مكمل لتعاليمهم ؛ تواصلوا به وعدوه مبدأً أساسياً في حياتهم وركناً من دينهم ، ورووا فيه الشيء الكثير عن أئمتهم ، وانبنى عليه تاريخهم في الأحداث التاريخية كلها ؛ إمام مختفٍ أو مستتر يدعو إلى نفسه في الخفاء ويبث دعاته في الأمصار فيتخذون له البيعة من أنصارهم ، ويطلبونهم بالكتمان والتظاهر بالطاعة ، كما يطلبون منهم عمل كل شيء للولاء لثلاثدور حولهم الشبهات ، إلى أن تنضج الثورة ويحين الوقت الملائم فيعلنوا الخروج ويحملوا السلاح في وجه الدولة .

وقد روى الكليني أخباراً كثيرة في التقية ؛ فروى عن أبي عبد الله أنه قال : تسعة أعمار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، والتقية في كل شيء إلا في النبذ والمسح على الخفين . وقال في قوله تعالى : ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ) (٢) قال : بما صبروا على التقية ؛ وما بلغت تقية أصحاب الكهف بأن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدون الزنانير ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين .

وسئل أبو الحسن عن القيام للولاء فقال : قال أبو جعفر : التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له . وعلى هذا قال كثير من الشيعة : إنه يحسن لمن اجتمع مع أهل السنة أن يوافقهم في صلاتهم

(١) ضحى الإسلام : ج ٣ . لسان العرب .  
(٢) سورة القصص : ٥٤ .

وصيامهم وسائر ما يدينون به . ورووا عن بعض الأئمة من أهل البيت :  
من صلى وراء سني تقية فكأنما صلى وراء نبي . وفي وجوب قضاء  
هذه الصلاة خلاف . كما فسروا كثيراً من أعمال الأئمة على أنهم فعلوها  
تقية ؛ فسكوت علي على أبي بكر وعمر وعثمان كان تقية ، ومصالحة  
الحسن لمعاوية كان تقية ... الخ . كما كان للتقية عند الشيعة السبب  
في تحمیل الكلام معانٍ خفية ، وجعلهم للكلام ظاهراً يفهمه عامة الناس  
وباطناً يفهمه الخاصة . وتأولوا تفاسير بعض القرآن بمعان باطنية ،  
وجرى على نمطهم في المعنى الظاهري والباطني بعض الصوفية ، فقالوا : إن  
وراء علم الظاهر علم الباطن ، وهو لا يفهم من الوضع اللغوي للكلمات ،  
ولأن البراهين المنطقية إنما تفهم من طريق الإلهام والمكاشفة ... الخ .

وكان على عكس الشيعة في القول بالتقية الخوارج ، فقالوا : لا تجوز  
التقية بحال من الأحوال ؛ ولو عرضت النفس والأموال والعرض للأخطار .  
فالخارجي لا يداري ولا يماري ، ويعلن حربه على الإمام ، ولو كان  
منفرداً ؛ عكس الشيعة فإنهم يمارون ويدارون ويتسترون ، ويتكتمون حتى  
يظنوا أن الفرصة أمكنتهم فيظهرون<sup>(١)</sup> .

لقد كان التشيع عشاً للشعبوية يأوون إليه ، وشعارهم الذي يستترون به .  
وما لا ريب فيه أن دعوى التقية التي كانت منطلقاً لكل الفرق  
المتسترة وراء أغراضها الخاصة ، والتي كانت تضرر العداء للإسلام  
والمسلمين ، والتي كان على رأسها شذاذ الآفاق الذين كانوا يحلمون

(١) ضحى الإسلام : ج ٣ ص ٢٤٦ .

بإيجاد دولة لهم لتنفيذ مآربهم ومخططاتهم الشريرة ، أمثال : القرامطة ،  
والفاطمية والإسماعيلية ، والدروز ، والبابية ، وغيرها من الدعوات الباطنية  
التي كانت تحافظ على تقاليدھا بالتستر إلى أن تقوى وتعلن وجودھا ،  
بعد أن تكون قد حققت لنفسھا المقومات الكفيلة باستمرارية وجودھا .

كانت التقية سبباً في خروج كثير من الناس على أئمتهم من الشيعة .  
لأن الإمام كان يناقض نفسه في بعض الأحيان ، فإن سئل في ذلك نسب  
الأمر إلى التقية .

يحكي النوبختي - في كتابه فرق الشيعة - قصة رجل اسمه عمر بن  
رباح زعم أنه سأل محمداً الباقر عن مسألة بعينها، فأجابه بجواب عنها ،  
وفي عام آخر سأل المسألة نفسها، فأجابه إجابة مغايرة لإجابته الأولى ،  
فقال عمر لمحمد : هذا خلاف ما أجبتني به في العام الماضي ! . فقال  
محمد : إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية . فلم يقتنع الرجل بهذه  
الإجابة ، وقابل رجلاً من أصحاب الباقر، اسمه محمد بن قيس، وقص  
عليه الأمر ، وأبان عن عدم اقتناعه بإجابة الإمام قائلاً : علم الله أنني  
ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله  
والعمل به ، فلا وجه لانتقائه إياي وهذه حالي . فقال ابن قيس : فلعله  
حضرك من اتقاه ؟ . فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين  
غيري ، وإن جوابيه خرجا على وجه التبخيت . ولم يحفظ ما أجابه

في العام الماضي فيجيب بمثله . وكانت النتيجة أن عدل الرجل عن الاعتراف بإمامة الباقر : لا يكون إماماً من يفتني تقية بغير ما يجب عند الله<sup>(١)</sup> .

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع تحمل في معناها عدم الرضا والاعتناع بفكرة التقية ، التي شككت الكثيرين من المؤمنين بالتشيع في أئمتهم ، وكان ينتهي الأمر بالخروج على الإمام واستنكار دعوته ومنهاجه .

## المهدي عند الشيعة والسنة

إن فكرة المهدي المنتظر من الأمور الغيبية التي يؤمن بها المسلمون لثبوت ذلك في السنة المطهرة ، أما الشيعة فلم يوقف آخر يختلف عما يعتقده أهل السنة والجماعة في المهدي المنتظر الذي يؤمنون به ، لورود ذكره على لسان الشارع الحكيم .

فالشيعة قد بنوا معتقداتهم على أصول غير ثابتة ، تخالف النقل والعقل ؛ إذ اعتمدوا على عدة أحاديث رووها عن الرسول ﷺ ولم تثبت صحتها .

وقد ظهرت فكرة المهديّة أولاً عند طائفة الشيعة من العلويين والعباسيين وتناقلها آخرون، وكلهم يزعم أن المهدي منهم .

(١) راجع فرق الشيعة للنوبخي .



وفيما يلي إجمال لموقفني كل من الشيعة وأهل السنة من المهدي المنتظر والأصول التي بنى كل فريق منهم عليها رأيه .

## ١ - المهدي عند الشيعة

انتشرت بين الشيعة فكرة المهدي المنتظر التي تستند على فكرة الرجعة ؛ التي انتقلت إلى المجتمع الإسلامي من معتقدات اليهود خاصة، والنصارى وغيرهم بصورة عامة ، وقد نادى بها ابن السوداء اليهودي المتآمر عبد الله بن سبأ - لعنه الله - مطبقاً إياها بادئ الأمر على الرسول الأعظم ﷺ .

ومما قاله : أعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً لا يرجع ؛ وقد قال الله عز وجل : ( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ) (١) . محمد أحق بالرجوع من عيسى . ثم حول هذا الدساس هذه الفكرة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال : رجعتنه بعد استشهاده (٢) .

وأول من قال بالمهدية : كيسان مولى علي بن أبي طالب في ابنه محمد بن الحنفية ؛ فقد زعم أن إمامه هذا ، وأنه مقيم بجبل رضوى في الحجاز ، والحال أنه مات سنة ٨١ هـ . وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم (٣) .

(١) سورة القصص : ٨٥ .

(٢) راجع كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج ٤ ص ١٨٠ . وقارن ضحى الإسلام :

ج ٣ ص ٢٣٧ . (٣) ضحى الإسلام : ج ٣ ص ٢٣٨ .

إن فكرة المهدي المنتظر من عقائد الشيعة الأساسية ؛ وهي الإيمان بالإمام الغائب المنتظر ، الذي يرجوعه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

ويقصد الشيعة بالمهدي المنتظر محمداً المهدي بن الحسن العسكري<sup>(١)</sup>؛ وهو الإمام الثاني عشر عندهم ، المولود ببغداد يوم الجمعة منتصف شهر شعبان سنة ٢٥٥ هـ . ويقولون: إنه دخل مع أمه سرداباً<sup>(٢)</sup> في سامراء ولم يعد إلى الآن ، وهو حي لم يمّت<sup>(٣)</sup> ، وعلى اتصال دائم بالشيعة ، ينتظرون

(١) إن من الثابت في السنة المطهرة أن اسم المهدي موافق لاسم الرسول ﷺ واسم أبيه لاسم أبيه ، فهل يتفق هذا مع اسم مهديهم هذا ؟ ١٩ .

(٢) إن مخترع حكاية السرداب هو شيطان النصيرية ومؤسسها محمد بن نصير ؛ فقد زعم بأن للحسن العسكري ولداً - الإمام الثاني عشر - دخل سرداباً وسيعود منقذاً ومخلصاً لأتباعه ، مع أن الحسن العسكري لم يخلف ولداً ، ولا يوجد في سجل مواليد العلويين للحسن العسكري ولد .

وأصحاب هذه الأسطورة المخترعة يزعمون بأن ابن الحسن العسكري الذي دخل السرداب سنة ٢٦٠ هـ لم يخرج منه ؛ وله غيبتان صغرى وكبرى . . . إلى آخر هذه الأسطورة التي لم يسمع بمثلا ولا في أساطير الأولين . وهم يريدون - أصحاب هذه الخيلة - من جميع المسلمين الذين ينعمون بنعمة العقل والإرادة أن يصدقوا هذه الأُكذوبة المدسوسة ، ليتسنى لهم تحقيق أهدافهم وتنفيذ مؤامراتهم ، والالتقاء مع غيرهم من فرق الإسلام ، وهيئات هيئات ، فلن يتحقق لهم مرادهم إلا إذا تحول العالم الإسلامي إلى مستشفى لمعالجة الأمراض العقلية - لا سمح الله - فالحمد لله على نعمة العقل ؛ فإنها مناط التكليف وهي - بعد صحة الإيمان - من أعظم النعم وأجلها وأكرمها . والحمد لله رب العالمين . للمزيد راجع : الخطوط العريضة للشيعة الإمامية .

(٣) يا للجهالة ! ! من يصدق أن إنساناً دخل سرداباً منذ أكثر من ١١٠٠ عام ولا يزال على قيد الحياة ، وعلى اتصال بأهل الأرض ؟ لا أظن أن أحداً يصدق أمثال هذه المزاعم التي لا يقبل بها عاقل ، ولم تستند على برهان عقلي أو شرعي ، وكذلك فأني حاجة إلى طفل يفتيب عن الأنتظار ثم يعود إلى العالم بعد مئات السنين ١٩ .

رجوعه لينصرهم وينتقم من أعدائهم<sup>(١)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن فكرة المهديّة التي آمن بها الشيعة وتناقلتها أجيالهم ؛ هي أن مدينة الكوفة موطن تجمع الشيعة ، كانت تصطرع فيها الأفكار والآراء اليهودية والنصرانية والمجوسية ، حيث كانت تقع على تخوم بلادهم ، وكان من السهل جداً في جو مثل جو الشيعة المضطرب نشر هذه الأفكار الدخيلة .

ومن جهة ثانية فإن شعور الشيعة بالظلم - نتيجة الاضطهاد الذي وقع عليهم من قبل خصومهم - ساعد كثيراً على ترسيخ مثل هذه الفكرة المهديّة الدخيلة ؛ حيث كانوا يحتاجون إلى القول بها كي لا يفقد أتباعهم الأمل في آل البيت ومحبتهم ، والوصول إلى الحكم والسلطة لينشروا العدل ويرفعوا الظلم كما كانوا يزعمون<sup>(٢)</sup> .

والحق أن هذه الخرافة اليهودية الدخيلة التي تاجر بها أناس هدامون قد سببت رقاداً وجموداً للمسلمين ، ونشرت الذعر والمآسي وعطلت الطاقات المبدعة في المجتمع الإسلامي ؛ إذ أنه ما من مخرب هدام أو أجير حاقد أو عدو لدود لهذه الأمة ، إلا وتوصل إلى هدفه وأعلن عداوته ، وتقدم إلى المجتمع تحت هذا الشعار المخدر ، مما أضعف وحدة الأمة وأطمع أعداء الإسلام في الانقضاض عليها ومحو آثارها ، ونشر أفكار الوثنية بين أبنائها<sup>(٣)</sup> .

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) ضحى الإسلام : ج ٣ ص ٣٤١ . وقارن المهدي والمهديّة : ص ١٢ بتصرف .

(٣) ضحى الإسلام : ج ٣ ص ٢٤٤ . والبهاية تاريخها وعقيدتها : ص ٦٦ .

ولو تتبعنا فكرة المهدي المنتظر التي يؤمن بها الشيعة ، ويروجون لها منذ عهد غابرة ، لوجدنا أنه قد تلقفها أدعياء حاقدون<sup>(١)</sup> ، واتخذوها كحيلة لتنفيذ مآربهم الشيطانية بالکید للإسلام وأهله ؛ هذه الحيلة التي أحدثت انقسامات بين المسلمين ، وأثارت حروباً ومحناً شديدة بينهم ، ولم يستفيدوا من ذلك شيئاً سوى الفرقة والتمزق التي استفاد منها الأعداء ، مع أنه لا يرجى خير من أناس يحتالون على الناس بهذه الفكرة المصطنعة ، والخدعة الماكرة التي تخفي وراءها أماني زائفة .

وهكذا ؛ ففكرة المهدي عند الشيعة لا حظاً لها من الصحة ، وإن أورد دعواتها بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة لتأييد مزاعمهم . كما أن هذه المقولة الساقطة التي يتناقلونها خلفاً عن سلف لم يقل بها إلا أناس قصرت عقولهم عن فهم مقاصد الشرع ، وإذا أرادوا السلامة فعليهم الإيمان بالمهدي الذي ورد ذكره على لسان الشارع الحكيم .

## ٢ - المهدي عند أهل السنة :

اشتهر بين علماء المسلمين أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من بيت النبوة الطاهر يسمى المهدي ؛ يستولي على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ، ويعدل بينهم ويؤيد الدين ، وبعده يظهر الدجال ، وينزل

---

(١) إن كثيراً من الفرق والأدعياء اتخذوا المهدي قناعاً ليتوصلوا بها إلى أغراضهم الخبيثة ، ولا تزال دسائسهم تتكرر . ومثال ذلك : دعوة الرشدية والبهاية والقاديانية وأشباهاها .

سيدنا عيسى عليه السلام فيقتل الدجال ، أو يتعاون المهدي مع سيدنا عيسى عليه السلام على قتله .

وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة ، وخرَّجها أكابر المحدثين ؛ كالإمام أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه والطبراني وأبي يعلى والحاكم والبزار وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

وفيما يلي - أخي القارئ - بعض الأحاديث الشريفة التي تؤكد ظهور المهدي المنتظر وهي :

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُهُ  
اسْمُهُ اسْمِي <sup>(١)</sup> وَأَسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا  
مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا » <sup>(٢)</sup> .

٢ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمَهْدِيُّ  
مِنْهُ أَجَلِي الْجَبْهَةِ <sup>(٣)</sup> ، أَقْنَى الْأَنْفِ <sup>(٤)</sup> ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ،  
كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، وَيَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ » <sup>(٥)</sup> .

(١) فالمهدي اسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، ويشبه النبي ﷺ في الأفعال والأخلاق ، ولا يشبهه في الصورة كلها .

(٢) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود ؛ سنن أبي داود : ج ٢ ص ٤٢٢ ، وقارن بمشكاة المصابيح : ج ٣ ص ١٥٠١ . (٣) أجلى الجبهة : أي واسعها .

(٤) أقنى الأنف : كناية عن طوله ودقة أرنبته مع حذب في الوسط .

(٥) قال ابن القيم في المنار المنيف : رواه أبو داود بإسناد جيد . . وقارن بمشكاة المصابيح : ج ٣ ص ١٥٠١ . إسناده حسن .

٣ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قصة المهدي قال :  
« فَبِجِيءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ : يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي اعْطِنِي . قَالَ : فَبِحُثِي  
لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ » (١) .

هذه أيها القارئ الكريم بعض الأحاديث الشريفة من مشكاة النبوة ،  
التي يجب أن تلجأ إليها كلما حزبك أمر ، وخاصة في هذا الزمان الذي  
تتنافس فيه الرذائل والضلالات والفتن لتغشى كل مجتمع لتقويض  
أركانه .

الجأ إليها - أخي القارئ - ففيها الراحة لنفسك ، والطمأنينة لقلبك ؛  
إنها الحصن المنيع الذي تتقي به سهام مفاسد الزمن ، ووساوس الملحدين  
وشبه المضللين ودعوات المبطلين .

إن هذه الأحاديث الشريفة التي ذكرتها هي من جملة الأحاديث  
الصحيحة التي أخبر فيها الرسول الأعظم ﷺ بالمغيبات من الأمور ، وقد  
بين فيها للأمة حقيقة لا بد من بيانها ؛ فقد أخبر ﷺ أن المهدي سيظهر  
في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، وذلك بعد أن تنتشر المفاسد  
والفتن المظلمة وتظهر بعض علامات الساعة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحاديث الشريفة تبين لنا بجلاء بعض  
صفات المهدي المنتظر ، الذي أخبر عنه ﷺ بخلاف دعوى الشيعة في  
مهديهم المزعوم . ونذكر من هذه الصفات : أن اسم المهدي واسم أبيه

(١) رواه الترمذي بسند حسن . وقارن بمشكاة المصابيح : ج ٣ ص ١٥٠٢ .

والتاج الجامع للأصول : ج ٥ ص ٣٤٣ . .

يواطىء اسم الرسول ﷺ واسم أبيه ، كما يشبهه في بعض صورته في الأفعال والأخلاق .

وأما اسم المهدي عند الشيعة الإمامية فهو محمد بن الحسن العسكري ؛ ومن هنا يتبين أن اسم أبيه لا يوافق اسم أبي الرسول ﷺ كما دلت على ذلك السنة المطهرة ، وعلاوة على ذلك فإن التواريخ الموثوقة لم تذكر لنا بأن الحسن العسكري قد خلف ولداً ، كما أشرت إلى ذلك سابقاً .

وباختصار ؛ فدعوى الشيعة دعوى لا سند لها ، لم يروها أحد من العلماء المعتبرين ولا نصيب لها من الصحة ، أما إذا غاب العقل فكل شيء جائر ! .

وأما ما يزعمه بعض أدعياء العلم بعدم ظهور المهدي وغيره من المغيبات بحجة عدم ورودها في القرآن الكريم ، فتلك حجة واهية ، بل إنها لأوهى من خيوط العنكبوت ؛ لأنها تناقض ما أخبر عنه صاحب الرسالة المعصوم ﷺ الذي أمرنا الله باتباعه حيث قال :

( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) (١) .

لهذا ، فلا يجوز الالتفات إلى دعوات المبطلين والاغترار بطيش الزائغين : ( لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ) (٢) .

وبعد : فهذه الإمامة سريعة تبين لنا أن المهدي الحق هو ما ثبت على

(١) سورة الحشرة : ٧ .

(٢) سورة الانفال : ٤٢ .

لسان الشارع الحكيم ، وقد تقدم بيان ذلك بما فيه الكفاية لكل راغب في الخير .

اللهم ثبتنا على دينك ، واعصمنا من الضلال ، وانصرنا على أعدائك ، واجمعنا مع أهل طاعتك ، ووقفنا لفهم دينك ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، إنك نعم المولى ونعم النصير .

## الجبرية

الجبر : هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى .  
والجبرية أصناف :

فالجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، والجبرية المتوسطة ؛ هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً ، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل ، وسمى ذلك كسباً فليس بجبري .

والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً جبرياً، ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها جبرياً ، إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثراً .  
والمصنفون في المقالات عدّوا البخارية - أصحاب الحسين بن محمد البخار - والضرارية - أتباع ضرار بن عمرو - من الجبرية ، وكذلك جماعة الكلابية



من الصفاتية ، والأشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية<sup>(١)</sup> .

تبين من مذاهب المعتزلة أنهم كانوا يغالون في إثبات الكسب للإنسان ، أما المجبرة فعلى العكس ؛ فهم يغالون في نفي الاستطاعة عن العبد ؛ يجعلونه كالريشة في مهب الريح ، أو كأغصان الشجرة - ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين كما علمت - وعلى مذهب المجبرة لا يكون للإنسان كسب ولا إرادة ولا اختيار ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل ، والتصرف على حسبه ، فكيف يكون له مطمع في ثواب أو خوف من عقاب ؟ .

وما قيمة الرسالات والديانات ، وما جدوى الوعد والوعيد ؟! . ولماذا أعدت الجنة للمتقين والنار للعاصين ؟! . وكيف يتصور الإنسان ذلك في نفسه وهو يشعر أن له إرادة واختياراً ؟! .

لقد ضل كثير من الناس بمذهب الجبر ، فخارت منهم الهمم وانتقضت منهم العزائم ، وقعدوا وتواكلوا ، وأغرق بعضهم في الفجور والدعارة مستتراً بهذا الستار ، فإذا سئل عما يفعل قال : إنه مسير . إلى غير ذلك من الأعذار التي لا يقيم لها العقل ولا الشرع وزناً ، فما وهب الإنسان عقله جزافاً ؛ ولكنه الضلال عن معنى القدر اتخذته الناس سداً حصيناً دون العمل والحيلة .

ومن الجبرية طائفة الجهمية أتباع جهم بن صفوان - الترمذي

(١) الملل والنحل : ج ١ ص ٨٥ - ٨٦ .

الفارسي الذي قتل سنة ١٣١ هـ أواخر الدولة الأموية - وكان ينفي الصفات الإلهية كلها وينفي رؤية الله ؛ ويزعم أن الجنة والنار تفتيان وتنقطع حركات أهلها ، محتجاً بأن عدم فنائهما يتعارض مع معنى قوله تعالى : ( وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ) (١) . وهذا مردود عليه فيما يأتي :

قال الفخر الرازي : إن الله يعلم الشيء على ما هو عليه وكما هو في نفسه ، فلما لم يكن لأجزاء غير المتناهي أجزاءً متناهية ، امتنع أن يعلم الله كونها متناهية . يريد أن العلم بها على أنها غير متناهية ، وهو العلم اللائق بالله تعالى ، ووافق الإمام ابن حزم في ذلك ، وزاد عليه أن من علم الشيء بخلاف ما هو عليه فهو جاهل به ، مخطئ في اعتقاده ، ظان للباطل ، وعلم الله تعالى هو اليقين الحق .

ويقول جهم بخلق القرآن وبالجب ، وأن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالقدرة ، وكان من دعواه أن من عرف الله ولم ينطق بكلمة التوحيد لا يكفر ، لأن العلم لا يزول بالصمت ولا بالجحود . وهذا مردود لأن الإيمان هو التصديق بالقلب بشرط الإقرار باللسان - أو الإقرار شطرنه - وكما ثبت أن النبي ﷺ قال : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (٢) .

فالجبرية هي مفهوم التسليم الكامل للواقع ، وانسحاب الفرد من المجتمع ، والاعتقاد بسقوط الإرادة الإنسانية سقوطاً كاملاً ، وتقبل الأوضاع تقبلاً كاملاً ؛ بحسبان أنها إرادة الله ، مع الاستسلام للظلم

(١) سورة الحسن : ٢٨ .

(٢) الفرق الإسلامية . حديث صحيح رواه الشيخان .

والذل ، والانفصال عن المجتمع ، وإيثار العزلة في الخوانق والتكايا على نحو قريب من الرهبانية ، والاتصال بالأولياء على نحو قريب من الوثنية .

وقد اتخذوا من عقيدة القدر مشبطاً للغزائم وغلاً للأيدي؛ فقد أذاعت الجبرية أن الزمان قد أقبل على آخره ، وأن الساعة أوشكت أن تقوم ، فلا فائدة من السعي، ولا ثمرة للعمل، ولا حركة إلا العدم .

وبذلك علا شأن النظرية الاستبدادية علواً كبيراً ، وسيطر الأمراء عن طريق هذه المفاهيم، واستمدوا منها قداسة وسلطاناً<sup>(١)</sup> .

وقد هاجم المصلح عبد الرحمن الكواكبي الجبرية في قوة فقال : إنها أقحمت على مفهوم الإسلام النقي ، ومن أبرز آثارها أنها رغبت المسلم في أن يعيش كالميت من قبل أن يموت . وعنده أن تعقيد الدين يرجع إلى العلماء المدلسين ؛ ذلك لأن بعض ناقصي العلم وضعفاء العزيمة ، تطلعوا إلى منزلة العلماء - وهي فوق طاقتهم - فدعاهم ذلك إلى تأويل القرآن تأويلاً لا يحتمله نظمه ، ولا يتفق مع مبادئه العليا<sup>(٢)</sup> .

(١) بقظة الفكر العربي : ص ٥٠ أنور الجندي .

(٢) انظر أم القرى للكواكبي . أفردت بحثاً خاصاً عن الكواكبي المصلح في كتابي ( أعلام الإسلام ) واني لأرجو الله أن يعينني على إتمامه .

## الجهمية

هم أصحاب جهنم بن صفوان ، ظهرت بدعته بترمد ، وقتله سالم بن أحوز المازني بمرور في آخر زمن بني أمية ، وقد غلا في التعطيل حتى نفى الأسماء والصفات جميعاً ، وقال : لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه ، فلا يسميه حياً ولا عالماً ولا سميعاً ولا بصيراً ولا متكلماً ، لأن ذلك - في زعمه - يقتضي التشبيه ، ولم يثبت له سبحانه إلا كونه قادراً فاعلاً خالقاً ، لأن المخلوق - عنده - لا يوصف بشيء من ذلك<sup>(١)</sup> .

وقد استعظم السلف مقالة الجهم وعدّوها كفرأ شنيعاً ، حتى روي عن بعضهم أنه كان يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نحكي كلام الجهمية . وقد صنّفوا كتباً كثيرة في الرد على هؤلاء الجهمية .

ولفظ الجهمية عندهم كان يتناول كل فرق المعتلة من جهمية وفلاسفة وأشعرية ومعتزلة .

وقد جمع هذا الخبيث بين الشناعات الثلاث ؛ التعطيل والجبر والإرجاء . أما التعطيل فقد ذكرناه آنفاً ، وأما الجبر فإنه كان يقول : إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال

(١) الملل والنحل : ج ١ ص ٨٦ وما بعدها .

فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً  
كما تنسب إلى الجمادات ، والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها  
جبر، والتكليف أيضاً جبر .

وأما الإرجاء ؛ فقد كان يرى أن الإيمان هو المعرفة ، فمن أتى بالمعرفة  
ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده ؛ لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد ،  
فهو مؤمن . والإيمان عنده لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه ، فإيمان  
الأنبياء وآحاد أمتهم على نمط واحد ، إذ المعارف لا تتفاضل ، والمعارف  
واجبة قبل ورود السمع .

وهكذا صار الجهم بهذه الضلالات الثلاث رأس فتنة كبرى لمن  
جاؤوا بعده من فرق الزيغ والضلال ، الذين جروا في مضماره، وتعلقوا في  
بأذياله ، وكانت حماقاته هذه كفيلة بزعمهم أن تززع عقيدة التوحيد  
لولا قيام السلف رحمهم الله بدحض مفترياته والذب عن حمى الدين  
القويم<sup>(١)</sup> .

يقول ابن تيمية : ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح  
العقل والحس ، إلا وفي القرآن بيان معناه ؛ فإن الله جعله شفاءً لما في  
الصدور ، وبياناً للناس ، فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك . لكن قد  
تحفى آثار الرسالة في بعض الأمكنة والأزمنة ، حتى لا يعرفوا ما جاء  
به الرسول ﷺ إما أن لا يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه ، فحينئذ يكونون  
في جاهلية بسبب عدم نور النبوة ، ومن هنا يقع الشر ويفرق الدين

(١) دعوة التوحيد بتصرف .

شيعياً ؛ كالفتن التي تحدث بالسيف ، فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم ، فإذا انقطع نور النبوة عنهم وقعوا في البدع ، وحدثت البدع والفجور ، ووقع الشر بينهم ، فمسائل النزاع في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله ورسوله ، لم يتبين فيها الحق ، بل يصير المتنازعون فيها على غير بينة من أمرهم<sup>(١)</sup> .

قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : مذهب أهل الجماعة عندنا ، وما أدر كنا عليه جماعة أهل الفقه ممن لم يأخذ من البدع والأهواء ؛ أن لا يشتم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يذكر فيهم عيباً ، ولا يذكر ما شجر بينهم فيحرف القلوب عنهم ، وأن لا يشك بأنهم مؤمنون ، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة ؛ ممن يقرون بالإسلام ويؤمن بالقرآن ، ولا يخرجهم من الإيمان بمعصية إن كانت فيه ، فلا يقول بقول أهل القدر ولا يخاصم في الدين ، فإنها من أعظم البدع<sup>(٢)</sup> .

يقول عبد الله بن المبارك : الجهمية ليسوا من الاثنين وسبعين فرقة<sup>(٣)</sup> .

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول : ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) قواعد المنهج السلفي : ص ٨٤ - ٨٦ .

(٣) تفسير سورة الإخلاص : ص ١٥٦ لابن تيمية .

## المرجئة

يقول الشهرستاني<sup>(١)</sup> : الإرجاء على معنيين ؛ أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى : ( قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ )<sup>(٢)</sup> أي : أمهله وأخره . والثاني : إعطاء الرجاء .

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد . وأما بالمعنى الثاني ؛ فظاهر بأنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

وقيل : الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ؛ فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ، من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار . فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان . ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنى الأخير صحيح ؛ فإن مذهب أهل السنة أن صاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها فأمره إلى الله ، إن شاء غفرها له وإن شاء عذبه بها لقوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ )<sup>(٣)</sup> .

والمرجئة ثلاثة أصناف<sup>(٤)</sup> :

(١) انظر الملل والنحل .

(٢) سورة الأعراف : ١١١ .

(٣) سورة النساء : ٤٨ .

(٤) الفرق بين الفرق : ص ٢٠٢ .

صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية  
والمعتزلة ؛ كغيلان وأبي شمر وحمد بن شبيب البصري . وهؤلاء داخلون  
في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية والمرجئة .

وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان ، وبالجبير في الأعمال ؛ على  
مذهبهم ابن صفوان . فهم إذن من جملة الجهمية .

والصنف الثالث خارجون عن الجبرية والقدرية ، وهم فيما بينهم  
خمس فرق هي : اليونسية، والغسانية، والثوبانية، والتومية، والمريسية .  
سماوا مرجئة لأنهم آخروا العمل عن الإيمان .

قال ابن حزم : غلا بعض المرجئة حتى قالوا : إن الإيمان الاعتقاد  
بالقلب ؛ وإن أعلن الكفر بلسانه ، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية  
والنصرانية في دار الإسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار  
الإسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان ، عبد الله عز وجل .  
وقد تعرض ابن تيمية لمذهب المرجئة ، وأرجع أصول الخطأ عندهم  
إلى عاملين :

الأول : ظنهم أن الإيمان في مرتبة واحدة فقالوا : إيمان الملائكة  
والأنبياء وأفسق الناس سواهم . بينما الإيمان الذي أوجبه الله  
يتباين تبايناً عظيماً ؛ فيجب على الملائكة من الإيمان ما لا يجب  
على البشر ، ويجب على الأنبياء ما لا يجب على غيرهم . وليس



المراد هنا أنه يجب عليهم العمل فحسب ، بل والتصديق والإقرار أيضاً .

الثاني : لم يفتن المرجئة إلى تفاضل الناس في الإتيان بالأعمال ؛ فليس إيمان من أدى الواجبات كإيمان من أخل ببعضها ، وليس إيمان السارق والزاني والشارب للخمر كإيمان غيرهم<sup>(١)</sup> .

## الأشاعرة

هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ؛ المولود بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي ، رئيس معتزلة البصرة ، ثم مخالفه وأعلن براءته من مذهب الاعتزال .

والمعروف عن هؤلاء الأشاعرة أنهم يشبتون لله تعالى سبع صفات يسمونها صفات المعاني، وهي : العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام . وهي عندهم صفات أزلية قائمة بذاته تعالى زائدة عليها ، وأما ما وراء ذلك من الصفات الخبرية ، التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ؛ كالوجه واليد والعين والاستواء ، والنزول والمجيء والإتيان والغضب والرضا والمحبة والكراهية ونحوها ، فكان أبو الحسن وتلامذته - كأبي بكر الباقلاني وابن مجاهد - يشبتونها ، كما يدل على ذلك ما بأيدينا من كتبهم ، التي لا شك في نسبتها إليهم . بل إن أبا الحسن يؤكد دائماً أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل

(١) الفرقان بين الحق والباطل : ص ٢٩ .

الشيباني رحمهما الله . ويرى الأشاعرة أن أخص خصائص الألوهية هو الانفراد بالخلق والاختراع .

ومعلوم أن الانفراد بالخلق هو توحيد الربوبية الذي كان يقر به المشركون ، أما التوحيد الأهم والأعظم فهو توحيد الألوهية ، فإنهم لا يهتمون به ولا ذكر له في كتبهم .

ولعل هذا هو السر في انخراط كثير منهم في بدع التصوف ، وإقرارهم لوسائل الشرك التي ترتكب عند أضرحة المشايخ المقبورين<sup>(١)</sup> .

وفي موقف الأشاعرة من التأويل يقول الدكتور محمد علي الزعبي : إن مرض التأويل غير المشروط قد سرى من المسلمين إلى اليهود ، واشتهر به الفيلسوف اليهودي - فيلون - حتى أله عزيراً . وإن النشاط بالتأويل والتحلل من التكليف قديم لدى اليهود ؛ إذ أمرهم الله تعالى أن لا يصيدوا سمكاً يوم السبت ، فأخذوا يحفرون أخاديد إلى جانب الشاطئ يوم الجمعة ؛ حتى إذا سقط بها السمك أغلقوا طريق عودته وصادوه يوم الأحد .

ثم تبادوا في هذا التأويل حتى استقرت لديهم قاعدة : إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز . ثم كانت الصيحة الأخيرة لفيلسوفهم الهولندي اليهودي - اسبنوزا - العائد إلى مبدأ : يجب أن نفسر التوراة بالتوراة<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر دعوة التوحيد ، والملل والنحل : ج ١ . ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب الملل والنحل للشهرستاني .  
(٢) الماسونية في العراء : ص ٢٣٩ .

## اليزيدية أو عبدة الشيطان

اليزيدية طائفة ينتمي معظمها إلى الجنس الكردي ، ويقطن أتباعها في بعض بوادي الشرق الأدنى وخاصة في المناطق التالية :

- ١ - قضاء الشيخان في الشمال الشرقي من الموصل ؛ وفيه أهم مراكزهم السياسية والدينية « كعابدري » قاعدة أميرهم ، و « قبر الشيخ عادي » وهو أعظم مقوماتهم الدينية ، و « باحزاني » و « بعشيقه » وغيرها .
- ٢ - قضاء سنجار الواقع في الشمال الغربي من العراق - على الحدود بينه وبين سوريا - وهو منطقة جبلية منيعة ومعقل حصين ، كانوا يعتصمون به في أيام الاضطهاد .
- ٣ - ديار بكر ، وماردين ، وجبل الطور .
- ٤ - منطقة حلب حول كلس وعينتاب .
- ٥ - البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا ، وخاصة في منطقتي « قرص وإيراوان » وحول تفليس من بلاد القوقاز .
- ٦ - هناك بعض اليزيدية في إيران .

وأكثر هذه الطائفة يسكن المدن والقرى ويشغل بزراعة الأرض ، إلا أن بعضها لا يزال في طور البداوة ، ويؤلف قبائل رحالة تدعى ( الكوجر ) ويقدر عدد أفرادها بحوالي ثمانين ألفاً<sup>(١)</sup> . وقد اختلف

(١) راجع ذيل الملل والنحل : ص ٣٣ - ٣٤ .

الباحثون في تعليل تسميتهم ، فبين اليزيدية أنفسهم من يعتقد أنهم دعوا بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية ؛ الذي أحيا دينهم بالقديم وأطلق عليه اسمه .

إن اليزيدية أنفسهم يجهلون سبب تسميتهم هذه . وبعض الباحثين نسبهم إلى يزيد بن أنيسة<sup>(١)</sup> ، وقد ذكر الشهرستاني - رحمه الله - في فرق الخوارج اليزيدية فقال : أصحاب يزيد بن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة ، وتبرأ ممن بعدهم إلا الإباضية فإنه يتولاهم .

وزعم أن الله تعالى سبعت رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء ، وينزل عليه جملة واحدة ، ويدك شريعة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام ، ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن ، وليست هي الصابئة الموجودة بحران وواسط<sup>(٢)</sup> .

ويعمل بعض الباحثين إلى القول بأن اليزيدية ينتسبون إلى مدينة - يزد أو يزدان - الفارسية وهي بمعنى الله ، أو - إيزد - ومعناها « خليق بالعبادة » وتطلق في دين المجوس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر ، وتنقل مشيئته إليهم<sup>(٣)</sup> .

(١) نفس المصدر : ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) انظر كتاب الملل والنحل للمرحوم الشهرستاني ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ .

(٣) ذيل الملل والنحل . لزيادة البسط في هذا المقام يراجع كتاب اليزيدية قديماً وحديثاً .

## بعض معتقدات الزيدية

والحق أن الزيدية خليط من عناصر وثنية قديمة ، وعناصر إيرانية زردشتية ، وأخرى يهودية ونصرانية وإسلامية :

١ - وهم يؤمنون بوجود إله أكبر خالق لهذا الكون ، إلا أنه الآن لا يعنى بشؤونه بعد أن فوض تدبيره وإدارته إلى مساعده ومنفذ مشيئته - ملك طاوس - الذي يرتفع في أذهان الزيدية إلى مرتبة الألوهية ؛ حتى إنهم يسبحونه ويضرعون إليه ، ويكادون ينسون من أجله الإله الأكبر المتعالي عن هذا العالم ، وملك طاوس هذا هو الملاك الأعظم الذي عصى الله في بدء الخليقة فعاقبه الله على خطيئته ، فظل يبكي سبعة آلاف سنة ، حتى ملأ سبع جرار من دموعه ، وألقاها في جهنم فأطفأ نارها ، فأعاده الله إلى مركزه الرفيع في إدارة الكون ، ولذلك فإن أهل الديانات الأخرى يخطئون في نظر الزيدية حين يدعون هذا الملاك الأعظم - الشيطان - ويلعنونه ، ويعتقدون أنه خالق الشر ، والأخرى بهم أن يسبحوه ويمجدوه ، إن لم يكن حياً له وتعظيماً لذاته ، فعلى الأقل دفعاً لغضبه وأذاه ، وهو المدبر الحقيقي لهذا العالم ، قادر على أن ينزل بالبشر جميع أنواع العذاب . ومن هنا نرى أن شيطان الزيدية يختلف عن شيطان سائر الأديان<sup>(١)</sup> .

(١) راجع ذبل الملل والنحل : ص ٣٦ .

٢ - أما نبي هذه الديانة فهو الشيخ عادي ؛ الذي يروي عنه اليزيدية أخباراً وروايات عديدة ، ويرفعونه أحياناً إلى ما فوق درجة النبوة والقداصة ، حتى يتحد بملك طاوس ويشترك معه في الألوهية . قاتلهم الله على كفرهم وعنادهم ، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومن هذه الروايات ما ينطبق على أحد شيوخ المسلمين ومتصوفيهـم - الشيخ عدي بن مسافر - والمعروف أن الشيخ عدياً ولد قرب بعلبك في الشام ، ثم رحل إلى الجبال الواقعة شرقي الموصل حيث بنى له زاوية ، وجمع حوله طلبته ومريديه ، فعظمت شهرته وعلا صيته إلى أن توفي سنة ٥٥٥ هـ وقيل سنة ٥٥٧ هـ ، ودفن بزاويته في « الشيخان »<sup>(١)</sup> . وفيه يقول ابن خلكان : سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير ، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها<sup>(٢)</sup> .

على أننا إذا رجعنا إلى الكتب التي خلفها هذا الشيخ المتصوف ، أو التعاليم الدينية التي نشرها تلامذته ، وقابلناها بمعتقدات اليزيدية لم نجد بينها علاقة خاصة تسترعي الانتباه ؛ فشخصية الشيخ عادي وعلاقته بعدي بن مسافر غامضة جداً ، ومع ذلك فإن اليزيدية يقدسون ذكره ويحجون لقبره في الشيخان ، حيث

(١) يقع قضاء الشيخان في العراق - شمال شرقي الموصل - وتتواجد فيه أهم مقدسات اليزيدية ومراكز تجمعاتهم .  
(٢) تاريخ ابن خلكان .

يدور قسم كبير من حياتهم الدينية والقومية<sup>(١)</sup> .

٣ - ومن الشخصيات المقدسة عندهم شخصية منصور الحلاج ،  
والشيخ عبد القادر الجيلاني، والحسن البصري ، والشيخ المنسوب  
إلى الحسن البصري الذي يقوم بخدمة ضريح عادي ، وله الفتوى  
ولا يمضى شيء إلا بعد موافقته. واليزيدية لا يأكلون الخس فهو  
محرم على كل يزيدي ، بل إنهم لا يقربون من الأرض التي يزرع  
بها ، ولا يأكلون لحم الغزال ؛ لزعمهم أن عيونه تشبه عيون  
الشيخ عادي .

٤ - ويقولون إن الصلاة بالقلب وبالسر<sup>(٢)</sup> لذلك لا يحددون مواعيد  
وفرائض للصلاة ، ولم يضعوا لها نظاماً معيناً ، ويحللون شرب  
الخمير<sup>(٣)</sup> .

٥ - ويؤمن اليزيدية بالتناسخ والحلول ، ولهم كتابان مقدسان ؛ أحدهما  
اسمه الجلوة فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب . والثاني اسمه  
مصحف رش أي الكتاب الأسود ؛ وفيه قصة خلق العالم ، وعقائد  
اليزيدية وما حلل لهم وما حرم عليهم ، وإليك بعض ما جاء فيه :  
ولازم على كل يزيدي في كل صباح أن يقوم أمام الرب ، وأن  
يسجد بعض الأوقات قدام ربه لطلوع الشمس ويدعو قائلاً : آمين .

(١) ذيل الملل والنحل : ص ٣٧ .

(٢) أما الصيام فلا يجوز صيام اليزيدي إلا في موطنه ، ولا يصح صيامه في أي مكان آخر  
لأنه ينبغي عليه أن يذهب في صباح يوم صيامه إلى شيخه ليعلن أمامه أنه صائم ، وفي المساء  
يذهب إليه ليتناول الخمر المقدس من يده قبل الإفطار ، وإن أهمل هذا فلا يقبل صيامه  
واعتُبر كافرًا . . . (٣) راجع ذيل الملل والنحل : ص ٣٧ - ٣٨ .

الله يبارك الدين تم يا الله يا دائم، يا غفور، يا موجود ، يا فتاح ،  
يا رافع ، يا مغيث ، يا سائر ، يا أمدين ، يا شمس الدين ،  
يا غفر الدين . يا رب أنت تبارك الدين ، يا ربي على شأنك ،  
على مكانتك ، على سلطانك ، على عظمتك ، أدعو وأسجد ، أنت  
كريمي ، أنت حوامي ، أنت موجود ، أنت معبود . . . ا . ه .

٦ - ولهم أعياد ومواسم كثيرة يقيمون فيها الاحتفالات ؛ وينحرون  
الذبائح ويأكلون ويشربون الخمر ويرقصون ويغنون . . . نذكر  
منها : عيد الخضرا الياس ، في يوم الخميس - الأول من شهر شباط -  
ويصوم بعضهم ثلاثة أيام وبعضهم يوماً واحداً .

وعيد القربان ؛ وهو يقابل عيد الأضحى عند المسلمين ويسبقه  
بيومين ، ويجب على كل يزيدي أن يذبح في هذا اليوم ذبيحة .  
ويحتفلون بليلة القدر ولا ينامون في خلالها بل يظنون ساهرين إلى  
الصباح ، ويتبادلون الولايم ويزعمون أن الملائكة يحضرون تلك  
الليلة من السماء إلى الأرض ، ويشبتون في دفاتر الأرواح من يموت  
في تلك السنة ومن يولد ، ولا ينامون طوال اليوم التالي لهذه الليلة ،  
وإنما كان سهرهم في ليلة القدر إكراماً لملك الموت ، وعدم نومهم  
في اليوم التالي لها إكراماً لملك الشمس .

وكان دينهم يحرم عليهم تلقي العلم ، إلا أن رئيسهم - إسماعيل  
جول - قد ألغى هذا الحكم وأباح لهم دخول المدارس<sup>(١)</sup> . . .

(١) المرجع السابق : ص ٣٩ - ٤٠ باختصار .



الفصل الثالث

الفرق الباطنية



## الفرق الباطنية

### توطئة :

بعد أن منَّ الله تعالى على البشرية برسالة التوحيد وبالإسلام الحنيف؛  
الذي جاء به سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ رحمة للعالمين ، لم يجد  
أعداء الله في أنفسهم إلا الضيق والحنق والكراهية لهذا الدين ودعائه .  
فقد تجمعت بقايا المجوس وطوائف الشرك والإلحاد - لما ظهرت  
الشريعة الإسلامية وقهرتهم دولة الإيمان وملة الإسلام - حيث لم  
يجدوا سبيلاً إلى دفع الإسلام بالسيف ولا بالحجة ، لذلك ستروا ما هم  
فيه من الزندقة والإلحاد ، وأبطنوه بحيل خبيثة تقبلها الأذهان، وتدعن  
لها العقول، وتستهوياً النفوس (١) ...

لقد انتمى كثير من هؤلاء الحاقدين الحاسدين إلى بيت النبوة ،  
وأظهروا محبتهم وموالاتهم - كذياً وبهتاناً - وهم في الباطن من أعظم  
أعداء الإسلام ، وأكبر العتاة الحانقين على بيت الرسول وآله الأطهار ،  
بل وأكبر المخالفين لهم .

لقد كذب هؤلاء الضالون على أكابر المسلمين - ومن بينهم أهل بيت  
(١) لقد كان التصوف المتأخر بعد القرون المفضلة حيلة أخرى لستر إلحادهم ومحاولة لتقويض  
الإسلام بطريق التظاهر بخدمته وصيانته .

الرسول العظيم ﷺ - الجامعين بين العلم والدين ، والمشهورين بالصلاح والتقى ، فقالوا : قال الإمام فلان كذا ، وقال الإمام فلان كذا ... وجذبوا جماعة من العامة الذين لا يفهمون ولا يعقلون ، فتدرجوا معهم بدعوات معروفة، وسياسات شيطانية ، ومازالوا ينقلونهم من رتبة إلى رتبة ومن درجة إلى درجة حتى أخرجوهم إلى الكفر البواح ، والزندقة المحضه، والإلحاد الصراح (١) .

ومع الزمن تم لهم تحقيق الكثير من الأهداف الخبيثة ؛ بعد أن أدخلوا أنفسهم في النسب الشريف العلوي الفاطمي ، وبقيت هذه الدعوات الخبيثة تستشري ويشتد عودها حتى أصابت الإسلام في مقتله . ولا أريد الإطالة في هذا الأمر ، وحسبنا أن نستذكر دعوات الفاطميين والدروز والقرامطة وأضرابهم ، الذين بلغوا في الإلحاد وفي كيد الإسلام ما لم يبلغ إليه أحد من طوائف الكفر وطوابير الضلال والوثنية .

يقول الإمام عبد القاهر البغدادي : اعلموا - أسعدكم الله - أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوى الباطنية - من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا - أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره ، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر . أ . هـ (٢) .

(١) قطر الولي، نقلاً عن ولاية الله : ص ٢٨٣ .

(٢) الفرق بين الفرق : ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

ويقول البغدادي : الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية  
زنادقة ، يقولون بقدوم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها ؛ لميلها إلى  
استباحة كل ما يميل إليه الطبع<sup>(١)</sup> . أ. هـ.

وهكذا - أخي القارىء - يتبين لنا بجلاء خطورة الباطنية الهدامة  
التي دأبت على حرب الإسلام ؛ فقد عملت جاهدة - قديماً وحديثاً -  
للإجهاز على الدعوة الإسلامية، وتكاتفت مع قوى الشر والإلحاد  
واليهودية الماكرة والصليبية الحاقدة وأدواتها المختلفة ، نافثة سمومها  
داخل معازل الإسلام لإخماد جذوة الإيمان والقضاء على دعوة الحق .

والخلاصة ، فإن كثيراً من الفرق الهدامة قد استخدمت فكرة التشيع  
والانتماء إلى بيت المصطفى ﷺ قناعاً تستر به لتحقيق مآربها ، وقد  
ضمت بين صفوفها كل موتور وناثق ودخيل .

وهكذا اتخذ التشيع عشاءً للشعبوية ، فضم لفيهاً من اللقطاء والنبوذيين  
وعبدة الطاغوت ، الذين اتخذوه ملجأً يأوون إليه، وشعاراً ينضوون تحت  
لوائه ، وبذلك استطاعوا أن يصيبوا الإسلام في مقتل . وإن أعمال  
القرامطة والفاطمية والبهائية ومن لف لفهم ليست عنا ببعيد .

وفي الصفحات التالية دراسة وعرض لأهم الفرق الباطنية وضلالاتها ،  
التي يجب معرفتها، ولا يجوز الجهل بها على كل مؤمن بدعوة الإسلام  
الحنيف . وثمة أمر آخر لا يجوز إغفاله هو أنه ينبغي على المصلحين

(١) نفس المصدر : ص ٢٧٨ .

والدعاة والمربين أن يدرسوا بعمق هذه المعاول وغيرها مما نتعرض له في هذا الكتاب ، وهي ليست من المطولات التي يصعب استيعابها ، ولا من المختصرات التي يغلق على المبتدئ فهمها ، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية للراغب في الخير .

## الإسماعيلية

الإسماعيلية: جمعية سرية ثورية - وتسمى بالباطنية - وقد لبثت زهاء قرن ونصف في بث الرعب في قلب الدولة الإسلامية من فارس إلى الشام<sup>(١)</sup> ، واستطاعت حشد جميع البسطاء والدهماء باسم الدين لتحقيق أغراض السياسة ، واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم بأكثر مما اعتمدت على الحرب العلنية . وهؤلاء الإسماعيلية من غلاة الشيعة ، استخرجت مبادئها من تعاليم ميمون بن ديسان وولده عبد الله ، ومن تعاليم القرامطة ودار الحكمة الفاطمية<sup>(٢)</sup> ؛ فهي بذلك طور من أطوار الدعوة الثورية الهدامة التي نظمها ابن ميمون ، وتتمه لها ، وقد ظهرت وبرزت حينما اضمحل أمر الفاطميين في مصر ، وتضاعل نفوذ دار الحكمة والتعاليم الشيعية . وقد ظهر دعواتها أولاً في فارس ؛ وكانت دعوتها الهدامة الملحدة معول هدم ضد الإسلام وتعاليمه ؛

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة : ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) لقد أفردت بحثاً خاصاً عن تعاليم دار الحكمة عندما تعرضت لموضوع الدولة الفاطمية في هذا الكتاب فليراجع .

وقد اعتمدت الحركة الباطنية على أمثال هذه الدعوات لبث سموها وتقويض بنيان الدولة الإسلامية . والذي نظم الحركة الإسماعيلية في طورها الجديد ، ووضع برنامجها الفذ هو الحسن بن علي المعروف بالصباح وأنشأ لهذه الجمعية عدة فروع متفرقة في أنحاء الشام وفارس والعراق . وكان فارسياً من خراسان حر التفكير ، وتعلم مع الشاعر الفيلسوف عمر الخيام ونظام الملك وزير السلطان ملكشاه ، وانقطع لدراسة الكيمياء والفلك وضرب السحر والخفاء ، التي كانت في عصره سلاحاً ذاتاً يشهره الأذكياء والأدعياء على البسطاء والعامّة ، ثم اتصل بصديقه نظام الملك فألحقه بخدمة السلطان ملكشاه ، وسما شأنه وكثر ماله . غير أنه حاول - بالدس والخيانة - أن يوقع بصديقه المحسن إليه ، فسخط عليه نظام الملك واتهمه بالإلحاد وبث الدعوة الإسماعيلية ، ففر ناجياً بنفسه وتجول بالأقطار ونزل مصر ، وأحسن خليفة مصر الفاطمي المستنصر وفادته ، وأمره بدعاء الناس إلى إمامته ، واتصل بأساتذة دار الحكمة وتفقه في تعاليمهم ، ثم عاد إلى الشام ونظم طائفته الجديدة ، وطاف بالعراق والجزيرة وفارس يبث تعاليمه ويدعو بإمامة إسماعيل وبنيه من آل البيت . وأما مذهبه الفلسفي الذي أقاموا عليه دعوتهم بقيادة الحسن الصباح ؛ ومن ذلك القول بوجوب الدعوة إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان ، وتميز الفرقة الناجية من سائر الفرق بأن لها إماماً وليس لغيرهم إمام . ويقول في معرفة الله بضرورة استعمال العقل ، والنظر إلى جانب تعاليم المعلم الصادق ، وأن الناس في ذلك فرقان ؛

قالت الأولى بوجوب الاستعانة في معرفة الله بالمعلم الصادق ، ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه ، فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين . وقال : بالاحتياج عرفنا الإمام ، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج ، كما بالجواز عرفنا الوجوب أو واجب الوجود ، وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات . ثم يقول الحسن الصباح : إن في العالم حقاً وباطلاً ؛ وإن علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة ؛ وإن الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي ؛ والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الإمام ، والرأي مع الفرق المختلفة وهذه مع رؤسائها . وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه ، والتمييز بينهما من وجه التضاد في الطرفين والتريث في أحد الطرفين ميزاناً يزن جميع ما يتكلم فيه ، ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات . وطريقته أن يرجع في كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم . وإن التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً ، وإن النبوة هي النبوة والإمامة معاً حتى تكون نبوة . ولم يتعد في مسألة الألوهية قوله : إن إلهنا إله محمد عليه الصلاة والسلام . وقد منع الحسن العامة من الخوض في العلوم - وكذلك الخاصة - وعن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من استطاع منهم فهمها وتحديدها .

ويحمل العلامة الغزالي في رسالته - فضائح الباطنية - على مبادئ الإسماعيلية، ويقول : إن مذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض . ويلخص مبادئهم بقوله : والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب ،



واستباحة المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع ، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نُسب إليهم<sup>(١)</sup> .

هذا هو ملخص آراء الحسن الصباح في المسائل التي اشتغل جميع الدعاة الملاحدة وخصوم الأديان المنزلة والنظم المفروضة في جميع العصور بتحليلها وتعليلها . وقد اختار مثل إمامه وسلفه ابن ميمون أن يتستر بالدعوة الشيعية ، وأن يؤثر إمامة الإسماعيلية لانتشار فلولهم وجموعهم في جميع الأقطار ، ولا سيما فارس التي اختارها مركزاً رئيسياً لفرقتة ، إلا أنه التجأ في التنفيذ إلى القوة المادية على مثل هائل لم يحلم به أحد من أسلافه ؛ وقد اتبع الحسن الصباح مثل دار الحكمة في مراتب جمعيته ، غير أنه جعلها سبعا بدلاً من تسع .

إن كبار الدعاة ومن يلحق بهم من المتقدمين في المراتب كانوا يلمون بشيء من أسرار الطائفة ، ويعلمون أن الدين لم يكن إلا وسيلة ، وأنه أمر باطل، ولا يؤمنون بشيء من تعاليمه ، ويعتقدون أن كل الوسائل مشروعة لبلوغ المآرب الدنيوية التي يعنون بها دون سواها . كان شعارهم: لا حقيقة في هذا الوجود وكل أمر مباح . وكان هذا أساس نظريتهم السرية التي لم يتلقاها إلا أفراد معدودون منهم ، يخفونها بمنتهى الحذر تحت حجاب الإيمان العميق والورع الفياض ، تأكيداً لاستعباد الأذهان المؤمنة الساذجة ، وتوجيهها طوع أهوائها واستخدامها في تحقيق الغاية الأخيرة والجمهورية ؛ وهي تحقيق الرياسة لبضعة أفراد تضطرم جوانحهم بشهوة السلطان والملك .

(١) راجع فضائح الباطنية .

وكانت الوسيلة العملية التي اختارها الإسماعيلية - لتحقيق غايتهم ومحاربة خصومهم - هي الاغتيال المنظم ، والامتناع بسلسلة من القلاع الحصينة الشاهقة تمتد من فارس إلى الشام ، وقد انقرض الإسماعيلية كطائفة ثورية سرية ، ولم يبق منهم الآن إلا اشراذم صغيرة في فارس وعلى سواحل الهند وفي الشام ، في حماه وحلب ودمشق ، ويوصفون بالنشاط وكرم الأخلاق ، وتوصف نساؤهم بالحسن ، ويعملون بالزراعة والتجارة ولم يبق لهم أي نفوذ سياسي أو غيره ، ولم ينسب إليهم أي عمل من الاغتيالات كأسلافهم ، غير أنهم لا زالوا يكتمون مبادئهم ويحرصون على إجراء شعائرهم في الخفاء .

### بعض مبادئ الإسماعيلية

ومن أهم مبادئهم التي قامت عليها دعوتهم ؛ إيمانهم بأن للعقيدة باطناً وظاهراً ، وأن الشخص الذي يدرك كنه الباطن ويتبعه لا يستحق العقاب . وقد أدى بهم هذا الرأي إلى تأويل أحكام الشريعة ؛ فجعلوا لكل نوع من أنواع العبادة باطناً ، مما جعل الناس يطلقون عليهم اسم الباطنية . ومن الثابت أن نشاط الباطنية الهدامة أخذ يمتد إلى بلاد الشام منذ بداية القرن الثاني عشر . وينقسم دورهم الذي كان في عهد الصليبيين إلى قسمين :

- ١ - مقاومة المذهب السني والعمل على الفتك بزعمائه .
- ٢ - مقاومة الصليبيين وقتل بعض زعمائهم .

ولم يفرق الإسماعيليون خلال كل ذلك بين المسلمين السنيين والصليبيين النصارى ، وإنما اهتموا بتحقيق أهدافهم على حساب الفريقين جميعاً ، وفي سبيل هذه المصلحة لم يتحرج زعمائهم من مخالفة الصليبيين حيناً ومهادنة السنيين أحياناً ، وهكذا أدى اتساع نشاط الباطنية في بلاد الشام خاصة إلى إضافة عامل جديد قوي إلى عوامل التفكك التي تعرضت لها البلاد في عصر الحروب الصليبية .

ذلك أنه في الوقت الذي كان المسلمون فيه في حالة دفاع ضد الصليبيين إذا بهم يتعرضون لطعنات قوية من الخلف - من جانب الباطنية - مما أضعف المسلمين وأحدث ثغرة قوية في جبهتهم ، في حين تماسك الصليبيون وتكاتفوا ضد المسلمين . وحسبنا ما فعله الباطنية في حصن شيزر سنة ١١٠٩م إذ ثار جماعة من الباطنية فيه على حين غفلة من أهله ... فملكوه وأخرجوا من كان فيه ... وانتزعوه من أصحابه بني منقذ<sup>(١)</sup> .

وكانت أعمالهم في الفتك والقتل والمؤامرات كثيرة ، وقد قتلوا كثيراً من زعماء المسلمين ؛ من بينهم : نظام الملك وغيره ، حتى إن صلاح الدين رضي الله عنه حاولوا قتله واغتياه ولكن الله سلم . وهكذا ظلت الإسماعيلية مصدر خطر للانحلال السياسي والاجتماعي في بلاد الشام مدة الحروب الصليبية<sup>(٢)</sup> .

(١) أسامة بن منقذ « الاعتبار » : ص ٧٧ نقلاً عن الحركة الصليبية : ج ١ .

(٢) الحركة الصليبية : ج ١ . سعيد عبد الفتاح عاشور .

وتعتبر الحركة الإسماعيلية من النكبات التي أملت بالإسلام ؛ لما تم على يد أتباعها من تشويه لحقيقة الإسلام، وإعطاء صورة بشعة عنه أمام العالم ، مما سهل الدعاية اليهودية في العالم للنيل من الإسلام العظيم . وتاريخ إمام الطائفة آغا خان الثالث . ١٨٧٧ - ١٩٥٧ برهان على خطر الحركة الإسماعيلية وكفرها وبعدها عن الإسلام . لقد كان آغا خان أسوأ مثل على الإنسان العادي ، بله الإمام الذي يفترض فيه استقامة الخلق والإيمان والصلاح ؛ وحياة آغا خان وقصص غرامياته وزوجاته وفسقه ، ووزنه تارة بالذهب، وبالملاس تارة أخرى ، كانت مادة دسمة لصحافة العالم اليهودية طوال نصف قرن . وأتباع آغا خان يشاركونه المسؤولية في تشويه وجه الإسلام الصحيح ؛ فقد كانوا يؤلهونه ويعتقدون أن الخمر التي تدخل في جوفه تتحول إلى ماء زمزم . وحين سئل آغا خان مرة من قبل صديق له : كيف يسمع - وهو المثقف - لأتباعه أن يؤلهوه ؟ . فهقه طويلا حتى دمعت عيناه، وقال : إن القوم في الهند يعبدون البقرة ، ألسن خيراً من البقرة ؟ ! (١) .

---

(١) راجع جلور البلاء للمرحوم عبد الله التل .

## القرامطة

للقرامطة عدة ألقاب يعرفون بها ، ومن هذه التسميات : الإسماعيلية والباطنية والخرمية والبابكية والحمرة والسبعية والتعليمية والحشاشين . الخ وهذه بعض أسباب تسمياتهم<sup>(١)</sup> .

سبب تسميتهم بالإسماعيلية : انتسب هؤلاء إلى إسماعيل بن جعفر . وذكر الغزالي في فضائح الباطنية أن سبب هذه التسمية نسبة لهم إشارة إلى أن زعيمهم هو محمد بن إسماعيل بن جعفر . كما ذكر ذلك الإمام ابن الجوزي .

وسبب تسميتهم بالباطنية : أنهم ادّعوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن ، تجري مجرى اللب من القشر ، وأنها توهم الأغبياء صوراً ، وتفهم الفطناء رموزاً وإشارات إلى حقائق خفية<sup>(٢)</sup> . وأن من تقاعد عن الغوص على الخفايا والبواطن متعشراً ، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه . واستشهد بقوله تعالى :

( وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ )<sup>(٣)</sup> .

قالوا : والجهال هم المرادون بقوله تعالى :

( فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ )<sup>(٤)</sup> .

(١) رسالة القرامطة لابن الجوزي بتصرف : ص ٣٥ وما بعدها .

(٢) ومن الذين قالوا بأن للقرآن معان باطنة وظاهرة الشيعة ، والاسماعيلية ، والدروز ، والفاطمية والصوفية ، والبهائية ، والقاديانية ، وغيرها من الفرق التي تلتقي في روافد الدعوة الباطنية .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٧ . (٤) سورة الحديد : ١٣ .

وغيرهم فيما وضعوا من ذلك لإبطال الشرائع ، لأنهم إذا صرفوا العقائد عن موجب الظاهر تحكّموا بدعوى الباطن على ما يوجب الانسلاخ من الدين .

وسبب تسميتهم بالقرامطة فيه أقوال عديدة، منها :

- ١ - إنهم سُمّوا بذلك لأن أول من استزلهم وملك المحبة هو : محمد بن الوراق والمقرمط وكان كوفياً .
- ٢ - إن لهم رئيساً من السواد - سواد العراق وقراه - من الأنباط يلقب بقرموطيه فنسبوا إليه .
- ٣ - إن قرمطا كان غلاماً لإسماعيل بن جعفر فنسبوا إليه لأنه أحدث لهم مقالاتهم .
- ٤ - إن بعض دعواتهم نزل برجل يقال له كرمية فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث ، ثم أدخله في مذهبه .
- ٥ - إنهم لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى رجل من دعواتهم يقال له محمد بن قرمط .

أما سبب تسميتهم بالخرمية<sup>(١)</sup> : أن خرم لفظ أعجمي ينبىء عن شيء يستلذ به ويشتهي الإنسان ؛ وكان هذا لقباً لمشابهتهم للمزدكية ؛ وهم أهل الإباحة من المجوس ، أباحوا المحظورات فلقبوا بذلك لمشابهتهم

(١) الخرمية فرقة تفاقم وضعها زمن المعتصم ، ومن مبادئها : تأليه البشر والقول بالرجعة والتناسخ والحلول والنور والظلمة وإباحة النساء واستمرار الوحي وتعظيم أبي مسلم ، وقصدتهم إعادة الملك من المسلمين والعرب إلى الفرس والمجوس .

إياهم في اعتقادهم ومذهبهم .

وسبب تسميتهم بالبابكية : هو أن طائفة منهم اتبعوا بابك الخرمي ؛  
الذي خرج في ناحية أذربيجان في أيام المعتصم ؛ فاستحل المحرمات . وقد  
اشتدت وطأة البابكية على المسلمين حتى ألقى القبض على بابك وقتل .

## مجمل مذهب القرامطة

١ - واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر ، ومفتتحه  
حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون  
مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله  
تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولا بد في كل زمان من إمام معصوم  
يرجع إليه ... هذا مبدأ دعوتهم ... وأن غاية مقصدهم نقض الشرائع ؛  
لأن سبيل دعوتهم ليس متعيناً في واحد ، بل يخاطبون كل فريق بما  
يوافق رأيهم لأن غرضهم الاستتباع .

٢ - ومعتقدهم في الإلهيات : قولهم بإلهين قديمين لا أول لوجودهما  
من حيث الزمان ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني . وأسم العلة السابق ،  
واسم المعلول التالي . وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه .

٣ - ومذهبهم بالنبوات قريب من مذهب الفلاسفة ؛ وهو أن النبي  
عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ،  
وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص . وأن القرآن

هو تعبير محمد ﷺ عن المعارف التي فاضت عليه من العقل ، فسمي  
كلام الله مجازاً لأنه مركب من جهته ... وهذه القوة الفائضة على النبي  
ﷺ لا تفيض عليه في أول أمره ، وإنما تترى كنطفة<sup>(١)</sup> .

٤ - ومذهبهم في الإمامة : أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم  
قائم بالحق ، يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكال في القرآن  
والأخبار ، وأنه يساوي النبي في العصمة ، ولا بد للإمام من اثني عشر  
حجة ؛ أربعة منهم لا يفارقونه .

٥ - ومعتقدهم في القيامة والمعاد : كلهم أنكروا القيامة ، وقالوا بهذا  
النظام ، وتعاقب الليل والنهار ، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبداً .  
وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر  
ولا الجنة ولا النار . ومعنى المعاد عندهم ؛ عود كل شيء إلى أصله .  
وأكثر مذاهبهم توافق الثنوية والفلاسفة في الباطن ، والروافض في  
الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات الظاهرة التقرب من نفوس الناس  
حتى تبطل الرغبة والرغبة .

٦ - أما اعتقادهم في التكاليف الشرعية : فهو استباحة المحظورات  
ورفع الحجر - الحجاب - وغرضهم هدم قوانين الشرع<sup>(٢)</sup> ... ولهم  
تأويلات كثيرة ورموز غاية في البعد عن الحقيقة ، وما ذلك إلا لزيادة  
التشويه واللعب بحقول الناس .

(١) التي لا تستكمل نموها إلا بعد تسعة شهور . انظر فضائح الباطنية . ورسالة القرامطة : ٣٨ .

(٢) رسالة القرامطة ، تحقيق محمد الصباغ : ص ٥٧ - ٦٣ . بتصرف .



قال ابن الجوزي<sup>(١)</sup> : وفي سنة ٢٧٨ هـ تحركت القرامطة ؛ وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس ، الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك - وكانا يبيحان المحرمات - ثم إنهم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل . وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم ، لأنهم أقل الناس عقولاً . ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق . ويقال لهم القرامطة ؛ قيل نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار . وقيل : إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة ، ثم اتخذ نقباء اثني عشر ، وأسس لاتباعه دعوة إلى إمام من أهل البيت . ويقال لهم الباطنية ؛ لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض . والخرمية<sup>(٢)</sup> والبابكية ، نسبة إلى بابك الخرمي ؛ الذي ظهر في أيام المعتصم وقتل . وكذلك يقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً ، مضاهاة لبني العباس ومخالفة لهم ، لأن بني العباس يلبسون السواد ، ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم وترك الرأي ومقتضى العقل . ويقال السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتميزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون - لعنهم الله .

ثم قال ابن الجوزي : وقد بقي من البابكية جماعة يقال إنهم يجتمعون في كل سنة هم ونسأؤهم ، ثم يطفثون المصباح وينتهبون

(١) البداية والنهاية : ج ١١ . ص ٦١ . (٢) البداية والنهاية : ج ١١ . ص ١٦٠ .

النساء ، فمن وقعت يده في امرأة حلت له ، ويقولون : هذا اصطيد مباح . لعنهم الله .

يقول صاحب البداية والنهاية<sup>(١)</sup> : إن هذه الطائفة تحركت سنة ٣١٧ هـ . واستفحل خطرهما حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام ، فسفكوا دم الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة ، وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه وذهبوا به إلى بلادهم سنة ٣١٧ هـ . ولم يزل عندهم إلى سنة ٣٣٩ هـ حيث مكث غائباً عن موضعه من البيت اثنتين وعشرين سنة . فإننا لله وإننا إليه راجعون . . . وكل ذلك من ضعف الخليفة وتشنت المسلمين .

## ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم

خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي ، فوصلوا إلى مكة سالمين ، وتوافت الركوب هنا من كل مكان وجانب وفج ، حيث تجمع الحجيج فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعة يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم ؛ فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً . وجلس أميرهم أبو الظاهر - لعنه الله - على باب الكعبة ؛ والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في رقاب الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ١١ . ص ٦٣ .

يوم التروية ؛ الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول : أنا الله وبالله أنا . أنا  
أخلق الخلق وأفنيهم أنا . فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار  
الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً ، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون  
فيقتلون في الطواف .

فلما قضى القرمطي أمره - لعنه الله - وفعل ما فعل بالحجيج من  
الأفاعيل القبيحة أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ، ودفن كثير منهم  
في أماكنهم من الحرم الشريف وفي المسجد الحرام<sup>(١)</sup> . وحبذا تلك القتلة  
وتلك الفجيعة وذلك المدفن والمكان ، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفّنوا  
ولم يصلّ عليهم ؛ لأنهم محرمون شهيدك في نفس الوقت . وهدم قبة  
زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها ، وشقّفها بين أصحابه، وأمر  
رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه ، فسقط على أم رأسه فمات  
إلى النار ، فعند ذلك انكفّ الحديث عن الميزاب ، ثم أمر بأن يقلع  
الحجر الأسود ، فجاء رجل فضربه بمثقل في يده وقال : أين الطير  
الآبائيل ؟ ! . أين الحجارة من سجيل ؟ ! . ثم قلع الحجر الأسود  
وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم ، فمكث عندهم اثنتين وعشرين  
سنة حتى ردّوه في سنة ٥٣٣٩ هـ . فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(١) البداية والنهاية : ج ١١ . ص ١٦٠ .

## الفاطميون

كان أول خلفائهم المهدي - وكان من بلدة سلمية ويدعى عبید ، حيث كان يعمل حداداً - وكان يهودياً دخل بلاد المغرب وتسمى بعبید الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه: انه المهدي . وقد ذكر ذلك كثير من العلماء<sup>(١)</sup> .

قال ابن خلكان في الوفيات : وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً ؛ فقال صاحب تاريخ القيروان : هو عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . وقال غيره<sup>(٢)</sup> : هو عبید الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي بن أحمد بن الرضي وهو عبد الله هذا ، وهو ابن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق . وقيل غير ذلك في نسبه . قال ابن خلكان : والمحققون ينكرون دعواه في النسب .

قال ابن كثير : قد كتب غير واحد من الأئمة ؛ منهم الشيخ أبو حامد الاسفراييني والقاضي الباقلاني، والقُدوري : أن هؤلاء أدياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمون ، وأن والد عبید الله المهدي هذا كان يهودياً صياًغاً بسلمية ، وقيل كان اسمه سعد ، وإنما لقب بعبید الله زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح ؛ وسمي القدّاح لأنه كان كحالاً يقده العيون ، وكان الذي وطأ له الأمر في تلك

---

(١) انظر البداية والنهاية : ج ١٢ . ص ٢٦٧ . (٢) البداية والنهاية : ج ١١ . ص ١٨٠ .

البلاد أبو عبد الله الشيعي ، الذي استدعاه إلى بلاد المغرب وقد سجن ،  
إلا أن أبا عبد الله الشيعي احتال له وأخرجه من السجن ، وبعد ذلك  
سلم أبو عبد الله الشيعي الأمر لعبيد الله المهدي ، الذي دبر مؤامرة قتل  
أبي عبد الله الشيعي ، وبذلك تم للمهدي ما أراد<sup>(١)</sup> .

وفي المغرب اشتهر أمره وآزره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة  
وصولاً ، وبعد ذلك بنى مدينة المهديّة نسبة إليه ، وأصبح ملكاً مطاعاً  
يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض ، وكان الفاطميون أنجس  
الملوك سيرة وأخبثهم سريرة ، وقد ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات  
والموالد والخزعبلات ، كما كثر أهل الفساد وقلّ عندهم الصالحون من  
العلماء والعباد . كذلك كثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية  
وتغلب القرنجة على سواحل الشام بكامله لعدم عنايتهم بأمر الدين  
والأمة ، وهذا حال الأدعياء والعجزة ، لا يهمهم سوى لذاتهم ومطامعهم  
وتنفيذ مآربهم .

قال أبو شامة وقد أفردت كتاباً سمّيته « كشف ما كان عليه بنو  
عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد »<sup>(٢)</sup> .

ويبدو للدارس والمتتبع لتاريخ الفاطمية أنهم كانوا متناقضين في  
مواقفهم ، وآرائهم وعقيدتهم ، حتى إنهم كانوا يشعرون بالغبطة  
والسرور والسعادة إذا ما أَلَمَّتْ بالمسلمين كارثة أو تعرضوا لغزو ، سيما

(١) المصدر السابق : ج ١١ . ص ١٨٠ .

(٢) البداية والنهاية : ج ١٢ . ص ٢٦٨ .

موقفهم من الغزو الصليبي وكيف عقدوا معاهدة بينهم ، وبشكل كان السرور يغمرهم عندما انهار نفوذ الأتراك السلاجقة أمام زحف الصليبية الحاقدة على الإسلام ، ولم يقوموا بقائمة وكان الأمر لم يهمهم .

## الفاطميون وبيت المقدس

جاء في كتاب الحركة الصليبية<sup>(١)</sup> : يعجب المؤرخ أبو المحاسن من موقف الفاطميين ، وعدم مشاركتهم القوى الإسلامية التي نهضت للدفاع عن أنطاكية ضد الصليبيين ، فيقول : ولم ينهض الأفضل - وكان وزيراً له شأنه - بإخراج عساكر مصر ، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجهم مع قدرته على المال والرجال<sup>(٢)</sup> ؟ ! .

ثم يسترسل أبو المحاسن في وصف سوء حال الصليبيين عندما زحفوا على الشام ، وكيف أن المسلمين في العراق والشام حاولوا صدّه ، كل ذلك وعساكر مصر لم تتهباً للخروج .

ويقول أيضاً<sup>(٣)</sup> : إن الفاطميين لم يروا في الانتصارات التي أحرزها الصليبيون - في ضورليوم وأنطاكية - كارثة عامة حلت بالمسلمين ، وإنما وجلوا فيها أمنية عزيزة ، هي تخليص الشرق الأدنى من سيطرة

(١) الحركة الصليبية : ج ٢ . ص ٢٦٨ .

(٢) أبو المحاسن - النجوم الزاهرة : ج ٥ . ص ١٤٧ .

(٣) الحركة الصليبية : ج ١ . ص ٢٣٦ .

الأتراك السنيين ، الذين سادوا قرابة نصف قرن من الزمان ، استشاروا فيها كراهية العرب المسلمين جميعاً الشيعة والسنة سواءً .

## تعاليم دارالحكمة

جاء في كتاب تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ما يلي :

بيد أن الذي يهم أن نسجله من سيرة الحاكم<sup>(١)</sup> هو استثنائه للدعوة السرية الفاطمية ، ونشاطه في إذاعتها بطريقة فعالة منظمة ، لم يفكر فيها أحد من قبله ؛ ذلك أنه أنشأ في القاهرة معهداً خاصاً لبث تعاليم الدعوة الشيعية ، وكان هذا المعهد الفذ الذي سمي دار الحكمة مدرسة عامة يفتح بابها لكل طالب ، والتعليم فيها على نفقة الدولة . وكانت تعاليمها الدينية - التي اشتقت من مبادئ عبد الله بن ميمون - تسع مراتب ، أي بزيادة مرتبتين على جمعية ابن ميمون السرية ، ويقسم الطلاب فيها إلى قسمين كبيرين : العالم والجاهل . ويعتبر الدعاة من تلاميذ القسم الأول . ويبدأ الدعاة بمناقشة الطالب في المسائل الدينية وتفسير القرآن ، ويعلمونه أن مسائل الدين أمور شديدة التعقيد ، تنبو عن الذهن العادي ، ولا يستطيع فهمها إلا رجال كالدعاة تبجروا في درسها ، ويأخذون عليه العهود بالأ يذيع شيئاً من النظريات والشروح ، وهذه هي المرتبة الأولى .

(١) أفردت بحثاً موجزاً عن حياة الحاكم - بأمر نفسه - في موضوع الدروز لعلاقته المباشرة بعقائدهم وأفكارهم . فليراجع هناك .

وفي المرتبة الثانية : يعلم الطالب أن كل التفسير والأحكام التي قال بها المجتهدون السابقون خاطئة باطلة ، وأن الأحكام الصحيحة هي التي يقول بها الأئمة الذين تلقوا من الله .

وفي الثالثة : أن هؤلاء هم الأئمة الإسماعيلية وهم سبعة ، وأن آخرهم محمد بن إسماعيل .

وفي الرابعة : أن الأنبياء الذين تقدموا آل البيت سبعة أيضاً هم : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، والمسيح ، ومحمد - النبي العربي - ثم محمد بن إسماعيل .

وفي الخامسة : يبدأ الدعاة بتنفيذ مهمتهم الحقيقية ؛ وهي هدم العقيدة الدينية ، يعلمون الطالب ألا يؤمن بالسنة ، وأن يرفض تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي السادسة : أن كل الأديان وما أمرت به من الفروض ، كالصوم والصلاة وغيرها ، إن هي إلا أكاذيب وحيل ابتكرت لإخضاع المجتمعات البشرية ، وأن جميع الشرائع لابد أن تخضع لشرعية العقل والعلم ، ويدللون على أقوالهم بنظريات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وأمثالهم .

وفي السابعة : يلقن تعاليم الشنوية وبذلك تهدم وحدة الإله ؛ وهي فكرة الإسلام الجوهرية .

وفي الثامنة : تنقض كل صفات الألوهية والنبوة ، ويعلم الطالب



أن الرسل الحقيقيين هم رسل العمل الذين يعنون بالشؤون الدنيوية ؛  
كالنظم السياسية وإنشاء الحكومات المثل . .

وفي التاسعة والأخيرة : يدخل إلى حظيرة الأسرار ؛ ويعلم أن كل التعاليم  
الدينية أوهام محضة ، وأنه يجب ألا يتبع إلا ما هو لازم لحفظ النظام  
بين الدهماء والعامّة ، ولكن الرجل المستنير له أن يرفضها جميعاً .  
وأن إبراهيم ، وموسى ، والمسيح وغيرهم من الأنبياء ليسوا إلا رجلاً  
مستنيرين تفقهوا في المسائل الفلسفية . وهكذا يهدم كل اعتقاد في الأديان  
المنزلة . فكانت المراتب الأخيرة تستعمل لنقض المراتب الأولى . وقد كان  
التكتم في الواقع عماد الدراسة في دار الحكمة . وكان الدعاة يتحدثون  
أمام كل طائفة بما يرضيها ويتفق مع عقليتها وتعاليمها .

هكذا كان نظام الجمعية السرية التي نظمها الشيعة ، لتقويض دعائم  
بني العباس وما تستند إليه من أسس دينية ، وهدم كل المعتقدات  
الدينية من الأساس ، وهو النظام الذي اتخذ فيما بعد أنموذجاً لإنشاء  
« الشعلة البافارية » في القرن ١٨ م الذي يصوره المستشرق فون هامارا  
في كتابه عن الإسماعيلية فيما يلي : -

[ ألا يعتقد في شيء ، وأن يقدم على كل شيء ؛ هما خلاصة هذا المبدأ ،  
الذي قصد بالهدم كل مبدأ للدين والأخلاق ، ولم يك يرمي إلا إلى  
تنفيذ المآرب والأطماع على يد وزرائهم - خير آلات لسياسة جهنمية -  
يقدمون على كل شيء ولا يعرفون شيئاً ، يعتبرون كل شيء خدعة وكل

شيء مباحاً . نظام لا يعمل إلا لإطفاء شهوة التغلب ولا يخمد أوارها ؛  
بدلاً من أن يعمل على تحقيق أمثل الغايات البشرية ، وينحدر إلى الهاوية  
فيقبر بين العروش والهيكل وأنقاض السعادة القومية ولعنات الإنسانية  
بأسرها [ (١) ] .

وتاريخ الفاطميين يشير بلا ريب إلى أثر اليهود التوراتي التلمودي  
في تعاليمهم وسلوكهم وتأليه ملوكهم ؛ كما حدث للحاكم بأمر الله  
الذي ادعى الربوبية ، وصار قوم من أتباعه يقولون : يا واحدنا يا أحدنا  
يا محيي يا مميت (٢) ...

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة بتصرف : ص ٣٠ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ط الهندية ١٣٥٨ هـ : ج ٧ ص ٢٩٨ .

## الدروز

### توطئة :

قبل أن أشرح عقائد الدروز وحقيقتهم ، أرى أن أقدم فكرة موجزة عن حياتهم وأصلهم ، لأن الناس يذهبون في هذه الطائفة مذاهب شتى ، بينما قل أن نجد من يعرف شيئاً عن تاريخهم وحقيقة عقائدهم .

وربما يرجع جهل الناس عنهم إلى أن الدروز أنفسهم يحتفظون بعقائدهم الدينية في سرية تامة وكتمان شديد ، فلا يبيحون بأسرارهم الدينية إلى غيرهم بل ربما غالوا هم أنفسهم في ذلك ، فلا يسمحون بالإدلاء بكل أسرارهم إلا لطبقة خاصة في مجتمعهم ، حيث إنهم يخلقون هذا الباب أمام عامة الناس .

ومنذ زمن بعيد<sup>(١)</sup> - عندما ظهرت هذه الطائفة على مسرح التاريخ كطائفة متميزة مغلقة على نفسها - والعالم متطلع إلى كشف الستار عنها ومعرفة أسرارها وفلسفة مذاهبها ، ولقد تسربت بعض كتبهم إلى خارج مجتمعهم الدرزي ، واستطاعت بعض مكاتب الدول أن تقتني بعض نسخ من هذه الكتب المقدسة السرية ، وترجمت هذه الكتب إلى لغات أوروبية ، ودرسها بعض العلماء من الغرب وأبناء الأمة العربية .

وما يؤسف له أن هؤلاء الدارسين من العلماء لهذه الكتب ، لم

(١) هذه المعلومات وما بعدها مستقاة من كتاب طائفة الدروز : ص ٥ .

يستطيعوا أن يلموا إلماماً تاماً بمدلول المصطلحات التي زحرت بها كتب العقيدة الدرزية ، ولن يتسنى ذلك إلا لمن كان على معرفة بالغازهم ورموزهم ؛ والتي لم يفهمها إلا شيوخهم والذين لديهم مفتاح الأسرار وعلم الباطن ، وتأويل الباطنية على طريقة دعوة الفاطمية .

وعلى الذين يريدون دراسة الدروز وبحث ما يتعلق بعقائدهم أن يلموا بعقائد الفاطمية وتطورها من عصر إلى عصر ومن بلد إلى بلد ، وأن يعرفوا حق المعرفة مصطلحات الدعوة الفاطمية ، لأنها هي العقائد والمصطلحات التي أخذها دعاة العقيدة الدرزية وبنوا عليها عقيدتهم ومصطلحاتهم .

وربما بلغ بي الغلو في القول إلى أن شيوخ الدروز أنفسهم ، ربما وجدوا مشقة في فهم فلسفة مذهبهم ومدلول مصطلحاتهم ، إلا ما كان متوارثاً ونقله الخلف عن السلف بالتواتر ، ومع هذا فإن هذا الطريق كثيراً ما كان مشوباً بكثير من التحريف ، ومن تسرب آراء دخيلة عن طريق مخالطة أصحاب عقائد أخرى ، بالرغم من شدة محافظتهم على عقائدهم وكتمانها وما يحيط بها من غموض ، حتى إن كثيراً من الشخصيات الدرزية المثقفة لا يعرفون شيئاً عن عقيدتهم ؛ وقد صرح فريق من هؤلاء بذلك<sup>(١)</sup> .

---

(١) نفس المصدر : ص ٥ - ٦ .

## لمحة عن أصل الدرّوز وتاريخهم

في منطقة محافظة السويداء بسوريا ، حيث جبل حوران الذي يعرف بجبل العرب أو الدرّوز<sup>(١)</sup> ، نجد منطقة واسعة تشتمل على أكثر من ثلاث وسبعين قرية ، وفيها يعيش قوم عيشة متواضعة يعملون في الزراعة أو الرعي ، ويدينون بالطاعة التامة لشيوخ قبائلهم ، وفي المناطق الواسعة يسكن بنو الأطرش وبنو عساف والحناوية والقلاعنة والهنيدية وغيرهم ، وأكثر سكان هذه المنطقة على المذهب الدرزي .

وفي لبنان في القسم الجبلي المعروف - من الشويفات إلى دير القمر - يسود آل أرسلان ، وفي القسم الغربي الأعلى - من دير القمر إلى عاليه ونهر الغابون - نجد آل تلحوق ، وتتوزع قبائل آل النكدي وبنو عبد الملك وبنو عماد وكذلك الجانبلاطية في مناطق الشوف وغيرها من مناطق لبنان .

وفي فلسطين العربية - عند جبل الكرمل وصفد - تسكن قبائل عربية مختلفة تتمذهب بالعقيدة الدرزية .

وكذلك نجد طائفة من الدرّوز يسكنون الجبل الأعلى - بين حلب وأنطاكية - ونجد أيضاً في بلاد المغرب بالقرب من مدينة تلمسان قبيلة تعرف ببني عبس تدين بالعقيدة الدرزية دون أن يعرف جيرانهم حقيقة مذهبهم .

(١) المصدر السابق نفسه .

يذهب الكتاب والمؤرخون في أصل هذه الطائفة مذاهب شتى ؛ ففي القرن الثاني عشر للهجرة زار الرحالة اليهودي « بنيامين » إقليم لبنان ووصف المجتمع الدرزي ؛ فذهب إلى ان الدروز سلالة قبائل عربية أنزلها الامبراطور « بمبي » لبنان حوالي سنة ٦٤ ق.م ، ثم اختلطت هذه العناصر بعناصر آرامية .

وجاء الشاعر الفرنسي الشهير « لامارتين » وتحدث عن رحلته هذه بأسلوبه الشعري الممتع، وقال عن الدروز: إنهم سلالة السامريين القدماء . أما الكاتب « لوشان » فقد ذهب إلى أن الدروز والموارنة، والنصيرية، والعلويين، واليزيديين، والأرمن كلهم من أصل واحد ؛ وهم بقايا الحثيين القدماء .

وقال آخرون : إن الدروز مزيج من عناصر مختلفة من عرب وفرس وهنود ... وهناك آراء كثيرة حول أصل هذه الطائفة ، ومنها ما يرجح عروبتهم .

إن المؤرخين جميعاً على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم يجمعون على أن العقيدة الدرزية أول ما ظهرت في بلاد الشام ، إنما ظهرت في المنطقة المعروفة بوادي التيم - بين دمشق وبانياس - وكان ذلك في سنة ٤٠٨ هـ ، وقد سمي هذا الوادي بذلك الاسم نسبة إلى قبائل تنتسب إلى تيم الله ابن ثعلبة ؛ وهي قبائل يمنية الأصل هاجرت من جزيرة العرب في الجاهلية وسكنوا الفرات ، وكان منهم ملوك المناذرة بالحيرة .

وفي عهد الفتح الإسلامي أسهم بعضهم في فتح الشام ، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان قاموا بنصره وحاربوا معه في معركة صفين ، حيث جعلهم معاوية سادة في المناطق التي حلوا فيها من بلاد الشام ، كما شاركوا في حرب الروم إبان الحكم الأموي ، وعند ظهور حركة العباسيين انضموا لدعوتهم واشتركوا في معركة الزاب ضد مروان بن محمد ، وبذلك أصبحت لهم يد عند العباسيين ، وأقروهم على ما بيدهم من إمارات ، وتوثقت صلاتهم بالحكام العباسيين ، واستمر هذا الحال إلى أن قامت جيوش المعز لدين الله الفاطمي سنة ٥٣٥٨ هـ ، بقيادة جعفر بن فلاح لفتح بلاد الشام ، وبعد أن استولى على الرملة وطبرية ، كتب إلى الأمير سيف الدولة المنذر بن النعمان بن عامر أمير بيروت - المتصرف والمباشر لأموال القبائل - يدعو إلى بيعة المعز ، فاستشار سيف الدولة عشيرته ، فأجمعوا على مصانعته حتى يروا ما يكون منه ، فلما استولى جعفر بن فلاح على دمشق ، سار إليه سيف الدولة وزعماء قومه وبايعوه للمعز لدين الله ، وبذلك دخلت هذه القبائل في الدعوة الفاطمية .

ولما قامت حركة أفتكين التركي بدمشق ، وأخرج عامل الفاطميين منها ، واتصل القرامطة بأفتكين ليساعده ضد الفاطميين ، انقسم أمراء العرب بين موالين للفاطميين وبين موالين للقرامطة وأفتكين .

لقد انتشرت الدعوة الفاطمية في جميع بلاد الشام ، بفضل الدعاية المنظمة التي وضع الفاطميون أسسها ، وكانت قبائل تنوخ في بلاد المعرة وفي وادي التيم وجبال لبنان أسرع أهالي الشام قبولاً للدعوة

الفيلطية ، ورغم وجود بعض الحركات الثورية في الشام - كان الغرض منها الرجوع إلى الدعوة العباسية - فإن كل هذه الحركات باءت بالإخفاق إلى أن جاء الحاكم بأمر الله وأعلن مذهبه الجديد ، فكان أهل وادي التيم وحموران وجبل لبنان هم الذين تقبلوا هذه العقيدة ، وظلوا يحافظون عليها إلى الآن .

ومن جهة أخرى فقد ظلوا في مقاطعاتهم تحت إمرة شيوخهم ، الذين هم بلورهم كان يتبعون الولاية في دمشق وعكا وبيروت ، وبالإضافة إلى ذلك فقد اشتركوا في معارك عديدة إلى جانب إخوانهم المسلمين ، ودافعوا عن أرض الوطن لا سيما إبان الغزو الصليبي وغيره ، وبالرغم من محاولات الأعداء لفصلهم وجعلهم أدوات هدم لظعن الأمة من داخلها ، إلا أنهم وقفوا مواقف مشرفة في وجه تلك المخططات والدعوات الانفصالية ، وساندوا العرب ضد أطماع العدو المتربص على مراحل التاريخ (1) .

## أوهية الحاكم « بأمر الشيطان »

شخصية الحاكم شخصية غريبة وعجيبة ، وقل نظيرها في عصور التاريخ . ولقد شهدت عصور التاريخ شخصيات كثيرة ، استطاع بعضها أن يتخذ اسمه بما قام به من أعمال مجيدة في خدمة الإنسانية عامة ، أو فيما عاد بالنفع على قومه خاصة .

(1) انظر كتاب طائفة الدرود للدكتور محمد كامل حسين : ص ١١ .



وقد يخلد بعضهم بأعمال شاذة أصيبت الإنسانية بسببها بخسائر  
جسيمة أو بأضرار يتناقلها الناس مدى التاريخ ، ويصبح هؤلاء الشواذ  
أمثلة تضرب للفساد ، والمصلح والمفسد سرعان ما يصبحان من أبطال  
القصص الفكاهية والنوادر .

وتصور هذه القصص جلائل أعمال المصلح ومآثره على قومه أو على  
البشرية ، كما تتحدث في سخط وازدراء أو في سخرية وتهكم بالمفسد .

يقول الدكتور محمد كامل حسين في كتابه<sup>(١)</sup> بخصوص شخصية  
الحاكم الشاذة : ولا أكاد أعرف بين شخصيات التاريخ من جمع بين  
هذه المتناقضات في حكم المؤرخين ، وأحاديث العامة مثل شخصية  
الحاكم بأمر الله ، الذي حكم رقعة واسعة من الأرض امتدت من المحيط  
الأطلسي إلى جبال طوروس ، وشملت فيما شملته جزيرة صقلية وجنوبي  
إيطاليا والجزيرة العربية ، ودان له بالإمامة عدد كبير في العراق وفارس  
والهند ، فكان امبراطوراً على أكبر دولة في عصره ، وظل في حكمه من  
سنة ٣٨٦ هـ حتى سنة ٤١١ هـ .

هذا الامبراطور اختلف الناس في شخصيته اختلافاً شديداً جداً ؛ فقد  
رفعه قوم إلى درجة الألوهية ؛ وهم الدروز ، واعتقد فيه قوم أنه إمام  
المسلمين وخليفة رب العالمين وسليل الرسول الكريم ؛ وهم الإسماعيلية  
الفاطيون ، وذهب أكثر المؤرخين إلى أنه كان شاذ الطباع مريضاً

(١) طائفة الدروز : ص ٣٤ .

بالعقل ، يأتي بأعمال تضحك الشكلي ؛ تدل على الجنون ، وهؤلاء هم مؤرخو العرب والمؤرخون النصارى .

ووقف المؤرخون المحدثون منه نفس موقف القدماء ؛ فاحترار العلماء في تكييف شخصية الحاكم بأمر الله ، وخاصة من ناحية أعماله وتصرفاته أو سلوكه ، بصرف النظر عن ناحية منزلته الدينية بين الناس .

وإذا ما نظرنا إلى بعض ما قام به الحاكم ، نراه يأتي بأعمال مختلفة - وخاصة ما يتعلق منها بالعقيدة الفاطمية التي هو إمامها - وفي أعماله هذه ما يخالف ما جرى عليه آباؤه وأجداده منذ قيام الدولة الفاطمية .

لقد كان الفاطميون يسبون السلف الصالح ، وكانوا ينشرون تعاليمهم ويعقدون مجالس التأويل ؛ المعروفة بمجالس الحكمة التأويلية ، ومنها ما يتعلق بالأذان والصيام ... كل هذا أمر الحاكم بإبطاله . كما أصدر مرسوماً بتعطيل الزكاة وإلغائها ، كما ألغى تقاليد كثيرة ؛ منها: حضور صلاة الجمعة والعيدين وإرسال كسوة الكعبة<sup>(١)</sup> .

لقد ورد في كتاب تاريخ الدولة الإسلامية<sup>(٢)</sup> ، أن طائفة من غلاة دعاة الإسماعيلية قد ألّهوا الخليفة الحاكم ، وخرجوا على السواد الأعظم من الإسماعيليين المعتدلين ؛ الذين يمثلون المدرسة الإسماعيلية القديمة ، ومن أعظم هؤلاء: الغلاة حمزة بن علي الزوزني، والحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأحزم ، ومحمد بن إسماعيل أنوشتكين البخاري الدرزي .

(١) طائفة الدرّوز : ص ٣٤ - ٥٠ .

(٢) تاريخ الدولة الإسلامية : ج ٣ . ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

ففي سنة ٤٠٨ هـ. جهر حمزة بن علي بألوهية الحاكم<sup>(١)</sup> ؛ وصنف كتاباً ذكر فيه أن روح الله سبحانه وتعالى حلت في آدم عليه السلام ، ثم انتقلت إلى علي بن أبي طالب ، وأن روح علي انتقلت إلى العزيز ثم إلى ابنه الحاكم ؛ الذي أصبح في نظرهم إلهاً عن طريق الحلول .

ويعتبر حمزة بن علي المؤسس الحقيقي لمذهب الدرزية ، وقد استغل الحسن بن حيدرة الفرغاني - الأحمز - على الجهر بتأليه الحاكم في سنة ٤٠٩ هـ . حيث قتل .

وكان الحاكم يشجع هذه الدعوة في مصر أولاً وفي الشام ثانياً ؛ لأن ذلك كان يتفق مع ميوله ، وقد ادعى تجسيم الإله في شخصه ، وهو - وإن لم يصرح بذلك - كان يوافق على آراء النصارى كحمزة بن علي والدرزي اللذين نسبا إليه الصفات التي لا يتصف بها إلا الله سبحانه وتعالى . كما شجع بعض الشعراء المتصلين بالبلاط الفاطمي هذا الاعتقاد ، ولم يترددوا في أن ينسبوا إليه بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، وهم يقرؤون القرآن بحضرته ، حتى لقد أرغم كل من لم يقل بألوهية الحاكم على دفع الجزية .

وقد رأى بعض النفعيين - الذين يبيعون أنفسهم ودينهم للشيطان

---

(١) إن تأليه البشر فكرة قديمة ، فقد آله المصريون القدماء ملوكهم ، والنصارى آلهوا عيسى عليه السلام ، واليهود آلهوا عزيراً ، ثم انتقلت هذه الضلالة إلى بعض فرق المنتسبين إلى الإسلام ، فالعلويون آلهوا علياً رضي الله عنه والآغاخانية آلهوا الآغاخان ، والدروز آلهوا الحاكم (بأمر شيطانه) . فليحذر المسلمون سموم هذه الدعوات المنحرفة وأضاليلها .

من أجل مصلحتهم الخاصة - أن يستغلوا ذلك الشذوذ لصالحهم لينالوا خير هذا الإمام - الحاكم بأمر الله - ويؤمنوا شره ، فخلعوا عليه وصف الألوهية المنبثق من مذهب بعض الشيعة ، حيث وافقهم الحاكم على زعمهم لأنه يتفق مع شذوذه ومع ما ورثه عن بيئته الشيعية .

وقد حضر عبد الله الدرزي الناس على عبادته ، وأطلق على أتباعه اسم الموحدين<sup>(١)</sup> . وبعد موته المجهول المكان والكيفية ، ادعى أتباعه أنه سيعود ويملاً الأرض والدنيا عدلاً . وعندما حارب المصريون هذه الدعوة ودعاتها ، فروا إلى الشام وسكنوا الجبل الذي عرف باسمهم لما جاوروه<sup>(٢)</sup> .

### أحدى رسائل الدرزي التي تكشف ألوهية الحاكم

سنقف وقفة طويلة مع رسالة حمزة بن علي بن أحمد ؛ الموسومة - بكتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل - . فقد رأيت أن أنقل هنا نص هذه الرسالة دون تعليق ، لأنها بنفسها تغني عن كل تعليق !! .

وهذه نصوصها كما جاءت في كتاب طائفة الدرزي : ص ٤٥ - ٥٠ .

قال حمزة<sup>(٣)</sup> في هذه الرسالة : أما بعد ، معاشر الموحدين ، أعانكم المولى على طاعته . إنه وصل إلي من بعض الإخوان الموحدين - كثر المولى عددهم ، وزكى أعمالهم ، وحسن نياتهم - رقعة يذكر فيها ما يتكلم

(١) أوردت هنا فقرات عن شخصية الحاكم بأمر الله إمام الدعوة الفاطمية ، لأن عقائد الفاطميين هي الأساس الأول للعقيدة الدرزية .

(٢) البايبة والبهاينة .

(٣) حمزة بن علي هو المؤسس الحقيقي للمذهب الدرزي وأول من جهر بألوهية الحاكم .

به المارقون عن الدين ، الجاحدون لحقائق التنزيه ، ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعالهم الرديّة ، وما تميل إليه أديانهم الدنيّة ، فيما يظهر لهم من أفعال مولانا - جلّ ذكره ونطقه - وما يجري قدامه من الأفعال التي فيها حكمة بالغة - جداً كانت أم هزلاً - يخرج حكمته ويظهرها بعد حين . . . ولو نظرنا إلى أفعال مولانا - جلت قدرته - بالعين الحقيقة وتدبروا إشارته بالنور الشعشعاني ؛ لبانت لهم الألوهية والقدرة الأزلية والسلطان الأبدي ، وتخلصوا من شبكة إبليس وجنوده الغويّة ، ولتصور لهم حكمة ركوب مولانا - جلّ ذكره - وأفعاله ، وعلموا حقيقة المحض في جدّه وهزله ووقفوا على مراتب حدوده ، وما تدل عليه ظواهر أموره . جلّ ذكره وعز اسمه ولا معبود سواه .

فأول ما أظهر من حكمته ما لم يعرف في كل عصر وزمان ودهر وأوان ؛ وهو ما ينكره العامة من أفعال الملوك من تربية الشعر ولباس الصوف ، وركوب الحمار بسروج غير محلاة ؛ لا ذهب ولا فضة ، والثلاث خصال معنى واحد في الحقيقة ، لأنّ الشعر دليل على ظواهر التنزيل ، والحمير دليل على النطقاء - الأنبياء لقوله لمحمد : يا بنيّ أقم الصلّاة وآت الزكاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ، إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك ولا تمش في الأرض مرحاً ، إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طويلاً ، كل ذلك كان عند ربك شيئاً محذوراً ، وانقص من مشيك ، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير<sup>(١)</sup> .

(١) الآية القرآنية محرقة تحريفاً شديداً جداً هنا ، فقد أضيفت إلى الآية الكريمة ألفاظ وحذف منها =

...والعامة يرون أن هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده ، فكذبوا  
وحرفوا القول ، وإنما هو السابق - وهو سلمان - وإنما سمي الناطق لولده  
لحد التعليم والمادة ، إذ كان سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المبدع  
الأول وهو سلمان .

فقال سلمان لمحمد : أقم الصلاة ؛ إشارة إلى توحيد مولانا - جلّ ذكره -  
وآت الزكاة ؛ يعني طهر قلبك لمولانا - جلّ ذكره - ولحدوده ولدعائه -  
وأمر بالمعروف ؛ وهو توحيد مولانا - جلّ ذكره - وأنه عن المنكر ؛ يعني  
شريعته ، وما جاء به من الناموس والتكليف . إن ذلك من عزم الأمور ؛  
يعني الحقائق ، وما فيها من نجاة الأرواح من نطق الناطق . ولا تصعر  
خدك للناس ؛ الخد : وجه السابق ، وتصغيره : ستره فضيلته .

ولا تمش في الأرض مرحاً ؛ فالمرح هو التقصير واللعب في الدين ،  
والأرض ههنا هو الجناح الأيمن الداعي إلى التوحيد المحض . واغضض  
من صوتك ؛ يعني بذلك اخفض وأنقص وأقصر نطقك بالشرية . إن  
أنكر الأصوات : يعني الدعوة الظاهرة . لصوت الحمير ؛ يعني بذلك  
أشْرَ كلام وأفحشه وأنكره نطق الشرائع المذمومة في كل عصر وزمان .

فأظهر مولانا - جلّ ذكره - لبس الصوف وتربية الشعر ، وهو دليل

- ألفاظ . والنص الصحيح في سورة لقمان من آية ١٧ - ١٩ هو :

( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ  
الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ .  
وَأَقْبِصْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ .

« صدق الله العظيم »

على ما ظهر من استعمال الناموس الظاهر ، وتعلق أهل التأوويل بعلي بن أبي طالب وعبادته ، وركوب الحمار دليل على إظهار الحقيقة على شرائع النطقاء .

وأما السرج بلا ذهب ولا فضة ؛ دليل على بطلان الشريعتين ؛ الناطق والأساس . واستعمال حُلي الحديد على السروج ؛ دليل على إظهار السيف على سائر أصحاب الشرائع وبطلانهم .

واستعمال الصحراء في ظاهر الأمر ، وخروج مولانا - جل ذكره - في ذلك اليوم من السرداب إلى البستان، ومن البستان إلى العالم دون سائر الأبواب ؛ فالسرداب والبستان - اللذان يخرج مولانا منهما - ليس لأحد إليهما وصول، ولا له بهما معرفة ، إلا أن يكون لمن يخدمهما أو خواصهما وهو دليل على ابتداء ظهور مولانا - سبحانه - بالوحدانية ، ومباشرته بالصمدانية بالحدين اللذين كانا خفيين عن سائر العالمين ، إلا لمن يعرفهما بالرموز والإشارات ، وهما الإرادة والمشية . والإرادة هو ذو معة والمشية تالية ، فليس يعرفهما إلا الموحدون لمولانا ، جل ذكره .

ومن السرداب يخرج إلى البستان ، كذلك العلم يخرج من ذي معة إلى ذي معة ؛ الذي هو بمنزلة الجنة صاحب الأشجار والأنهار ، ثم يخرج منهما إلى النفس ، فأول ما يلقي بستان برجوان - وهو المعروف بالحجازي - فلا يدخله ولا يدور حوله في معنية ، وهو دليل على الكلمة الأزلية ، ثم يمضي إلى البستان المعروف بالدكة على شاطئ البحر ؛ كذلك علم التأوويل ممثوله البحر ...

والمستحجب للعهد إذا بلغ علم السابق ومعرفته ، حسب أنه قد بلغ الغاية  
والنهاية في العبادة .

ويستأن الدكة مع جلالته ملاصق لموضع الفحشاء والمنكر دون سائر  
البنائين ، دليل على أن علم السابق واصل بالنطقاء الذين هم معادن  
النواميس الفانية الحشوية والأعمال الفاحشة الدنية ، والمقس دليل على  
الناطق ، وما في المقس من الفحشاء والمنكر دليل على شريعته ، وارتكابهم  
الشهوات البهمة في طاعته .

ثم إنه - علينا سلامه - يخرج إلى الصناعة ويدخل من بابها ويخرج من  
الأخر ، والصناعة دليل على صاحب الشريعة ، والصناعة ممنوعة من  
دخولها العالم فيها ، فدخول مولانا - جلّ ذكره - فيها من باب وخروجه  
من باب دليل على تحريم الشريعة وتعطيلها .

ثم إنه - علينا سلامه ورحمته - يدور حول البستان المعروف بالحجازي  
وهو دليل على الكلمة الأزلية ، والدوران حوله بلوغ إلى الكشف بلا سترة  
تحوط بالدين ..

ثم إنه يبلغ إلى القصور - وهما قصران عظيمان خرابان - دليل على  
بطلان الشريعتين وخرابهما . ثم إنه يدخل من باب البستان المعروف  
بالمختص ؛ وهو دليل على التالي ، إذ كان التالي مختص بعلمه ، وأكثر  
العالم يميلون إليه ؛ هو هيولى العالم الجرمانى .

ومن الشيعة من يقول بأن التالي مولانا ؛ وهذا هو الكفر والشرك ،



وإنما هو التالي الذي عجز الناس عن معرفته ، وهو الجنة المعروفة بالمختص ، متصلة بالجنة المعروفة بالعصار ، والعصار دليل على الناطق لأنه يعصر علم التالي ، فيخرج منه الحقيقة والتوحيد فيكتمه عن العالم الغيبي ، ويظهر لهم الشغل ؛ وهو الكسب الذي لا ينتفع به غير البهائم .

وكذلك البستان المعروف بالعصار ؛ وهو خراب من الفواكه والأشجار والرياحين والأثمار ، وبستان المختص عامر بالفاكهة والأزهار والرياحين والأشجار ، ومنه يخرج الماء إلى الحوض الذي تشرب منه البهائم . والماء هو العلم ، والحوض هو المادة الجاري من التالي . والدواب هم النطقاء والأسس ، وكذلك العلم يخرج من التالي إلى الأساس في كل عصر وزمان ، والسابق ممد الناطق .

وهذان البستانان بين المسجدين المعروفين بمسجد تبر ومسجد ريدان ؛ فمسجد ريدان محاذي بستان العصار ، ومسجد تبر محاذي بستان المختص ، ومسجد تبر دليل على الناطق ، والتبر دليل على الذهب ، والذهب دليل على ذهاب شريعته . وهذا المسجد لم يصل فيه صلاة جماعة قط ؛ دليل على أن ليس للناطق ولا لمن تبعه اتصال بالتوحيد .

ومسجد ريدان دليل على حجة الكشف القائم بالسيف والعنف ، الداعي إلى التوحيد المنكر عند سائر العالمين ، فبإزاء الباطل - الذي هو جنة العصار وهو دليل على الناطق - حق يرفع وهو مسجد ريدان وهو ذو معة ،

وبإزاء الحق - الذي هو جنة المختص وهو التالي - باطل يطلب فساده ؛ هو مسجد تبر وهو الناطق . وريدان خمسة أحرف دليل على الخمسة حدود النفسانيين والنورانيين والجرمانيين والجسمانيين . وهي ذو معة العقل المكلي النفساني ، وذو معة النفس الروحاني والجناح الرباني ، والأيمن الباب الأعظم ؛ وهو السابق والتالي معدن العلوم .

وما من المساجد مسجد سقطت قبته وهوى بكماله غير مسجد ريدان ، فأمر مولانا سبحانه بإنشاء قبته ، وزاد في طوله وعرضه وسموه ، دليلاً على هدم الشريعة الظاهرة على يد عبده الساكن فيه <sup>(١)</sup> ، وأنشأ توحيد مولانا جل ذكره فيه بالحقيقة ظاهراً مكشوفة . [ قبهم الله ما أسخفهم وما أضل عقولهم ] .

ونزوله عن الحمار إلى الأرض وركوبه آخر محاذي باب المسجد دليل على تغيير الشريعة وإثبات التوحيد ، وإظهار الشريعة الروحانية على يد عبده حمزة بن علي بن أحمد ، ونزوله إلى الأرض محاذي باب المسجد ؛ إشارة منه إلى عبده باب حجابته على خلقه ، ونزوله عن الحمار وركوبه آخر كان في نفس أذان الزوال ، وصلاة الزوال دليل على الناطق .

وتغيير مولانا الحمار - في نفس وقت الأذان - دليل على إزالة الظاهر . ثم إن مولانا لا بد له في كل ركبة من الإعادة إلى البستانين المعروفين بالمقس ؛ دليل على إظهار النشء الثالث الخارج من الكفر والشرك وهما

(١) المعروف أن حمزة بن علي كان يسكن مسجد ريدان هذا .

الظاهر والباطن<sup>(١)</sup> ؛ وهو توحيد مولانا جلّ ذكره .

ودخوله إلى القصر من الباب الذي يخرج منه والسرّادب بعينه دليل على إثبات الأمر وكشف الطرائق .

وأما نزوله في ظاهر الأمر إلى مصر وما شاهدناه ، ففيها تمكن الشيطان الغوي من قلوب العامة الحشوية ، والعقول السخيفة الشرعية مما يسمعونه من ألسن الركابية قدام مولانا ، بما يستقر في عقولهم السخيفة من كلام الهزل والمزاح .

ولم يعرفوا أن فيه حكمة بالغة ؛ فأول مسيره إلى المشاهد الثلاثة ، وليس فيها أذان ولا إقامة ولا صلاة جماعة إلا في الوسط ، ثم إنه يسير إلى راشدة ، وهي أيضاً ثلاثة مساجد متفاوتات البنيان ، وأحسن ما فيها وأعلاها وأفضلها الذي يصلي الخطيب فيه يوم الجمعة ، وتصلى فيه خمس صلوات على دائم الأيام وهو الوسطاني ، وهو دليل على توحيد مولانا وإثبات خمس حدود علوية فيه .

والمسجدان اللذان معه متفاوتان في البناء دليل على الناطق والأساس ، وكذلك الناطق في ترتيب حدوده أفضل من الأساس ، والأساس أعظم شأناً في ترتيب الباطن ورموزه من الناطق في المعقولات والبيان .

---

(١) وبالنسبة فجّل الفرق الباطنية تستخدم الألفاظ والرموز المبهمة وتقول بالتأويل ، وأن للقرآن باطناً وظاهراً ، وذلك للتستر والتمويه على الدعاة لتنفيذ مآربها ، ومن بين هذه الفرق : القرامطة والنصيرية والفاطمية والصوفية والدرّوز - قيد البحث .

فلما ظهر التوحيد زالت قدوتهما جميعاً وسميت راشدة ، لأن بعرفته  
الحجة وهدايته والأخذ منه يرشد المستحيبون ، ثم - إن علينا سلامه  
ورحمته - يدور حول هذا المسجد الوسطاني في ظاهر الأمر دليل على  
التأييد لعبده .

وقدام المسجد عقبة صعبة الصعود لمن يسلكها ، وليس إلى القرافة  
محجة إلا على هذه العقبة ، دليل على البراءة من الأبالسة أصحاب  
الزخرف والناموس .

وأما ما يروونه من وقوفه في الصوفية واستماعه لأغانيهم والنظر إلى  
رقصهم ؛ فهو دليل على ما استعمل من الشريعة التي هي الزخرف واللهو  
واللعب وقد دنا هلاكهم .

وأما لعب الركابية بالعصي والمقارع قدام مولانا - جلّ ذكره - فهو  
دليل على مكاسرة أهل الشرك والعامّة وتشويهم بين العالم ، وإظهار  
أديانهم المغاشم ويكشف زيفهم .

أما الصراع فهو دليل على مفاتحة الدعاة بعضهم لبعض ، وقد كان  
للعالم في قتل السويد والحمام عبرة لمن اعتبر ؛ لأنهما كانا رئيسين في  
الصراع ، ولكل واحد منهما عشيرة تحميه وأتباع . ، وهما دليلان على  
الناطق والأساس ، وقتلهما دليل على تعطيل الشريعتين ، التنزيل والتأويل  
والهوان بالطائفتين من أهل الكفر والتلحيد .

وأما ما ذكره الركابية من ذكر الفروج والأحليل ، فهما دليلان على

الناطق والأساس ، وقوله : أرني قمرک . یعنی ؛ اکشف عن أساسک .  
وهو موضع يخرج منه القدر دليل على الشرك ، فإذا كشف عن أساسه  
وأخرج قبله - أي عبادة أساسه - نجا من العذاب والزيغ في اعتقاده ، ومن  
شك هلك ... الخ<sup>(١)</sup> .

وهكذا بعد أن وقفت أيها القارئ الكريم على ما جاء في هذه الرسالة  
الخطيرة ، والتي هي إحدى الرسائل التي تتضمنها الكتب المقدسة للدروز ،  
الذين اتخذوا الحاكم معبودهم ، وقد أثبتت نصها كاملاً لأهميتها ،  
ولكي يطلع عليها أبناء الأمة لما احتوت من شرك وضلال وفساد للعقول  
والأذهان .

أقول بعد هذا كله : الحذر الحذر من كيد المبطلين . وليس لنا أن  
نعلق على هذه الرسالة بل نترك التعليق للقراء ، لأن نصوصها لا تخفى  
على اللبيب وتغني عن كل تعليق .

وأما ما ذكره المؤرخون في كتبهم عن سلوك الحاكم فلم يكن من  
خيال ، أو أنها وضعت للسخرية بالحاكم ، إنما هي أفعال اعترف بها  
داعيته ونبيه ، وأثبتها في الكتب المقدسة التي يدين بها من اعتقلوا  
ألوهية الحاكم ، فنحن إذن مضطرون إلى أن نصدق المؤرخين في معظم  
تلك القصص التي أوردوها عن الحاكم ولا سبيل إلى إنكارها .

---

(١) كتاب طايفة الدروز : ص ٤٥ - ٥٠ .

## لاهوت المعبود وناسوته

لعل أهم عقيدة نراها في كتب ورسائل حمزة بن علي أن للحاكم - بأمر الله - حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام ، ولا تعرف بالرأي ولا بالقياس ، ومهما حاول الإنسان أن يفكر فيه لمعرفة كنهه ، فهو يحاول محاولة فاشلة ، لأن لاهوته ليس له مكان ، ولكن لا يخلو منه مكان ، وليس بظاهر ، كما أنه ليس بباطن .

ولا يوجد اسم من الأسماء يمكن أن يطلق عليه ، لأنه لا يدخل تحت الأسماء ، إذ لا يتصف بصفات ولا يمكن التعبير عنه بلغة من اللغات ، فهو ليس مجسم ولا بشخص وليس بشبح وليس بصورة ، فلا يقال عنه إنه جوهر-أو يقال: إنه عرض .

ولا أقول: إنه شيء فيكون محمولاً عليه ، ولا هو في شيء فيكون محاطاً به ، ولا متعلق بشيء فيكون قد التجأ إليه .

فالمعبود على هذا النحو ليس له أحد ، وهو واحد لا يشبه الكائنات في شيء ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً - ولم يلد ولم يولد - لا تنسب إليه حركة ولا راحة ، وهو البداية والنهاية . فإذا تحدث عنه محدث ووصفه بصفة ما ، فإنما يقول ذلك ضرورة وتقريباً للعقول والأفهام ؛ لعجز المتحدث عن الوصول إلى حقيقة المعبود .

فإذا قال مثلاً: إنه تعالى باري كل شيء ، ومكون كل شيء ، وأنه معلّ

علة العلل القديم الأزل . فلا يقال ذلك عن حقيقة المعبود ؛ لأن حقيقة المعبود تعجز عن الوصول إليها .

وهكذا جرى ذكر التوحيد في كتب الدروز المقدسة . وحديثهم عن لاهوتية المعبود يتفق تمام الاتفاق مع ما ورد في كتب الدعوة الفاطمية عن الله سبحانه وتعالى .

إن الإمام الفاطمي المعروف بالحاكم بأمر الله هو عند الدروز بشر في الأعين المجردة ، ويعيش بين الناس كما يعيش غيره من البشر ، ذلك عند الذين لا يعرفون حقيقته ، أما الدروز الذين عرفوا حقيقته فيذهبون إلى أن الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة إنسية سماها الناس الحاكم بأمر الله - مثل ما يتخذ الإنسان ثيابه فيرتديها ثم يطرحها ويرتدي غيرها .

والثياب ليست من جنس من يرتديها ولا تشبهه في شيء ، وكذلك الإله المعبود ليس من جنس الصورة التي اتخذها ولا هي شبيهة به ، وهو في هذه الصورة الناسوتية المتغيرة ، ففي كل عصر ظهر فيه اتخذ صورة ناسوتية عن الأخرى .

وفي رسالة السيرة المستقيمة حديث طويل عن الأدوار التي أظهر فيها المعبود ناسوته ؛ لأن المعبود إن لم يظهر ناسوته من حين لآخر لكان الناس يعبدون العدم ، وقد ظهر المعبود في صورة بشرية عشر مرات ؛ وكان أول مرة ظهر فيها ناسوت المعبود ببلاد الهند في بلد يقال لها (تشماتش).

وظهر مرة في مدينة أصفهان بفارس في صورة (ألبا) ، ولذلك يقول  
الفرس : (بارخداي) يعني الله . وظهر مرة ثانية في اليمن بصورة شخص  
يعرف بالموثل ؛ وكان إنساناً ثرياً يمتلك أكثر من ألف جمل ، ولأول مرة  
يظهر في صورة ملك عندما ظهر في شخصية القائم بأمر الله الفاطمي ، ثم  
ظهر في شخصية أبي بكر زكريا القرمطي ، ثم المنصور بالله ثم المعز لدين  
الله ثم العزيز بالله ثم الحاكم بأمر الله .

وليس لنا أن نناقش هذه العقيدة ، إلا أننا نحب أن نسجل أن ظهور  
أبي بكر القرمطي كان أسبق من ظهور القائم بأمر الله ، ثم قولهم : إن  
القائم كان بمصر وبني بها باباً يسمى الرشيدية ... كل ذلك بعيد عن  
الحقيقة التاريخية ، حقيقة حاول القائم بأمر الله فتح مصر أكثر من  
مرة ولكنه لم يوفق ، فكيف أقام بها وشيد بها باباً ؟<sup>(١)</sup>

## بعض معتقدات الدروز

إن شريعة الدروز تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية ،  
وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية ، والاعتراف بالخصال التوحيدية ؛  
فمن اعترف بها فهو من الموحدين . وهم في ذلك يتفقون إلى حد كبير  
مع المبادئ التي نادى بها الحسن الثاني بن محمد زعيم الإسماعيلية  
الشرقية في آلموت سنة ٥٥٨ هـ ، الذي طلب من أتباعه طرح جميع

(١) راجع طائفة الدروز : ص ١٠٤ - ١٠٧ .



التكاليف الدينية ، ولا يزال الإسماعيلية الآغاخانية على هذه العقيدة إلى اليوم . تبا لهم على ضلالهم .

غير أن الدروز يصومون في أيام خاصة ، وهي التسعة أيام الأولى من شهر ذي الحجة ، وصيامهم هو نفس التقليد الإسلامي في الصيام ، أي الامتناع عن الأكل والشرب والقيام بأي عمل يبطل صيام المسلم ، ويحتفلون بعيد الأضحى ، الذي هو عيدهم الأكبر ، ومنهم المتعبلون الذين يجاهدون النفس فنراهم يصومون عدة أشهر متوالية ، على نحو ما يقوم به بعض السادو في الهند ، فالسادو يجاهد نفسه جهاداً عنيفاً بأن يأتي من الأعمال ما فيه تعذيب الجسد في سبيل تطهير النفس ونقاؤها<sup>(١)</sup>.

ويذكر لنا الأستاذ محمد كامل حسين في كتابه<sup>(٢)</sup> ما شاهدته في معبد بمدينة بومباي بالهند أن سادو يقف على رجله اليسرى وقد رفع رجله اليمنى ، ويقول الدكتور محمد كامل حسين بأنه قيل له: إن هذا السادو يظل هكذا مدة أربعة أشهر دون أن يستريح ، فهو يأكل وينام وهو على هذه المثابة<sup>(٣)</sup>. وهكذا يظهر لنا أن الدروز في تعبداتهم يلتقون مع المجوس والوثنية .

ومن الدروز من أفلح عن الزواج إمعاناً في تصوفه ، ومنهم من لا يأكل لحماً طوال حياته على نحو ما يفعله براهمة الهند ، بل هؤلاء لا يذوقون شيئاً من بيت أحد من غير العقّال مثل البراهمة تماماً .

(٢) طاقة الدروز : ص ١٢٣ .

(١) المصدر السابق : ص ١٢٣ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٢٢ وما بعدها .

واختلفت الرسائل المقدسة في مكان ظهور المعبود يوم القيامة ؛ فبعضها وخاصة كتابات حمزة بن علي - تذهب إلى أن ظهوره سيكون في مصر . أما رسالة الأسرار ففيها تصريح بأن المعبود سيكون في بلاد الصين ؛ يخرج من سد الصين العظيم وحوله شعب يأجوج ومأجوج ، وهم قوم يؤمنون بمذهب التوحيد ويدخلون مكة ، ويتجلى المعبود لهم في صورة الحاكم بأمر الله من الركن اليماني ، وفي يده السيف فيقدمه إلى حمزة الذي يهدد بسيف الحاكم مخالفي العقيدة ويعطي الحكم للموحدين .

وينقسم الناس يوم البعث إلى أربع فرق ، فرقة ناجية ، وهي فرقة الموحدين وسيكون لهم السلطان ومنهم الوزراء والحكام ، وثلاث فرق هالكة ؛ هم أهل الظاهر وأهل الباطن والمرتدون ، وأصحاب هذه الفرق الثلاث سيكونون عبيداً للموحدين ... أما العذاب والجزاء فيفهم من كتابات حمزة أن العذاب الواقع بالإنسان نُقلته من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات الدين ، وقلّة معيشته وعمى قلبه في دينه ودنياه ، ويستمر تنقله من جسد إلى جسد بتناسخ روحه في الأجساد ، وهو كلما تنتقل روحه من جسد إلى جسد تقل منزلته الدينية ، أما الجزاء في الثواب مادام يتكرر في الأجساد ، فهو زيادة درجته في العلوم الدينية وارتفاعه من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ إلى درجة حد (المكاسر) وهو حد من حدود الدين .

وهكذا نلاحظ أن العقيدة الدرزية في اليوم الآخر وفي الثواب والعقاب كما في قول حمزة وبهاء الدين - هو نفس ما جاء في كتب تأويل

العقيدة الفاطمية . ومن أراد البسط والتوسع فعليه بمطالعة العقيدة الفاطمية  
ففيها شفاء الغليل .

ويذكر الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه<sup>(١)</sup> : أن الحاكم بأمر الله  
زعم في آخر عهده أن الروح القدس ماثلة في شخصه ، وادعى الألوهية ،  
وكان واضح أصول هذه الدعوة الجديدة - وهي دعوة إلحادية - ورأسها  
هو حمزة بن علي ؛ وكان قد وفد على القاهرة قبل ذلك بقليل ودعا إلى  
ألوهية الحاكم في القاهرة ، ووضع لدينه الجديد أصولاً ورسائل ،  
وتوثقت صلته بالحاكم والدعاة السريين ، ولكن دعوته الإلحادية لم  
تلق في مصر إقبالاً ، وقلّ دعواتها الكبار ، ثم طوردوا في كل مكان  
وهربوا ، وأخيراً قتل الحاكم في مؤامرة دبرتها أخته - ست الملك -  
وأخفيت جثته فازداد أتباعه فتنة ، وزعموا أنه لم يمّت بل رفع  
إلى السماء .

وصار ذلك مذهب دروز الشام الذين حملهم إسماعيل الدرزي على  
اتباع تعاليمه ، وخرجوا في صوغ مذهبهم عن تعاليم عبد الله بن ميمون  
الأصلية ، فهم دهرية يقولون بالحلول ، وأن الله - حكمة عامة - تمثل  
في آلهة عدة ، وأن الحاكم بأمر الله آخر هؤلاء الآلهة ، وأنه سوف  
يعود إلى الظهور حينما يصل الظلم في العالم غايته ، فيفتح العالم  
ويقضي على جميع الأديان الأخرى .

ويستطرد الأستاذ عبد الله عنان قائلاً : ويتبع الدروز خطة الإسماعيلية

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة .

في نشر دعوتهم بين أبناء الأديان الأخرى ، فيتظاهرون أمام المسلمين بأنهم يؤمنون بمحمد ﷺ وأمام النصارى بأنهم يؤمنون بالمسيح ، ويبررون هذا المسلك بأنه واجب ألا تكشف أسرار مذهبهم إلى أسود أو كافر . ومن عاداتهم أنهم يجتمعون نساء ورجالاً ليتحدثوا في الشؤون السياسية والدينية ، بيد أنه لا يجوز لعاقل أن يشترك في تقرير الأمور . وتشبه رموزهم وإشاراتهم في التعارف رموز البناء الحر الماهر عند الماسونية أ . ه .

ونختم الحديث عن الدرود بما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية - علامة زمانه - في كتابه القيم<sup>(١)</sup> ، بعد أن تحدث عن المجوس وفرقهم وأديانهم ؛ حتى قال : ... ومنهم الخرمية - أصحاب بابك الخرمي - وهم شر طوائفهم ؛ لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام ، وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والبشكية والدرزية والحاكمية وسائر العبيدية ، الذين يسمون أنفسهم الفاطمية وهم أكفر الكفار .

فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون في التفصيل . ثم قال : فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وأممتهم وقدوتهم ، وإن كان المجوس قد يتقبلون بأصل دينهم وشرائعهم ، وهؤلاء لا يتقبلون بدين من ديانات العالم ولا بشرية من الشرائع . أ . ه . هذه الإمامة سريعة عن الدرود ذكرتها لينتفع بها القراء .

(١) إغاثة اللفهان : ج ٢ الصفحات ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

## النصيرية - العلوية

اختلف أصحاب كتب الفرق في ابن نصير مؤسس هذه الفرقة والتي اتفقوا بأنها تؤله علياً . وقال معتنقو هذه العقيدة : وإنما أثبتنا هذا الاختصاص - ظهور الروحاني بالجسد الجسداني - بعلي دون غيره ؛ لأنه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله تعالى ، مما يتعلق بباطن الأسرار<sup>(١)</sup> .  
وقال النصيرية أيضاً : كان هو<sup>(٢)</sup> موجوداً قبل خلق السموات والأرض ..<sup>(٣)</sup>

ويقيم النصيرية بجبال اللاذقية بسورية ، وغيرها من مناطق الفرات ، وعدد أفرادها الآن (٣٥٦) ألف نسمة . وهي تتبع محمد بن نصير ؛ من أتباع الحسن العسكري ، الإمام الحادي عشر ، ثم انفصل عنه وادعى الألوهية<sup>(٤)</sup> - قاتله الله . فالنصيرية فرقة من الإمامية ينتسبون إلى محمد بن نصير - من موالي بني نعيم - وهو من أتباع الإمام الحادي عشر . وهؤلاء يعتبرون عقيدتهم سرّاً من الأسرار . فلا تلقن للنساء ولا للرجال حتى يبلغوا العام التاسع عشر . وكانت تعاليمهم محوطة بالسرية التامة<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع الملل والنحل : ج ١ ص ٣١٧ .

(٢) يقصدون بذلك الإمام علي رضي الله عنه .

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيباني .

(٤) بتصرف عن كتاب الفكر الإسلامي في تطوره : ص ٥٨ . للدكتور محمد البهي .

(٥) الباية والبهائية في الميزان بتصرف .

## أهم معتقداتهم وآرائهم

ويتلخص مذهب النصيرية ومعتقدهم فيما يلي :

١ - يرفعون علياً إلى درجة الألوهية ، ويجعلون مسكنه السحاب ؛ فإذا مرّت بهم سحابة قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن .

٢ - يدعون الألوهية للأئمة من بعد علي ، وبذلك يقولون بتعدد الآلهة . وقد أخذ البابية والبهائية بهذا المبدأ في تخططاتهم ؛ فقد زعم كل من الباب والبهاء وابنه عباس أنه إله . قاتلهم الله على كفرهم وردتهم .

٣ - يقولون بتناسخ الأرواح ؛ فالتّي تطهر منها تحلّ بالنجوم ، والشريرة تحلّ بالحيوانات النجسة .

٤ - يُكفرون أبا بكر وعمر ولا يستعملون اسميهما .

٥ - يحتفلون بالأعياد النصرانية ، ولا يصومون رمضان ، ومن هنا أخذ الباب - زعيم الطائفة البابية الضلالة - فكرة مزج الأديان بعضها ببعض وتغيير وقت الصوم وأيامه .

٦ - الصلوات الخمس رمز لعلي وابنيه ومحسن وفاطمة . وذكر هذه الأسماء يرفع الجنابة ويزيل الحدث ويكفي عن الصلاة . وكنا قال البابيون والبهاثيون : إن ذكر بعض الأسماء يرفع الحدثين .

٧ - يعتبرون الجنة رمزاً للنعم والنار رمزاً للعذاب ؛ كما فعل الإسماعيليون . وبذلك أخذ البابية والبهائية .

٨ - يبيحون الخمر ، ويرون أكبر الأبالة أبا بكر وعمر وعثمان - قبحهم الله مما قالوا - وهؤلاء كفار يجب قتالهم كما أفتى بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ومثلهم من على شاكلتهم<sup>(١)</sup> .

٩ - ويقولون بالأول : وهو روح الله علي بن أبي طالب .  
وبالثاني : وهو المظهر الخارجي لهذه الروح ؛ محمد بن عبد الله .  
وبالثالث : ناشر الشريعة ؛ هو سلمان الفارسي الصحابي الزاهد . على أن ثلاثهم في العالم الأزلي الأبدي الكامل . والنصيرية فرقة من فرق الشيعة الغلاة التي تنتسب إلى الإسماعيلية<sup>(٢)</sup> ..

سئل شيخ الإسلام وناصر السنة - إمام الزاهدين ومنار المجاهدين المجتهد الرباني - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) رحمه الله رحمة واسعة ، سئل عن النصيرية وما يتعلق بهم ومعتقداتهم ، بمقتضى سؤال حرره الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مري الشافعي ، عفا الله عنه وعن أئمة المسلمين .

وإلى القارئ الكريم صورة موجزة لكتاب السائل المذكور أعلاه عن طائفة النصيرية المنحرفة ، وجاء فيه ما يلي :

(١) البابية والبهائية في الميزان بتصرف . للأستاذ مصطفى الطير .  
(٢) راجع كتاب الفكر الإسلامي في تطوره : ص ٥٨ . للدكتور محمد البهي .

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين - رضي الله عنهم أجمعين وأعانهم على إظهار الحق المبين وإخماد شغب المبطلين - في النصيرية القائلين باستحلال الخمر ، وتناسخ الأرواح ، وقدم العالم ، وإنكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا ، وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء ؛ وهي علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة ؛ فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزئهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها ، وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلاً واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ، وبأن اللهم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فهو عندهم الإمام في السماء والإمام في الأرض ، فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت - على رأيهم - أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعبدونه ويعرفونه ، وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيرياً يجالسونه ويشربون معه الخمر ، ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نساتهم حتى يخاطبه معلمه . ويقولون: إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ، ويليه في رتبة الإبلسية أبو بكر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه أجمعين ، إلى أن يقول السائل: فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم؟ وهل يحلّ أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا؟ وما حكم أوانيهم وملابسهم؟ وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا؟ وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها إليهم؟ وهل يجب على من عرف المذكور من مذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم؟



ويختم السؤال بقوله : ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى ، إنه على كل شيء قدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل (٢) .

وفيما يلي جواب - فتوى - شيخ الإسلام على سؤال المستفتي عن النصيرية .

### جواب ابن تيمية عن النصيرية - العلويين

قال شيخ الإسلام رحمه الله : هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية ، أكفر من اليهود والنصارى ، وأكفر من كثير من المشركين . وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين ؛ مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم .

فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بجملة من الملل السالفة ؛ بل يأخذون كلام الله ورسوله ، المعروف عند علماء المسلمين ، يتأولونه على أمور يفترونها ، يدعون أنها علم الباطن - من جنس ما ذكره السائل .

فإنهم ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى ، وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه ، إذ مقصودهم إنكار

---

(١) راجع رسالة النصيرية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق ، مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها - من جنس ما ذكر السائل - ومن جنس قولهم : إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم ، والصيام المفروض كتمان أسرارهم ، وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم ، وأن ( يدا أبي لهب ) هما أبو بكر وعمر . وأن النبأ العظيم والإمام المبين هو علي بن أبي طالب .

ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة ، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين ؛ كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بئر زمزم ، وأخذوا مرة الحجر الأسود ، وبقي عندهم مدة ، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى ، وصنفوا كتباً كثيرة مما ذكره السائل وغيره

وصنف علماء المسلمين كتباً في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد ، الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام .

**النصيرية :** هم السبب في احتلال النصارى والتتر لبلاد الشام - المعلوم لدينا أن السواحل الشامية التي استولى عليها النصارى من جهتهم - وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ؛ فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم الأعياد عندهم إذا استولى النصارى على ثغور المسلمين . والعياذ بالله .

**النصيرية** : هم السبب في سقوط القدس بأيدي الصليبيين ، كذلك هم السبب في سقوط خلافة العباسيين . هؤلاء المحادّون لله ولرسوله . كثروا بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف ، فأحوالهم من أعظم الأسباب في ذلك .

لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين ؛ كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهما ، وفتحوا السواحل من النصارى ، ممن كان بها منهم ، وفتحوا أيضاً أرض مصر - فإنهم كانوا مستولين عليها نحو ٢٠٠ سنة - واتفقوا هم والنصارى ، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية ، ثم إن دخول التتار بلاد الإسلام وقتلهم خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين ، لم يتم إلا بمعاونتهم وموازرتهم ... منجم فإن هولاء هو الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي - كان وزيراً لهم - وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

**النصيرية** : لهم عدة أسماء وألقاب عند المسلمين ، تارة يسمون الملاحدة ، وتارة القرامطة ، وتارة الباطنية ، وتارة الإسماعيلية ، وتارة الخرمية ، وتارة المحمّرة ، ظاهر مذهبهم الرفض وباطنهم الكفر المحض ، وهم كما قال العلماء فيهم ... وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين ؛ لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد عليهم السلام ، ولا بالكتب ولا بالخالق ولا دار ثواب ولا عقاب . وتارة يأخذون بالفلسفة والرفض ، وتارة يبنون قولهم على

مذاهب الفلاسفة الطبيعيين والإلهيين ١ . ويحرفون الأقوال والحديث ،  
وأعمالهم هذه كعمل إخوان الصفا في رسائلهم ، وقد دخل باطلهم  
على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف  
المنتسبين إلى العلم والدين ، وإن كانوا لا يوافقونهم على أصول الدعوة  
الهادية ؛ وهي درجات متعددة . ويسمون النهاية البلاغ الأكبر  
والناموس الأعظم .

لا تجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحتهم : وقد اتفق علماء المسلمين  
على أن هؤلاء لا تؤكل ذبائحتهم ، ولا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن  
ينكح الرجل مولاته منهم ، ولا يتزوج منهم امرأة . وعدم إباحة الذبائح .  
وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ففيه قولان للعلماء مشهوران : كسائر  
أنفحة الميتة ، وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج ، الذين  
يقال عنهم إنهم لا يذكون الذبائح .

مذهب أبي حنيفة ورواية لأحمد : يجوز أكل هذا الجبن ، لأن أنفحة  
الميت طاهرة .

كذلك أوانيهم وملابسهم كأواني المجوس وملابسهم عند العلماء  
والصحيح أنه لا يؤكل في أوانيهم إلا بعد غسلها .

لا يصل على موتاهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين : لا يصل على من  
مات منهم ، فإن الله تعالى نهى رسوله عن الصلاة على المنافقين ،

كعبد الله بن أبي ونحوه ، وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والجهاد مع المسلمين ، ولا يظهرون مقالة تخالف دين الإسلام ولكن يسرون ذلك فقال الله تعالى :

( وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ) (١) .

فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد .

أما استخدام هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر ؛ وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعاية الغنم ؛ فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم ، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة ، وهم شر من المخامر الذي يكون في العسكر ؛ فإن المخامر قد يكون له غرض إما مع أمير العسكر وإما مع العدو ، وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين وعلى إفساد الجند على ولي الأمر وإخراجهم عن طاعته .

ديارهم وأموالهم مباحة : لكن دماءهم وأموالهم مباحة ؛ وإذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء : فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام ؛ أقرهم على أموالهم ، ومن لم يقبلها لم تنقل إلى ورثتهم من جنسهم ؛ فإن مالهم يكون فيئاً لبيت مال المسلمين . لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة ؛ لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم ،

(١) سورة التوبة : ٨٤ .

وفيه من يعرف وفيهم من قد لا يعرف ، فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم .

لا يتركون يجتمعون، ولا يمكنون من حمل السلاح ، ويلزمون شرائع الإسلام من الصلوات الخمس، وقراءة القرآن ، ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام ، ويحال بينهم وبين معلمهم ، فإن أبا بكر الصديق وسائر الصحابة - رضوان الله عليهم - لما ظهروا على أهل الردة وجاؤوا إليه قال لهم الصديق : اختاروا إما الحرب المجلية وإما السلم المخزية . فقالوا : يا خليفة رسول الله ، هذه الحرب المجلية قد عرفناها ، فما السلم المخزية ؟ . قال : تدون قتلاتنا ولا ندي قتلاكم ، وتشهدون أن قتلاتنا في الجنة وأن قتلاكم في النار ، ونقسم ما أصبنا من أموالكم ، وتردون ما أصبتم من أموالنا ، وتنزع منكم الحلقة والسلاح، وتمنعون من ركوب الخيل... حتى يري الله الخليفة والمؤمنين أمراً بعد ردتكم . فوافقه الصحابة على ذلك إلا تضمين قتلى المسلمين ، قال عمر : أجرهم على الله .

يقاتل النصيرية قتال المرتدين ، وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات : لا ريب أن جهاد هؤلاء من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ؛ فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين ، والصديق وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب ، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين ، كذلك ضررهم على المسلمين أعظم من ضرر أولئك الكفار .

بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، وضررهم في الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب .

يجب على كل مسلم أن يفشي أخبارهم : يجب على كل مسلم أن يقوم بذلك بقدر قدرته ؛ فلا يحل لأحد يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله ، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى ، وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ :

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُشَسِّمُ الْمَصِيرُ )<sup>(١)</sup> .

والمعاون على كف شرهم وهدايتهم - بحسب الإمكان - له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فإن المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم كما قال تعالى :

( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... )<sup>(٢)</sup> . قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس ؛ تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الإسلام ، فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد - بحسب الإمكان - فمن هداه الله منهم سعد في الدنيا والآخرة ، ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .

(١) سورة التحريم : ٩ .

وهناك أحاديث كثيرة تبين درجات وأهمية الجهاد وبركاته وعظمته (١). وفي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ » .

وبعد : ففيما قدمناه عن طائفة العلويين - النصيرية - وما سبق بيانه من فتوى الإمام ابن تيمية - رحمه الله - المتقدمة بصددهم لكاف وخير دليل على معرفة عقائد القوم . وقد كفانا شيخ الإسلام مؤونة البحث ؛ فكشف بثاقب بصره وسعة اطلاعه وخبرته بمذاهب النصيرية عن فساد طويتهم وقد عرض - رحمه الله - ذلك عرضاً جميلاً ، وكان رده رداً قوياً يقنع كل من طلب معرفة الحق ورغب فيه (٢) .

### طائفة البهرة

ليس غرضنا هنا استقصاء كل ما يتعلق بهذه الطائفة ، وإنما حسبنا أن نشير إلى أهم معتقداتها . فعلى الرغم من قلة المراجع والمصادر المتعلقة بالبهرة إلا أنني حاولت جهدي الحصول على معلومات شافية عن هذه

(١) كُتِبَتْ هذه الرسالة في القرن الثامن الهجري عن النصيرية ، وقد أجاب على سؤال طويل بخصوصهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي فضح أسرارهم وكشف باطلهم وأظهر إلحادهم وكفرهم كما حاربهم بالسيف وشتتهم ، رحم الله الإمام المجاهد والعلامة الزاهد وأسكنه فسيح جناته ، فقد أدى للإسلام ما عليه من الواجب ، ونال الشرف والخلود وكرامة الدارين ، فأنعم به من مجاهد .

(٢) وبالمناسبة فإننا نحمد الله الذي يقبض لدينه في كل زمان ومكان من يردُّ عنه كيد الكائدين ، ويكشف زيف المبطلين المضللين . اللهم بسيفك القاطع اقصم رقاب الضالين والمبتدعين وأهلكهم أجمعين فإنهم لا يعجزونك ، وقنا شرهم يا رب العالمين .



الطائفة - الفرقة - لأجلي خفاياها، وأكشف القناع عن عقائدها وأسرارها التي تجهلها غالبية عظمى من أبناء المسلمين .

إن هذه الطائفة منتشرة في ديار العرب والإسلام ؛ كاليمن، والعراق ، والجزيرة العربية، والباكستان، والهند، وإيران وغيرها .

وحتى لا يفتن بها المسلمون فقد رأيت أن أقدم هذه المعلومات - التي أرجو أن تكون كافية لإبراز معالم هذه الطائفة وبيان حقيقتها - ليتسنى للمسلمين الاطلاع على خفاياها ومبادئها الملتوية ، وعلى ضوء هذا يعرف كيف يتعامل المسلمون مع منتسبي هذه الطائفة الزائغة التي جعلت الإسلام هدفاً يرمى، ومطعناً للمطاعنين ، بعد أن اتخذته تكئة ووسيلة لتنفيذ مآربها وتحقيق أغراضها الشريرة .

فالبهرة هي إسماعيلية الهند واليمن ، وهم ينتسبون إلى الإسماعيلية المستعلية ، التي كان يتبعها اليمانيون في عهد الصليحيين ، ويسمون الطيبية نسبة إلى الطيب بن الخليفة المستعلي .

وانقسمت دعوة البهرة إلى فرقتين ، البهرة الداودية، والبهرة السليمانية. والأولى بالنسبة إلى الداعي قطب شاه داود ، والثانية بالنسبة إلى الداعي سليمان بن حسن .

فأما البهرة الداودية فمركزهم في الهند - الهند وباكستان الآن - منذ القرن العاشر الهجري ، وداعيهم يقيم في بومباي . أما البهرة السليمانية فمركزهم في اليمن حتى اليوم<sup>(١)</sup> .

(١) إسلام بلا مذاهب : ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

فالبهرة يختلفون عن الآغاخانية اختلافاً كلياً في العقيدة والسلوك والتطبيق ، حيث إنهم ينتسبون للفاطميين الذين أقاموا دولتهم في شمالي أفريقيا - ومنهم المعز لدين الله الفاطمي الذي فتح مصر وبني الأزهر - ورئيس طائفة البهرة يلقب بداعي الدعاة، وبالسلطان ؛ لما له من سلطة روحية لها أثرها العميق في نفوس أتباعه ، حيث إنهم يستجيبون لكل ما يدعوهم إليه بحجة واقتناع . وهذه الطائفة تعدادها مليون ونصف مليون نسمة ، معظمهم في الهند<sup>(١)</sup> .

### بعض معتقدات البهرة

إن أفراد الطائفة يحترمون القرآن الكريم ظاهرياً ، ويؤولون آياته الكريمة ليستخرجوا منها معاني ما أنزل الله بها من سلطان . ولهم كتاب آخر يحظى بتقديسهم جميعاً هو كتاب النصيحة - لمؤلفه الداعي الحادي والخمسين طاهر سيف الدين - ويعتبرونه قرآنهم .

كما أنهم يتوجهون في صلاتهم إلى قبره - في مدينة بومباي في الهند ، ويطلقون عليه اسم : روضة الطاهرة - لا إلى الكعبة المشرفة<sup>(٢)</sup> ، وتجب عليهم الصلاة في العشرة أيام الأول من شهر المحرم . وفي غيرها لا تجب

(١) مجلة هدي الإسلام : عمان .

(٢) إن شأن هذه الطائفة كشأن الفرقة البهائية الضالة ، التي يتوجه أتباعها في صلاتهم الفاسدة إلى قبر شيطانهم المسمى بهاء الله - في مدينة عكا إحدى مدن فلسطين الشهيرة - التي أصبحت مزرعة للغزاة الصهاينة ، الذين يقدمون التأييد والدعم للبهائية المرتدة وأمثالها ، لتساهم في دور التخريب والتشويه في معازل الإسلام .

عليهم الصلاة . ولا يصلون إلا في مكان خاص بهم يسمى : الجامع خانة .  
وإذا لم يذهب الشخص منهم إلى الجامع خانة في العشرة أيام الأول من  
شهر المحرم، يطرد من الطائفة ويفرض عليه الحرمان .

ولهم في الكويت جامع خانة في شارع الاستقلال<sup>(١)</sup> ، ولكنهم يقولون  
إن صلاتهم تلك للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب ابن الأمر .  
وهم يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين - ظاهرياً - ويقولون: إن  
الكعبة هي رمز على الإمام<sup>(٢)</sup> .

### حياة البهرة الاجتماعية

يبلغ دخل الداعي - رئيس الطائفة - ١٢٠ مليون روبية هندية  
سنوياً . ويتقاضى كل فرد من أفراد عائلته - العائلة المالكة - ثمانية  
آلاف روبية شهرياً ، بالإضافة إلى السيارات والمساكن الحديثة المكيفة .  
ويتم جمع هذه المبالغ الضخمة بالوسائل التالية : تسن الحكومة البهرية  
ضرائب إجبارية على أفراد الطائفة ، في حين تدعي أنها تطوعية ،  
وقد اشترى الداعي عدة فنادق من هذه الضرائب التي يفرضها على أفراد  
طائفته ، واشترى أيضاً مشروع المياه الغازية - الكوكاكولا - في مدينة  
بومباي في الهند .

وعندما تقوم العائلة الحاكمة بإنجاز أي مشروع فالتبرعات تصبح

(١) مجلة المجتمع الكويتية : عدد ٤١٧ سنة ١٣٩٨ هـ .

(٢) إسلام بلا مذاهب : ص ٢٤٠ . مصطفى الشكعة .

واجبة على أفراد الطائفة ، وعندما اشترت العائلة فندقاً - سندزهاوس -  
في بومبي في فرض الداعي على كل فرد من أتباعه كافة أن يدفع ١٠ روبيات  
لتغطية النفقات .

ومن جهة ثانية فإن الداعي يتاجر مع أفراد عائلته بالذهب ، الذي  
يهربونه من أفريقيا وسيلان حيث استطاعوا تهريب ملايين المجوهرات  
والأحجار الكريمة .

وعندما تحمل الأم بابنها عليها أن تدفع ، وكذلك إذا مات فعليها أن  
تدفع الضريبة المقررة ، والذي يريد أن يحوز رضى الداعي عليه أن يدفع  
الكثير . حتى كلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الداعي تكلفهم ما بين  
٥٠٠٠ - ٥٠٠٠٠ روبية ، كل حسب طاقته ! الألف روبية تساوي  
٣٥ ديناراً كويتياً .

ويجب على كل فرد من أفراد الطائفة أن يشتري تذكرة خاصة بصلاة  
العيد ، يصدرها مكتب الداعي ، وتختلف قيمتها في الصف الأول عن  
الصف الآخر ، فالتذكرة في الصف الأول - خلف الملا جي الدكتور  
محمد برهان الدين - تكلفه ألف روبية ، وثمانمائة في الصف الثاني .

وكذلك جثة الميت منهم فإنها لا تدفن إلا بعد أن يدفع أقارب الميت  
ضريبة مقابل ذلك لمكتب الداعي ، الذي يراقب كل شيء ليأخذ  
الضرائب عن كل شيء .

وبعد الدفع يصدر الداعي صك غفران - روكوشيتي - لذلك الميت ،

يدفن معه في القبر . والصكوك عندهم عدة أنواع ، فأقارب المتوفى الذين يدفعون أكثر من خمسين ألف روبية ، يحصلون على صك غفران - أو شقة من الدرجة الأولى في الجنة<sup>(١)</sup> - !! . أما من يدفع أقل من خمسين ألف روبية فيحصل على صك غفران - أو شقة من الدرجة الثانية<sup>(٢)</sup> - !! .

وكل شخص يريد السفر إلى أي مكان عليه أن يأخذ تصريحاً خاصاً من مكتب الداعي . وقبل سفره لا بد أن يطوف بالروضة الطاهرة - قبر الحادي والخمسين طاهر سيف الدين والد الداعي الحالي .

ويوجد في الكويت حوالي ثمانية آلاف فرد من طائفة البهرة ، وكل شخص من هؤلاء عليه أن يدفع مبلغ خمسة دنانير شهرياً لنائب الداعي ، سواء كان يعمل أم لا . ولو تأخر شهراً واحداً عن الدفع ، فإنه يطرد من الطائفة ويفرض عليه الحرمان . وعلى كل فرد عند رجوعه إلى بلده أن يذهب ليطوف بالروضة الطاهرة عدة مرات .

ومن العجيب أن الداعي الأكبر باع كثيراً من (مساجد الضرار) التي ارتفعت أثمان الأرض بجوارها ، حتى المقابر لم تسلم من أذى الداعي ؛ فقد باع مقبرة كبيرة في بلدة - برهان يو - بأعلى الأثمان بعد أن

---

(١) إن طائفة البهرة ذات أئمة ودعوات خبيثة ، تخالف ما جاء به باقي الملل والنحل ، حتى إن المجوسية وغيرها من دعوات الوثنية لم تجرؤ على مثل جرائمها وسخافاتهما ، وإن كانت تلتقي مع المدرسة الباطنية في مقوماتها وضلالها .

(٢) انظر مجلة المجتمع الكويتية : سنة ١٣٩٨ هـ . العدد ٤١٧ .

قسمها إلى قسائم . ولكن أين تذهب كل هذه الأموال ؟ ! . إنه الداعي الذي يدخر قسماً كبيراً منها في البنوك السويسرية ، وينفق الآخر على ملذاته وشهوته ورجاله المقربين ، في حين أن أبناء طائفته بحاجة ماسة للمساعدة<sup>(١)</sup> .

هذه لمحة موجزة للحالة الاجتماعية القائمة التي يزرع تحت وطأتها مجتمع البهرة المسحوق ، الذي لم يعد يحتمل كل هذا الحرمان والتلاعب الذي يعاني منه على أيدي الطبقة الحاكمة ، تحت قيادة الداعي الأكبر - شيطانهم الرجيم - الذي نصب من نفسه الحاكم المطلق والمتصرف في كافة شؤون الطائفة ؛ حتى إن الوالد لا يملك أن يسمي ابنه بما يشاء من الأسماء ، بل الداعي هو الذي يختار للمولود الاسم ليأخذ مقابل ذلك الضريبة .

ونتيجة للحالة المتردية التي يعاني منها أفراد هذه الفرقة الشاذة ، فقد قامت موجات الاحتجاج تطالب بالإصلاح ضد الدكتاتورية التي يمارسها الداعي الحالي وزمرته ... وقد طالبت حركات الإصلاح بعدة مطالب أهمها<sup>(٢)</sup> :

١ - ضبط وتدقيق أموال الداعي وصرفها فيما يعود بالخير على أفراد الطائفة المسحوقين .

(١) مجلة الوعي الإسلامي : سنة ١٣٩٨ هـ .

(٢) المصدر السابق .

٢ - عزل الطائفة الدكتاتورية الحاكمة ، وانتخاب المؤهلين من أبناء الطائفة بدلاً منها لرعاية شؤونهم<sup>(١)</sup> .

لعل من المفيد بعد هذا العرض الموجز عن طائفة البهرة أن أذكر القارىء بأن دعوات الإلحاد والانحراف - وخاصة المستترة منها بالأقنعة الكالحة ، ومن بينها البهرة هذه - تنتمي إلى الدعوة الإسماعيلية وآل البيت زوراً وبهتاناً ، كما أنها تستقي تعاليمها من المدرسة الباطنية ، وتلتقي مع القرامطة والدرزية والبهائية في مستنقع واحد ... والذي يجب التنبيه عليه أن هذه الطائفة ومثيلاتها التي تتستر بالإسلام وتحيي بعض الشعائر الدينية - ظاهرياً كما تزعم - وتقيم (مساجد الضرار) وينخدع بها المسلمون ، ما هي في حقيقتها إلا داعية فساد وضلال .

هذه بعض أوهامهم وخرافات أئمة الكفر من دعاة هذه النحلة ؛ ليأكلوا أموال الناس بالباطل . قاتلهم الله على كفرهم وضلالهم ، الذي يمجّه كل عاقل ، بل هو عبث عقيم وضلال سقيم .

ولا أدري كيف يقبل بهذه الترهات الفارغة أبناء هذه الطائفة الشاذة ، مع أنهم يعرفون الكثير من تعاليم الإسلام التي تحارب هذه الخرافات والشعوذات ، ولكنه العناد والإلحاد الذي تربوا عليه ، ومع

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي - الكويت .

الأسف فلا يزالون يسبحون بحمد داعيهم، ويفنون في تمجيده وتطبيق أوامره الشيطانية ، ألا ساء ما يصنعون .

أقول : يجب على علماء الإسلام والمسلمين أن يكشفوا باطل هذه النحلة ، وغيرها من المعاول الهدامة والدعوات الدخيلة ، والوقوف في وجه كافة المذاهب المنحرفة ، وكشف زيفها وبيان أضرارها ، وتخليص الإنسانية من رجسها وخرافاتنا .

### طائفة الأغاخانية

إذا كانت البهرة ترجع أصولها العقيدية إلى الإسماعيلية المستعلية - التي مرّ الحديث عنها - فإن الأغاخانية ترجع عقيدتها إلى الإسماعيلية النزارية ؛ وقد ظهرت هذه الفرقة بنشاط في إيران ، وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، حينما ظهر شخص جمع حوله عدداً من الإسماعيلية وغير الإسماعيلية ، وهدد الأمن وقطع الطريق ، وسطا على القوافل حتى ذاع صيته في أنحاء إيران ، وأصبح أسطورة على ألسنة الناس ، وأعجب الإيرانيون ببطولاته ، فانضموا إليه إعجاباً وطمعاً في المكاسب المادية التي يحصلون عليها من طريقه ...<sup>(١)</sup> .

هذا الرجل اسمه حسن علي شاه ؛ وهو إسماعيلي، وإن لم يشر إلى إسماعيليته حتى لا ينفض الناس من حوله ، وكان للإنجليز مطمع في

(١) إسلام بلا مذاهب : ص ٢٤٠ - ٢٤١ .



إيران في ذلك الوقت ، فاستعملوه - حسن علي شاه - في قيادة ثورة يهدد بها الأمن حتى يجردوا - كما هي عاداتهم - منفذاً يدخلون منه إلى فرض سلطانهم ، ولكن حسن شاه فشل في ثورته وقبض عليه ، فسارع الإنجليز إلى التوسط له بالإفراج عنه ، على أن ينفي من إيران كلها .

وذهب حسن علي إلى أفغانستان - كرجبة الإنجليز - ولكنه لم يستطع أن يقدم هناك شيئاً لحلفائه ليقظة الأفغانيين ، فاتجه إلى الهند وسكن مدينة بومباي، وهناك اعترف به الإنجليز إماماً على الطائفة الإسماعيلية وخلعوا عليه لقب (آغا خان) فانتسب إلى الإمام نزار بن المستنصر الفاطمي ، وأصبح إمام الإسماعيلية النزارية . ثم مات سنة ١٨٨١ م . فخلفه ابنه في إمامة الطائفة وحرف باسم (آغا خان الثاني) وكان أبوه قد أعده للإمامة إعداداً كاملاً ، وهياً له الثقافة الكاملة .

وكان يجيد عدة لغات، منها: العربية . وعمل على خدمة أبناء المسلمين جميعاً دون تمييز بين طوائفهم ، فسنت مكانته بين الناس جميعاً ، وتزوج أميرة إيرانية وأنجب منها ولده محمداً الحسيني في نوفمبر سنة ١٨٧٧ م. وهو (آغا خان الثالث) المعروف باسم (آغا خان) المتوفى سنة ١٩٥٧ م .

وقد سكن أوروبا وتزوج أربع مرات ، للمرة الأولى من أميرة إيرانية ، والثانية من فتاة إيطالية أنجب منها لهنته علي خان ، للمرة الثالثة من بائعة حلوى وسجائر في باريس ، وأنجب منها ولده صدر الدين خان للمرة الرابعة من إحدى ملكات الجمال .

وحين مات - آغا خان - أوصى لحفيده - كريم - بالإمامة - وهو الإمام الحالي - ولا زال شاباً يطلب العلم في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية .

والإسماعيلية الآغاخانية يسكنون الآن نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنجو البلجيكي والهند وباكستان ، وبعضهم في سورية ومركز القيادة الرئيسي بالنسبة له هو مدينة كراتشي بالباكستان .

والإسماعيلية الآغاخانية تقدر آغا خان وتلقبه بالإمام ، وتقول بعصمته ، ويضيفون عليه صفات الألوهية - قاتلهم الله - ويدفعون له خمس ما يكسبون<sup>(١)</sup> ، ويعتقدون أن الخمر حين تدخل في جوفه تتحول إلى ماء زمزم . وحين سئل آغا خان مرة من قبل صديق له : كيف يسمع - وهو المثقف - لأتباعه أن يؤلوهوه ؟ ! . قهقه طويلاً حتى دمعت عيناه وقال : إن القوم في الهند يعبدون البقرة ، ألسن خيراً من البقرة<sup>(٢)</sup> ؟ .

هذه بعض معتقدات طائفة الآغاخانية التي يعتنقونها ، أضعها بين يدي القارئ ليستطلعها ، وهي تكشف لنا عن سوء منقلب أديانها ، كما تم عن فساد طوية مخترعها ، الذين يدعون الإسلام ظاهرياً ليحققوا مآربهم الخبيثة ، مع أنهم في الحقيقة ربائب لأعداء الله ، ودسائس مكر يستخدمها الاستعمار لتشويه سمعة الإسلام ، ودك إسفين مسموم في جسم الأمة لينخرها ويحطم كيانها .

(١) اسلام بلا مذاهب . (٢) جنور البلاء .

لذا كان جديراً بالمسلمين - حكاماً ومحكومين - أن يتصدوا لمثل هذه الجرثومة الباطنية ؛ بتعريف الأمة بأهدافها الشريفة ونواياها الخبيثة؛ التي تناقض تعاليم الإسلام وتعطل مسيرته الرائدة . . . وبهذا يمكن تعرية الأعداء وكشف أوراقهم الزائفة ، ليعود للمجتمع وجهه المشرق وتعود الحياة الهائثة للبشرية ويعم العدل والفضيلة .

### أحمد الأحسائي والشيخة

لم تنقطع مؤامرات الباطنية على العقيدة الإسلامية في التاريخ حتى في القرون الأخيرة ؛ حيث نرى أن الباطنية تتجدد على يد شيخ فاسد العقيدة غامض الفكرة والأسلوب ، يثير حوله جواً من التقديس الكاذب ، وهو الشيخ أحمد الأحسائي الذي ولد سنة ١١٦٦ هـ . ١٧٥٣ م . وقد أسس طريقة في مذهب الشيعة الإمامية سميت فيما بعد بالشيخة<sup>(١)</sup> . والشيخة يقولون: إن الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء قبل محمد ﷺ تجلياً ضعيفاً ، ثم تجلت تجلياً أقوى في محمد ﷺ والأئمة الاثني عشر ، ثم اختفت زهاء ألف سنة، وتجلت في الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي والسيد كاظم الرشتي ، ثم تجلت في كريم خان الكرمانلي

(\*) لما كان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو تحلير المسلمين وإيقاظ شعورهم الديني ووجدانهم ، فقد رأينا إتباع الفرق الباطنية القديمة بالحديث لما لها جميعاً من أهداف مشتركة في الكيد للإسلام وأهله ، بغض النظر عن التاريخ الزمني لظهور هذه الفرق .

(١) البايون والبهايون ، عبد الرزاق الحسيني : ص ١ .

وأولاده إلى أبي قاسم خان . وهذا التجلي هو أعظم التجليات لله والأنبياء والأئمة ، والركن الرابع من الشيخ أحمد الأحسائي إلى ما بعده هم شيء واحد ، يختلفون في الصورة ويتحدون في الحقيقة التي هي مظهر الله فيهم . ويعتقدون أن محمداً رسول الله ، وأن الأئمة الاثني عشر هم أئمة الهدى ، ومعنى الرسالة والأمانة عندهم أن الله تجلى في هذه الصورة ؛ فمنهم رسول ومنهم إمام . ويعتقدون أن اللاحقين هم أفضل من السابقين وعلى ذلك فالشيخ أحمد في رأي أصحابه أعظم من جميع الأنبياء والمرسلين . ويعتقد هؤلاء بالرجعة ؛ ويفسرونها بأن الله بعد أن غاب عن صور الأئمة رجع وتجلي تجلياً أقوى في الركن الرابع ، الذي هو الشيخ أحمد ومن يأتي بعده<sup>(١)</sup> .

والأحسائي من الشيعة الحلولية الذين يعبدون علياً ، وأدلته الفلسفية مستقاة من مذهب الفيلسوف المشهور الملا صدرا<sup>(٢)</sup> .

وأما اعتقادهم في القيامة فهو اعتقاد باطل مخالف لنصوص القرآن والسنة الشريفة وإجماع الأئمة ؛ إذ أنهم لا يعتقدون بقيامة الجسد ، ويؤولون علامات الساعة تأويلات باطنية تتفق مع مسلكتهم في إنكار البعث والقيامة<sup>(٣)</sup> .

لقد كرس الأحسائي حياته في سبيل الدعوة إلى قرب ظهور المهدي

(١) البصرة تستأصل الشيخية : ص ٧ نقلاً عن كتاب البايون والبهائيون .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مجلد ٥ ص ٤٤٨ نقلاً عن : البايون والبهائيون .

(٣) مطالع الأنوار : ص ٣٣ - ٣٤ . عن المصدر السابق .

المنتظر . يقول زرزنسدي : وإذا كان واثقاً بنبالة مقصده - كذا - طلب بحماس من جميع أتباع الإسلام في الشرق - بما فيهم أهل الشيعة - أن يهبوا من نوم غفلتهم ويهيئوا الطريق للذي سوف يظهر بينهم عند تمام الأيام<sup>(١)</sup> .

ويخيل إلي - استناداً إلى نزعتة العقلية المتطرفة - أنه لم يكن من المؤمنين ، كما تبدو عليه اتجاهاته الباطنية الأخرى ؛ بأن المهدي مختلف . فالحال الذي تؤمن به الإمامية من حيث إنه مستور ، وعلى اتصال دائم بالشيعة ، بل إنه كان يؤمن بالمهدي كشخص اعتيادي ، يظهر ظهوراً اعتيادياً ، وخاصة فإن اتجاهه هذا يتفق مع الزيدية وبعض علماء السنة في ظهور المهدي . وكان همه من التبشير بقيامه وظهوره هو الإسراع بالقضاء على عقيدة الإمامية ، وذلك لكي يقوم بالمرحلة التالية التي اتفق على أشخاصها وممثلي أدوارها مع سادته المستعمرين ، وهذه مسرحية تنص على تقديم مهديهم الخاص إلى الأمة الإسلامية .

أما كيف كان الشيخ أحمد الأحسائي متصلاً بالمستعمرين ، أو بدوائر التنصير التي كونت الطلائع الأولى لهم في الشرق ، والتي وضعت خطة محكمة للوصول إلى مثل هذه النتائج في المجتمع الإسلامي فالجواب على ذلك ما يلي :

١ - إن كثيراً من الحركات الدينية والسياسية والاجتماعية ظهرت في المجتمع وانتشرت في ظل شعارات معينة ، ثم ظهرت خبيثتها؛ فحكم

(١) مطالع الأنوار : ص ٣ نقلاً عن : البايون والبهائيون .

الناس أن تلك الحركات كانت حركات استعمارية ؛ وذلك استناداً إلى نتائجها إذ أنها شجعت تشجيعاً قوياً من المستعمرين ، وقاموا هم على نشرها وإفساح المجال لها والدفاع المستميت عن أشخاصها ؛ لأنهم لم يتعرضوا لمصالحهم ، بل دعوا إلى مهادنتهم وعدم القيام ضدهم .

أقول : إذا كانت الحركة تتسم بهذه المزايا يصبح من السهل جداً على العلماء من الاجتماعيين وغيرهم أن يحكموا باستعمارياتها . وحركة الأحسائي ظهرت نتائجها الواضحة بعده بسنوات قليلة ، كما سيظهر لنا كيف أن المستعمرين احتضنوها ليضربوا بها الإسلام الذي كانوا يعتبرونه الجدار الوحيد أمام استعمارهم واستغلالهم للشرق<sup>(١)</sup> .

٢ - لقد أوضحت حوادث التاريخ بأن الفرق الباطنية كانت توجه دائماً من قبل أعداء الإسلام ؛ من اليهود وأباطرة الروم ودهاقين المجوسية . وأن تلك الفرق خانت الأمة الإسلامية في مواقف حرجة من تاريخها ؛ كحروب الروم مع المسلمين ، وهجوم الصليبيين على ديار الإسلام ، ومؤامرات المجوس لاستعادة مجدهم القديم . وبما أن حركة الأحسائي كانت حركة باطنية ، وأنها نشأت في زمن كانت الأمة الإسلامية فيه تريد أن تنفض عنها غبار الزمن ، وأن الاستعمار الغربي كان يريد القضاء على هذه اليقظة الإسلامية ، إذن فيكاد يجزم المرء - من هذه الناحية أيضاً - بعلاقة هذه الحركة الباطنية بدوائر الاستعمار

---

(١) انظر : حقيقة الباطنية والبهائية ص ٣٧ .

بصورة خاصة ، وأعداء الإسلام بصورة عامة .

٣ - هنالك رأي يستند على تقارير المستشرقين يقول : إن الأحسائي لم يكن أصله من الأحساء ، ولا ثبت ذلك تاريخياً ، وإنما كان قساً غربياً أرسل من أندونيسيا إلى الشرق ، حسب خطة مرسومة ، لإفساد العقيدة وتغيير أحكام الدين (١) .

### الحركة الكشفية وكاظم الرشتي

يقال: إن كاظم الرشتي ولد في رشت من بلاد إيران سنة ١٢٠٥ هـ . ولما بلغ عمره السادسة والعشرين ذهب إلى طهران للاقابلة أحمد الأحسائي ، ثم رافقه إلى كربلاء وتلمذ عليه واستسلم بسهولة لأوهامه وخرافاتهِ ، وقد سار الرشتي على طريقة أستاذه الأحسائي؛ في اللجوء إلى الرؤى والخداع والمكر لتنفيذ خطته التي اتفق عليها مع أستاذه وشيخه الأحسائي ، في التبشير بالمهدي وقرب ظهوره ووجوب الإيمان به . ولم يكتف الرشتي بالتبشير بقرب ظهور المهدي ، بل عيّن شخصه بصورة تكاد تكون مباشرة ، وذلك بتعيين صفاته وشمائله وأخلاقه وإيهام القوم أنه جالس بينهم ، ولا يرسل إلا بعد موته . والمعروف أنه كان قد عيّن أحد تلاميذه - وهو الميرزا علي محمد - الآتي ذكره حسب الخطة المرسومة للقيام بهذه المهمة ، وهو الذي تنطبق عليه تلك الصفة ، التي كان

(١) البصرة تستأصل شأفة الشيخية : ص ١٣ عن : البايبة والبهائية .

يردها الرشتي في كل درس بقوله : إن الموعود يعيش بين هؤلاء القوم ، وإن ميعاد ظهوره قد قرب ، فهيثوا الطريق إليه ، وطهروا أنفسكم حتى تروا جماله ، ولا يظهر لكم جماله إلا بعد أن أفارق هذا العالم ، فعليكم بعد فراقى أن تقوموا على طلبه ، ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه<sup>(١)</sup> . إن الرشتي كان يوجه تلاميذه - الميرزا علي محمد - وهو جالس في مجلسه ، فكان يريد بذلك إسماع الآخرين بقوله : إن الشريعة وأصول الآداب هي غذاء للروح ، لذلك يجب أن تكون الشرائع متنوعة ، وعلى ذلك يجب نسخ الشرائع العتيقة<sup>(٢)</sup> .

وهكذا نرى أن الرشتي - بمكره وتحركاته وخبث تدبيره - أشعل الشوق في نفوس أصحابه للقاء الموعود المزعوم . ولقد نشر بينهم هذه الفكرة لدرجة أنهم كانوا جميعاً يحلمون بها ، وذهب جميع تلامذته من بعد موته متلهفين لرؤية ما وعدهم به ، حيث إن بعضهم قال لتلميذ له اسمه الملا حسن البشروي : إنك لو ادّعت هذا لآمنّا بك<sup>(٣)</sup> .

إن جميع ما أثبتناه عن الشيخية والرشتية إلى الآن يهدف إلى معرفة جذور مؤامرة البابية على الإسلام ، حيث إنها كما ترى لم تكن بنت يومها عندما أعلن تلميذ الرشتي الميرزا محمد علي الشيرازي . وإنما مرت بمراحل وهيئت لها الأذهان والعقول والبيئة اللازمة لقبول الفكر ، فخطط الاستعمار طويلة الأمد عميقة الجذور يتم الاختيار على مراحلها ،

(١) انظر مطالع الأنوار : ص ١٣٠ ، ١٣١ . عن : حقيقة البابية والبهائية .

(٢) المصدر السابق نفسه . (٣) نفس المصدر السابق .



ويسبق القول على أشخاصها ، ثم تقدم للناس بأسلوب جذاب ينسجم مع ظروفهم النفسية والبيئية ، والاستعمار في خطته هذه استند على فكرة كانت بعيدة الجذور في نفوس الإيرانيين وهي فكرة المهديوية .

إن اتصال هذه الحركة بمراكز التنصير العالمي ومساندتها من قبل دول الاستعمار واليهودية العالمية قد شد من أزرها ، إلى أن جاءت الفترة التي تهيأ فيها الميرزا علي محمد الشيرازي ليقوم بدوره المرسوم ؛ وهو تأسيس الطائفة التي تسمت بالفرقة البهائية . لقد مثلت البهائية أعلى مرحلة من مراحل التآمر التاريخي على الإسلام ، ابتداءً بالباطنية المجوسية وانتهاءً إلى الباطنية الصهيونية وأجهزة التنصير الصليبي ومراكز الماسونية العالمية ... إن الإسلام في جهاده لماض إلى يوم القيامة ، وستجاب به عقبات أخرى وسيجرب أهل الباطل معه أفنك الأسلحة ، وسوف لا يكون نصيبهم - بإذن الله - بأحسن من نصيب من سبقهم من الأعداء العتاة المخدولين ... وكرة أخرى سيخسر هنالك المبطلون .

## الديانات الاستعمارية

تلقت هذه الأمة عقيدتها صافية نقية عن كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وتكفل الله تعالى بحفظ كتابه ، وهياً لذلك رجالاً أمناء صفت بصائرهم واستنارت قلوبهم بنور الله تعالى ، وتفانت نفوسهم في خدمة الحق ، وامتدحهم الله تعالى في محكم كتابه بقوله :

( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا )<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان جند الحق من أبناء أمة الإسلام على علم وبصيرة ؛ يهتدون بكتاب الله وسنة رسوله، مجمعون على الحق والهدى ، فكل ضلالة وبدعة، وزيف وتحريف، وغلو وتفريط ينكشف أمره بسهولة ، وتحذره الأمة لأن الحق أبلج ، فيموت الضلال في مهده ، أو تكون له جولة ثم يزهد .

وانتشر العلم وكثر العلماء وأقبل الناس على تعلم الحق ، ولذلك

(١) سورة الفتح : ٢٩ .

لم يكن من السهل أن تنتشر الأباطيل والضلالات ، حتى جاء عصر الضعف ؛ حين كثر دعاة الباطل ، وقل التعلم في عامة الناس ، وكثر الجهل في سوادهم ، فوجد المبطلون ميداناً خصباً لنشر الأباطيل في النفوس الضعيفة والقلوب المريضة .

لقد كانت الفرقتان: البهائية والقاديانية، من بين هذه الأباطيل والنحل الهدامة ، التي وضعها أعداء الإسلام بخبث ودهاء لتحطيم كيان الأمة الإسلامية ونسف وحدتها وتصديق كيانها . واتبعهما أناس زاغت قلوبهم وعميت بصائرهم فتفاقم شرهما ، ولا يزال الخطر يزداد يوماً بعد يوم ، ويزداد نفوذهما في موطنهما الأصلي في شبه القارة الهندية وإيران خاصة، وبلاد العرب والمسلمين عامة .

وللوقوف على أسرار هاتين الفرقتين الضاليتين ، وأسباب وجودهما ونجاح دعواتهما في بعض الجهات، رغم كشف سوء نياتهما ، وفشل دعوتيهما على كافة الأصعدة ، وللوقوف على هذا كله وتنويراً لأبناء الأمة فسوف أفرد لكل حركة من هاتين الحركتين فصلاً خاصاً ، أتناول فيه الدوافع الحقيقية التي كانت وراء ظهور كل منهما ، مع تسليط بعض الأضواء على تلك الأيدي الخفية التي ساندتهما ، والدور الذي ستقوم به كل منهما ، وبهذا يقف المسلم على حقيقة ما يراد به من قبل أعدائه ، بادئاً بالحركة البسابية والبهائية .

## ظهور البابية

كان أول ظهور فرقة البابية الضالة عندما طالع الميرزا علي محمد المسلمين في إيران بمقالة ادعى فيها أنه الباب أو على حدّ قوله : أنا مدينة العلم وعلي بابها . وقال : ادخلوا البيوت من أبوابها . فلا يجوز دخول البيت إلا من الباب ، فأنا ذلك الباب .

وكان أول هذا القول في ليلة الخميس ٢٣ مارس عام ١٨٤٤ م الموافق ٥ جمادى الأولى عام ١٢٦٠ هـ . ويعتبر هذا اليوم لدى البابية عيد البعث ، وتحرم فيه الأعمال<sup>(١)</sup> . ومن هذا اليوم لا يطلق على محمد علي نفسه سوى الباب . ويقال : إنه أول من ادعى أنه الباب . كان يقول : إنه باب للوصول إلى الإمام المنتظر . ويقول : إنه المهدي المنتظر ، وإن جسم المهدي اللطيف قد حل في جسمه المادي ، وإنه ظهر الآن في هذا العالم ليمحو الظلم ، ويبدد الجور ، وينشر العدل<sup>(٢)</sup> .

يقول المستشرق ( جولد تسيهر ) : إن اسم الباب كان نتيجة لاعتقاده في نفسه أنه أشرق منه على العالم الرغبة المعصومة للإمام المستور الذي يعد المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية<sup>(٣)</sup> .

وقد ظل ميرزا علي محمد محتفظاً بهذا اللقب حتى اعتقد أنه المهدي المنتظر ، الذي يجب ظهوره في نهاية الألف الأولى من السنين ، بعد

(١) انظر خفايا البهائية : ص ٣٣ . وكتاب : البايون والبهائيون .

(٢) راجع المصدر السابق : ص ٣٣ . (٣) راجع المصدر السابق نفس الصفحة .

ظهور الإمام الثاني عشر ( ١٢٦٠هـ - ١٢٦٠هـ ) وهو إمام الشيعة الاثني عشرية .

وكان الباب يلقب نفسه بعدة ألقاب كان أتباعه يطلقونها عليه ؛ فكان يطلق على نفسه: سيد الذكر ، وحضرة الأعلى ، ومظهر الرب ، وباب الله ، ونقطة الأولى ، وطلعة الأعلى ، ونقطة البيسان ...

وكان للباب كاتم لأسراره هو الملا حسين البشروئي ، وكان يسمى وسط البابية: باب الباب . والأخير من أصل فارسي من بلدة شيراز .

وتبع الباب ثمانية عشر شخصاً كانوا دعائه ، وكان يطلق عليهم حروف (حي) وكانت وظيفة هؤلاء السير في المدن الإيرانية للتبشير بدعوة الباب .

والباب الميرزا علي محمد كان لثقافته أثرها في تفكيره ؛ فلقد هجر التجارة مع خاله ، وانصرف إلى دراسة الروحانيات والتبينات وتسخير الجان والكواكب<sup>(١)</sup> .

والباب - كما يقول الداعية البهائي محمد حسين أواره - له الخيار المطلق في تغيير الأحكام وتبديلها ، لأن الباب مروج للشريعة الإسلامية ومصالح لأحكامها .. وتقول قرة العين بأن للباب القائم مقام المشرع حق التشريع ... وعلى وجوب الشروع فعلاً في إجراء بعض التغييرات كإفطار رمضان<sup>(٢)</sup> ، والباب - حسب قول البابين - مدة دعوته ونبوته

(١) راجع خفايا البهائية : ص ٣٤ . ورسالة البهائية للأستاذ محب الدين الخطيب .

(٢) نفس المصدر : ص ٣٥ .

حوالي ٢٣٥ سنة . ولا يجوز قبل هذه الفترة لأحد أن يدعي النبوة .  
ويقال: إن هذه المدة قدر سنين حروف (المستغاث) . وسار الباب في قوله  
بأنه أيضاً أعظم من الرسول ﷺ وأن دعوته تفوق الدعوة الإسلامية .

وقال عن البيان - الكتاب الذي وضعه - بأنه يفوق القرآن ، وأنه  
يتحدى أي شخص يأتي بباب من أبواب البيان العظيم ، أو ما يسميه  
الباب : البيان العربي . وهو كتاب البابية المقدس . كما أن للباب كتاباً  
ثانياً يطلق عليه : البيان الفارسي . وهذا الكتاب حرقه البهائيون بعد  
ظهور الأقدس ؛ كتابهم المقدس<sup>(١)</sup> .

والكعبة ليست بيت الله الحرام ولكنها في بلدة تبريز بإيران ؛ حيث  
يتجه إليها المصلون في صلاتهم الصباحية . وطالب الباب بهدم قبر  
الرسول ﷺ وهدم الكعبة الشريفة في مكة المكرمة وهدم قبور الأولياء ،  
ولا تدفع الزكاة والصدقة إلا لبابي ، وجعل الباب عدد أيام السنة  
٣٦١ يوماً .

وقد فسر الباب القرآن تفسيراً باطنياً<sup>(٢)</sup> . يقول الباب مقلداً  
القرآن : قل الله ليظهرنك على الأرض وما عليها بأمره ، وكان الله على  
ذلك مقتدراً ، قل الله يغلبنك على الأرض وما عليها وكان الله على ذلك  
مرتفعاً ، قل لو اجتمع من في السموات والأرض وما بينهما أن يأتوا بمثل  
ذلك الإنسان - يعني الباب - لن يستطعن ولن يقدرون ولو كانوا كل  
بكل مستعينين .

(١) نفس المصدر السابق : ص ٣٦ . (٢) خفايا البهائية : ص ٣٦ - ٣٧ .

ويقول الباب مدعياً أحقيته في الظهور كنبي في قوله : قل إن الله ليظهرن من يظهره الله ، مثل ما قد أظهر محمداً رسول ، من قبل ، وأظهر علياً قبل محمد من بعد ، كيف يشاء بأمرى إنه كان على كل شيء قديراً . قل لو تريدون كل الرسل في وجه الله فانظرون ولو تريدون كل الكتب في كتاب الله فانظرون ، ولو تريدون كل خير من عند الله تدركون<sup>(١)</sup> .

إنها كلمات بلا معنى ، وتقليد أجوف يشوه الحقيقة ؛ فمن مطالعاتنا لكتب الباب نجد أنه مسخ آيات القرآن الحكيم كما مسخها ميرزا غلام أحمد - الأفاق القادياني اللعين - فكلاهما ينهلان من معين واحد وهدفهما واحد ؛ وهو تشويه معالم الإسلام النيرة السامية . وقد كانت البابية أداة طيعة في يد الاستعمار يوجهها كيف يشاء . وفي الصفحات التالية بسط لعلاقة البابية بالاستعمار والصهيونية وعقائدها ، ونهايتها بعد إعدام الباب ، ثم مجي خليفة البهاء - الملعون - ودور البهائية الدسيسة في محاربة الإسلام والمسلمين .

---

(١) راجع نفس المصدر : ص ٣٩ .

## إعلان الدعوة البابية

ومن ذبول الباطنية طائفة فارسية تدعى البابية ، وتنسب إلى الباب ؛ وهو ميرزا علي محمد الشيرازي المولود في شيراز بإيران .

جهر الباب بدعوته في ليلة الخامس من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م . - كما ذكرت سابقاً - وراح دعائه وأنصاره يعلنون تأييدهم له ، ويحرضون الناس على الانضمام تحت لوائه <sup>(١)</sup> .

ولما لم تكن هذه الحركة تتناسب والمركز الديني لعلماء إيران ، وكانت تعاليم الباب مخالفة لأصول الدين الإسلامي الحنيف ، فقد قامت قيامة هؤلاء العلماء في وجه هذه الدعوة ، فنشرت الرسائل وألفت الكتب ، وألقيت الخطب ، وفي جميعها من التفنيد للمبادئ الجديدة ما فيها ، واستحث رجال الدين رجال الدولة على وجوب استئصال شأفة هذه البذور التي بدأت تهدد الأمن في إيران .

ونتج عن هذه المقاومة أن مال إليه الجهلة من العوام ، فلما رأى الباب ذلك أعلن أنه هو المهدي المنتظر - بعد أن كانت دعوته أنه واسطة أو باب للوصول إلى الإمام المنتظر <sup>(٢)</sup> - وقال إن جسم المهدي اللطيف قد حل في جسمه المادي ، وإنه يظهر الآن ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً <sup>(٣)</sup> .

(١) راجع البايون والبهائيون : ص ٢١ . وذيل الملل والنحل : ص ٤٥ .

(٢ ، ٣) نفس المصدر : ص ٢٢ بتصرف .



ولم يكن في العقائد البابية وفي تعاليمها السرية ما يمنع مثل هذا الادعاء ، فالإمام مظهر من مظاهر الله في أرضه ، وواسطة تبليغ للناس لانكشاف الحقائق له ، فإذا حصل من هو في رتبته في الكشف فلا مانع هناك أن ينال عين الرتبة .

وهذا ما دعا الباب أن يظهر بمظهر أرقى من الدعوة السابقة ، فيدعي أنه أفضل من محمد ﷺ صاحب الدعوة الإسلامية العظمى ، وأن تعاليمه التي جمعها في بيانه أفضل من تعاليم نبي المسلمين في قرآنه ، وأن محمداً إذا كان قد تحدى الناس بالإتيان بسور الفرقان المبين ، فإن الباب يتحدى الجميع بالإتيان بباب من أبواب بيانه العظيم<sup>(١)</sup> .

وقد صادفت دعوته بعض النجاح عند عدد قليل من أبناء وطنه شيراز ، ولما شكوا العلماء من ذلك ، استدعى حاكم شيراز دعاة الباب وحقق معهم فلم يخفوا عنه شيئاً ، فاستفحق العلماء في شأنهم فأفتوا بكفرهم ووجوب قتلهم ، ولكن الوالي اكتفى بنفيهم من شيراز ، وأرسل بعض جنوده إلى أبي شهر فجاؤوا بالباب ، وعقد مجلساً من العلماء والفقهاء وأحضر الباب لينظرهم ، فانقسم العلماء في أمره ، فمنهم من أفتى بقتله ، ومنهم من قال باختلال عقله ، أما الوالي فقد أمر به فجرده من الملابس، وأوسعوه ضرباً مبرحاً<sup>(٢)</sup> .

وقد هم الوالي بقتله فإذا بالباب ينكر أنه وكيل القائم الموعود ،

(١) نفس المصدر : ص ٢٢ بتصرف .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٣ . وذيل الملل والنحل : ص ٤٦ .

أو الواسطة بينه وبين المؤمنين ، فتركه الوالي مع خاله ميرزا علي الشيرازي على أن يحضره يوم الجمعة إلى المسجد ليعلن توبته على رؤوس الأشهاد ، فلما حل اليوم المذكور صعد الباب على المنبر وقال :

إن غضب الله على كل من يعتبرني وكيلاً عن الإمام أو الباب إليه ، وإن غضب الله على كل من ينسب إلي إنكار وحدانية الله ، أو أني أنكر نبوة محمد خاتم النبيين ، أو رسالة أي رسول من رسل الله ، أو وصاية علي أمير المؤمنين ، أو أي أحد من الأئمة الذين خلفوه<sup>(١)</sup> . ا . ه .

وبذلك نجا الباب من القتل ، ولكنه ما لبث أن عاود دعوته في سنة ١٨٤٥ م ، فكتب إلى دعائه في العراق بأنه لا يستطيع التوجه إليهم كما وعدهم من قبل - كما طلب إلى أعوانه في إيران أن يرحلوا إلى أصفهان لمواصلة الدعوة ، فعاد الهياج إلى شيراز والتحقيق في الموضوع<sup>(٢)</sup> .

إلا أن انتشار الهزيمة ( الكوليرا ) في شيراز ، وفتكها بالأهلين فتكاً ذريعاً بعد وفاة كثير من الموظفين والجند ، أجلت النظر في أمر الباب الذي استطاع أن يفر إلى أصفهان سنة ١٨٤٦ م ، وكان دعائه قد توغلوا في هذه الولاية مثل توغلهم في شيراز<sup>(٣)</sup> .

وفي سنة ١٨٤٧ م أمر الشاه باعتقال الباب في قلعة ( ماه كو ) في ولاية أذربيجان بالقرب من الحدود الروسية الإيرانية العثمانية ، وكانت القلعة منيعة جداً ، إلا أن نقل الرجل إلى تلك القلعة بث الشجاعة

( ١ ، ٢ ، ٣ ) نفس المصدر : ص ٢٣ . وذيل الملل والنحل : ص ٤٦ .

والغيرة في قلوب أتباعه ، فصاروا يجاهرون بالدعوة. بعد أن كانوا يبشرون بها في الخفاء ، وأخذ عدد أتباعه يزداد يوماً بعد يوم ، فنقلته الحكومة إلى قلعة جهريق<sup>(١)</sup> .

ثم عقد أقطاب البابية مؤتمراً في صحراء (بدشت) في شهر رجب سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م . حضره واحد وثمانون قطباً ، من بينهم باب الباب الملا حسين البشروئي ، والحاج محمد علي البافروشي الملقب بالقدوس ، وقرّة العين زارين تاج ، التي دعيت بالطاهرة في هذا المؤتمر ، والميرزا علي حسين الذي تسمى بالبهاء<sup>(٢)</sup> .

وقد تناول المجتمعون البحث في هذين الأمرين الرئيسيين :

أولاً : إنقاذ الباب من اعتقاله ونقله إلى مكان آمن .

ثانياً : وضع حد بين مبادئ البابية والدين الإسلامي .

ففيما يتعلق بالأمر الأول تقرر إرسال المبلغين إلى النواحي ؛ ليحثوا الأحياب على زيارة الباب في قلعة (ماه كو) مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه من ذوي قرباهم وودهم . وأن يجعلوا مركز اجتماعهم (ماه كو) حتى إذا تم العدد الكافي طلبوا من الشاه الإفراج عن الباب ، فإن أجابهم إلى طلبهم فيها ونعمت ، وإلا هجموا على القلعة وأنقذوه بالقوة<sup>(٣)</sup> .

(١) بتصرف عن كتاب : « البايون والبهايون » : ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) راجع ذيل الملل والنحل : ص ٤٧ .

(٣) راجع البايون والبهايون : ص ٢٩ ، وذيل الملل والنحل : ص ٤٧ .

وأما فيما يتعلق بالأمر الثاني فقد ظهر - بعد مذاكرات طويلة - أن معظم المؤتمرين يعتقدون بوجوب النسخ والتجديد ، ويرون أن من قوانين الحكمة الإلهية في التشريع الديني أن يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه ، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه ، فعلى هذا القياس يكون الباب أعظم مقاماً وآثاراً من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله ، وأثبتوا له الخيار المطلق في تغيير الأحكام وتبديلها .

وذهب قليل من الحاضرين إلى عدم جواز التصرف في الشريعة الإسلامية ، مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مروجاً لها ومصلحاً لأحكامها (١) .

ثم دعي الباب لمناظرة علماء إيران ، فسأله أحد العلماء (٢) : من تكون ؟ . وما هو ادعاؤك ؟ . وما هي الرسالة التي أتيت بها ؟ . فأجاب ثلاثاً :

إني أنا الموعود ، وأنا الذي دعوتوه منذ ألف سنة ، وتقومون عند سماع اسمه ، وكنتم تشتاقون للقاءه عند مجيئه ، وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره ، الحق أقول لكم : إن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب (٣) . فقال أحد العلماء : إن الدعوى التي تقدمها الآن دعوى خطيرة ، فيجب أن تدعي بالدليل القاطع .

(١) المرجع السابق : ص ٣٠ ، وذيل الملل والنحل : ص ٤٨ .

(٢) راجع ذيل الملل والنحل : ص ٤٨ .

(٣) راجع البايون والبهايون : ص ٤٣ ، والمصدر السابق ص ٤٨ .

فأجاب الباب : إن أقوى دليل وأقنعه على صحة دعوى رسول الله هو كلامه ، كما دلل على ذلك بقوله : ( أَوْلَمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ... ) (١) . ولقد آتاني الله هذا البرهان ؛ ففي ظرف يومين وليلتين أقرر أنني أقدر أن أظهر آيات توازي في حجمها جميع القرآن (٢) . وانتهت المناظرة بغير نتيجة .

ثم ازدادت الاضطرابات في جميع أنحاء إيران ، وانتشرت الفتن وساعدت الدسائس الأجنبية على امتدادها ، فقرر الشاه ناصر الدين ضرورة القضاء على هذه الفتن ، فأصدر أمره بإعدام الباب ، ونفذ فيه حكم الإعدام في شهر يوليو سنة ١٨٤٩ م ، وقد تبرأ منه كاتب وحيه حسن التبريزي ، وانهاه على الباب بالشتائم والسباب ، فأطلق سراحه (٣) .

وأتى الحراس بوتدين من الحديد ، ودقوهما في جدارين متقابلين ، وربطوا فيهما الباب وصاحبه محمد على الزنوزي ، وأطلقوا عليهما الرصاص ، وربط الجند جثتيهما وألقوهما في خندق ، فبقيتا فيه حتى أكلتهما الطيور الجارحة (٤) . وكان عمر الباب يوم إعدامه إحدى وثلاثين سنة قمرية وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، من يوم ميلاده في شيراز .

(١) سورة العنكبوت : ٥١ .  
 (٢) راجع البايون والبهائيون : ص ٤٣ .  
 (٣) المصدر السابق : ص ٤٦ - ٤٧ . وقد نقل عن بعض الكتب أن الباب المقتول أوعز إلى كاتب وحيه أن ينكره لينجو من الموت . ويقص على أصحابه ما لقيه أصحابه من عذاب مهين . نقلت هذه السطور عن كتاب البايون والبهائيون : ص ٤٧ .  
 (٤) راجع البايون والبهائيون : ص ٤٦ - ٤٧ .

ولما قتل الباب زادت تعاليمه اشتهاً وعظم الاضطهاد على أتباعه ، وأظهر بعض رؤسائهم دعاوى مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمراتب وأمثالها ، فاختلفت آراؤهم وتشتت أهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات ، وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات .

وقد نقل بعض أتباع الباب جثته ودفنها على جبل الكرمل حيث يرقد عبد البهاء عباس<sup>(١)</sup> .

## كتب الباب

من أهمها : البيان العربي . كتبه خلال إقامته في قلعة (ماه كو) ورتبه على تسعة عشر واحداً ، وقسم كل واحد إلى تسعة عشر باباً ، فتكون أبوابه ٣٦١ باباً . وهذا العدد ينطبق على مجموع أعداد حروف كلمة : كل شيء . وقد خص الواحد الأول بنفسه ، والثمانية عشر الباقية لكبار أصحابه ؛ لكل منهم واحداً . ولما كان حاصل جمع أعداد حروف (حي) إذا استخرجت بحساب الجمل ١٨ ، فقد سمي أصحابه المشار إليهم ؛ حروف حي ، إلا أنه لم يكتب إلا أحد عشر واحداً فقط ، وترك إكمال البيان العربي لمن يأتي بعده . وله كتاب : البيان الفارسي ؛ وهو صورة من البيان العربي<sup>(٢)</sup> :

(١) راجع ذيل الملل والنحل : ص ٤٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه وكتاب البايون والبهائيون : ص ٥٢ . مؤلفه السيد عبد الرازق الحسيني .

## بسم الله الأمانع الأقدس

إنني أنا الله لا إله إلا أنا ، وأن ما دوني خلقي ، قل يا خلقي إياي فاعبدون ، قد خلقتك ورزقتك ، وأمتك ، وأحييتك ، وبعثتك ، وجعلتك مظهر نفسي لَتَتَلَوْنَ من عندي آياتي ، ولِتَدْعُونَ كل من خلقتة إلى ديني ، هذا صراط عز منيع . وخلقك كل شيء لك ، وجعلتك من لدنا سلطاناً على العالمين ، وأذنت لمن يدخل في ديني بتوحيدي وأقرنته بذكرك ، ثم ذكر من قد جعلته حروف الحي بإذني .

وما قد نزل في البيان من ديني ، فإن هذا ما يدخل به الرضوان عبادي المخلصين ، وإن الشمس آية من عندي ليشهدن في كل ظهور مثل طلوعها كل عبادي المؤمنين . قد خلقتك بك ، ثم كل شيء بقولك ، أمراً من لدنا إنا كنا قادرين . وجعلتك الأول والآخر والظاهر والباطن إنا كنا عالمين .

وما بعث على دين إلا إياك ، وما نزل من كتاب إلا عليك ، ذلك تقدير المهيمن المحبوب . وإنما البيان حجتنا ندخل من نشاء في جنات قدس عظيم ، ذلك ما يبدأ في كل ظهور من الأمر ، أمراً من لدنا إنا كنا حاكمين . وما نبدأ من دين إلا لما يبدع من بعد ، وعداً علينا إنا كنا على كل قاهرين ، وإنا قد جعلنا أبواب ذلك الدين عدد كل شيء مثل

عدد الحول ؛ لكل يوم باباً ليدخلن كل شيء في جنة الأعلى ، وليكونن في كل عدد واحد ذكر حرف من حروف الأولى لله رب السموات والأرض ، رب كل شيء ، رب ما يُرى وما لا يُرى ، رب العالمين . وإنا قد فرضنا في باب الأول ما قد شهد الله على نفسه على أنه لا إله إلا هو رب كل شيء ، وإن ما دونه خلق له عابدون ، وأن ذات حروف السبع باب الله لمن في ملكوت السموات والأرض وما بينهما ، كل بآيات الله من عنده يهتدون ، ثم كل باب ذكر اسم حق من لدنا ، وذكر أحد من حروف الحي ، بما رجعوا إلى الحياة الأولى ، محمد رسول الله والذين هم شهداء من عند الله ، ثم أبواب الهدى وخلقوا في النشأة الأخرى بما وعد في الفرقان إلى أن يظهر عدد الواحد في الواحد الأول ، فضلاً من لدنا إنا كنا فاضلين<sup>(١)</sup> .

## الحركة البهائية - خليفة البابية

بعد انتهاء دور البابية ظهرت البهائية ، وكان مؤسسها الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس النوري المازنداراني الذي تسمى بالبهاء<sup>(٢)</sup> .

### حياة البهاء :

ولد سنة ١٢٣٣ هـ - ١٢ تشرين ثاني ١٨١٧ م<sup>(٣)</sup> . وكان والده مأموراً للمالية ، وخلف سبعة أولاد .

(١) نفس المصدر والبايون والبهائيون : ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) راجع كتاب خفايا البهائية : ص ١١١ .

(٣) راجع كتاب البايون والبهائيون : ص ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ . وكتاب البابية والبهائية في الميزان .



وقد تربى الميرزا حسين مع إخوته في طهران ، وكان يعاشر الصوفية ويقرأ كتبهم حيث ظهرت بوادرها في كتاباته وأفكاره فيما بعد .

وقد حضر مؤتمر بدشت مع غانية البابين - قرة العين - وكان له تأثير عظيم عليها ، وقد دفن في عكا سنة ١٣٠٩ هجرية - ١٨٩٢ ميلادية؛ وأوصى بعده بالأمر لولده الذي سماه بـ ( عبد البهاء )<sup>(١)</sup> .

### ثقافته :

ثقافته خليط من البرهمية والبوذية والزرادشتية والمانيوية والمزدكية والنصرانية واليهودية والإسلام والفرق الباطنية وغيرها ، وهناك رافد آخر أثر في عقله وثقافته وأسلوبه وهو المذاهب الصوفية ، وخاصة ما يتصل بوحدة الوجود والحلول والفناء<sup>(٢)</sup> .

### علاقته بالصوفية :

لقد خالط الصوفية منذ صغره ، وتعلم على أيديهم ، واستوعب رموزهم ومصطلحاتهم ، ولم يفارقه هذا الاتجاه حتى بعد دخول البابية ونفيه إلى العراق ؛ فقد كان وهو في نواحي السليمانية يحضر إلى محل هناك يسمى (خانقاه) الذي كان مجمع العلماء والمشايخ والصوفية . إن تأثير الكتابات الصوفية قد بلغ في أسلوب الميرزا حسين مبلغاً عظيماً؛ حتى لا تكاد تقرأ صفحات من كتاباته إلا وتحسب نفسك أمام كتاب

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) راجع البايون والبهائيون : ص ٥٨ - ٥٩ .

من كتب متطرفي الصوفية في معناه ومبناه<sup>(١)</sup> . ونورد هنا طائفة من أقواله ؛ وهي تريك أنه على نهج أقوال الصوفية تماماً :

يا أيها الطائر في هواء المحبة والوداد ، والناظر إلى أنوار وجه ربك مالك الإيجاد ، قد أمتنتني ظلمة البعد . أين نور قربك يا مقصود العارفين ، وأهلكني سطوة الهجر . أين ضياء وصالك يا محبوب المخلصين .

وفي كتبه تتردد تعابير الصوفية منها : محبوب أفئدة العارفين ، تجليات أنوار شمس الحقيقة ، فيوضات ... مظهر إلهي ... سبحات الأنام وغيرها .

ومن أساليب البهائيين - يقول الأستاذ الإمام محمد عبده : أنا لم أفهم من عباس - عبد البهاء - أفندي شيئاً ، وإنما صرح لي أن قيامهم لإصلاح مذهب الشيعة وتقريبه من مذهب أهل السنة<sup>(٢)</sup> .

لقد كان يحضر معه الجمعة ، رغم أن والده البهاء أبطل صلاة الجماعة . لقد خطب عباس مرة في لندن فقال : الناس قد نسوا تعاليم بني إسرائيل وتعاليم المسيح وغيره من معلمي الأديان فجددها البهاء .

ونلاحظ أن هذا الحاقد الملعون لم يذكر اسم الرسول الأعظم عليه السلام ترضية للصليبيين ، وتزلفاً للصهيونية أعداء الإسلام والدين<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع البايبة والبهائية في الميزان : ص ٢٠ .

(٢) انظر خفايا الطائفة البهائية : ص ١٢٢ .

(٣) لقد استطاع البهائيون أن يتغلغوا في إيران وبتولوا المراكز الحساسة العليا .

وكان إذا خاطب جمعاً نصرانياً قال : المسيح هو الحقيقة الإلهية ،  
والكلمة الجامعة السماوية التي لا أول لها ولا آخر ، ولها ظهور  
وإشراق، وطلوع وغروب في كل دور من الأدوار<sup>(١)</sup> .

هذه أساليبهم ودعواتهم المنحرفة ، وبدعهم وخداعهم ومكرهم  
كالشعالب المتلونة . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

### البهائية والصهيونية

إن فكرة المهدي المنتشرة في إيران تسعف البهائية على ترويج بضاعتهم  
للتخلص من الإسلام ، وقد احتضنوا حركة الرشتي ودفعوا الميرزا علي  
محمد لإعلان نفسه مهدياً ، جاء لنسخ شريعة الإسلام وإلغاء الجهاد  
للقضاء على روح الكفاح في المجتمع الإسلامي ، وهكذا كانت أصابع  
اليهود تعمل ضد الإسلام .

إن اليهود حاولوا بكل ما لديهم من وسائل تثبيت مركز الميرزا  
حسين البهاء ، وبلغ الأمر بهم أن استخلصوا من دفائن العهد القديم  
وتنبؤات أسفاره ما ينسب بظهور بهاء الله عباس . وزعموا أن كل آية  
تشيد بمجد يهودا ، أنها تعني ظهور مخلص العالم في شخص بهاء الله .  
كما نسبوا جزءاً كبيراً من الإشارات والتلميحات - التي في الأسفار -  
إلى جبل الكرمل ، الذي تجلى فيه نور الله وأضاء الكون ، وذلك في

(١) راجع البابية والبهائية في الميزان . والمصدر السابق « بتصرف » .

نهاية القرن التاسع عشر ، فضلاً عن أنهم لم ينسوا أن يستخرجوا مما يحتويه سفر دانيال من الرؤى ما ينبئ بقيام حركة الباب ، وأن يلتمسوا تأويل ما يدل على حدوثها<sup>(١)</sup> .

## البهائية والانجليز

إن تاريخ الإنجليز في إيران لم يكن بأشرف من تاريخهم في الهند ، فقد حاولوا التغلغل بين الصفوف ، وإيقاد نار العداوة بين المسلمين ، ومساعدة الحركات الهدامة التي قامت لتقويض دعائم الإسلام ، ومن ذلك مساعدتهم الفعلية للحركة البهائية ، وتشجيعهم لزعمائها والتدخل السافر لإنقاذهم من القصاص العادل<sup>(٢)</sup> ، وتهيئة الظروف اللازمة لإنجاح دعوتهم .

لقد رأى الإنجليز أن أملهم الأخير يكمن في مناصرتهم للميرزا حسين البهاء ، وتهيئة الظروف اللازمة لإنجاح دعوته - بعد إخفاق الحركة البابية في السيطرة على إيران - ولذلك فإنهم لجؤوا إلى كل وسيلة لإنقاذه من الإعدام ، متعاونين بذلك مع الروس واليهودية العالمية ، لأنهم كانوا يرون فيه الشخص الذي بوسعه أن يقدم إليهم أجل الخدمات .

(١) غضايا البهائية : ص ١١٥ - ١١٩ . والبابية والبهائية في الميزان : ص ٢٣ .

(٢) انظر غضايا البهائية . والبابية والبهائية في الميزان : ص ٢٥ .

إن ولاء عبد البهاء عباس - زعيم البهائية - للإنجليز يتأكد لكل إنسان عندما يقرأ الخطب الرنانة التي ألقاها في نوادي لندن وكنائسها ومجامعها ؛ ويقول مخاطباً الانجليز في إحدى خطبه : إن مغناطيس حبيكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة . ويقول : أصبحت المدنية الغربية متقدمة عن الشرقية ، وأصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين<sup>(١)</sup> .

### عقائد البهائية

تقوم الديانة البهائية على أساس الاعتقاد بوجود إله واحد أزلي ، نظير ما يعتقد به المسلمون ، إلا أن الباطنيين يستمدون صفات الخالق من أساس العقيدة الباطنية ؛ التي ترى أن لكل شيء ظاهراً وباطناً ، وأن هذا الوجود مظهر من مظاهر الله ، وأن الله هو النقطة الحقيقية ، وكل ما في الوجود مظهر له .

والوجود في نظر المسلمين صادر عن الله وفعل مخلوق له ، وأما عند البابية والباطنية فإنه صفة تدل على الحياة والتأثير ، ومن هذه الناحية الاعتقادية يبنون كل مظاهر العمل والعبادة ؛ على أنها أمور ظاهرية تعبر عن أمر باطني .

أما عقيدتهم في النبي والإمام فمستمدة عن العقيدة بالخالق ؛ فالنبي

(١) المصدر السابق نفسه .

أو الإمام في حياته مظهر من مظاهر الله في الأرض ، وارتقاؤه إلى هذه المنزلة إنما هو باستكمال صفات أخلاقية جعلته يعبر عن الأمر الواقعي ويصل إلى الحقيقة دون غيره ، فمن استكمل الصفات التي استكملها النبي أو الإمام فهو أحق وأهل للتظاهر بمظهر الدعوة والتبشير ، لهذا صح للباب أن يكون مظهراً من مظاهر الله في الأرض بعد النبي<sup>(١)</sup> .

أما عبادات البهائيين ومعاملتهم فقد وردت في كتاب البيان ، الذي نسخه خليفة الباب - وهو علي حسين الملقب بالبهاء - بكتابه الأقدس :

#### ١ - الصوم :

عند البهائيين هو الشهر التاسع عشر ، الذي يلي أيام الضيافة . والسنة البهائية تسعة عشر شهراً كل شهر تسعة عشر يوماً ، ومجموع ذلك ٣٦١ يوماً ، وبقية أيام السنة عندهم تسمى أيام البهاء ، وهم يقضون هذه الأيام في تبادل الزيارات ومواساة الفقراء والضعفاء والأيتام وأبناء السبيل ، ثم يصومون بعد ذلك شهراً كاملاً ، أي تسعة عشر يوماً ، يكون آخرها عيد النيروز ، أي : ٢١ آذار .

وفي الصيام يمتنعون عن الطعام والشراب من الشروق إلى الغروب ، ويعفى من الصيام من كان دون البلوغ ؛ أو كان على سفر ، أو الضعيف نتيجة المرض أو الهرم ، ويدخل في ذلك الحامل والمرضع والحائض والنفساء ، ولا يجب على هؤلاء القضاء .

(١) انظر البايون والبهائيون : ص ٧٢ - ٧٣ . وذيل الملل والنحل : ص ٥١ .

كذلك يقول عبد البهاء في دعوته الماكرة - داعياً للتجمع الصهيوني في فلسطين، ويدافع عنهم في خبث ظاهر ، ويذكر جملة أباطيل عند دفاعه عن اليهودية - فيقول : وقد اعتبر النصارى والمسلمون اليهود شياطين وأنهم أعداء ، ولذلك لعنوهم واضطهدوهم وقتلوا الكثيرين منهم ، وأحرقوا منازلهم ونهبوا أموالهم وأسروا أطفالهم<sup>(١)</sup> .

ولإلقاء المزيد من الأضواء على صلة البهائية الضالة مع الصهيونية الماكرة ، أسوق فيما يلي طائفة من الوثائق التي تكشف تآمرها على الإسلام والمسلمين :

١ - نشرت مجلة الأخبار الأمرية التابعة للمحفل الروحاني الوطني للبهائيين - العدد الخامس الصادر في إيلول عام ١٩٥١ - حديثاً لرئيس القسم العالي للبهائيين ، مع وزير الأديان الصهيوني يقول فيه : إن أراضي الدولة الإسرائيلية - في نظر البهائيين واليهود والنصارى والمسلمين - أراض مقدسة . وقد كتب حضرة عبد البهاء قبل أكثر من خمسين عاماً ؛ أنه في النهاية ستكون فلسطين موطناً لليهود ، وهذا كلام طبع في حينه وانتشر<sup>(٢)</sup> .

٢ - وجاء في كتاب التوقيعات المباركة ، بالمجلد الثاني ، لمؤلفه شوقي أفندي - وهو الزعيم الثالث للفرقة البهائية - في الصفحة ٢٩٠ ما يلي :

(١) خفايا البهائية : ص ١١٥ - ١١٩ . والباية والبهائية في الميزان : ص ٢٣ .

(٢) انظر أجنحة المكر الثلاثة : ص ٢١٢ - ٢١٣ ، وحقيقة الباية : ص ٢٠ .

لقد تحقق الوعد الإلهي لأبناء الخليل ووارث الكليم . ، وقد استقرت الدولة الإسرائيلية في الأراضي المقدسة ، وأصبحت العلاقات بينها وبين المركز العالمي للجامعة البهائية وطيدة ، وقد أقرت واعترفت بهذه العقيدة<sup>(١)</sup> .

٣ - نشرت مجلة الأخبار الأمرية بالعدد العاشر في عام ١٩٦١ م . ما قالته روجيه ماكسول زوجة شوقي أفندي وزعيمة البهائيين حالياً ؛ في مقابلة صحفية لها مع (مزه هيفت) وهو : فإن كان من المقرر لنا الاختيار ، فمن الجدير أن يكون هذا الدين الجديد في أحدث دولة ، وفيها يترعع ، وإن لنا مع إسرائيل روابط ووحدة مصير ، وفي الواقع يجب أن أقول : إن مستقبلنا ومستقبل إسرائيل يرتبطان ببعضهما كحلقتين في سلسلة واحدة<sup>(٢)</sup> .

٤ - إن مركز تشكيلات البهائيين الرئيسي - ويسمى بيت العدل - يوجد حالياً في مدينة « عكا » بفلسطين المحتلة ، وتشرف عليه هيئة مكونة من تسعة أشخاص ، بينهم أمريكيون وأوروبيون . والرئاسة الروحية فيه لتلك المرأة الأمريكية الأصل - روجيه ماكسول - وكل المحافل الأخرى التي تقام في العالم تعتبر فرعاً للمركز الرئيسي في فلسطين المحتلة<sup>(٣)</sup> .

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر . والباية والبهائية في الميزان : ص ٢٤ .

(٣) نفس المصدر .



٥ - ثبت لدى مكتب المقاطعة العربية لإسرائيل أن البهائية تتعامل مع الصهيونية وتتآزر معها ، لذلك أصدر في شهر صفر عام ١٣٩٥ هـ . الموافق لآذار عام ١٩٧٥ م . قراراً باعتبار البهائية من الحركات الهدامة ، وبوضعها في القائمة السوداء ومقاطعتها ، وحظر أي نشاط لها في البلاد العربية ، لثبوت تعاملها مع العدو الإسرائيلي ، وافتضاح اتصالاتها المشبوهة بالصهيونية وأجهزتها السرية والعلنية<sup>(١)</sup> .

إن هذه النصوص الدامغة هي الوثيقة التاريخية ، التي تدين البهائية في كل زمان ومكان بعمالتهم للصهيونية العالمية ، وبأنهم الأعداء الحقيقيون للبشرية ، التي زعموا أنهم ما جاؤوا إلا لإسعادها ودفع الظلم عنها ، وهذا زور وبهتان . ألا ساء ما يصنعون .

## ٢ - الصلاة :

فرضت الصلاة على كل بهائي بالغ ، وهم يؤدونها على انفراد بتسع ركعات ، في ثلاثة أوقات ، حين الزوال ، وفي البكور ، والأصال ، متوجهين شطر مدينة عكا حيث يرقد بهاء الله ، على أن يسبق الصلاة وضوء وإذا انعدم الماء يذكر الإنسان عبارة : بسم الله لا طهر إلا طهرك . خمس مرات ، ثم يشرع في الصلاة .

ويعفى من الصلاة من كان في مثل الحالات التي سبق ذكرها في الإعفاء من الصيام . وليست عندهم صلاة جماعة إلا في صلاة الميت ،

(١) نفس المصدر .

ويتلون في كل صلاة أدعية خاصة<sup>(١)</sup> .

### ٣- الحج :

أما حجهم فالإلى الدار التي ولد فيها مؤسس ديانتهم - علي محمد - بشيراز ، أو إلى الدار التي نزل فيها بهاء الله حسين خلال إقامته بالعراق ، وليس هناك وقت معين للحج<sup>(٢)</sup> .

### ٤- الزكاة :

وقد سئل عبد البهاء عباس عن حكم الزكاة في ديانتهم فأجاب :  
الزكاة في البهائية كالزكاة في الإسلام . وهناك تعاليم دينية أخرى منها :

- ١ - تحريم التسول والاستجداء ومنع العطاء للمتسولين مطلقاً .
- ٢ - وجوب العمل على الجميع ، فلا يأكل إنسان من ثمار غيره .
- ٣ - الإصلاح الاقتصادي بين الفلاحين في القرى .
- ٤ - تحريم المخدرات<sup>(٣)</sup> .

### ٥- الزواج

الزواج بواحدة فقط ، وفي كتابهم الأقدس التصريح بزوجتين إذا عدل بينهما ، وفسر عبد البهاء عباس هذا النص بقوله : إن الزواج لا يكون بأكثر من واحدة ، لأن الزواج باثنتين مقرون بشرط لا يمكن تحقيقه وهو العدالة .

( ١ ) ذيل الملل والنحل : ص ٥٢ . وكتاب البايون والبهائيون : ص ٧٥ .

وخفايا الطائفة البهائية : ص ١٢٨ - ١٣٠ .

( ٢ ، ٣ ) المصدر السابق نفسه .

أما الطلاق فمكروه . وهم يزوجون البهائي من غير البهائية ، والبهائية من غير البهائي بشرط تحرير عقد بهائي إلى جانب العقد غير البهائي<sup>(١)</sup> .

## ٦- الموارِيث :

في الشريعة البهائية يتساوى الولد مع البنت في الميراث وفي كافة الحقوق ، وسن الرشد لهما واحد ، وهو الخامسة عشرة ، وغير البهائي لا يرث البهائي .

أسماء الشهور والأيام عند البهائيين :

- (١) شهر البهاء (٢) شهر الجلال (٣) شهر الجمال (٤) شهر العظمة
- (٥) شهر النور (٦) شهر الرحمة (٧) شهر الكلمات (٨) شهر الكمال
- (٩) شهر الأسماء (١٠) شهر العزة (١١) شهر المشيئة (١٢) شهر العلم
- (١٣) شهر القدرة (١٤) شهر الفول (١٥) شهر المسائل (١٦) شهر الشرف
- (١٧) شهر السلطان (١٨) شهر الملك (١٩) شهر العلاء .

أما أسماء الأيام فهي :

يوم السبت	-	يوم الجلال
يوم الأحد	-	يوم الجمال
يوم الاثنين	-	يوم الكمال
يوم الثلاثاء	-	يوم الفضال
يوم الأربعاء	-	يوم العدل

(١) المصدر السابق نفسه .

يوم الاستقلال - يوم الخميس  
يوم الاستقلال - يوم الجمعة

### أعيادهم:

- ١ - عيد النيروز في ٢١ آذار - مارس .
- ٢ - عيد الرضوان : يبدأ من ٢١ نيسان - ابريل - إلى ٢ أيار - مايو - وهو عيد إعلان بهاء الدين دعوته في حديقة نجيب باشا بالعراق التي سماها حديقة الرضوان ، وكان نجيب باشا والي بغداد قد حجزه في تلك الحديقة سنة ١٨٦٣ م ، فأقام فيها ١٢ يوماً أعلن خلالها دعوته .
- ٣ - عيد ميلاد مؤسس الديانة : وهو أول المحرم من كل عام .
- ٤ - عيد ميلاد البهاء حسين علي : وهو في اليوم الثاني من المحرم .
- ٥ - عيد إعلان دعوة الباب علي محمد : وهو في اليوم الخامس من جمادى الأولى<sup>(١)</sup> .

وبما أن الديانة البهائية لم تجد رواجاً بين المسلمين ، لذلك اتجه أتباعها إلى نشرها في أوروبا وأمريكا ؛ وقد زار عبد البهاء من البلاد الأوروبية: إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا ، وتجول في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد صادفت دعوته بعض النجاح بين سكان أمريكا الشمالية .

(١) انظر خفايا البهائية : ص ١٢٤ - ١٣٦ ، والبايون والبهائيون : ص ٨٤ - ٨٩ . وذيل الملل والنحل : ص ٥٣ - ٥٤ بتصرف .

وبعد وفاة الميرزا حسين علي - الملقب بالبهاء - انقسم البهائيون إلى فرق هي :

(١) البهائية . (٢) الأزلية : نسبة إلى صبح أزل أحد أنصار الباب .  
(٣) البابية الخالص ، الذين لم يرضخوا لأوامر من قام بعد الباب علي محمد . (٤) البابية البهائية العباسية : أتباع عبد البهاء عباس ؛ وهو ابن حسين علي الملقب بالبهاء ، وقد أطلق على نفسه عبد البهاء ، ولد سنة ١٨٤٤ م ومات سنة ١٩٢١ م . (٥) الناقضون : وهم أتباع محمد علي أخي العباس ، ويطلق المؤرخون اسم المارقين على أتباع الميرزا عباس واسم الناقضين على أتباع محمد علي .

وكل فريق يؤيد دعواه ويكفر من عداه ، فاعتزلوا المعاشرة وحرموا معاملة بعضهم بعضاً ، وكانت عداوة كل منهم للآخر أشد من عداوتهم جميعاً لمن طعن في معتقداتهم وقال ببطلان دعواهم<sup>(١)</sup> .

وعلى الجملة فبذعة البهائية المشتركة ، وضلالة البابية الخبيثة التي سبقتها - وهي حجر الأساس لوجودها - هاتان الديانتان الاستعماريتان اللتان ارتبطتا عضوياً مع الاستعمار والصهيونية العالمية وذلك للكيد للإسلام وطعنه في صميمه وتقويض أركانه<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر ذيل الملل والنحل : ص ٥٥ - ٥٦ . وخفايا الطائفة البهائية : ص ١١١ - ١١٢ .  
(٢) يقول محمد الحجازي ، صاحب جريدة اليقظة الإيرانية ، بأن البهائية مشركون وليسوا بمسلمين ، وقد حكمتنا في إيران بنجاستهم . . . ومقابر البهائيين مع مقابر اليهود في مكان واحد . خفايا البهائية : ص ١٨٦ .

## تكفير البهائية

ونظراً لأخطار البهائية ونتائجها المدمرة على الدين الإسلامي وأتباعه ، ولثلا ينجرف الناس في تيارها المعادي ، وكشفاً لضلالتها وفساد دعائها وكفرهم ، فقد صدرت عدة فتاوى وأحكام قضائية بتكفير هذه الطائفة ومبتدعيها .

فقد أفتى شيخ الأزهر فضيلة الشيخ سليم البشري - رحمه الله - علامة زمانه ، عندما سئل رأيه في زعيمهم - الميرزا عباس - فأجاب بقوله : إنه كافر<sup>(١)</sup> ... وقد صدرت هذه الفتوى في جريدة مصر الفتاة في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٨ هـ . عدد ٦٩٢ .

كما صدرت فتوى ثانية في ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٩ م ؛ وكانت لجنة الفتوى برئاسة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم - رحمه الله - وإلى القارئ نص الفتوى : إن البهائية ليست من فرق المسلمين ؛ إذ أن مذهبهم يناقض أصول الدين وعقائده ، التي لا يكون المرء مسلماً إلا بالإيمان بها جميعاً ، بل هو مذهب مخالف سائر الملل السماوية ، ولا يجوز للمسلمة أن تتزوج بواحد من هذه الفرقة ، وزواج المسلمة به باطل ، بل إن من اعتنق مذهبهم من بعد ما كان مسلماً صار مرتدأ عن دين الإسلام ، ولا يجوز زواجه مطلقاً ، ولو ببهائية مثله<sup>(٢)</sup> . ا . هـ .

(١) انظر كتابنا مصرع الشرك والخرافة : ص ٣١٣ . وكتاب البابية والبهائية في الميزان : ص ٢٦ .  
(٢) البهائية في نظر الشريعة والقانون : ص ١٩ ، للمستشار علي منصور . وخفايا الطائفة البهائية : ص ١٨٦ .

فعلى المسلمين أن يحذروا أعداءهم وأتباع هذه النحلة المسخ وأوهامها  
وخرافاتهما ، كما يجب على حكام المسلمين وعلمائهم كشف أعداء الأمة  
وكافة الدسائس وإحباطها ، والتحذير من الوقوع في شرك الأعداء  
ومكائدهم المستمرة .

وبعد : فهذه صورة جامعة وجيزة للبابية وخليفتها البهائية ، وما  
تقدمهما من مساعي الكيد للدين الإسلامي ابتغاء تغييره وتحويل أهله  
عنه ، ومقتطفات من نصوص القوم مأخوذة من كتبهم وغيرها من  
المراجع الموثوقة ، وأظن أن فيما أوردته يكفي للحكم على هاتين  
الطائفتين الضالتين بما تستحقانه والذين سعوا لهما الله حسيبهم في  
الدنيا والآخرة ... وأخيراً خير ما يقال قوله تعالى :

( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ) (١)

## الحركة القاديانية

تنسب الطائفة القاديانية إلى مدينة قاديان بالهند ، وأحياناً يطلق  
عليهم اسم الأحمديّة ؛ لانتسابهم في مذهبهم إلى رجل اسمه غلام أحمد  
المولود بمدينة قاديان بالهند سنة ١٨٣٥ م . والذي انكب منذ صغره على  
دراسة القرآن والحديث والتعبد والتفكير في أمور الدين .

(١) سورة النور : ٦٣ .

وقد ادعى غلام أحمد أنه المسيح المعهود والمهدي الموعود في وقت واحد ، ويستند أتباعه في الإيمان به إلى ما روي في صحيح البخاري : « إنَّ الْمَهْدِيَّ يَظْهَرُ فِي شَرْقِيٍّ مَنَارَةَ دِمَشْقَ ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ يُصَلِّي خَلْفَهُ ... » . مع قول النبي ﷺ : « كَيْفَ بِكُمْ وَبِابْنِ مَرْيَمَ فِيكُمْ ؟ ! » (١) .

ويقولون إن غلام أحمد وإن كان هندياً إلا أنه إيراني الأصل ، هاجر آباؤه إلى الهند منذ مئات السنين . وإيران هي الوطن الصحيح لسلمان الفارسي، وقد صح الحديث النبوي فيه : « سَلَمَانٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » (٢) . رواه الطبراني والحاكم وسنده ضعيف .

وفي سنة ١٨٩٦ م وجه غلام أحمد رسالة إلى علماء الهند وغيرها من البلاد الإسلامية جاء فيها :

إن الله (٣) قد بعثني مجدداً على رأس هذه المائة ، واختصني عبداً لمصالح العامة ، وأعطاني علوماً ومعارف تجب لإصلاح هذه الأمة . ووهب لي من لدنه علماً حياً لإتمام الحجّة على الكفرة الفجرة ، وجعلني من المكلمين الملهمين ، وأكمل علي نعمه ، وأتم تفضله ، وسماني المسيح ابن مريم بالفضل والرحمة ، وقدر بيني وبينه تشابه الفطرة كالجوهرين من المادة الواحدة ، ووهب لي علوماً مقدسة نقية ، ومعارف صافية جلية ، وعلمني ما لم يعلم غيري من المعاصرين ، وصب في

(١) الحديث الأول والحديث الثاني رواهما البخاري .

(٢) انظر القادياني والقاديانية : ص ٦ . وذيل الملل والنحل : ص ٦١ .

(٣) مكتوب أحمد ، طبع لجنة التحرير الجديد سنة ١٩٥٩ م .



قلبي ما لم يحيطوا به علماً ، ونوراً لم يمسه أحد منهم ، وجعلني من  
المنعمين .

ومن أجل آلائه أنه استودعني سره الذي يكشف للأولياء ، والروح  
الذي لا ينفخ إلا في أهل الاصطفاء ، وأعطاني كل ما يعطى لأهل الموالاتة  
والولاء ، وصافاني ووالائي وشرح صدري ، وأتم بدري وأخبرني بأكثر  
ما هو مزمع عليه في سابق علمه ، وصبغني حبه ، وهداني طرق إسلامه  
وسلمه ، وأخرجني من المحجوبين .

ومن آلائه أنه خاطبني وقال : أنت وجيه في حضرتي واخترتك لنفسي .  
وقال : أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق . وقال : أنت مني بمنزلة توحيدني  
وتفريدي . وقال : يا أحمد أنت مرادي ، ومعني يحمذك الله من عرشه .  
وقال : أنت عيسى الذي لا يضاع وقته ، كمثلك در لا يضاع جرى  
الله في حلال الأنبياء . وقال : قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين . وقال :  
اصنع الفلك بأعيننا ووحينا . إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله  
فوق أيديهم . وقال : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) (١) .

أيها الكرام ، إن الفتن اشتدت والأرضُ فسدت والمفاسد كثرت ،  
وعلا في الأرض حزب المتنصرين ، وقيل لهم مراراً: لا تجعلوا ميتاً إلهاً  
غفاراً ، واتقوا الله محاسباً قهاراً ، فما خافوا الله ، وأصرروا على كفرهم  
متشددين ، هناك اقتضت أحديته وقضت غيرته أن يكسر صليبهم  
ويبطل أكاذيبهم ، ويوهن كيد الخائنين .

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .



مُتَوَفِّيكَ» (١) . وقال : « فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي » (٢) . . . وما قال إني محييكَ ،  
فمن أين علم حياة المسيح بعد موته الصحيح ؟ ! . يؤمنون بأنه لقي  
الأموات ثم يقولون ما مات . تلك كلم متهافئة متناقضة ، لا ينطق بها  
إلا الذي ضلت حواسه وغرب عقله وقياسه .

أليس الله بقادر على أن يجتبي مثلي بعنايته ؟ . ويعطي دراية من  
درايته ؟ . والله أسرار في أنبيائه وحكم تحت قضائه .

يا عباد الله . اسمعوا ثم فكروا ، ثم أقبلوا إن كنتم طالبين ؛ قد مات  
نبي الله عيسى وأخبرنا عن موته خير الخلق وسيد الورى ، وما جاء لفظ  
رجوع المسيح في نبأ خير البرية ، بل لفظاً النزول إلى هذه الأمة ،  
وشتان بين الرجوع والنزول عند أهل المعرفة .

واعلموا أن قرب الله ليس إرثاً مقبوضاً لأحد ، بل تداول هذه الأيام  
من أمر رب صمد يلقي الروح على من يشاء ، وهكذا تقتضي لعظمة  
الكبرياء .

ثم يستطرد في رسالته إلى أن يقول: وتعلمون أن فتن النصارى وغلوهم  
في الخزعبلات كانت تقتضي حكماً من رب السموات ، فالله الذي نجى  
المسيح من صليب اليهود ورفعه إلى المقام الأعلى ، أراد أن ينجيه من  
صليب النصارى مرة أخرى ، فأرسلني حكماً عدلاً لهذه الخطة ، وسماني  
باسمه ، لأكسر الصليب وأتم ما بقي منه من فرائض النصيحة . ومن

(٢) المائدة : ١١٧ .

(١) آل عمران : ٥٥ .

آيات الله أنه أخفى في عدد اسمي عدد زماني ، وإن شئت ففكر في غلام أحمد قادياني ، فذلك خاتم رب العالمين . وفيه إشارة إلى أنه جعلني لهذه الملة مجدد الدين .

ويختتم رسالته المشوومة بقوله : اعلّموا أن فضل الله معي ، وأن روح الله ينطق في نفسي فلا يعلم سري ودخيلة أمري إلا ربي ، هو الذي نزل علي وجعلني من المنورين <sup>(١)</sup> . ا . ه .

لقد ادعى غلام أحمد بأنه المسيح الموعود ؛ بمعنى أنه جاء بقوة وروح عيسى عليه السلام . وادعى أيضاً أنه هو النبي الذي تنبأت بظهوره في آخر الزمان أغلب الديانات العظيمة . وأكد أن القرآن هو آخر كتاب تشريعي موحى به من الله تعالى ، وأن محمداً ﷺ آخر الأنبياء المرشحين ، وأنه خاتم النبيين ؛ أي أنه لا يمكن لأي نبي غير مشروع أن يظهر بعده إلا باتباعه اتباعاً كاملاً ، والتشبه به تشبهاً تاماً . وقد ادعى أنه نبي ، وأن مهمته هي إقامة العلاقة بين الإنسان وخالقه ، كما أنه جاء أيضاً ليفسر القرآن وتعاليم الإسلام ، في ضوء الوحي الإلهي ، بما يطابق العصر الحاضر ، وليكون هو نفسه مثلاً يبين الحياة الإسلامية الكاملة .

(١) هذه نصوص رسالة غلام أحمد التي بعث بها إلى علماء الهند وغيرها من بلاد الإسلام . وهو مؤسس نخلة القاديانية المارقة . وفيها يظهر كفره وردته وضلاله ، وقد سجلت معظم نصوصها ، ولمن أراد التوسع فعليه بكتبهم الواهية الملحدة . وبذليل الملل والنحل . والقادياني والقاديانية : ص ١٠٠ .

وللقاديانية رئيس ديني يلقبونه أمير المؤمنين ، وخليفة المسيح الموعود ، والمهدي المعصود . وهكذا انقلبت الحقائق على أيدي دعاة الباطل - من أمثال غلام أحمد المرتد وخلفائه الأباليس - فهم بحق أمراء الإلحاد ودعاة الكفر والفساد .

## بَعْضُ تَحْرِيفَاتِ الْقَادِيَانِيِّينَ وَتَأْوِيلَاتِهِمْ

أمثلة من التفسير المحرف : إن محمد علي اللاهوري هو الذي لقب الميرزا غلام أحمد بالمصلح الأكبر ، كما يعتقد أنه المسيح الموعود ، وقد جاء في تفسيره ما يصرح بذلك :

١ - يقول في تفسير قوله تعالى : ( وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) (١) : إن ابن مريم الذي أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتي أحد أفراد هذه الأمة في لون ابن مريم ، كما تحققت نبوءة وعد إلياس بقدوم يحيى في لونه (٢) .

٢ - إنه يفسر قوله تعالى - في قضية طائفة من بني إسرائيل عبدت العجل ، وعاقبها الله بأن يقتل بعضها بعضاً : ( فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ) (٣) . إن المراد بالقتل هنا إماتة الشهوات ، وهذا الذي أرجحه بناءً على السياق والسباق (٤) .

(٢) بيان القرآن .

(٤) بيان القرآن : ج ١ ص ٦٥ .

(١) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٣) سورة البقرة : ٥٤ .

٣ - فَيَقُولُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( فَكُنَّا اضْرِبُ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ) (١) .  
 من معاني الضرب : السير في الأرض ؛ يقال ضرب في الأرض يعني سار (٢) .  
 ومن معاني العصا : الجماعة ، وعصوت يعني جمعت . ويقال عن الخوارج :  
 شقوا عصا المسلمين . ويقال : إياك وقتيل العصا . والمراد أن الله أمر  
 موسى بالمسير إلى جبل خاص والانتقال بجماعته إليه ، حيث وجد  
 اثنتي عشرة عيناً ، ضرب عليها فصائل بني إسرائيل خيامها وأخبيتها (٣) .

٤ - ويقول في تفسير قوله تعالى : ( وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ) (٤) .  
 ليس أن الله رفع هذا الجبل على رؤوسهم مثل الظلة لا يستقر على الأرض ،  
 بل المعنى أنكم كنتم في المنخفض من الأرض ، وكان الجبل يطل عليكم  
 - كما جاء في البخاري - فرفعت لنا الصخرة ؛ يعني ظهرت لأبصارنا (٥) .

٥ - وفسر منطق الطير في قوله تعالى : ( عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ) (٦) .  
 حمل الطيور للرسائل من مكان إلى مكان كالحمام الزاجل .

٦ - وفسر وادي النمل بأنها موضع في نواحي اليمن ؛ والنملة بطن  
 من بطون العرب ، أو أمة كانت تسكن في وادي النملة .

ولعل القارىء الكريم قد وقف على تخرصات وأباطيل القاديانية

(١) سورة البقرة : ٦٠ .  
 (٢) المرجع السابق : ص ٦٩ نقلاً عن القادياني والقاديانية : ص ١٢ .  
 (٣) سورة البقرة : ٦٣ .  
 (٤) بيان القرآن : ج ١ ص ٧٠ - ٧٤ .  
 (٥) سورة النمل : ١٦ .

وتفسيراتها المتطرفة ، والتي هي نسخة صادقة لتفسيرات الباطنية والإسماعيلية في العهد السابق ... ألا قاتل الله ملة الكفر وأصحابها .

## القاديانية والاستعمار

بعد أن زحفت الدول الاستعمارية على الأقطار العربية والإسلامية ، وفي مقدمتها بريطانيا التي استولت على الهند ومصر ، وناصبت الدولة العثمانية العداء ، وتآمرت عليها وقعدت لها بالمرصاد ، تساعد منافساتها من الدول ، وتحرض عليها ، بدأت تتسرب إلى الجزيرة العربية وتبذر فيها بذور الفساد .

وقد أصبحت حكومة بريطانيا مسيطرة على الهند الإسلامية ، وأصبحت الحكومة المغولية التيمورية - وهي الدولة المسلمة الأخيرة - أسيرة أو رهينة في يدها ، تتصرف في ممتلكاتها تصرف السلطان الحر ، وقاومها الملك الشهم الأبسي السلطان تيبو - رحمه الله - فسقط في المعركة شهيداً عام ١٧٩٩ م ، وانبت القسوس والرهبان في الهند يدعون المسلمين - بصفة خاصة - إلى النصرانية ويسخرون من الدين الإسلامي ومبادئه وتعاليمه<sup>(١)</sup> .

وانتشر الفساد والخلاعة ، وغزت حضارة أوروبا بيوت المسلمين ومجتمعاتهم ، وبدأ الإلحاد وثار المسلمون على الإنجليز عام ١٨٥٧ م ،

(١) القادياني والقاديانية : ص ٢١ .

وانضم إلى هذا المعسكر كل من في قلبه ذرة من إيمان أو غيره على الدين .

وقد كان الانتصار حليفاً للإنجليز - لدهائهم وحسن نظامهم -  
فانتقموا من أهل البلاد - ومن المسلمين خاصة - انتقاماً شديداً ، وكان  
ذلك مصداق قوله تعالى : ( إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا  
أَعزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) (١) .

ولم يكن الإنجليز طغاة ظالمين وملوكاً مستبدين فحسب ، بل كانوا  
رسل الفساد والإلحاد والخلاعة والإباحة ، وكانوا حملة لواء الاستعمار  
والاستهتار ، والثورة على القيم الروحية والخلقية التي جاء بها الأنبياء  
ونزلت بها الصحف ، وكانوا مغيرين على العالم الإسلامي ، وزعماء  
الاستعمار الأوروبي السياسي والثقافي والخلقي .

إن المعركة مستمرة بين الحق والباطل ، وقد عرفنا من سير أنبياء الله  
ورسله وخلفائهم أنهم كانوا دائماً حرباً على الظالمين والمجرمين ، بعيدين  
عن مساعدتهم وتأييدهم . وقد قال موسى عليه السلام :

( رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ) (٢) .

وقال تعالى مخاطباً المؤمنين : ( وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ  
النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ) (٣) . وقال رسول الله  
ﷺ : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » (٤) .

(١) سورة النمل : ٣٤ .  
(٢) سورة القصص : ١٧ .  
(٣) سورة هود : ١١٣ .  
(٤) حديث صحيح رواه أحمد وغيره .



هذا وأسوة النبي ﷺ وأصحابه وخلفائه من العلماء والدعاة  
المخلصين مسجلة في بطون التاريخ .

## خدمات غلام أحمد لبريطانيا

وإلى القارىء بعض الأمثلة المؤيدة لحكومة بريطانيا ، في إلغاء الجهاد  
وتعطيله ، والذي كان المسلمون في حاجة ملحة إلى إحيائه والدعوة إليه ،  
ليتحرروا من حكم الأجنبي ويتخلصوا من السرطان الإنجليزي ، الذي  
امتد في جسم العالم الإسلامي .

يقول الميرزا غلام أحمد في كتابه - ترياق القلوب ص ١٥ (١) :  
لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ، وقد  
ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر - الإنجليز - من الكتب  
والإعلانات والنشرات ، ما لو جمع بعضها إلى بعض للأخمين خزانة .  
وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر وتركيا ، وكان  
هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة ، وتمحي من  
من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح ، والأحكام التي تبعث  
فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى أ. ه .

وقال في آخر كتابه - شهادة القرآن : إن عقيدتي التي أكررها أن  
للإسلام جزئين : الجزء الأول : إطاعة الله . والجزء الثاني : إطاعة الحكومة  
(١) القادياني والقاديانية : ص ٩٦ وما بعدها .

التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين؛ وهي الحكومة البريطانية. أه<sup>(١)</sup>.  
ويقول في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة عام ١٨٩٨ م : لقد  
ظللت منذ حادثة سني - وقد ناهزت اليوم الستين - أجاهد بلساني وقلمي  
لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة والنصح لها والعطف  
عليها ، وألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم ، والتي تمنعهم  
من الإخلاص لهذه الحكومة ، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب  
المسلمين ، وأحدثت تحولاً في مئات الآلاف منهم .<sup>(٢)</sup> ا. ه .

وقال في مكان آخر : لقد ألّفت عشرات من الكتب العربية والفارسية  
والأوردية أثبت فيها أنه لا يحل الجهاد أصلاً ضد الحكومة الإنجليزية  
التي أحسنت إلينا ، بل بالعكس من ذلك ؛ يجب على كل مسلم أن  
يطيع هذه الحكومة بإخلاص . وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالاً  
كبيرة وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية ، وأنا عارف أن هذه الكتب قد  
أثرت تأثيراً عظيماً في أهل هذه البلاد - الهند .

وقد كوّن أتباعي جماعة تفيض قلوبهم إخلاصاً لهذه الحكومة والنصح  
لها - إنهم على جانب عظيم من الإخلاص - وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه  
البلاد ، ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون في خدمتها<sup>(٣)</sup> .

ويقول في مكان آخر : لقد نشرت خمسين ألف كتاب ورسالة

(١) ملحق شهادة الإيمان .

(٢) تبليغ رسالات : المجلد السابع ص ١٠ تأليف قاسم على القادياني .

(٣) من رسالة مقدمة إلى الحكومة الإنجليزية بقلم الميرزا غلام أحمد .

وإعلان في هذه البلاد وفي البلاد الإسلامية ، تفيد بأن الحكومة الإنجليزية صاحبة الفضل والمنة على المسلمين ؛ فيجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة إطاعة صادقة . وقد ألفت هذه الكتب باللغات الأوردية والعربية والفارسية ، وأذعتها في أقطار العالم الإسلامي حتى وصلت وذاعت في البلدين المقدسين مكة والمدينة ، وفي الآستانة وبلاد الشام ومصر وأفغانستان ، وكانت نتيجة ذلك أن أقلق ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجامدين . وهذه مأثرة أتباها بها ، يعجز المسلمون في الهند أن ينافوني فيها <sup>(١)</sup> .

وربما يخامر القارئ الشك في دقة الترجمة العربية ، لأن النصوص في اللغة الأوردية ، مع أن الكاتب قد تحرى الاتقان والتدقيق والترجمة الحرفية .

فلنقدم نصوصاً عربية بحرفها ولفظها ؛ يقول في كتابه نور الحق : ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصحائها ودواعي خيرها من قديم ، وجئناها في كل وقت بقلب صميم ، وكان لأبي عندها زلفى وخطاب التحسين ، ولنا لدى هذه الدولة أيدي الخدمة . ولا يظن أن ننسها - كذا - في حين . وكان والدي الميرزا غلام مرتضى بن الميرزا عطا محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوي الخلة ، وعندها من أرباب القربة ، وكان يصدر على تكرمة العزة ، وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة ، وما كنا قط من ذوي الظنة بل ثبت إخلاصنا في

---

(١) سنارة قبصرة . تأليف الميرزا غلام أحمد ، مقتبساً عن كتاب القادياني والقاديانية .

أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكمين ، وتستطلع الدولة حكامها الذين جاؤونا ولبثوا بيننا ؛ كيف عشنا أمام أعينهم ، وكيف سبقنا في كل خدمة مع السابقين ا . ه .

وأعتقد أن في هذا بلاغاً ومقنعاً . ونختم هذا الفصل بكلمتين أخريين تلقيان الضوء على نيات هذا القادياني وأهدافه ، وصلته بحكومة الاستعمار الإنجليزي ؛ يقول في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة الإنجليزي في اليوم الرابع والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٨ م :

من غرس الإنجليز : والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي هي من غرس الإنجليز أنفسهم ومن صنائعهم - بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية ، وتوصي رجال حكومتها أن تعاملني وجماعتي بعطف خاص ورعاية فائقة<sup>(١)</sup> .

علة الحدة في مناظرة القسوس :

ويقول في تعليل حدة قد تعتريه في الرد على بعض القسوس : لقد غلا بعض القسس والمنصرين في كتاباتهم وجاوزوا حد الاعتدال ، ووقعوا في عرض رسول الله ﷺ وخفت على المسلمين الذين يعرفون بحماستهم الدينية أن يكون لها رد فعل عنيف ، وأن ثور نائرتهم على الحكومة الإنجليزية ، ورأيت من المصلحة أن أقابل هذا الاعتداء بالاعتداء حتى تهدأ ثورة المسلمين . وكان كذلك<sup>(٢)</sup> .

(١) تبليغ رسالات : المجلد السابع ص ١٩ - ٢٥ .

(٢) تزيق القلوب : ص ٣١٠ .

## تحريم الجهاد

أما الجهاد - الذي كان مقلقاً للإنجليز وشغلهم الشاغل - فأفتى بكل صراحة وقوة بحرمة في عصره . وكتبه وكتابات طافحة بذلك ، والقليل من هذا الكثير ؛ أنه قال في كتابه الأربعين : لقد ألغى الجهاد في عصر المسيح الموعود إلغاءً باتاً .

وقال في الخطبة الإلهامية : لقد آن أن تفتح أبواب السماء ، وقد عطل الجهاد في الأرض وتوقفت الحروب ، كما جاء في الأحاديث أن الجهاد للدين يحرم في عصر المسيح ، فيحرم الجهاد من هذا اليوم ، وكل من يرفع السيف للدين ويقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصياً لله ولرسوله .

ويقول في ترياق القلوب : إن الفرقة الإسلامية - التي قلدي الله إمامتها وسيادتها - تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره ، بل إن الفرقة المباركة لا تستحله - سراً كان أو علانية - وتحرمه تحريماً باتاً<sup>(١)</sup> .

وهكذا تتضح أهداف هذه الحركة الهدامة ، والتي تشبث بدعواتها الباطلة ، التي لا تستند على حجة ولا يسعها أي دعوى أو برهان . ولست بحاجة إلى تعليق على هذه التخريصات المفضوحة بل أترك ذلك للقراء .

(١) ترياق القلوب : ص ٣٣٢ . هذه أقوال للميرزا غلام أحمد وردت في رسائله وكتبه .

لقد أمدت هذه النحلة المصطنعة حكومة الاستعمار البريطاني بكل ما تحتاجه من جواسيس لمصالحها ، وأصدقاء أوفياء ومتطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة حكومة بريطانيا ومن خيار رجالها ، كيف لا ؟ . وهي صنّعة بريطانيا وخادمتها المخلصة . وقد أجاب على ذلك زعيمها غلام أحمد . ومن بين هؤلاء الجواسيس: عبد اللطيف القادياني ، الذي كان في أفغانستان يدعو للقاديانية وينكر الجهاد على المسلمين ، وخوفاً من دعواته الإجرامية وخطرها على الإسلام فقد قتلته حكومة أفغانستان ، كما قتلت جاسوسين آخرين من عملاء الإنجليز وهما قاديانيان لأنهما كانا يعملان على قلب نظام أفغانستان ، كما صرح بذلك وزير داخليتها عام ١٩٢٥ م<sup>(١)</sup> .

## القاديانية ثورة على النبوة المحمدية

لقد شهد تاريخنا الإسلامي محناً عظيمة ودسائس خطيرة ، ولكنه لم يشهد مثل هذه المحنة ومثل هذه الدسيسة ، لقد كانت المحن القديمة ثورة على الحكم الإسلامي أو ثورة على الشريعة الإسلامية ، ولكن القاديانية كانت ثورة على النبوة المحمدية ، وعلى خلود الرسالة الإسلامية ، وعلى وحدة هذه الأمة ، وأنها تخطت الخط الأخير الذي يفصل هذه الأمة عن الأمم الأخرى ، والذي يعتبر كخط التحديد بين مملكتين .

(٢) القادياني والقاديانية : ص ١٢١ .

ولقد كان الدكتور محمد إقبال موفقاً وحكيماً في الحكم على القاديانية بأنها خطر على الإسلام ، وأنها ديانة مستقلة . قال - رحمه الله - في رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند الإنجليزية - استيتسن - التي أثارَت مسألة القاديانيين قبل سنوات :

إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد ﷺ (١) .

وردأ على كلمة البنديت جواهر لال نهرو - رئيس وزراء الهند يومها - وقد تساءل : لماذا يلج المسلمون على فصل القاديانية من الإسلام ؛ وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة ؟ ! .

قال الدكتور : إن القاديانية تنحت من أمة النبي العربي ﷺ أمة جديدة للنبي الهندي . وذكر أنها أشد خطراً على الحياة الاجتماعية للإسلام في الهند من عقائد - اسفنوذا - الفيلسوف الثائر على نظام اليهود .

ويقول في تفصيل مقالته في - استيتسن - التي سبق ذكرها : إن عقيدة أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ؛ هو العامل الذي يخط خط التحديد - بكل دقة - بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى التي تشارك المسلمين عقيدة التوحيد ، والموافقة على نبوة محمد ﷺ . ولكنها تقول باستمرار الوحي وبقاء النبوة ل - برهمو سماج - في الهند ، وهو الذي يستطيع به الإنسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالإسلام أو

(١) نشرت هذه الكلمة الصحيفة في عددها الصادر في ١٠ يونيو سنة ١٩٣٥ م . نقلاً عن : القادياني والقاديانية .

الانفصال عنه . ولا أعرف في التاريخ طائفة مسلمة اجترأت على تخطي هذا الخطر . إن البهائية في إيران أنكرت عقيدة ختم النبوة ، ولكنها أعلنت بصراحة أنها طائفة مستقلة ، ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح .

ويستمر قائلاً : إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به ، ولكن وجود الإسلام لمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد ﷺ وليس للقاديانية إلا أن يختاروا أحد الأمرين : إما أن يتبعوا البهائية في انفصالها عن المسلمين ، وإما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المتطرفة لفكرة ختم النبوة في الإسلام . إن تأويلاتهم السياسية لا تم إلا عن حرصهم على البقاء في محيط المسلمين ؛ ليستغلوا هذا الاسم وينتفعوا بفوائد سياسية لا تحصل إلا باسم المسلمين .

وقال في محل آخر : إن كل مجتمع ينفصل عن الإسلام - له طابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة ، ويعلن كفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة - يجب أن ينظر إليه المسلمون كخطر جدي لوحدة المسلمين . إن نبوغ المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة<sup>(١)</sup> .

(١) القادياني والقاديانية : ص ١٢٠ .



## ترحيب القوميين الهنديين بالقاديانية

لقد رحب الهنادك - الذين لم يزالوا ينقمون على المسلمين تعلق قلوبهم بجزيرة العرب مهد الإسلام ومنزل الوحي ، لقد رحب هؤلاء الناقمون الغلاة - بالديانة التي تنقل المركز الروحي والثقافي من الجزيرة العربية ومن الحرمين الشريفين إلى القاديان ، وتركز الدين والعواطف الدينية وتحصرها في الهند .

وننقل هنا قطعة من مقالة لكاتب هندوكي نشرتها صحيفة هندوكية - في عددها ٢٢ أبريل سنة ١٩٣٢ - وهي دليل على تعلق الهندوك بالقاديانية ، وهذه هي نصوص تلك القطعة : إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة ، ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنون إليها ، ولو استطاعوا لأطلقوا على الهند اسم العرب .

وفي هذا الظلام الحالك ، وفي هذا اليأس الشامل ، يظهر شعاع من نور يبعث الأمل في صدور الوطنيين ، وهي حركة الأحمديين - القاديانيين - وكلما أقبل المسلمون إلى الأحمدية نظروا إلى قاديان كمكة هذه البلاد ، والمركز الروحي العالمي ، وأصبحوا مخلصين للهند وقوميين بمعنى الكلمة .

إن تقدم الحركة الأحمدية ضربة قاضية على الحضارة العربية والوحدة الإسلامية ، وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهة نظره ، وضعفت صلته الروحية بمحمد ﷺ ، وبذلك تنتقل الخلافة من الجزيرة

العربية وتركيا إلى قاديان في الهند ، ولا يبقى لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية .

إن كل أحمدي - سواء أكان في البلاد العربية أو تركيا أو إيران أو في أي ناحية من نواحي العالم - يستمد من قاديان القوة الروحية ، وتصبح قاديان أرض نجاة له ، وفي ذلك سر فضل الهند ، وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى حركة الأحمدية وقلقهم منها ؛ لأنهم يعتقدون أن حركة الأحمدية هي المنافسة للحضارة العربية والإسلام ، ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة الخلافة ؛ لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة في قاديان مكان تركيا والجزيرة العربية ، وإن كان هذا الواقع مقلقاً للمسلمين الذين لا يزالون يحلمون بالاتحاد الإسلامي وبالاتحاد العربي ، ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين<sup>(١)</sup> .

---

(١) مقالة للدكتور شنكر داي مهرا في صحيفة (بندفي مارترم) . وانظر القادياني والقاديانية : ص ١٢٣ - ١٢٥ . ونذكر هنا أن القاديانية الهدامة قد امتد فسادها ووصل أتباعها إلى أطراف جزيرة العرب ، التي قال النبي ﷺ فيها : « لَا يَجْتَمِعُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٍ » . فانتشروا على شواطئ الخليج قادمين من باكستان وغيرها ، لينشروا خلالهم وينفثوا سمومهم في قلب الإسلام والعروبة ، كما يفعل النصارى الذين شيدوا الكنائس في أطراف الجزيرة . نأمل من حكام الخليج حماية الإسلام والمسلمين من هؤلاء وأولئك .

## أهم نشاطاتهم

لقد سلكوا كل السبل التي تساعدهم على نشر باطلهم وتيسر لهم التغلغل إلى جماهير المسلمين لنفث سمومهم ؛ من ذلك مثلاً بناء المعابد التي يسمونها مساجد تمويهاً ، حيث يجتمع القاديانيون ليذكروا بالإسلام والمسلمين .

إنها معابد الضرار التي لا يدخلها إلا القاديانيون ، ويمنع غيرهم من دخولها<sup>(١)</sup> ، وذلك لأنهم يحرمون الصلاة مع المسلمين ، ويختلفون معهم في العقيدة والصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر العبادات كما قال زعيمهم - ميرزا غلام أحمد - في إحدى خطبه المشهورة<sup>(٢)</sup> .

ومن العجيب حقاً أن تركز كثيراً من جهودها في الولايات المتحدة الأمريكية حيث بدأت أعداد كبيرة من الأمريكيين تتحول إلى الإسلام ، وذلك لتتخطفهم القاديانية وتحرفهم عن الإسلام الصحيح ، وترمي بينهم وبين المستمسكين بالعقيدة الصحيحة العداوة والبغضاء ، التي تؤدي إلى إضعافهم والتقليل من نفوذهم وتأثيرهم . ولا ريب أن ذلك من مصلحة أعداء الإسلام وكيدهم الخبيث ضد الإسلام والمسلمين .

---

(١) إن صنيعهم هذا هو صنيع كل صاحب ضلالة أو بدعة ، فهم كالحفافيش لا يظهرون إلا في الظلام ، وهذا ما يلجأ إليه بعض أصحاب الطرق الصوفية المنحرفة ، الذين يتسرون ولا يظهرون ضلالهم أمام الناس ، وكان في الإسلام أسراراً وألغازاً لا يجوز إقشاؤها ، وذلك حسب طقوسهم الشيطانية .

(٢) مجلة رابطة العالم الإسلامي : عدد ٤ سنة ١٣٩٤ هـ . مكة المكرمة .

ومن نشاطاتهم الأخرى الهدامة: بناؤهم المدارس ودور الأيتام وغيرها ،  
ومن أنواع الوسائل التي يتوصلون بها لنشر سمومهم : المجلات والدوريات  
التي يبلغ عددها ١٦ مجلة تنشر بانتظام في كل من أمريكا وألمانيا  
وأندونيسيا ونيجيريا وسيلان وأفريقيا الشرقية ولندن وهولندا وجنوب  
أفريقيا وسيراليون وغيرها .

كما أن من أبرز نشاطاتهم: ترجمة القرآن الكريم ترجمة محرفة مع  
التفسير المحرف المزيف الذي يخدم أغراضهم ، ويتضمن تأويلاتهم  
الباطلة إلى اللغة الإنجليزية ، والألمانية ، والسواحلية .

وقد تولت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي التحذير من تلك  
الترجمات الباطلة ، ونهت المسلمين إلى زيفها وانحرافها ، فجزأها الله  
عن المسلمين خير الجزاء .

وإزاء هذا الموقف السليم المشكور لرابطة العالم الإسلامي ، نجد عدداً  
من المستشرقين - الذين يكيّدون للإسلام ويشنون عليه حرباً شعواء  
لا هوادة فيها - نجدهم يمتدحون تلك الترجمات وخاصة الإنجليزية  
ويشجعون على نشرها ، وذلك من أمثال « أربري ، ريشارد بيل ، وجيب ،  
وشارلس براون ، وبلاشير » ومن أخطر أعمالهم أنهم يأخذون الشباب  
الغر من البلاد الإسلامية إلى مقرهم في باكستان الغربية التي تسمى  
الربوة ، لتدريبهم كيما يصبحوا دعاة للأحمدية بعد عودتهم .

لقد كان القاديانيون وراء ضياع كشمير من الباكستان ، وهم العون الكبير للهندوس على المسلمين .

وخلاصة القول : فمؤسس هذه الحركة الهدامة هو غلام أحمد القادياني ؛ الرجل الهندي المغرور ، الذي زعم أنه المسيح الذي ينتظر الناس نزوله آخر الزمان - وهو مهديهم - بل مضلل كاذب أحرق .

ومن مزاعم هذه النحلة المنحرفة قولهم : من الواجب علينا ألا نعتقد بإسلام غير الأحمديين ، وألا نصلي خلفهم إذ أنهم عندنا كافرون بنبي من أنبياء الله (١) .

إنهم يُكفِّرون علناً في خطبهم وكتاباتهم جميع المسلمين الذين لا يؤمنون بـميرزا غلام أحمد القادياني ، ونذكر للقراء فيما يلي بعض ما يشهد بذلك من صريح عباراتهم :

أولاً : إن جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون عن دائرة الإسلام ، ولو كانوا لم يسمعوا باسم المسيح الموعود (٢) .

ثانياً : كل رجل يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد ، أو يؤمن بمحمد ولا يؤمن بالمسيح الموعود فما هو بكافر فحسب بل هو راسخ في الكفر وخارج عن دائرة الإسلام (٣) .

(١) أنوار خلافت : ص ٩٠ .

(٢) مرآة الصدق لميرزا بشير الدين : : ص ٢٥ .

(٣) كلمة الفصل لبشير أحمد القادياني .

**ثالثاً:** وبما أننا نؤمن بنبوة ميرزا غلام عليه السلام ، وغير الأحمديين لا يؤمنون بها ، فكل رجل من غير الأحمديين كافر ، بحسب ما جاء في القرآن إذ أن الكفر ولو بنبي واحد هو الكفر<sup>(١)</sup> .

## فتوى صريحة بتكفير القاديانيين

لقد نشط المفكرون الإسلاميون في مقاومة هذه الدعوة وفضحها ، كما أصدرت عدة جهات وهيئات إسلامية أحكاماً باعتبار الحركة القاديانية حركة مرتدة وخارجة عن الإسلام ، وقد أصدرت مراكز الفتوى فتاوى صريحة بتكفير كل معتنق لهذه الحركة واعتباره مرتدأ عن الإسلام ، بل لقد أصدرت محكمة (بهادلبور) عام ١٩٣٥ م بعد مناقشة دامت عامين كاملين - واشترك فيها علماء السنة وكبار القاديانية - أصدرت حكمها بكفر القاديانية ، وعدم حلِّ نكاح المسلمة بالقادياني ... الخ .

كما صدر القرار التاريخي باعتبار القاديانية أقلية غير إسلامية .  
إننا لنحمد الله الذي أنار السبيل لحكومة باكستان ، فأصدرت قرارها التاريخي الحكيم الذي يعتبر الطائفة القاديانية أقلية غير إسلامية ؛ لكثرة ضلالها وكفرها بعدما افتضح أمر خيانتها ومؤامراتها على الإسلام وعقيدته .

(١) بيان ميرزا بشير الدين محمود أحمد في محكمة كوردا ستور المندرج في عدد الفصل الصادر في ٢٦ ، ٢٧ يوفيه سنة ١٩٢٢ م .

وإن القرار المذكور حسم هذه القضية ، وكشف عن علاقة هذه  
الحركة بالاستعمار وأعداء الإسلام<sup>(١)</sup> والحمد لله على ذلك . ( فَأَمَّا  
الزَّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ )<sup>(٢)</sup> .

---

(١) نشرت ذلك جريدة أخبار العالم الإسلامي .

(٢) سورة الرعد : ١٧ .

1947

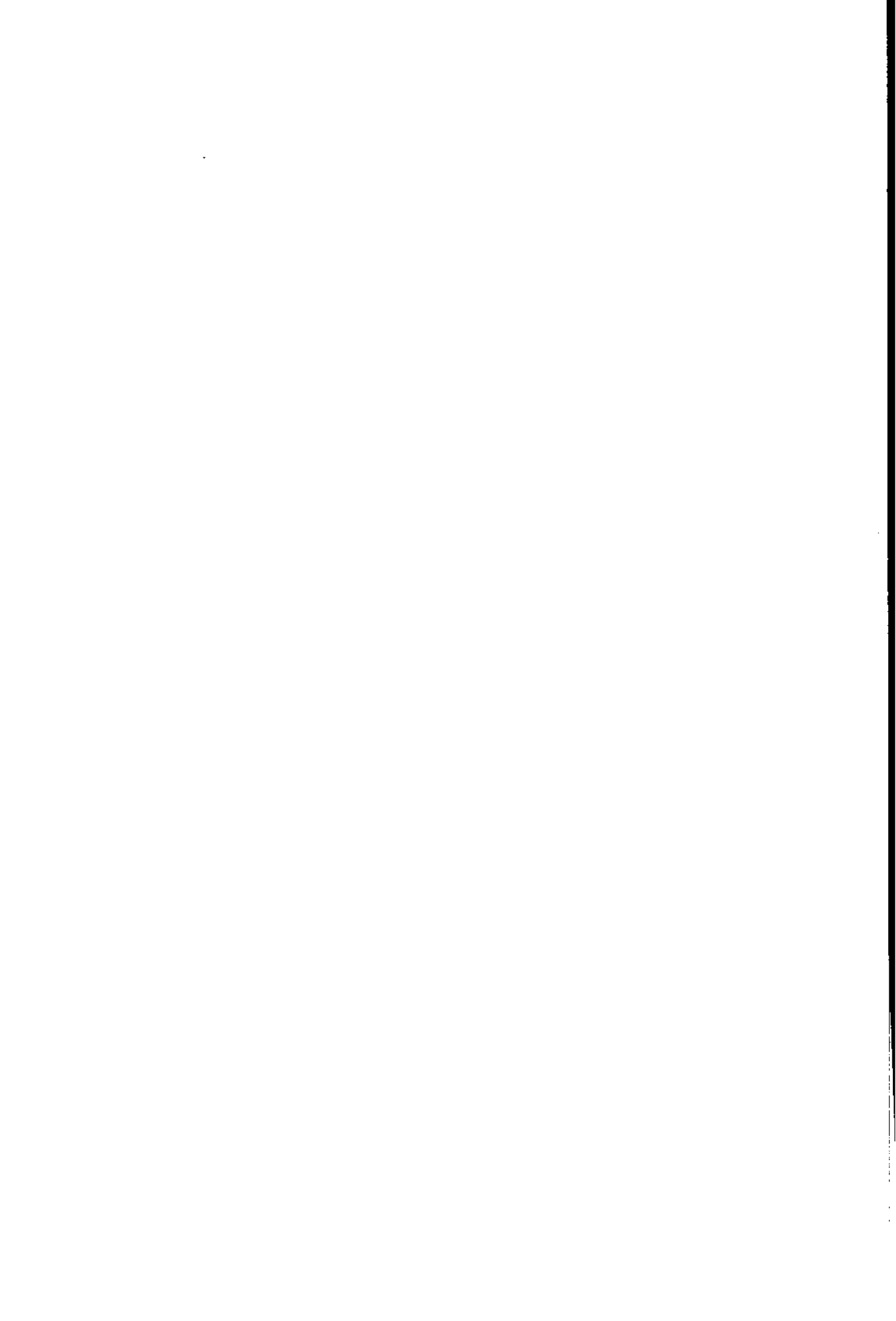
1948

1949



الباب الثاني  
معاول هدم مختلفة

الفصل الأول  
معاول الهدم الخارجية



## الحروب الصليبية وأثارها

٤٩١ هـ - ١٠٩٢ م

لسنا نكتب تاريخاً ، ولكننا نستخلص عبراً ، وكم تحوي بطون التاريخ من عبر .

تعرضت أمة الإسلام للكثير من المصائب والمحن في تاريخها الطويل ، ومع هذا فقد نهضت من كبوتها واستعادت قوتها وواصلت مسيرتها ، بعد أن ذاقت المر والعلقم وتجرعت كؤوس المنون حتى ثمالتها .

أما المصيبة الكبرى التي رزئنا بها - ومنذ ثمانية قرون - فهي الحرب الصليبية التي شنتها علينا قوى الشر والإلحاد ، وكانت شديدة الهول ولم تتوقف بعد ؛ لأن أعداء الله وضعوا كل قوتهم في سبيل الإجهاز على هذه الأمة ، ولكن الجولة الأخيرة والنصر المؤزر سيكون حليف الإسلام إن شاء الله ، وإن غاب نجمه حيناً .

هكذا كانت معاول الهدم والتخريب - وما تزال - تنخر في جسم أمتنا للقضاء عليها وتدميرها . ولما كانت حرب الصليب ذات جذور عميقة وأثر بالغ ، لذا رأيت أن من واجبي أن أكتب هذه الفصول موضحاً لأبناء أمتي ما آل إليه حال الإسلام وأهله إبان حقبة التاريخ المختلفة ، ومنها حقبة الحروب الصليبية - قيد بحثنا - حيث تكالبت قوى الشر والبغي لإزالة هذا الدين عن هذه الأرض ليحل محله الباطل ،

وبذلك يغيب نجم الإسلام عن هذا الكوكب ، وتعود البشرية إلى عهد  
الجاهلية الأولى المظلمة .

لا ريب أن الحملات الصليبية كانت حلقة من حلقات الصراع بين  
الإسلام والنصرانية ، وقبل دخول الصليبية بلاد الشرق كان المسلمون  
مفكرين وفي حالة تمزق ، مما ساعد على هزيمتهم أمام جند الصليب ؛  
وقد عصفت رياح التعصب الوحشي ضد الإسلام من قبل الأوروبيين  
عام ١٠٩٧ م الذين سموا تلك الحروب بالحروب المقدسة .

### بعض أسباب الحروب الصليبية ودوافعها

يقول الأستاذ محمد كرد علي - رحمه الله : وكان الدافع لهذا الغزو  
الأوروبي لبلاد المسلمين سوء الحالة الاقتصادية في أوروبا والفقير المدقع  
والعوز والجوع ، وقد أوهم رؤساؤهم أن الشرق الإسلامي بلاد الذهب ،  
لا يلبث نزيله أن يغتني .

كما أن صاحب القسطنطينية ضاق ذرعاً بسوء المعاملة التي كان يلقاها  
من السلاجقة ، وبالضرائب التي فرضوها عليه ، فاستنجد بملوك أوروبا  
واستغاث بالبابا ووعدته الدخول في طاعة كنيسته والتخلي عن  
أرثوذكسيته .<sup>(١)</sup>

وكان أن اشتكى بعض حجاج بيت المقدس من سوء المعاملة التي

(١) الإسلام والحضارة العربية : ص ٢٩٤ .

لاقوها في أثناء زيارتهم للأرض المقدسة ، فاتخذ البابا من هذه الشكوى ذريعة يحتج بها في تحريض ملوك أوروبا على غزو الشرق وتخليص القبر المقدس ، وكان يثير الحماس الديني في نفوس الجماهير<sup>(١)</sup> .

انتهز البابا هذه الفرصة فخطب خطبته المشهورة في مدينة كليرمون بفرنسا ، وقد اشتملت خطبته على هذه المبادئ :

- ١ - تخليص الأراضي المقدسة من الكفرة الترك الغاشمين .
  - ٢ - تخليص أراضي الامبراطورية البيزنطية التي استولى عليها الترك وضربوها بالنار وقتلوا أهلها .
  - ٣ - حث الأمراء على توسيع أملاكهم في الشرق الغني ، بدلاً من القتال في أراضيهم الفقيرة التي يحصرها البحر وتحيط بها سلاسل الجبال ، أما الأرض التي ستفتحونها فستدر عليكم الخير والنعمة<sup>(٢)</sup> .
- أما حجة البابا - تخليص الأراضي المقدسة والقبر المقدس من أيدي الوثنيين - كما زعم - فهي من نوع الشعارات السياسية والبيانات الخلابية ، التي يخدع بها الانتهازيون الوصوليون غوغاء الجماهير الرعناء ، فقد شهد مؤرخ معاصر مشهور باستقرار السلام في هذه البلاد بين المسلمين والنصارى ، والأمن المُستتب على الأموال والأرواح ، فقد سجل - برفارى فيس - في مذكراته مشاهداته لزيارة الأرض المقدسة : إن السلام السائد فوق تلك الربوع بين المسلمين والنصارى ، حتى إنني

(١) خطط الشام : ج ١ ص ٢٧٧ . للمؤرخ محمد كرد علي .

(٢) انظر : محاضرات الدكتور حلمي ، قلاً عن : حياة ابن القيم الجوزية : ص ٣٤ - ٣٥ .

لو كنت مسافراً ونفق بعيري أو حماري الذي ينقل أمتعتي على الطريق ، وتركتها كلها دون حارس ولا رقيب ، ثم صرت إلى أقرب مدينة لأجلب بعيراً أو حماراً آخر لوجدتها عند عودتي باقية كما هي لم يمسه أحد. أ. ه. (١).

وقال منرو : كانت هذه الفضائح المنسوبة للمسلمين ممزوجة بكثير من الأنانية لتوافق روح ذلك العصر ، الذي كان أشد توحشاً من عصرنا هذا ، وكان النصارى يأخذون قصص هذه الفضائح على علاتها ، فعظم تأثيرها في حماسة الكثيرين ، ولجأ الغربيون إلى أنواع أخرى من الدعوة وإهاجة الأفكار على المسلمين ، فاتهموهم بعبادة الأصنام ، وأنهم يعتقدون ألوهية محمد (٢) . ا . ه .

وفي التواريخ الأوروبية يحاط الصليبيون بهالة من البطولة ، ويعتبر كل فارس أو جندي اشترك في الحروب الصليبية مثلاً أعلى للشهامة والفروسية ؛ ولذلك فإن من واجبنا خدمة للأجيال وللحقيقة أن نرفع النقاب عن هذه الصورة - غير الواقعية - وأن نكشف في هذا المجال الضيق ، الذي لدينا عن هول تلك الحروب وعن قسوة أولئك الذين اشتركوا فيها ووحشيتهم وخيانتهم ، وعن المآسي والويلات التي أنزلوها بالشرق الإسلامي وفي آسيا العربية وما يجاورها .

يقول أحد الكتاب المبدعين : كانت الحروب الصليبية من أشد الحروب خيالاً في التاريخ ، فقد غزت النصرانية الإسلام في حملة إثر

(١) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ، وخطط الشام : ج ١ ص ٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي . وخطط الشام .

حملة قرابة ثلاثة قرون ، حتى حل الفشل والعياء وفقدت أوروبا زهرة رجالها وأموالها ، وتهدها الإفلاس الاجتماعي وهلكت الملايين في المعارك ، وفتك الجوع والمرض برجال الصليب الذين ارتكبوا كل ما لا يستطيع الخيال وصفه من جرائم<sup>(١)</sup> .

## حالة النصارى في البلاد الإسلامية

نعم النصارى منذ تأسيس الدولة الإسلامية بأكثر قدر من التسامح ، فكانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية تامة ، ويتمتعون بحقوقهم وامتيازاتهم المدنية ، وكانوا يتنقلون بحرية في أنحاء الامبراطورية ، ويتصلون بأمرء البلدان الأجنبية الذين هم من دينهم . كما كانوا يمتلكون الأراضي بالشروط التي كان المسلمون يملكونها . وكانت الأديرة والكنائس النصرانية منتشرة في كل مكان ، وكان يسمح للحجاج النصارى بأن يدخلوا فلسطين من أقاصي البلاد دون عراقيل .

وفي البيت المقدس - فلسطين - الذي يعترف بقداسته معتنقو الديانتين معاً أفراد حي خاص لسكنى البطريق وكهنته ، ولم يكن يسمح للمسلمين بولوجه<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر مختصر تاريخ العرب : ص ٢٨١ .

(٢) راجع مختصر تاريخ العرب : ص ٢٨١ وما بعدها .

## مقدمات الحروب الصليبية

عقد البابا - أربان الثاني - مجلساً في بلاستيا ، ومجلساً آخر في كليرمون ؛ وأمر بتجريد حملة صليبية على : الكفار الذين في أيديهم ضريح المسيح . ووعده بغفران الذنوب لأولئك الذين يلتحقون بها ، وبالجنة لأولئك الذين يموتون في أرض المعركة<sup>(١)</sup> .

كان التعصب الديني هو الدافع الأساسي لهذه الحملة الصليبية ، غير أنه كان ممزوجاً بدوافع أخرى كالرغبة في تأسيس ممالك جديدة ، أو الحصول على ثروات طائلة ، والرغبة باحتساء الخمور الشرقية وغيرها . وهكذا تضافر الجشع والطمع والشهرة مع الدين على إثارة هذه الحروب الدينية .

يقول هالام : إنه لم تترك وسيلة إلا اتبعت لإذكاء هذا الجنون الوبائي؛ فكان الجندي عندما يلبس الصليب يعفى من الديون والضرائب؛ وكان شخصه محمياً من قبل الكنيسة ، التي كانت تغفر له ذنوبه وآثامه ، وتضمن له الخلود الأبدي ، ولم يكن أحد يشك في أن الذي يموت في ميدان القتال يدخل حتماً في حظيرة الشهداء<sup>(٢)</sup> .

(١) المرجع السابق : ص ٢٨٣ .

(٢) انظر المرجع السابق .



## حصار أنطاكية وتخريبها ١٠٩٧م - ١٠٩٨م

سار الصليبيون إلى أنطاكية وارتكبوا في طريقهم جميع أنواع السلب والنهب والفساد حتى وصلوا إليها وحاصروها ، ودام حصارهم لها تسعة أشهر حتى قلت مؤنهم والتجأ جنودهم إلى أكل اللحوم البشرية من الجوع .

يقول ميلز : كان جنود الصليب ينبشون القبور ويأكلون اللحم البشرية سرّاً<sup>(١)</sup> ، وفوق ذلك كله فقد كان الصليبيون يلهون بتشويه جثث الموتى ؛ فقد قطعوا رؤوس ٢٠٠٠ من الأتراك سقطوا إبان حصار أنطاكية ، وعرضوا بعضها كأنصاب للذكرى انتصارهم . كما طعنوا آخرين بالرماح في المدينة . وفي مناسبة أخرى نبش الصليبيون جثث المسلمين من قبورها ، وعرضوا منها ١٥٠٠ على المواطنين الباكين . أ. هـ .

ويقول ميشو : وقد وقع ابن أمير أنطاكية السلجوقي في أيدي الصليبيين ، فحاولوا إقناع أسرته بتسليم المدينة فداءً له من الأسر ، فلما أبت أسرته تلبية طلبهم ساموا الأسير الشاب أشد صنوف العذاب طيلة ثلاثين يوماً ، ثم حملوه آخر الأمر إلى أسوار المدينة حيث ذبحوه على مرأى من والديه وسكان المدينة<sup>(٢)</sup> .

(١) يقول فون سبيل وميلز وكتاب آخرون : إن الطبقات الدنيا من الصليبيين - وبخاصة الخدم - كانوا يأكلون اللحوم البشرية علناً . راجع كتاب مختصر تاريخ العرب : ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . (٢) ميشو : ج ١ ص ٤٦٢ .

وأخيراً سقطت أنطاكية بسبب خيانة أرمني يدعى - فيروز أو بهروز - فقد أدلى فيروز الحبال في الليل فتسلقها الصليبيون ، واستولوا على بعض الأبراج وذبحوا حراسها ، ثم فتحوا أحد الأبواب فاندفع منها الجيش الصليبي كله والجنود يصيحون : هذه إرادة الله . ثم شرعوا في أعمال الفتك دون أن يراعوا حرمة الشيوخ وعجز الأطفال وضعف النساء ؛ فانتهكوا حرمة المنازل ، وزادتهم رؤية المساجد وحشية فوق وحشيتهم<sup>(١)</sup> . وقوضوا القصور الشامخة والأكوخ الحقيبة ، وسالت الدماء البشرية في الميادين والشوارع على السواء . ويقدر المؤرخون أن عدد الذين قتلوا في تلك المذبحة في أنطاكية بعشرة آلاف على أقل تقدير<sup>(٢)</sup> .

### مذبحة معرة النعمان

وبعد أن انتهى الصليبيون الغزاة من ذبح المسلمين ، انهمكوا في أحط أعمال الفسق والرذيلة ، ثم ساروا من أنطاكية إلى معرة النعمان - وكانت من أكثر مدن الشام سكاناً وأعظمها ازدهاراً - فاستولوا عليها وذبحوا مائة ألف من سكانها ، فسالت دماؤهم في شوارعها<sup>(٣)</sup> .

ثم استعرض بوهيموند ، أسراه ؛ ويقول أحد المؤرخين الأجانب : إنه أبقى على الجميلات والشبان الأقوياء لبيعهم في سوق الرقيق في أنطاكية ، وأمر بذبح الشيوخ والأطفال على مذبح القسوة<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع السعودى وميلز : ج ١ ص ١٧٩ .

(٢) انظر ابن خلدون وابن الأثير وسيد أمير علي .

(٣) راجع مختصر تاريخ العرب : ص ٢٨٦ . (٤) المصدر السابق : ص ٢٨٧ .

ويذكر المؤرخون بأن الصليبيين أكلوا اللحوم البشرية في معرة النعمان ؛ حتى إنه يقال إن اللحوم البشرية كانت تعرض علناً للبيع في معسكر النصارى<sup>(١)</sup> .

ومن معرة النعمان استأنف جنود الصليب سيرهم إلى مدينة بيت المقدس ، فاستولوا عليها عنوة ، كما خربوا ودمروا كثيراً من المدن والمواقع التي مروا عليها أثناء زحفهم الوحشي .

## فتح القدس ومذبحتها

٤٩٢هـ - ١٠٩٩م

يقول أحد المؤرخين في مذبحة القدس : كان المسلمون يذبحون في الشوارع وفي البيوت . ولم يجدوا في المدينة مكاناً أميناً يعتصمون فيه ، فكان بعضهم يلقي بنفسه من فوق الأسوار وكان الآخرون يزدحمون في القصور والأبراج ، وفي المساجد قبل كل شيء ، حيث لم يستطيعوا أن يخفوا أنفسهم عن أعين النصارى ، فحاصر الصليبيون مسجد عمر - حيث دافع المسلمون عن أنفسهم بعض الوقت - وجددوا تلك المناظر الوحشية التي وصمت فرسان التيتون .

فقد هجم الفرسان والمشاة على الهاربين وأعملوا في رقابهم السيوف ، ولم يكن يسمع في تلك الساعة غير أنين الجرحى وحشرجات الموتى .  
(١) راجع ابن الأثير وسيد أمير علي .

كذلك وطئ الغزاة المظفرون بخيولهم أكداس الجثث ، وهم يطاردون أولئك الذين حاولوا الهرب عبثاً<sup>(١)</sup> .

ويقول ريموند دي اكليس الذي شهد تلك المذبحة : إن الدماء قد وصلت في رواق المسجد إلى الركب .

ولم تفر همة الصليبيين في أعمال السفك إلا عندما تقدموا إلى الله بالشكر على النصر الذي خصهم به ، ولكنهم ما كادوا ينتهون من صلاتهم حتى استأنفوا الفتك والسفك ، وذبحوا كل من كانوا قد أبقوا على حياتهم أملاً في أن ينالوا منهم فدية كبيرة ، واضطر المسلمون أن يلقوا بأنفسهم من أعلى البروج - الأبراج - والمنازل ، وأحرق بعضهم حياً ، وجيء بالذين لا ذوا بالفرار ، فوضعوا فوق أكداس الجثث؛ حيث شرع الصليبيون يمثلون بهم أبشع تمثيل ، ولم تكن لتجدي في ذلك الحين دموع النساء ولا صراخ الأطفال ، ولا رؤية المكان الذي صفح فيه المسيح عن جلاديه<sup>(٢)</sup> . ويذكر توماس نيوتن في كتابه : عن نبوءات الكتب المقدسة ، أن النصارى عندما فتحوا بيت المقدس في الحروب الصليبية قتلوا أكثر من سبعين ألفاً من المسلمين .

وبعد : فهذه إلمامة سريعة أوردتها ليتعرف القارئ كيف كان عليه أدهاء النصرانية الفاشيون ، الذين يدعون بأنهم من أتباع نبي الله ورسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، الذي حمل رسالة العدل والخير

(١) النظر ميثو : ج ١ ص ٢٣٦ وسيد أمير علي : ص ٢٨٧ وابن الأثير .

(٢) مختصر تاريخ العرب : ص ٢٨٨ ، وميثو : ج ١ ص ٢٣٩ ، وتاريخ الحروب الصليبية .

والتسامح والسلام كغيره من أنبياء الله ورسله الكرام .  
وفي هذا درس وعبرة أيضاً نقدمه للقراء ليقفوا على ماضي الصليبية  
دعاة النصرانية من الآباء والأجداد الذين لا يختلف عنهم الأحفاد في شيء ،  
فقد عرفنا فيما سبق كيف كانت مواقف جند الصليب من المسلمين  
خاصة والإنسانية عامة ، حيث القتل والحرق وأكل لحوم البشر ونبش  
قبور المسلمين ... فهل تتفق أعمال البطش والإرهاب هذه التي ارتكبوها  
في مهبط الوحي وأرض المقدسات - فلسطين - مع تعاليم السماء التي حملها  
أنبياء بني إسرائيل؟! وهل دعا إلى مثل هذه المنكرات والفظائع  
رسول المحبة والسلام السيد المسيح عليه السلام الذي يتشددون بالانتساب  
إليه؟! الواقع ينفي هذا كله .. ولكنها دعوة الإباحية والضلال والغطرسة  
والكفر التي يعتنقها دعاة الصليبية الماكرة في عصورها المتتابعة .

## غزوات التتار للبلاد العربية

### توطئة :

كانت البلاد الإسلامية عندما غزاها المغول - التتار - تعيش أسوأ أيام  
الظلمة ، وتعاني الأمرين نتيجة حربها مع الصليبيين الطامعين ،  
والتفرقة في صفوف المسلمين بسبب فساد الأمراء وبعض الحكام ،  
الذين كان مهمهم الوحيد كراسي الحكم وتحقيق المصلحة الخاصة .  
ولا شك أن تلك الفترات كانت أشد هولاً وأعظم بلاءاً يمكن لبشر أن

يحملها، ولئورخ أن يصفها للهول المستمر الذي اصطبغت به تلك  
الهجمة الشرسة .

ولم تكن الحرب بين المسلمين والغزاة الصليبيين - والتي دامت  
قرنين كاملين ، هلك فيها من الفريقين ستة أجيال أو سبعة - بأشد  
مما دهم المسلمين في ديار الشام من غزو التتار القادمين من الشرق الأقصى؛  
إذ كانت بغداد قد سقطت سنة ٦٥٦ هـ . - وهي عاصمة الخلافة  
الإسلامية - فهذا الحادث الجلل زلزل كيان العالم الإسلامي وحطم  
جهاز الدولة الإسلامية . فعندما استولى هولاءكو على بغداد بالتواطؤ مع  
رئيس الحجاب - الوزراء - ابن العلقمي قتل الخليفة المستعصم بالله  
شر قتلة ، وقتل أهله وحرّمه ، وأمر بضرب أعناق الفقهاء والعلماء  
والأعيان ، واستمر القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يوماً ،  
ولم ينج من هذه الطامة الكبرى إلا من اختفى في بئر أو سرداب . ثم أمر  
هولاءكو بعدّ القتلى فبلغوا ألف وثمانمائة ألف وكسراً<sup>(١)</sup> .

## التتار يزحفون على بغداد

لا نستطيع في هذه العجالة أن نقف على الأعمال البربرية التي اقترفها  
جحافل الوحوش التتار في ديار الإسلام خاصة، والمعصورة عامة ، وسأقتصر  
في حديثي عن نكبة بغداد وتدميرها :

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٥١٠ .

يذكر المؤرخون بأن التتار - المغول - قد توجهوا إلى تبريز بقيادة هولانكو ، الذي أرسل من توه وفداً إلى خليفة المسلمين في بغداد - وكان آنذاك المستعصم آخر خلفاء بني العباس - وكان يحمل رسالة نصها كالآتي : عندما خرجنا على (الردبار) أرسلنا إليك الرسل وطلبنا مؤازرتك فوعدتنا بها ، ولكنك لم ترسل رجلاً واحداً ، والآن نطلب إليك أن تنفذ خطتك وتعديل عن عنادك ، الذي لن يجلب عليك سوى خسارة امبراطوريتك وخزائنك<sup>(١)</sup> .

فلم يكن من الخليفة المضلل ، بالرغم من افتقاره إلى جيش قوي ، وحاجته إلى المستشارين الأوفياء ، وبدلاً من أن ينحني أمام العاصفة ، إلا أنه أرسل جواباً تجلت فيه الغطرسة والتشامخ ، فضلاً عن أن الرعاع أهانوا وفد المغول إبان مغادرته البلاد ، مما أثار سخط ذلك الوثني المتوحش ، فزحف على عاصمة العباسيين بجيش جرار يستطيع أن يحاصر المدينة كلها .

وقد حاولت جيوش الخليفة أن تصمد في وجه الغزاة قبل وصولهم إلى جوار بغداد ، إلا أن تفرق الكلمة أدى إلى هزيمتها في نهاية الأمر . ولما وصل المغول إلى بغداد صمموا على حصارها ؛ فنصبوا المنجنيقات على جميع المرتفعات خارج المدينة ، وعلى جميع الأبراج والقصور المشرفة عليها ، وراحوا يمحطونها بالحجارة والغاز المشتعل ، فخرقوا أسوارها وأشعلوا النيران في مبانيها .

(١) مختصر تاريخ العرب : ص ٣٤٣ .

وبعد حصار دام أربعين يوماً أبدي ذلك الخليفة المتردد رغبة في التفاوض مع هولاء ، ولكن رسائله التي أبدي فيها استعدادة للاستسلام لم تؤد إلى نتيجة ، وعندئذ استدعى هولاء كبار ضباط المستعصم وقتلهم - بحجة واهية - مع أتباعهم وخدامهم ، وبذلك أصبح المستعصم في موقف يائس . وأخيراً اقتنع بضرورة التسليم إنقاذاً لحياته وحياة شعبه ، وخرج إلى معسكر المغول يصحبه أخوه وولداه وحاشية مؤلفة من ثلاثة آلاف شخص ، بين قاض وشيخ وإمام وعين ، ولكن هولاء لم يسمح بمقابلته إلا للخليفة نفسه وأخيه وولديه وثلاثة من رجال حاشيته ، وقد أخفى ذلك الزعيم المتوحش نواياه تحت قناع من الكلمات الناعمة والاستقبال الودي ، وطلب من الخليفة أن يرسل إلى المدينة أمراً بأن يلقي السكان المسلحون أسلحتهم ، ويتجمعوا خارج أبواب المدينة بحجة إجراء إحصاء عام لهم ، وما أن صدع حماة المدينة لأمر الخليفة حتى هجم عليهم التتر وفتكوا بهم<sup>(١)</sup> .

## تدمير بغداد ونهبها

٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م

وفي صباح اليوم التالي أصدر هولاء أوامره بنهب المدينة وذبح سكانها . ويحتاج وصف تدمير تلك المدينة إلى براعة مؤرخ مثل (غيبون) فالنساء والأطفال - الذين خرجوا من بيوتهم يحملون المصاحف

(١) مختصر تاريخ العرب : ص ٣٤٦ .



على أكفهم ، ويتضرعون إلى الجنود كي يبقوا على حياتهم - وطشت أجسادهم بحوافر الخيل ، والنساء المدلات اللواتي لم يأفن رؤية الجماهير ، أجبرن على السير في الشوارع العامة ، وتعرضن لأبشع ضروب الأذى والإهانة ، أما الكنوز الفنية والأدبية التي جمعها الخلفاء المتعاقبون بكثير من المشقة والتعب والعناء - مع بقايا المدينة الفارسية - فقد دمرت تدميراً في خلال بضع ساعات ، وغرقت شوارع المدينة طوال ثلاثة أيام بالدماء ، واصطبغت مياه دجلة بالحمرة هدة أميال ، واستمرت أعمال التخريب والتقتيل ستة أسابيع ، فدمرت القصور والمساجد والضرائح ، إما بالنار أو بالمعاول بغية الحصول على قبابها الذهبية ، وأعمل السيف في رقاب المرضى في المستشفيات ، والطلاب والأساتذة في الكليات ، وفي الضرائح نبشت قبور الأولياء والأئمة الصالحين ، وفي الجامع العلمية التهمت النيران تآليف كبار العلماء وألقيت الكتب طعمة للنيران أو مياه دجلة ، وهكذا فقدت الإنسانية تلك الكنوز التي تجمعت خلال خمسة قرون ، وفنيت زهرة الأمة فناء تاماً<sup>(١)</sup> .

## نهاية آخر الخلفاء العباسيين

م ١٢٥٨

يحدثنا المؤرخون بأن هولاءكو أمر بضرب المستنصر وأولاده وكبار أفراد أسرته ؛ فضربوا حتى فارقوا الحياة ، ولم ينج من الهلاك سوى

(١) المصدر السابق : ص ٢٤٦ وما بعدها . والكامل لابن الأثير .

عدد ضئيل من أفراد بني العباس المغمورين ، ودمرت إلى الأبد مدينة بغداد ؛ موطن العلم ومركز الثقافة وحاضرة العالم الإسلامي . ويذكر أن عدد سكان بغداد قبل مذبحة التتار كان يناهز مليوني نسمة .

ويقول ابن خلدون : إن مليوناً وستمائة ألف شخص هلكوا في المذبحة ؛ التي دامت ستة أسابيع . وبتدمير بغداد أرخى الظلام سدوله على آسيا الغربية .

يقول ابن الأثير : إن غارة المغول هي الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عفت الأيام والليالي عن مثلها ؛ عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها .

ويقول عبد اللطيف البغدادي : إن إغارة المغول مصيبة تتضاءل دونها كل المصائب .

أما جويني مؤلف كتاب (جوهان كوشا) الذي كان في خدمة جنكيز خان فيقول : إن الثورة التي عمت العالم دمرت العلم وفتكت بالعلماء وبخاصة في خراسان التي كانت مركز الإشعاع وملتقى العلماء ، وذهب رجال العلم ضحايا السيف ، وكانت هذه الفترة فترة قحط في العلم والفضيلة<sup>(١)</sup> .

وبعد أن دمر أولئك المتوحشون بغداد ، عبروا نهر الفرات إلى

(١) مختصر تاريخ العرب : ص ٣٤٨ .

الجزيرة يحملون معهم الموت أينما رحلوا ، فقد أعملوا السيف في رقاب أهالي الرها وهوران ونصيبين ، وذبحوا في حلب وحدها حوالي خمسين ألفاً ، وسبوا عشرة آلاف من نساها وأطفالها وباعوهم بيع الرقيق ، وكان أهل حوران قد استسلموا لقاء وعد بأن يبقي الغزاة على مدينتهم ، ولكن أولئك المتوحشين فتكوا بالأهالي ولم يشفقوا حتى على الرضع ، ثم واصلوا زحفهم غرباً يحملون معهم الخراب والدمار ، يساعدهم على تقدمهم تلك الانقسامات التي كانت سائدة بين المسلمين أنفسهم ، إلى أن لقيهم في عين جالوت - وهي قرية على مقربة من الناصرة في فلسطين - السلطان بيبرس الشهير ، الذي أصبح فيما بعد ملكاً على مصر ، وأنزل بهم هزيمة منكرة وأعمل السيف في رقابهم وطاردهم إلى ما وراء حلب ، وبذلك طهر الشام والجزيرة من وحشيتهم وعتوهم<sup>(١)</sup> .

وهكذا استطاع القائد المسلم - بيبرس - أن يعيد للإسلام عزته ، وللأمة الإسلامية مكانتها اللائقة بها ، وأن يلحق أعداء الله درساً قاسياً لن ينسوه ما تعاقب الليل والنهار ، كما حق لأمة الإسلام أن تكتب سيرة هذا البطل المجاهد بأحرف من نور عرفاناً وتقديراً ؛ ليكون خير قدوة يقتدي به قادة الأمم الإسلامية ، إذا أرادوا أن يعودوا إلى ربهم ويؤوبوا إلى سنة رسولهم ونهج أجدادهم ، فيعيدوا للإسلام عزته وكرامته .

---

(١) المرجع السابق .

## سقوط الأندلس وآثاره

تعرض المسلمون في الأندلس لأشد أنواع العنف والتنكيل على أيدي أعدائهم ؛ من أهالي الأندلس وأتباعهم من حملة الصليب - الفرنجة . وسنتعرض فيما يلي لأهم الأحداث التي عايشتها الحكومات الإسلامية وإماراتها المتعاقبة مبتدئاً بسقوط غرناطة .

### سقوط غرناطة

عاصمة الأندلس

بعد أن ساد الخلاف بين أمراء المسلمين في اسبانيا ، وانقسموا على أنفسهم ، أصبحت جيوش الفرنجة التي بدأت تهاجم جيوش الأمراء المسلمين المتفرقين المتناحرين - الذين أصبح هدف الواحد منهم الاستقلال بإمارته ولو أدى ذلك إلى مخالفة الأعداء ، الذين يتربصون بهم الدوائر - للانقضاض على دولة المسلمين في الأندلس ، لتطهير البلاد من آخر معقل من معقل الإسلام .

ومع أن ملكي الفرنجة - فرديناند وإيزابيلا - قد لحق بهما كثير من الهزائم ولقنا عدة دروس ، إلا أنهما أصراً على مهاجمة بيوت المسلمين ليأخذا بثأرهما لما لحق بهما من هزائم في مواقع عديدة .

وفي هذا يقول سيد أمير علي : وإذا كان فرديناند وإيزابيلا يتحرقان

إلى الشار للهزيمة التي أصابت جيوشهما عند مدينة لاكسا ، فقد سيرا قوة كبيرة على ولاية مالقة ؛ فانتصرت انتصاراً عظيماً في بادىء الأمر<sup>(١)</sup> . هذا إذا استطعنا أن نسمي انتصاراً حرق المزارع وقطع أشجار الزيتون والكروم ، وتخريب القرى المزدهرة وسلب المواشي والفتك بالناس العزل من السلاح<sup>(٢)</sup> .

ثم تتابعت الهزائم تلاحق قادة وأمراء المسلمين في اسبانيا ، حيث كانت الخيانة والرشوة قد استخدمت للنيل من قادة وأمراء الجيوش الإسلامية المتخالفة فيما بينها ، مما عجل بهزيمة المسلمين وانتصار الفرنجة عليهم ... وهكذا بدأت المدن الإسبانية تسقط الواحدة تلو الأخرى ؛ نتيجة الفساد والخلافات بين الطوائف والأمراء المسلمين ، حتى وصل الحال بهم إلى الالتجاء إلى غرناطة وملحقاتها . كآخر معقل للمسلمين هناك ، فأصبحت الحرب الآن حياة أو موتاً . وبعد محاولات عديدة استطاع فرديناند دخول سهول غرناطة للمرة الثانية - بعد الهزائم التي حلت بجيشه - وقد حشد هذه المرة جيشاً كبيراً يقدر بأربعين ألف راجل وعشرة آلاف خيال ، حيث استأنف أعمال الفتك والتخريب ؛ فأتلف المحاصيل الزراعية وأحرق المنازل ، وذبح السكان العزل ، وشدد الحصار على آخر معقل من معقل الحضارة الإسلامية في اسبانيا ، فاعتصم أهل (فيغا) بالعاصمة<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر مختصر تاريخ العرب : ص ٤٥٢ .

(٢) ذكر ذلك المؤرخ كوندلي . وانظر سيد أمير علي صاحب مختصر تاريخ العرب .

(٣) مختصر تاريخ العرب : ص ٤٥٥ .

أجل . لقد صمد المسلمون كثيراً قبل أن تحل بهم هذه الصدمة التي أصابتهم في مقاتلتهم ، فقد سبق لهم أن صمدوا للعدو طيلة عشر سنوات ، وناضلوه عن كل شبر من أرضهم ، وكانوا يواجهونه باستبسال كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، أما الآن فلم يبق لهم شيء سوى العاصمة ، فحبسوا أنفسهم داخل أسوارها في يأس تام<sup>(١)</sup> .

وقاوم المسلمون عدوهم فترة من الزمن بقوة وشجاعة ، ولم تكن المواصلات بين العاصمة والبشرات قد قطعت بعد ، فكانت المؤن ترد دون انقطاع للمحصورين من منطقة سيرا نيفادا ، بينما كان الفرسان المسلمون يخرجون يومياً بقيادة القائد البطل موسى بن أبي الغسان فيهاجمون الأعداء ويقتلون أحسن فرسانهم ، مما حمل فرديناند أن يشدد الحصار على العاصمة ، ويمنع عن أهلها المؤن بغية تجويعهم حتى يستسلموا إليه ، فقام المسلمون بمحاولات يائسة لخرق الحصار ولكنهم فشلوا ؛ بالنظر إلى أن حامية المدينة كان قد أنهكها الضعف والجوع ، وعندئذ صمم المحاصرون على التسليم ؛ إذ كانت المجاعة قد فعلت فيهم ما لم تستطعه القوة وحدها ، فأرسلوا إلى معسكر قشتالة وفداً لوضع شروط التسليم والتي كان أهمها :

١ - إذا لم ترد للمسلمين نجدة من البر أو البحر خلال شهرين سلموا مدينة غرناطة للنصارى ، وعندئذ يكون على السلطان والقواد والوزراء والشيوخ أن يقسموا يمين الطاعة للملك قشتالة .

(١) راجع ابن الأثير ، وسيد أمير علي .

٢ - أن يؤمن ملك قشتالة المسلمين على أموالهم وأرواحهم وأملاكهم وأسلحتهم وخيولهم دون قيد أو شرط ، ويمنح أبا عبد الله بعض الأملاك في البكراس .

٣ - يسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية ، ويصون مساجدهم ومؤسساتهم الدينية، ولا يمنع المؤذنين من الأذان .

٤ - يسمح للمسلمين بالاحتفاظ بعاداتهم ولغتهم وزيهم ، وأن يفصل في خلافاتهم فضل من بني قومهم .

٥ - يطلق سراح جميع أسرى المسلمين ، ويحرم على الجنود النصراني إساءة معاملة المسلمين أو نقلهم من منازلهم دون إرادتهم ... الخ .

ولم يعترض على التسليم غير القائد البطل موسى بن أبي الغسان ، وحذر قومه من الوثوق بوعود القشتاليين الكاذبة ، وتوسل إليهم أن يهبوا دفعة واحدة لفك الحصار عن مدينتهم ، ومما قاله لهم : إن الموت في ساحة الوغى أعذب مما أعدته لنا الأقدار من إهانة وتحقير وإذلال ونهب وتدنيس للجوامع وانتهاك لشرف النساء . وختم كلامه بقوله : سيكون مصيرنا الاضطهاد والظلم والاستبداد ؛ لأن الأعداء آلوا على أنفسهم أن يستأصلوا شأفتنا<sup>(١)</sup> .

ولما رأى القائد المسلم أن كلماته لم تؤثر في مستمعيه ، ألقى نظرة احتقار على بني قومه الذين تجمعوا في المجلس ، وامتنطى صهوة جواده

(٢) نفس المصدر .

وخرج من باب للمدينة ، وقيل بأنه التقى بفرسان العدو وهاجمهم متحدياً كثرتهم ، كما رفض عروضهم الداعية للتسليم ، فقاتلهم بعناد وهو جاث على ركبتيه<sup>(١)</sup> - بعد أن سقط عن جواده - وبعد ذلك صعدت روحه إلى باريها بعد أن أدى واجبه تجاه دينه وعزة نفسه .

وكان المسلمون قد أوفدوا الرسل يتوسلون النجدة من سلطاني مصر والروم ، ولكن المهلة انقضت دون أن تلوح في الأفق أية علامة من علامات الخلاص ، وهكذا في الثالث من شهر كانون الثاني سنة ١٤٩٢ م استولى القشتاليون على غرناطة ... وفي الواقع : كانت ساعة شؤم تلك التي حل فيها الصليب محل الهلال على أبراج غرناطة<sup>(٢)</sup> .

ذلك أنه بافتتاح تلك المدينة على أيدي الأسبان النصراني قضي إلى الأبد على الحياة الأدبية والدينية والنشاط الفكري والحضاري في بلاد الأندلس .

## خيانة فرديناند للمسلمين

لم يكن في نية فرديناند ولا إيزابيلا التقييد بشروط التسليم التي عقدها مع المسلمين ، الذين تذكروا سريعاً تحذير بطلمهم الضائع - عندما رأوا ما حل باليهود .

كان اليهود قد ازدهرت أحوالهم في ظل الحكم الإسلامي المتسامح

(١) مختصر تاريخ العرب : ص ٤٥٧ .

(٢) انظر ابن الأثير . وكتاب مختصر تاريخ العرب .



فهيجت ثرواتهم أطماع الملكين القشتاليين ، وفي سنة ١٤٩٢ م أصدر فرديناند - الذي كان يخفي دائماً سياسة الخديعة والغدر تحت رداء الدين والتقوى ، ويغدق الوعود من حيث ينوي الإخلال بها - مرسوماً يقضي عليهم إما بالتخلي عن دينهم أو مغادرة البلاد !! . ثم شرع في اضطهادهم وتعذيبهم وحرقتهم أو نفيهم ، وفي الوقت نفسه أخذ في الإخلال بالشروط التي كان قد عقدها مع المسلمين ؛ فلقوا على يده الذل والأذى ، وحظر عليهم إتباع قوانينهم الشرعية وتأدية شرائعهم الدينية ، وأكره الكثيرين منهم على التنصر ، وهكذا أحدث غدر القشتاليين استياءً عظيماً بين الأهالي المسلمين . وامتشق أهل اليزين السلاح ، فلم يؤد ذلك إلا إلى الإيعان في إساءة معاملة المسلمين . وفي سنة ٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م تعرض المسلمون لاضطهاد عام ؛ إذ خيروا بين التنصير أو الإعدام فخضع بعضهم ، ولكن الكثرة تمسكت بدينها والتجأت إلى جبال الألب ؛ فهاجمهم أعداؤهم فيها ، ولم يكتف القشتاليون بذبح الرجال ، بل نسفوا مسجداً كان النساء والأطفال قد اعتصموا فيه . وبالرغم من هذه المصائب والويلات التي حلت بالمسلمين فقد دافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال . وفي سنة ١٥٠١ م أحرزوا انتصاراً على أعدائهم في جبل بلنسية ، مما فتح لمن بقوا منهم أحياء باباً للخروج مع عائلاتهم إلى مراکش وتركيا ومصر ، غير أن صاحبي الجلالة النصرانيين صادرا أمتعتهم وأموالهم ، وأكرها الكثيرين - الذين بقوا منهم - على اعتناق النصرانية بقوة السيف<sup>(١)</sup> .

(١) المصدر السابق : ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

## اضطهاد مساجي إسبانيا وتضفيرهم

بعد أن استسلم المسلمون للحكام الاسبانيين - إثر سقوط غرناطة - وبعد إبرام شروط التسليم المتضمنة الحفاظ على حقوق المسلمين الدينية والمدنية ، إلا أن تلك الشروط والعهود لم تطبق من قبل الحكام الإسبانين الجدد ، بل أعرضوا عنها وألقوا بها عرض الحائط ، حيث دفعتهم عنصريتهم البغيضة وكراهيتهم للدين الإسلامي وأهله - المتغلغلة في أعناقهم - إلى إجبار المسلمين - المستسلمين - على اعتناق الدين النصراني ، ومع ذلك فقد ظل الإسلام في صميم قلوب أهله - المسلمين - وقرارة نفوسهم ؛ إذ كانوا يؤدون صلواتهم سرأ في مواقيتها . وكانوا يعنون بإزالة الماء المقدس عن أجسام أولادهم حالما يختفون عن أنظار الكاهن ، ويعودون إلى منازلهم بعد مراسم الزواج الكنسية ليعقدوا زواجهم حسب الشريعة الإسلامية . ولو أنه كانت هناك حكومة حكيمة شريفة احترمت الوعود التي أعطيت عند استسلام غرناطة إذن لوفرت على نفسها خطر هذا السخط الخفي ، ولكن حكام اسبانيا لم يكونوا حكماء ولا شرفاء في معاملتهم - الموريسكين - بل اشتطوا في قسوتهم وخطلهم على مر الزمن<sup>(١)</sup> .

وكان هؤلاء النصراني - بالاسم - تحت رقابة شديدة ، وكانت أقل أمارات من أمارات الارتداد تعرض صاحبها لعقاب ديوان التحقيق .

(١) انظر : المقري ، ولان - بول .

وهكذا أشعلت نيران محارق غرناطة وقرطبة وإشبيلية لتلتهم يوماً بعد يوم أعداداً من الرجال والنساء والأطفال . وقد لجأت الحكومة إلى كل وسيلة في مكنتها لكي تحول دون ثورة المسلمين عليها ، فأصدرت قانوناً يحرم اقتناء أي أداة حادة حتى أصغر سكين، وهكذا قُدِّر على أولئك المتحدرين - من العنصر الذي افتتح اسبانيا - المنكودي الحظ أن يتحملوا بصبر صنوف التعذيب التي سلطت عليهم . وفي سنة ١٥٦٨ م بلغت حالتهم مبلغاً لا يطاق ؛ ذلك أن النصارى لم يكتفوا بتجريد ضحاياهم من أملاكهم وأموالهم وامتيازاتهم ، ومعاملتهم معاملة الأرقاء في الأرض التي كانوا فيما مضى حكاماً لها ، بل سعوا إلى استئصال شأفتهم ، والقضاء على كل أثر وذكر لماضيهم المجيد . وفي تلك الأثناء كان فيليب الثاني - المتهوس المجنون - متربعا على عرش اسبانيا ، فحصل منه أسقف غرناطة - وكان يجاربه تعصباً وبربرية - على مرسوم يقضي على العرب بالتخلي عن لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم في يوم واحد . لقد أمر - الكفرة - باطراح ملابسهم وارتداء قبعات النصارى وأرديتهم ، وبالإقلاع عن الاستحمام والاقتراء بقذارة حكامهم ، وبالتخلي عن لغتهم وعاداتهم واحتفالاتهم ، وحتى عن أسمائهم ، وبالتخاطب بالإسبانية ، وبالتصرف على الطريقة الإسبانية ، وبالتسمي بالأسماء الإسبانية<sup>(١)</sup> .

وعندئذ دفعهم اليأس إلى الثورة ، ولكنه كان كفاحاً لا أمل فيه ، وبعد ثلاث سنوات من القتال المتواصل تمكن (دون جوان) النمساوي من

(١) مختصر تاريخ العرب : ص ٤٥٧ .

سحق ثورتهم ، وأمن فيهم ذبحاً وقتلاً وتخريباً ؛ فكان النساء والرجال والأطفال يذبحون على مرأى منه ، واستحالت قرى البكراس ووديانه إلى مقابر بشرية واسعة ، وحتى أولئك المساكين الذين التجؤوا إلى الكهوف لم ينجوا من الهلاك ، إذ أشعلت النار على أبوابها فقتل من بداخلها خنقاً بالدخان ... ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من الموريسكيين - كما كانوا يسمون العرب المنتصرين - بقي في بلنسية ومرسيه .

وفي سنة ١٦١٠م أتم فيليب الثالث العمل الذي كان أبوه قد شرع فيه ؛ فنفى قسراً أكثر من نصف مليون من أولئك البائسين الغزل إلى أفريقيا ، وألقاهم على شواطئها دون مؤونة أو مال ، أما أولئك الذين كانوا يعيشون في الداخل ، والذين يقال إن عددهم بلغ ما لا يقل عن مائتي ألف فقد طردوا - دونما رحمة أو شفقة - عبر الحدود إلى فرنسا للإبحار إلى الأقطار الإسلامية .

وقد بلغ عدد الذين طردوا من اسبانيا منذ سقوط غرناطة حتى عهد الملك فيليب الثالث ثلاثة ملايين نسمة<sup>(١)</sup> .

## ضياع إسبانيا الإسلامية

بعد أن دخل الإسلام إلى بلاد الأندلس تغيرت أحوالها وتبدلت أوضاعها ، وخاصة بعد أن تسلم القيادة فيها الخليفة المسلم عبد الرحمن

(١) انظر مختصر تاريخ العرب : ص ٤٥٨ وما بعدها .

الداخل - الذي سمي بصقر قريش - والذي اقتدى بنهجه خلفاؤه الأبرار ، الذين جعلوا من تلك الديار جنة من جنائن الدنيا وأرضاً معطاءً حقاً للأدباء والشعراء أن يتغنوا بجمالها وحضارتها النادرة . وبالفعل استحقت تلك البلاد ذلك الاسم الذي اشتهرت به - الفردوس المفقود - وقد تسمت به بعد أن خرج منها أحفاد طارق بن زياد وعبد الرحمن الناصر ، الذين جعلوا منها موثلاً للعلماء وحاضرة للإسلام في عصوره الزاهرة .

ثم دارت عجلة التاريخ بعد أن ترك المسلمون شرع الله ودبت بينهم الفرقة والخصام ؛ مما سهل لعدوهم المتربص بهم ليضرب ضربته القاتلة لآخر معقل من معاقل الإسلام في تلك الأرض ، التي عاش في ربوعها ذلك الشعب المسلم الشجاع المستنير ، الذي كان ذات يوم مضرباً للأمثال ومهوى للأفئدة ... وهكذا اختفى من أرض الأندلس شعب مسلم واع استطاع بجده وجهوده أن يعيد الحياة إلى شبه جزيرة ايبيرييه - التي ظلت في حالة تشبه - إلى حد ما - حياة الموت وذلك ما كان في أيام القوط - ... هذا الشعب الشجاع الذي حول الأندلس إلى جنة وارفة الظلال ، وحمل مشعل العلم وغرس بذور التوحيد وسط ممالك تتخبط في دياجير الظلام والجهل والخرافة . إنه الشعب الذي زرع غراس الثقافة وبيت الحضارة ، وكان بحق من واضعي العلوم والمعرفة لأوروبا الحديثة . وباختصار فقد خرج العرب المسلمون من الأندلس وما تزال بعض آثارهم الشامخة التي تعلو على الخراب الذي يعم تلك البلاد التي أقفرت أرضها ،

وتلاشت قيمها وحضارتها التي كانت ذات يوم مفخرة للأمم . وحسبنا من هذه الخرائب المنكوسة أن نردد صيحة الحق بأن لأتباع الإسلام آثاراً خالدة لا تمحى ، والتاريخ هو الأستاذ والسجل الخالد قد نعى للعالم أندلس العرب والإسلام .

### [الاستعمار]

إن السياسة الاستعمارية البغيضة التي انتهجها الاستعماريون في البلدان التي ابتليت باستعمارهم وبالوقوع تحت قبضتهم ، قد أثرت أثراً عظيماً وشراً وبيلاً اكتوت بناؤه وعانت أبشع صورة من صورته السوداء الكالحة ، كما وقعت شعوب كثيرة تحت نير الانتداب يوم أن وضع كابوسه عليها ، ومن بينها شعوب الأمة الإسلامية .

لقد أخذ الاستعمار يحارب كل مقوم من مقومات الإنسان ؛ من حيث العقيدة والوطنية الصادقة والثقافة وكل أنواع الخير ، واتخذ الأساليب والوسائل التي من شأنها إقصاء هذا الإنسان المؤمن بربه وعقيدته ووطنه عن كافة القيم ونواميس الحياة . وعندما يحارب الاستعمار الوطنية والفضائل يبغى من وراء ذلك أغراضاً ؛ منها: القضاء على الإسلام والعروبة وتحطيم معالم كل منهما ، سواء معالم الدين التي تحطمه بالخروج من أرضها ، أو معالم العروبة الغراء التي يابى أهلها أن يعيشوا أذلاء تحت سيطرة الظلم ، وهذه حقيقة يجب أن تكون راسخة في ذهن كل مسلم

وعربي مؤمن بأئمة وعقيدته . فالوطنية الصحيحة ضرب من ضروب الإيمان الراسخ في قلب كل مسلم ، والوطنية الصحيحة هي حب الوطن والدفاع عنه ومحاربة كل معتد دخيل ، وليست الحروب الصليبية ببعيدة .

لقد اندفع الأوروبيون في القرون الوسطى بجيوشهم الجرارة تجاه الشرق<sup>(١)</sup> للقضاء على الإسلام وأهله ؛ وذلك عندما فرض الحقد الصليبي نفسه على تلك الشعوب الحاقدة ، وذلك للسيطرة على بلاد المسلمين واستعباد أبنائهم وسلب خيراتهم وكنوزهم ، ولكنهم اصطدموا بقوة عظيمة قد هالها ما دبرته الأيدي المجرمة والآثمة ؛ حيث تراصوا في صف واحد يحبون الموت في سبيل الله ، ويجاهدون لنصرة الحق وتطهير أرضهم المقدسة من المعتدين الحاقدين . وهكذا فشلت تلك الجموع الحاشدة ، وتقهقرت أمام وحدة الأمة وصلابة العقيدة وعظم التضحية .

أجل . لقد تساءل أولئك الغزاة : ما الذي أيقظ هؤلاء الراقدين ؟ !! . وكيف استطاع المبشرون والمشتتون أن يتوحدوا في أمة واحدة ، تقودها راية التوحيد ؟ !! . وكيف ضربوا ضربتهم الماحقة في حطين ، وأنقذوا عالمهم الإسلامي كله في عدة سنوات ، من عدو لثيم غاشم ومعتد أثيم ، ومتعصب حاقد لا يرعى في المسلمين إلا ولا ذمة<sup>(٢)</sup> .

(١) ومنه فلسطين - ضحية التآمر الاستعماري البريطاني - فقد سلمت بريطانيا المنتدبة آنذاك فلسطين لعصابات الصهيونية ، فملك ما لا تملك لمن لا يستحق . وستبقى خيانة بريطانيا للعرب وصمة عار في جبينها الكالح أبد الدهر . . .  
(٢) انظر حقيقة البايبة والبهاية .

الجواب هو : إن الحقيقة قد همست في آذان قادة تلك الشعوب بأن الإسلام هو الذي نفخ في هذه الأمة الروح من جديد ، ووجد الصفوف وأثار الهمة ودعا إلى الجهاد ؛ ووعد المسلمين بإحدى الحسنيتين: الكرامة في الدنيا أو الشهادة في سبيل الله والفوز بنعماء .

إن هذا الحقد لم يزل يبعث فيهم التفكير العميق والتدبير الدقيق ، ولم يزل يراودهم حب القضاء على المسلمين ، ويوحى إليهم الشيطان المكائد والدسائس ، إلى أن أجمعوا أمرهم ووجدوا رأيهم وخلصوا إلى أن محو الإسلام لا يتأتى عن طريق السلاح وإشعال الحروب ، وإنما يتحقق بطرق أخرى تتضمن النتيجة المطلوبة .

ولنا أن نسأل : لم أصبر هؤلاء القوم على باطلهم ؟ ! . بالرغم من إخفاقهم في فرض إرادتهم وخيبتهم في تنفيذ رغبتهم . ؟ . يجيبنا كارتر<sup>(١)</sup> عن هذا السؤال فيقول :

إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا .

وهل كانوا لعنة على العالم أو رحمة يوم قدموا إلى البشر عقيدة التوحيد ، ورفعوا راية العدل ، وحكموا بالقسطاس المستقيم ، وأنشؤوا حضارة إنسانية رائعة ، أشرفت على العالم ومنه أوروبا ، فاستيقظت من الجهالة وسرت فيها رعدة الحياة . ؟ . لقد أخذت أهل الغرب العزة بالأيام ، فكافؤوا الإحسان بالإساءة ، ومنعوا هذا الخير عن العالم ! .

(١) التبشير والاستعمار : ص ٣٠ . وكارتر المذكور ليس هو رئيس الولايات المتحدة المعاصر بل هو رجل آخر غير معاصر .



فهذا لورنس براون يبرز موقفهم هذا بوضوح فيقول : فإذا اتحد المسلمون في امبراطورية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم<sup>(١)</sup> .

وهل كانوا لعنة على العالم أم رحمة ؟ !! . أما القس سيمون فكان أوضح في التعبير وأصدق في التفكير عندما قال : إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية<sup>(٢)</sup> .

أما ( وليم جيفورد بالكراف ) فيدلنا على مصدر هذه القوة العظيمة ومنبع هذه الطاقة الزاخرة فيقول : متى تواری القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة ، التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه<sup>(٣)</sup> .

وبهذا يتبين لنا بجلاء أن مكن الخطر على أوروبا - في زعمهم - هو عقيدة التوحيد ؛ لأنها سبب وحدة المسلمين وقوتهم ؛ فالقرآن الكريم يفرسها فكرباً في نفوسهم فتتجرد من الخوف إلا من الله خالق الكون ومدبر الوجود ، ومكة المكرمة تقوم عملياً بصياغتها ؛ فتتوحد الصفوف وتمتزج النفوس وتتحد مشارب العقول فيتجه المسلمون إلى رب واحد ؛ فيعملون لغاية واحدة ويؤدون حق الخلافة على الأرض ؛ بتعميرها وإقامة حضارة عليها وتطهيرها من الباطل وإعلان كلمة الحق فوقها .

(١) التبشير والاستعمار : ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الغارة على العالم الإسلامي : ص ٤٤ .

إن الوحدة الإسلامية تقدم إلى البشرية أنبل الخدمات الاجتماعية ، وأرقى النظم الفكرية، وأجلى مظاهر الحب والمودة والخير ، وهي التي تخيف الأوروبيين ؛ فتراهم يرتجفون من ذكرها وترتعد فرائصهم من رؤية شبحتها ، وتختل عقولهم إذا علموا أن المسلمين يعملون من أجل وحدتهم وجمع شملهم لخير البشرية .

لذلك فإن الخطوة الأولى التي أقدم عليها المستعمرون ؛ هي وضع مخططات واسعة شاملة لجوانب هذه القضية ، مبنية على دراسات علمية تطبق من قبل هيئات رسمية وإرساليات تنصيرية ، تمولها الدول الأوروبية والرأسمالية الأمريكية . ويغذيها الحقد التاريخي ؛ وذلك استعداداً لردة المسلمين وإدخالهم إلى عالم الوثنية وحجب نور التوحيد عنهم . ولعل جذور تلك المخططات تعود إلى القرون الوسطى ، وبعدها خيبة الحروب الصليبية ، ولا أدل على ذلك من تعلم ريمون لول الإسباني اللغة العربية وتوليه التبشير النصراني ، وجولته في بلاد الإسلام ومناقشته لبعض علماء المسلمين<sup>(١)</sup> .

أما الهجوم المنظم - حسب ذلك المخطط الاستعماري - فقد بدأ عملياً وبصورة واسعة جداً في بداية القرن التاسع عشر ، في جميع البلاد الإسلامية ؛ حيث انتشرت فيها العشرات والمئات من الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية ، وتحت تصرفها المئات بل وعشرات الألوف من المكاتب والمدارس الخاصة والعامة ، ورياض الأطفال

(١) المصدر السابق : ص ١٦ .

والابتدائية والثانوية ، إلى المعاهد والكليات والجامعات ، ومن المستوصفات والمستشفيات والصيدليات والملاجئ والمبرات منتشرة هنا وهناك شمالي ووسط وغربي أفريقيا وفي مصر والسودان والبلاد العثمانية - ومنها العربية - والهند وسيلان والصين والباكستان وأندونيسيا وأواسط آسيا وإيران وأفغانستان ، إذ أن كلها كانت تعمل لغاية واحدة وهي : تنصير المسلمين ؛ حتى تتحطم العقبات وتزول الحواجز أمام مطامع المستعمرين الغربيين<sup>(١)</sup> .

إلا أن هذه الأساليب المغرية المتنوعة الخداعة لم تثمر ثمرتها المرجوة ، ولم تستطع أن تنال من العقيدة الإسلامية ، إذ أن المسلمين أصروا على إيمانهم ، وتمسكوا بإسلامهم وقاوموا هذه الحركة على ضعفهم المادي وتأخرهم الحضاري<sup>(٢)</sup> .

وعندما يثس الاستعمار من القضاء على الإسلام - عن طريق التنصير - لجأ من خلال المؤسسات التنصيرية ذاتها إلى محاولة زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين ، وذلك بعدة طرق ، منها: نشر الأفكار المضادة للإسلام ، وتربية أبناء المسلمين تربية علمانية مادية ؛ بحيث تحجز بينهم وبين أسلافهم ، وحسبنا على ذلك أن نستشهد بقول شاتيليه : ومن هذا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية - التي لديها أموال جسيمة ، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة - تأتي بالنتج الكثير في البلاد الإسلامية ، من حيث إنها تبتث الأفكار الأوروبية<sup>(٣)</sup> .

(١) نفس المصدر السابق : صفحات ١٩ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٤ .

(٢) التبشير والاستعمار : ص ٤١ . (٣) نفس المصدر السابق : ص ٤١ ، ١٣١ .

ثم يقول شاتيليه موضحاً : ولا شك أن إرساليات التبشير من برونستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية ، فبنشرها اللغات الإنجليزية والفرنسية والهولندية والألمانية وغيرها ، يصبح الإسلام ملكاً لصحف أوروبا وتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي - كذا - وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها - كذا - (١) .

ويقول المتعصب - اللورد كروزن : إن أمواج التبشير تضرب عبثاً في الحائط الإسلامي الصخري ، الذي لا يهدم ، حيث إن نظامه شامل لكل ناحية ، وموافق لطقس وعوائد وأعمال تلك البلاد التي وضع يده الحديدية عليها ، وأتباعه يخضعون لنظامه مأسورين من المهد إلى اللحد ، فهو ليس ديناً فقط بل حكومة وفلسفة وعلماً أيضاً . والفكرة الإسلامية ترمي إلى حكومة دينية وليس إلى دين حكومي . والروابط التي ينهض بها المجتمع الإسلامي ليست مدنية بل هي دينية . وقد يكتفي بهذا الدين السامي المسلم الذي يعيش قانعاً متنازلاً عن كل إرادة ، معتقداً في القدر، ومعتبراً أعظم شيء في الحياة هو عبادة الله ، ويجبر عليها غيره - كذا - وإذا لم يمكنه ذلك يحتقر كل من لا يعبد بروحه ، ثم يموت وهو مؤمل دخول الجنة . وما دام هذا القانون الشامل الملتهم لجميع

(١) الفارة على العالم الإسلامي ص ١٠ ، ١١ .

نواحي الحياة مستولياً على الشرقيين الذين يعتنقونه ، ومفصلاً لأحكام كل شيء متعلق بهذه الحياة ، ومؤملاً في حياة ونجاة وسعادة بعد الموت ، فإن أعمال المبشرين وصرفهم الأموال الطائلة ونكران ذواتهم يصبح بدون فائدة ، بل هو من العبث بمكان ، وكل محاولة لعمل (بروباجندا) هو في نظري أسوأ أعمال السياسات التي يمكن للمبشرين أن يتخذوها في مملكة متعصبة<sup>(١)</sup> .

وفي سبيل تنفيذ هذه الفكرة عملياً ؛ دعا المنصرون وأجهزة الدعاية الاستعمارية إلى فتح الجامعات والمدارس العلمانية<sup>(٢)</sup> ، لتقوم بإثارة شبهات وأباطيل حول الإسلام ورسوله الكريم ، وإليك فقرات من كتاب بعنوان : البحث عن الدين الحقيقي . الذي كان يدرس لمدة طويلة في مدارس الإرساليات الأجنبية في لبنان :

الإسلام في القرن السابع برز من الشرق ، عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القسوة ، وقام على أشد أنواع التعصب . لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق؛ ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات<sup>(٣)</sup> . ١ . ٨ .

وكان من أهم الأهداف التي أراد المستعمرون بلوغها إيجاد طائفة

(١) مطالع الأنوار لمحمد زرندي : الحاشية ص ٥٣١ . نقلاً عن إيران والمسألة الإيرانية .

(٢) التبشير والاستعمار : ص ٩٥ - ١١٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٨ .

من الشخصيات عن طريق هذا النوع من العلم تتشرب حب الاستعمار ولا تقاوم التسلط الأجنبي<sup>(١)</sup> .

إن هذه المدارس قد أدت واجبها الاستعماري أحسن الأداء فاستطاعت أن تربي آلافاً من أبناء المسلمين ، تربية إلحادية إباحية ، فقدوا معها الثقة بعقيدتهم وتراثهم وأمتهم ، ولم يعودوا ينظرون إلى الإسلام نظرة حققة ، وإنما لجؤوا إلى الأفكار والمبادئ الأوروبية ، يجترونها دون وعي أو إدراك ينتظرون منها الحلول لمشاكلهم ومعضلات حياتهم<sup>(٢)</sup> .

إن المستعمرين جميعاً اشتركوا في مساعدة وتمويل هذه الإرساليات ، لأنها كانت الآلة الفعالة في سبيل تمكينهم من رقاب المسلمين ، وتثبيت أقدامهم ونشر مفاهيمهم ، كي يقضوا على أسباب القوة ومصادر العزة والمنعة في المجتمع الإسلامي ، إلا أن الإنجليز - الذين كانوا يسيطرون على كثير من بلاد الإسلام كان لهم الدور الأول والفعال في إثارة هذه الغارة الشنيعة على الأمة الإسلامية<sup>(٣)</sup> .

ومن تلك الطرق المخططة لزعزعة العقائد والأفكار ، وزحزحة الإسلام عن واقع الحياة - التي أكد عليها الإنجليز خاصة - إيجاد أفراد من المسلمين يتحركون بإشارتهم ويأتمرون بأوامرهم ، فيدعون الألوهية والنبوة لإفساد العقيدة ، وإلغاء الجهاد وإبطال الشريعة ، والحيلولة

(١) المصدر السابق : ص ٥٠ .

(٢) القومية العربية د . حازم نسيبة : ص ٢٠٧ - ٢٤٥ .

(٣) التبشير والاستعمار : ص ١١٩ .

دون رجوع المسلمين إليها ، وقد مرت هذه الحركات الارتدادية بتطورات معينة - حسب الخطط المرسومة لها - وكلها ذات جذور واحدة وهدف واحد .

ومن بين هذه الحركات الهدامة حركة السيد أحمد خسان في الهند - في بداية القرن التاسع عشر - وكانت تعتمد الدهرية وتدعو إلى التمسك بالمذهب الطبيعي ، وتدعو لتعطيل الشريعة ومحاربتها وممالة أعداء الله والوطن . وكذلك حركة القاديانية التي ظهرت في الهند في القرن التاسع عشر ، وكان ظهورها على يد عميل بريطانيا المخلص الميرزا غلام أحمد القادياني ، الذي ادعى بأنه المسيح الموعود والمهدي المنتظر ، فأعلن إبطال الجهاد وحرص على الطاعة التامة للإنجليز ، فقربوه وأصحابه ، وسلموه مناصب كبيرة في الدولة ، وفرضوهم على البلاد في ظل سيف احتلالهم على رقاب المسلمين ، حيث رأوا في حركتهم الإبقاء على استعمارهم لبلاد الهند . فالغاء الجهاد معناه قتل روح الكفاح والمقاومة لأوضاع الاحتلال الأجنبي ، ومهادنة الكفرة الظالمين المعتدين<sup>(١)</sup> .

ومنها أيضاً حركة البابية التي ظهرت في إيران في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والتي كانت تعتمد أساساً على تبرير الروس والإنجليز ومكائدهم ، كما كانت هذه الحركة على صلة عميقة بالصهيونية واليهودية والماسونية العالمية<sup>(٢)</sup> . ومن أعمال الفرنسيين

(١) القادياني والقاديانية .

(٢) حقيقة البابية والبهائية .

في سورية وبرنامجهم التنصيري العام والخدام لمخططات الاستعمار ، حيث دفعوا شخصاً إقطاعياً اسمه سليمان المرشد فادعى الألوهية وسمى نفسه بالرب ، وأخذ يعامل قومه النصيريين على هذا الأساس (١) .

إن المستعمرين - في جميع هذه الحركات - كانوا يصدرون عن قاعدة قديمة للتبشير بين المسلمين التي تقول : تنصير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها (٢) .

إن المستعمرين لما رأوا هذه الشجرة الثابتة الأصول الوارفة لم تؤثر فيها تلك الفؤوس المثلمة ، ووجدوا أن المسلمين لم يتبعوا أولئك الدجالين العملاء ، وأنهم خذلوهم وكشفوا عوراتهم وحذروا الناس منهم ، وحكموا بكفرهم وخروجهم على الإسلام ، اضطروا لإخراج مخططات أخرى وتخطيط جديد لإفساد المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم ، كانت أنجح نسبياً من مخططاتهم السابقة ؛ وهي فرض العلمانية ، وإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية ، ونشر الفلسفات والآراء الجاحدة ، وطعن الإسلام في رسوله وتراثه ورجالاته .

وقد تهافت الاستعمار ووضع مركز ثقله في الآونة الأخيرة ؛ من حيث شراء الذمم ونشر عشرات من الكتب ، وبظهور مئات من الحملات والجرائد اليومية ، حيث تكاتفت كلها لنصرة مبادئ الاستعمار

(١) التبشير والاستعمار : ص ١٥٧ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي : ص ٣٨ .



ومخططاته ، ومعاداة الإسلام ومحاولة اقتلعه من قلوب الناس ، وبكافة الوسائل والمغريات ، كما شارك في هذه العملية الهدامة عدد كبير من المستشرقين ومثات من كتاب العرب وتلامذتهم ، ممن حملوا أسماء إسلامية ، فصوروا الإسلام للناس تصويراً قائماً على أساس الافتراء والفساد والتزييف<sup>(١)</sup> ، وغير ذلك من التلفيق والتدليس .

كما تقدم نرى أن عملية الهجوم على الإسلام - بعد الحروب الصليبية - اتخذت الاتجاهات التالية :

- ١ - عملية تنصير المسلمين .
- ٢ - دفع أفراد أو جماعات للارتداد عن الإسلام عن طريق ادعاء النبوة والربوبية .
- ٣ - الهجوم الفكري المنظم على الإسلام ، واتهامه بالقصور عن مسايرة الحياة الحديثة ، ودعوة المسلمين إلى الانحراف مع مفاهيم الحياة المادية الحديثة .

رغم هذه المؤامرات والفتن - التي حيكت ضد الإسلام ، والتي تدل بالقطع على أن الإسلام قد انتصر من حيث العقيدة الخالصة في هذه المعارك ، التي شنتها عليه أجهزة الدعاية الصليبية والماسونية - فإن الثقافة الإسلامية الأصيلة قد انتشرت ، وظهرت حضارتها الجديدة ، وسادت شريعته الإلهية العادلة . والله تعالى غالب على أمره ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

(١) الفكر الإسلامي الحديث : ٢٨ ، ٣٨ ، ١٧٨ .

## الاستعمار والنصرانية

إن الحرب التي شنها أعداء الإسلام على أهله لا زالت مستمرة وفي أوجها ، ولقد اتخذت عدة أشكال .

وقد قامت هذه المرة بتعاون الاستعمار والنصرانية على قمع الروح الدينية من نفوس المسلمين ؛ وذلك بتصفيتهم نهائياً ليلفظوا الدين ، فتفسد الأرض التي أصبحت مناراً للحق ومشعل هداية بفضل الإسلام ، ذلك الدين القيم .

وسأقتصر هنا على أمموزج لذلك التعاون ، الذي كان بين حكام الحبشة والاستعماريين في محاربة الإسلام .

إن ملوك الحبشة النصارى أرغموا - في القرن التاسع عشر - المسلمين الأبحاش على اعتناق النصرانية بالقوة أو مغادرتهم لأرض الحبشة .

إن ثيودور ملك الحبشة أراد أن يحالف بريطانيا ضد الدول الإسلامية - وخاصة مصر المجاورة له - فكتب رسالة للملكة فكتوريا عام ١٨٦٣ م . وقد بقيت رسالته بلا رد ، فعَدَّ ثيودور ذلك إهانة، فسجن القنصل الإنجليزي والمنصرِّين البروتستنت الذين كانت قد سمحت لهم حكومة الحبشة بالتنصير بين رعاياها المسلمين . ومنذ عامين سمحت حكومة الحبشة للولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء محطة إذاعة تنصيرية في أديس أبابا اسمها صوت الإنجيل<sup>(١)</sup> .

(١) التبشير والاستعمار : ص ٢٥٥ .

وجاء الملك يوحنا فأمر بتعبئة عامة . ثم أعلن حرباً صليبية على المسلمين ، ووصف الجنرال الملك يوحنا هذا فقال : إنه مثلي متعصب في الدين . إنه يشعر أنه يحمل رسالة ، وإنه سوف يحققها ، تلك الرسالة هي أن ينصّر جميع المسلمين .

وقد اتفق أن الحكومة الحبشية استطاعت عن طريق القهر أن تنصّر بعض المسلمين ، ولكن جماعات كثيرة من أولئك المقهورين على تبديل دينهم خرجوا من الكنيسة التي عمّدوا فيها إلى المساجد ليعودوا إلى إيمانهم ؛ ولم يكن لذلك نتيجة إلا ازدياد العداوة بين النصارى والمسلمين من الأحباش ، والنصارى في الأصل أقلية في الحبشة ، ولكن الاستعمار البريطاني خاصة هو الذي يدعم الأسرة النصرانية الحاكمة على كثرة المسلمين ، ويتكلم العدد الأكبر منهم اللغة العربية ، ويعرفون جميعهم اللغة العربية لأنها لغة الإسلام .

وفي الحرب العالمية الثانية أضاف الاستعمار البريطاني ظلماً جديداً إلى الظلم القديم فأضاف أريتريّة إلى الحبشة ، وأخضعها للأسرة النصرانية الحاكمة ، إن الكثرة المطلقة من أهل أريتريّة مسلمون ؛ ومن أجل ذلك لما أُجبر الاستعمار على مغادرة أريتريّة المسلمة ، فضّل أن تكون المقاطعة تحت حكم ملك مستسلم للسياسة الغربية ، ومستند في حكمه وسياسته إليها على أن تكون دولة مسلمة مستقلة .

هذه هي بعض أعمال الاستعمار وجرائمه ، التي تعاني منها الشعوب ومنها شعب أريتريّة المسلمة ، الذي يقود الآن ثورته المجيدة ، وقد

حققت هذه الثورة انتصارات على الحكام في أديس أبابا ، وستظهر أرض الإسلام من آخر معقل لأعداء الله وأعداء البشرية من الاستعماريين والرجعيين والصهاينة وأعدائهم المرتزقة وأمثالهم .

ومهما طال ظلمة الليل ففجر النهار آت قريب ، ولا بد للقيد أن ينكسر ولا بد للحق أن ينتصر .

## الكنيسة تتعاون مع الاستعمار

من المؤسف حقاً أن تجد الكنيسة ورجالها يسبغون جنباً إلى جنب مع رجال الاستعمار لمحاربة الإسلام ومبادئه ، وصد الناس عنها ، وكان المؤمل العكس، إذ المفروض في الكنيسة أن تكون صاحبة رسالة ، ورسالتها: الإيمان بالله ودعوة الناس إليه . ويجب عليها أن تحترم وتقدس جميع الأديان السماوية ، فكيف يسوغ لها أن تحارب ديناً يدعو إلى الإيمان بالله وحده ، ثم يعمل على تكميل الإنسان بالفضائل السماوية والأخلاق الربانية ، ويحارب الإلحاد والإباحية ، ويظهر العقيدة من أدران الشرك والوثنية ، كما يحارب الفساد في الأرض .

ومن المؤسف أيضاً أن يكون هذا ديدن الكنيسة منذ القديم ، وإليك بعض ما جاء في كتاب : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين . يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان :

لبث المدجنون عصراً يتمتعون في ظل الحكم الإسلامي بامتيازات

كثيرة ، ويعيشون في نوع من الأمن والدعة بعيداً عن عصف الأهواء السياسية والقومية العنيفة ، ولكن هذه الحال أخذت في التبدل منذ اتسع نطاق الفتوحات النصرانية في أرض الأندلس ، وزاد عدد المدجنين في مختلف المناطق المفتوحة ، وكانت الكنيسة تبغض هذه الطوائف الإسلامية - القائمة في قلب المجتمع النصراني - وتنقم على المدجنين هذه الدعة وهذا التسامح ، وترى في احتفاظهم في دينهم ولغتهم نوعاً من التحدي المذموم ، وتأخذ على ملوك قشتالة وأرجون تسامحهم في معاملتهم ، وتسعى جاهدة لتحريضهم على اتباع سياسة الانتقام والعنف إزاء أولئك الرعايا المسالمين من المسلمين ، ومنذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين والحض على استرقاقهم أو تنصيرهم ، ومن ذلك ما أمر به البابا أنوسان الرابع عام ١٢٤٨ م ملك أرجون خايمي الأول في وجوب استرقاق المسلمين في الأجزاء الشرقية .

ولأن الكنيسة ورجالها نسوا - أو تناسوا - التسامح الإسلامي العظيم ، الذي كان يتمتع به النصارى الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي<sup>(١)</sup> . ا. هـ . ولا أريد أن أكثر من الدلائل والنصوص على هذا الموضوع ، إلا أنني أكتفي بأن أنقل فقرة مختصرة من المصدر نفسه ؛ وهو كتاب : نهاية الأندلس لعبد الله عنان قال :

كانت تظاهر هؤلاء الأندلسيين المدجنين جمهرة من النصارى الإسبان ، يعيشون في القواعد والشغور الإسلامية ويعرفون بالنصارى المعاهدين أو

(١) نهاية تاريخ العرب المنتصرين : ص ٥٤ .

المستعربين ، ولقد لبثوا عصوراً يتمتعون في ظل الحكم الإسلامي بضروب الرعاية والتسامح ، وكانت الحكومات الأندلسية - حتى في أزهى عصورها - تحافظ على سياسة التسامح التي اتبعت إزاءهم وعلى تقاليدهم القومية، وتجنب أية محاولة لإرغامهم على اعتناق الإسلام. وكان من ضروب هذه الرعاية أن أنشئ في ظل حكومة قرطبة - منذ عهد الحكم بن هشام - ديوان خاص للنظر في شؤون أهل الذمة - النصارى واليهود - ويتولاه كبير من الأبحار النصارى يطلق عليه : قومس أهل الذمة . وهكذا استطاعوا أن يحتفظوا بدينهم ولغتهم ومميزاتهم القومية والاجتماعية . وكانت حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي أفضل مما كانت عليه أيام القوط ، وكثيراً ما كان يعهد إليهم بمناصب القيادة والوزارة ، أو ينتظمون في البلاط والحرس الملكي . ثم قال :

ومع ذلك فقد كان منهم دائماً طوائف متعصبة تسيء استعمال هذا التسامح ، وتحاول بمختلف الوسائل أن تكيّد للإسلام ودولته ؛ ومن ذلك ما حدث في عهد عبد الرحمن بن الحكم - أوائل القرن التاسع الميلادي - من الحوادث الدموية التي أثارها تعصب النصارى .

ثم قال المؤلف : وهكذا فإن النصارى المعاهدين لم يشعروا دائماً بالولاء والإخلاص للدولة الإسلامية التي يعيشون في ظلها ، والتي توليهم كثيراً من رعايتها ورفقها ، وكانوا دائماً يتربصون بها وينتهزون الفرص لناوأتها والكيد لها ، ويستعدون عليها الوطن القديم كلما اضطربت

شؤونها وعصفت بها عواصف الثورة والحرب الأهلية ، وكانت أعظم خيانة ارتكبوها من هذا النوع في أواخر أيام المرابطين ، حينما دعوا ألفونسو الأول - ملك أراجون الملقب بالمحارب ، عقب استيلائه على سرقسطه - إلى أن يسير إلى غزو الأندلس ، بعد ما لاح من انحلال سلطان المرابطين فيها . واستجاب ملك أراجون لتحريضهم وسار مخترقاً الأندلس بجيوشه ، والنصارى المعاهدون في كل قاعدة ينهضون إلى معاونته بوسائلهم ، وذلك في سنة ٥١٩هـ - ١١٢٥م حتى انتهى إلى حصن غرناطة وحاصرها حيناً ثم غادرها إلى الجنوب ، ونشب القتال بينه وبين المرابطين ، ولبت حيناً يعبث في تلك الأنحاء ، والنصارى المعاهدون يهرعون إلى شد أزره ويمدونه بالأقوات والمؤن ، ثم عاد ثانية إلى اختراق الأندلس إلى أراجون وقد انضم إلى جيشه آلاف من النصارى المعاهدين . أ. هـ. (١)

وفي العصر الحديث أقيمت عدة مؤتمرات نصرانية ، انتدب إليها أكابر القسس والرهبان ، وأساطين المنصرين والمستشرقين ، ووضعت لها البرامج لدراسة وسائل القضاء على الدعوة الإسلامية التجديدية ، التي كان يدعو إليها الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلاميذه العظام .

ومن هذه المؤتمرات مؤتمر لكهنو بالهند ، وقد انعقد في سبتمبر سنة ١٩١١م وشارك فيه ١٦٨ مندوباً ، وممثلون عن ٥٤ جمعية تنصيرية بلغوا ١١٣ عضواً .

(١) انظر نهاية العرب المنصرين : ص ٥٨ .

وكان رئيس هذا المؤتمر القسيس زويمر ؛ وهو رئيس المنصّرين في الشرق .  
واسمه الدكتور صموئيل زويمر ، وهو من أعلام التنصير ، وكانوا يلقبونه  
بالرسول المختار إلى العالم الإسلامي ، ويريدون بذلك أنه تكفل أمام  
جماعات التنصير بتحويل العالم الإسلامي عن عقيدته !! (١) .

ومما قاله زويمر في خطابه - كما جاء في مجلة العالم الإسلامي : إن  
الإسلام تمخض عن حوادث خارقة لم يسبق لها نظير ، وإن الأمور  
الإسلامية دخلت في قالب يلائم العصر ، وازداد به التمسك بمبادئ  
الإسلام ، وانتشر الإسلام بأفريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية .  
ثم قال :

إن هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم ، وتنظر في أمر  
التنصير والمنصّرين بكل عناية . أ. هـ .

## إسرائيل من صنع الاستعمار

ليس خافياً أمر إسرائيل وخلقها على أحد من الناس ؛ فإن القوة  
الأمريكية والسياسة البريطانية هما اللتان خلقتا وأوجدتا إسرائيل هذه  
- اللقيطة - التي تربت وترعرعت بأموالهما ، وثبتت في أرض العرب  
ومقدسات المسلمين بقوتها وسلاحها ؛ فهم أوجدوها وهيئوا لها التربة  
الصالحة لتنتبت فيها ، وقد تحقق هذا وصدقه الواقع ، فكلا الدولتين

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : ص ٧٧ .



تمد يد المعونة والمساعدة لها متى شاعت ونشأ ، وهم يحافظون عليها في كل المجالات الدولية والمنظمات الشعبية ؛ فأمريكا وانجلترا وكل القوى المناهضة للعرب والمسلمين تريد أن تعيش في بلاد العرب - رغم أنف العرب - ولقد قضى الكافر المستعمر على دولة الإسلام ، ووضع تصميم الدولة اليهودية موضع التنفيذ ليقمها رأس جسر في البلاد الإسلامية ، وحول القضية الفلسطينية من قضية إسلامية إلى قضية وطنية جوفاء ، ومن قضية بين العالم الإسلامي وبين الدول الغربية إلى قضية بين العرب واليهود ، فتمكن بذلك من إقامة هذه الدولة المصطنعة ، واقتطاع جزء من قلب العالم الإسلامي - بإجلاء أهل البلاد عن ديارهم وأموالهم - بالحديد والنار . وهذه بدهية مسلم بها ولا تخفى على أحد ، ولا يمكن نكرانها ، فهي كالشمس في رابعة النهار .

لقد صرح شيطان من شياطين الاستعمار - بأسلوب لا يحتمل التأويل - فقال بصراحة : إن بقاء الإسلام وكتاب الإسلام عقبة في سبيل الاستعمار . وقال أيضاً جلادستون - أحد وزراء الخارجية البريطانية - حينما وقف في مجلس العموم البريطاني ، وهو يحمل بيده الآثمة النجسة كتاب الله تعالى فقال : مادام هذا الكتاب في الأرض فلن نستطيع أن نحكم المسلمين بما نريد . كما قال زعيم من طغاة فرنسا - الجنرال كاترو في دمشق سنة ١٩٤١ م . : نحن أحفاد الصليبيين . فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل<sup>(١)</sup> .

(١) ثورة على الاستعمار : ص ١١ .

هكذا يقول عدو الإسلام في أرض العرب والإسلام - كما نطق زميله في الإجرام في أرض الجزائر المناضلة - فغاية الاستعمار القضاء على الإسلام وقطع وريده مهما كلف الأمر ، ولكن أهل الإيمان لهم بالمرصاد .

لنثق جميعاً أن بريطانيا الاستعمارية هي التي خاصمت وجارت على العرب ، وضربتهم بسهامها السامة واغتصبت حقوقهم ، والتي شجعت الدول الغربية على تأييد إسرائيل ومد أيديهم ليتصافحوا معها ، وباركوا لها صيدها السمين . لن تعود عزتنا إلا إذا صرخنا بوجه الذلة وقطعنا وريدها ، فإن فعلنا ذلك عدنا إلى الرشد السيد وعاد مجدنا التليد ، وعدنا سادة كراماً . ولا بد لنا من الكرة تلو الكرة على أعدائنا لتطهير أرضنا من رجس الباطل . ولنهب كالأسد لنسجل لأنفسنا تاريخاً عظيماً تتلقاه الأجيال وتتناقله الأحفاد ، فقلم التاريخ بيد الأيام .

ومما لا ريب فيه أنه ما ظهرت فتنة وانتشر فساد واندلعت نار إلا وللإستعمار اليد الطولى فيها والحظ الأوفر ، وكانوا من المشتركين في صنعها وحياتها . وهم الذين أذاقونا الويلات وجرّعونا السموم القاتلة ، ونالوا من كرامة ديننا وداسوا مقدساتنا ، وحطموا تقاليدنا التي ورثناها عن أسلافنا ؛ ففي الهند يقاتل المسلمون ضد الهندوس ، وفي فلسطين ضد اليهود ، وثوراة المسلمين في الفلبين ضد أعداء الإسلام من حكام وغيرهم ، وكذلك حال المسلمين في أثيوبيا وأريتريا حيث اندلعت ثورة شعب أريتريا المسلم على الحكم الأثيوبي البغيض ، كل هذا لتقويض أمة الإسلام وضربها في الصميم لتتخلى عن رسالتها ؛ تلك

الرسالة السامية التي حملها رسول الإسلام محمد ﷺ لينقذ البشرية من  
برائن الوثنية والطاغوت ، وليعيش الناس في أمن وسلام .

وهكذا فالاستعمار يحرك أعداء الإسلام ، ويدفع بهم ويضمن لهم  
ويرقب فتكهم بالمسلمين . فالذي يخلق هذه المؤامرات هو الاستعمار ؛  
رغبة في شفاء حقه القديم ضد الإسلام والمسلمين ، فلنحذرهم ولنحذر  
أعمالهم ، ولنتمسك بديننا ونعتصم بحبل الله المتين .

وإلى القارئ الكريم بعض الأمثلة التي تدل على الحقد الدفين في  
قلوب أعداء الإسلام ؛ فمنها ما كانت قد نشرته جيوش إيطاليا عند  
دخولها طرابلس الغرب : سأقاتل بكل قوتي لمحق القرآن . يا أمه  
ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني ، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً  
لأبذل دمي في سبيل محق الأمة الملعونة ، ولأحارب الديانة الإسلامية ...  
وإن سألك أحد عن عدم حداثك عليّ فأجيبه : إنه مات في محاربة  
الإسلام !!!<sup>(١)</sup> .

كذلك موقف الاستعمار الفرنسي البغيض ؛ لقد وقف الجنرال غورو  
القائد الفرنسي عند قبر صلاح الدين - رحمه الله - وناداه : حتى متى  
يا صلاح الدين تبقى نائماً ؟ ! . ها قد دخلنا وفتحنا سورية !! .

هذه أحقاد الاستعمار ومكائده ضد الإسلام . وأطماعهم الصليبية  
تتمثل في دعواهم الموتورة .

(١) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم .

ومما يلفت جبين فرنسا - وإلى الأبد - تلك الفترة الطويلة التي حكمت فيها شمالي أفريقيا العربية ، وعلى الخصوص حكمها الطاغى في الجزائر ؛ حيث عمدت إلى ضم الجزائر إليها واعتبارها قطعة منها وولاية من إحدى ولاياتها .

لقد حاربت اللغة العربية ، ومنعت بل وحرمت تدريسها في مدارس الجزائر ومعاهدها ، كما حاربت الدين وحولت كثيراً من مساجدها إلى متاحف أثرية وأماكن عامة ، وألغت المحاكم الشرعية والأحكام الإسلامية ، وجعلت التحاكم بين المسلمين في الأحوال الشخصية إلى محاكم فرنسية ؛ تعمل بقوانين مدنية جاهلية ، وقطعت كل صلة - لشعب المليون شهيد - أو رابطة تربطه بعقيدته الإسلامية ، ومنعت نور الإسلام من أن ينتشر ويضيء تلك البقاع الطاهرة .

وكفى بوعد بلفور وبالجمعيات التنصيرية العربية العاملة في فلسطين - قبل الانتكاسة - دليلاً على تعاون اليهود والصليبيين للنيل من الإسلام وأهله ، ذلك التوافق والاتحاد فيما بينهما لاستئصال الإسلام وإيقاف مده المتواصل .

وكفى المسلمين بكتابهم الكريم واعظاً ومعلماً ، ولو عادوا إليه لوجدوا قول الله تعالى يخاطب رسوله الكريم محمداً ﷺ :

(وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (١)

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .

ولا بد من الإشارة إلى ما اقترفته الأيدي الاستعمارية من إجرام بحق تركيا المسلمة بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى .

ومن مخازيهم تلك الشروط الاستعمارية التي فرضوها على تركيا ؛ وكان منها ما يلي : -

- ١ - إلغاء الخلافة الإسلامية من تركيا نهائياً .
- ٢ - أن تقطع تركيا كل صلة لها مع الإسلام .
- ٣ - أن تضمن شل حركة العناصر الإسلامية الباقية في تركيا .
- ٤ - استبدالهم دستوراً مدنياً وضعياً بدستورهم القائم على الإسلام .

هذه هي شروط المستر ( كرزن ) الاستعمارية - الذي كان وزير خارجية بريطانيا آنذاك - وقد نفذ كمال أتاتورك هذه الشروط كلها ، ولكن شعبنا التركي سيبقى مسلماً<sup>(١)</sup> .

إن العالم الغارق في الاستعمار والاستعباد ، الذي يصل إلى درجة الوحشية ، ما يزال محتاجاً إلى وحي الإسلام الذي حرم الاستعمار لقصد الاستغلال ، وعامل البلاد التي فتحها معاملة ما تزال في نظامها وارتفاعها قمة لا تصل إليها الأقزام في أوروبا المتحضرة ، والتي شهدت للعرب والمسلمين حسن معاملتهم وعدلهم أثناء حكمهم الزاهر .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : ص ٨٣ وما بعدها .

## نكبات المسلمين في أفريقيا

### ١- المحنة في أثيوبيا - الحبشة

امتدت أصابع اليهودية العالمية إلى القارة السوداء - أفريقيا - حيث عانت في ديارها الفساد ، وكان من بين شعوب تلك القارة - التي تعرضت للقهر والإذلال على أيدي اليهودية الماكرة - شعب أثيوبيا المسلم الذي عانى محناً كثيرة ، وتحمل مصائب جمة لا يمكن إعفاء طاغوت أثيوبيا- هيلاسيلاسي - من تبعاتها ؛ حيث كانت جرائمه سجلاً أسود يلطخ تاريخ هذه الفاسد ، الذي ختمه بأن جعل من بلاده مستعمرة يهودية .

إن رأس الأفعى اليهودية في الحبشة ليس مستتراً بل إنه مكشوف<sup>(١)</sup> ؛ يعمل منذ أربعين سنة على محو الإسلام وهدم معاقله التي بناها في الحبشة وما حولها خلال ألف سنة مضت . رأس الأفعى هذه المرة كان الامبراطور هيلاسيلاسي ، الذي كان يعتز بنسبه اليهودي ، ويفتخر أن من بين ألقابه : أسد يهوذا أو سبط يهوذا ، وقد دأب هذا الطاغية منذ أن تسلّم السلطة واعتلى العرش في ٢ نوفمبر ١٩٣٠ م . على تنفيذ خطة جهنمية لإبادة المسلمين وابتلاع ديارهم ، والقضاء على الإسلام في الحبشة وما حولها من معازل إسلامية .

---

(١) الأفعى اليهودية لعبد الله التل . ولمن أراد البسط في هذا المقام فعليه مطالعة هذا الكتاب النافع الذي يكشف مخططات الصهيونية وأعداء الإسلام .

ويدعي هيلاسلاسي أن الإسلام دخيل على الحبشة ، وأنه لا بد من القضاء عليه لتظل الحبشة قاعدة النصرانية الوحيدة في أفريقيا ، ومع أن المسلمين يشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان إلا أن هيلاسلاسي - بما عرف عنه من صفاقة ووحشية وحقد - يعلن دائماً وأبداً تنكره للوجود الإسلامي في الحبشة ، ولا يخفي نواياه وعزمه للقضاء على الإسلام والمسلمين في الحبشة .

صحيح أن الإسلام واجه كثيراً من الأهوال والمذابح ، على أيدي أجداد هيلاسلاسي وحلفائهم من البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز والاطليان ، إلا أن ما واجهه في عهده يفوق في بشاعته كل الذي ذاقه على مر القرون الماضية .

وتتلخص خطة هيلاسلاسي لإبادة المسلمين والقضاء عليهم فيما يلي :

- مصادرة أموال المسلمين وأموالهم .
- حرمانهم من التعليم الديني واللغة العربية والقرآن ، ومنعهم من بناء المساجد ، وهدم ما تبقى منها ، وإقامة كنائس على أنقاضها .
- الفتك بأبناء المسلمين وتنصيرهم بالقوة ، وقتلهم في مجازر جماعية بحجة العصيان ضد الدولة ، وحرمانهم من كل وظيفة حساسة رغم أن عددهم يتجاوز عشرة ملايين نسمة وبنسبة ٦٠٪ من السكان لا يوجد منهم وزير ولا ضابط ولا أي وظيفة رفيعة .
- حرمانهم من الاتصال بإخوانهم المسلمين في العالم العربي وغيره ،

وتدمير قراهم والفتك بكل مطالب منهم بالخرية والحياة الإنسانية .

- نشر الهيئات التنصيرية في جميع مناطق المسلمين ، وحمايتها وإقطاعها مساحات زراعية كبرى على حساب المسلمين .

- جعل المسلمين عبيداً والأجباش الأمهريين النصارى سادة ومن الدرجة الأولى في المجتمع .

- مصادرة أموال المسلمين من قبل الكنيسة التي تسلطت عليهم ، ودفعتهم الضرائب الباهظة مما جعلهم أفقر طبقات المجتمع وأذلها .  
من أشهر المذابح التي نفذها هيلاسلاسي بالمسلمين :

١ - مذبحه مقاطعة القرافي : استأنف هيلاسلاسي خطة تنصير المسلمين ؛ فأوعز لهيئات تنصيرية سويدية أن تستقر في مقاطعة القرافي الإسلامية ، وعندما هب المسلمون مطالبين بمنع المنصّرين من دخول مقاطعتهم ، تعرضوا لأبشع طرق القمع والإرهاب وسفك الدماء والقتل بالجملة على يد جنود الطاغية ؛ حيث سقط في لحظة قصيرة حوالي ثمانين شخصاً بين قتيل وجريح ، وزج بالكثيرين في غياهب السجون ، كما نفذ مذبحتي سلطنة أوسا وقبائل رايا الشهيرتين<sup>(١)</sup> .

٢ - مذبحه قرية جرسم : وفي سنة ١٩٤٧ م ثار الشيخ عبد القادر آدم ضد الضرائب الفادحة التي فرضت على جرسم - إحدى مقاطعات

(١) نشرة أحرار الحبشة ، القاهرة : ص ٤٧ - ٦٧ . د . ت . نقلاً عن الأفي اليهودية .



هرر المسلمة - وضد الأوامر الظالمة الباغية التي تجبر المسلمات على إعداد الخبز لمئات العسكر الأوباش ، الذين لا يتورعون من الاعتداء على السيدات المسلمات البائسات . وحين لجأ الشبان المسلمون إلى الغابات لمقاومة القوات الحبشية ، جمعت الحكومة الشيوخ والأطفال والنساء في أكواخ - كل عشرين منهم في كوخ مبني من القش والقصب والعشب - وسكبت عليهم صفائح البنزين وأشعلت النار ، فمات أكثر من خمسمائة بريء حرقاً ؛ على طريقة اليهودي ذي نواس وأصحاب الأخدود ، مع فارق كبير بين ظلم ذي نواس قبل ألفي سنة وظلم هيلاسلاسي في القرن العشرين ؛ فقد أحرق ذو نواس اليهودي من لم يرض باعتناق دين اليهود ، في حين أن هيلاسلاسي قد حرق الشيوخ والنساء والأطفال دون أن يعرض عليهم أي شيء ، ودون أية محاكمة أو تحقيق . وأخيراً كانت مأساة داوي - التي كانت منارة للعلم وموثلاً للعلماء والمعرفة - ولما رأى هيلاسلاسي أن الشعلة قد تخرج من هذه المنارة ، سلط عليها جنوده وعساكره وقتل من قتل من الشباب والفتيات ، واعتدى على العرض واستباح المحرمات مما يندى له جبين الإنسانية<sup>(١)</sup> .

وبالإضافة إلى جرائم طاغية عصره - هيلاسلاسي - المخلوع فإنه جعل من أرض الحبشة معقلاً رئيسياً لليهودية المجرمة ، وسلم أريتيرية المسلمة إلى بني عمومته وأهله من الصهاينة المنبوذين ، كما جعل لهم نفوذاً واسعاً في الحبشة ذاتها ، ومن أول مبادراته الاعتراف بإسرائيل

(١) الأفعى اليهودية : ١٦٨ .

عند قيامها ، وكان لسفارتها نشاطاً عظيماً في أديس أبابا ؛ حيث تقوم بأعمال التجسس والتخريب في أفريقيا ، وفتح مدارس يهودية في الحبشة لتدريب جنوده على كافة أساليب الحرب المختلفة ؛ من حيث التدمير والتخريب واحتكار التجارة في الحبشة ، كما سلم مناصب هامة لليهود في بلاده ، وأصبحوا يسيرون دفة الحكم في أديس أبابا ، كما استقبل رؤوس الأموال لاستخدامها في مشاريع الحبشة للسيطرة على اقتصاد البلاد ، والتسرب منها إلى اقتصاد الدول الأفريقية الأخرى . وزاد أيضاً عدد الخبراء اليهود في كافة التخصصات والعلوم ؛ للعمل في ميادين الاقتصاد والطب والحياة العامة ، واستدعى عدداً من علماء اليهود للعمل في معاهد الحبشة وجامعاتها ، كما أرسل أبناء شعبه في بعثات دراسية إلى تل أبيب ، وعقد محالفات مع إسرائيل في كافة الميادين ، وسمح لهم بإقامة قواعد عسكرية على مداخل البحر الأحمر و منافذ أخرى لدول أفريقيا .

#### ٤- أرتيرية الشهيد :

تقع أرتيرية في الجزء الشمالي الشرقي من الحبشة - في القارة الأفريقية - على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر ، وتتصل مع كل من السودان والحبشة والصومال . مساحتها ٤٥ ألف ميل مربع ، وسكانها يزيد عددهم على ثلاثة ملايين نسمة ٧٠٪ منهم يعتنقون الديانة الإسلامية والباقي يدينون بالنصرانية .

وبعد هزيمة الطليان في الحرب الثانية استولى الإنجليز على أريتريا ،  
وشرعوا في التآمر على البلاد لحساب الحبشة التي يحكمها خادمهم  
أسد يهوذا هيلاسلاسي ؛ فلقد تواطأ معه الإنجليز لتنظيم عملية ابتلاع  
أريتريا المسلمة ؛ فسهلوا له تأسيس حزب نصراني ينادي بضم أريتريا  
إلى الحبشة ، وحزب إرهابي على غرار الأحزاب اليهودية الإرهابية  
- التي تغاضى عنها الإنجليز لتنكيلها في فلسطين - وسمح الإنجليز  
لمجرمي الحبشة أن يعيشوا فساداً في ديار أريتريا وتخريباً وإرهاباً ،  
تدعمهم حراب الإنجليز المحتلين والأموال التي يقدمها الأمريكان إلى  
هيلاسلاسي - ركيزة اليهودية العالمية في أفريقيا - وباختصار فقد تعاون  
الإنجليز في التحضير لتسليم أريتريا المسلمة - مع أمريكا ودول الغرب  
والصهيونية العالمية - للحبشة ، وهكذا فقد أصبحت أريتريا مقاطعة  
حبشية ، بعد احتلالها من قبل جنود الامبراطور - بعد أن حاصرتها  
دبابات هيلاسلاسي وجيوشه الجرارة ، وأخذت مواقعها مكان معسكرات  
البريطانيين - الذي حاك تلك المؤامرة الخبيثة . وتم لهيلاسلاسي  
ما أراد ، وأصبح له ممثل في أريتريا ، ينفذ مراسيمه ، ويحكم البلاد حكماً  
قاسياً . ورغم أن حكم هيلاسلاسي كان حكماً رجعيّاً رهيباً ، إلا أن هدف  
بريطانيا قد التقى مع خطته لمحاربة الإسلام ، والقضاء على هذا الشعب  
المسلم ، فقد كان شعب الحبشة أيضاً يعيش في ظلام القرون الوسطى<sup>(١)</sup> .

لقد عانى شعب أريتريا المسلم كثيراً من المحن والأهوال التي

(١) نفس المصدر .

تعرض لها على يد الاستعمار الذي سلم أريتريّة - قبل أن يخرج له آخر جندي - لحكم امبراطور أثيوبيا المجرم ، والذي كان يمثل نظام حكمه أبشع حكم وأسوأ نظام على وجه الأرض ، وقد كان للصليبية الغربية الحاقدة التي تأتمر بأمر اليهود في كل مكان ، والتي تحارب الإسلام والمسلمين حيثما وجدوا ، لقد كان لهم اليد الطولى في تحقيق هذه المؤامرات وتنفيذ هذه الجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية ، وعندما حانت الفرصة لتخريب أريتريّة أقدم هيلاسلاسي على ما يلي :

١ - استولى بالتواطؤ مع الإنجليز على الممتلكات الإيطالية السابقة في أريتريّة ، مع أنها للشعب الأريتري ، كما استولى على جميع المرافق الحيوية في أريتريّة؛ كالجمارك والسكك الحديدية والبرق والبريد<sup>(١)</sup> .

٢ - فرض تطبيق القوانين الإقطاعية المستخدمة ضد شعبه في أثيوبيا وطبقها في أريتريّة ، كما ملأ السجون بالوطنيين والأحرار .

٣ - حلت حكومة هيلاسلاسي كافة الأحزاب باستثناء حزب موال لها ، مؤلف من الرهبان والعمد والبسطاء .

٤ - عطل صدور جريدة صوت أريتريّة ولسان حال الحركة الاستقلالية وسجن محرريها .

---

(١) د. زاهر رياض وعبد العليم منسي : أثيوبيا : القاهرة ، ١٩٦٣ م : ص ٣٣ . عن الأنفي اليهودية : ص ١٥٧ .

٥ - تعمدت حكومة الحبشة تجاهل حق شعب أريتيرية في الانتخابات البرلمانية ، وانتهجت خطأً قديمة وأنظمة بالية عفاً عليها الزمن ، لتطبيق أهداف سياسة الامبراطور ، وعدم وجود من يطالب بالحقوق المهدورة .

٦ - حرم تدريس اللغتين الأساسيتين لأريتيرية وهما: العربية والتقرينية ، ومنع استعمالهما في المكاتب وسائر المؤسسات الحكومية ، كما منع دخول الكتب العربية وكل ما له علاقة بالعروبة والإسلام .

ولم يكتف امبراطور الحبشة بكل هذا التعسف والإجرام ، بل أراد أن يقدم أريتيرية المسلمة هدية سخية لبني قومه من يهود إسرائيل ؛ فقد تسلم اليهود مقدرات أريتيرية وأرضها الخصبة الغنية ، حتى جعلوا منها مزرعة يهودية تقدم اللحوم والمحاصيل الزراعية لإشباع بطون اليهود الجائعة في إسرائيل . وهكذا تجاهل هيلاسلاسي الاتحاد الفدرالي الذي يربط أريتيرية بالحبشة ، واعتبر نفسه الحاكم المطلق ، وأن أرض أريتيرية هي أرض حبشية يتصرف فيها كما يتصرف بأرض الحبشة .

ففتح أبواب أريتيرية للتغلغل اليهودي ، منذ اللحظات الأولى لتنفيذ القرار الفدرالي الذي ربط أريتيرية المتطورة مع الحبشة المتخلفة ، وقد أعطى لإسرائيل أرضاً واسعة متاخمة للسودان ، ومواقع استراتيجية أخرى على البحر لتكون قواعد عسكرية ، ومواقع انطلاق على دول أفريقيا والتغلغل في تلك الدول .

وحين زار موشي ديان الحبشة عام ١٩٦٠ - بصفته وزيراً للزراعة الإسرائيلية - استقبله هيلاسلاسي استقبالاً عظيماً في قصره ، وأقام له حفلاً عائلياً خاصاً ، ولبي له كل مطالبه بكرم وسخاء على حساب أريتريّة المسلمة ، وبعد ذلك أصبح كل من مصوّع وعصب مينائين محتكرين لتجارة إسرائيل ، ولصيد السمك والزراعة . ورغم كل هذه الفضائح والجرائم التي حلت بشعب أريتريّة على يد طاغية الحبشة ، إلا أنه أخيراً نفذ مؤامرة على أريتريّة ؛ بالتواطؤ مع الجمعية التشريعية التي زيف انتخاباتها ، وعين أغلب أعضائها من عملائه الرهبان المتعصبين ؛ حيث تمت عملية ضم تلك البلاد العربية المسلمة إلى طاغية أفريقيا سنة ١٩٦٢ م . وعندها أعلن - وبكل وقاحة - أنه من الآن فصاعداً لن يكون هناك إلا أمة واحدة هي الحبشة ، ولن يكون هناك وجود للاتحاد الذي فرضته الظروف والذي لا يريده أحد .

وهكذا استشهد هذا المعقل المسلم، وابتلعته الحبشة ، وطمست الشخصية العربية المسلمة ، مع أن الغالبية في الحبشة مسلمون . كل هذا والعرب متفرجون !! ...

## ٢- زنجبار الضحية:

قبل الحديث عما آل إليه حال زنجبار المسلمة ، لابد من إلقاء نظرة عامة على موقعها وتكوينها :

إنها أرض عربية إسلامية مكونة من جزيرتين، هما: زنجبار ومبا .

وتبعد هذه الأرض مسافة ٢٥ ميلاً عن شاطئ أفريقيا الشرقي المقابل لتنجانيقا .

استوطن العرب المسلمون زنجبار منذ عدة قرون ، ومنها نشروا روح العدالة الإسلامية ، مما ساعد على انتشار الإسلام في أفريقيا . ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة غالبيتهم العظمى من المسلمين . وكانت زنجبار تحت الحكم الاستعماري البرتغالي زمناً طويلاً حتى استقلالها في ١٠ ديسمبر - كانون أول - سنة ١٩٦٣ م . وقبلت عضواً في الأمم المتحدة من الشهر نفسه .

أسباب نكبتها : وقفت زنجبار في عهد الاستقلالي في وجه التغلغل اليهودي في أفريقيا ، وبذلك خالفت خطة جيرانها من حكام دول أفريقيه الشرقية ، وعلى رأسهم القسيس جوليوس نيريري . حاكم تنجانيقا ، التي أكثر سكانها من المسلمين . ونيريري هذا يرتدي ثوب التقدمية، ويعمل في الوقت نفسه خادماً لليهودية العالمية ، التي تستغل عبيدها من الحاقدين على العرب والإسلام .

واتضح موقف زنجبار الصريح المؤيد لقضية المسلمين الأولى - فلسطين - يوم رفضت حكومتها استقبال جولدا مائير سنة ١٩٦٣ م . حيث كانت تزور دول أفريقيا الشرقية . عندها شرعت الأفعى اليهودية في نفث سمومها وتدبير مؤامراتها ؛ فاهتدت إلى عميل يحمل اسماً إسلامياً - عبيد كرومي - مع أنه يهودي دونمه<sup>(١)</sup> . . . وكلفته أن يتعاون مع

(١) الأفعى اليهودية : ص ١٦٥ .

جوليوس نيريري للقضاء على الدولة المسلمة الفتية ، ورصدت الأموال اللازمة ووزعتها بسخاء على نيريري ، ونال عبيد كرومي - المجرم - قسطاً كبيراً من المال ، لأنه تعهد بتنفيذ الخطة مستخدماً عنصره الأفريقية الحاقدة على العرب ، ومستغلاً التهمة الباطلة التي تصف العرب في زنجبار بالمستعمرين !! ...

وحين تكون المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين تجد تحالفاً طبيعياً بين اليهودية العالمية والقوى التقدمية - الشيوعية والاستعمار الغربي - وتعاوناً وثيقاً بين هذه القوى لإنجاح المؤامرة .

المذبحة الرهيبة : دبر عبيد كرومي - بمساعدة جوليوس نيريري وضباطه من اليهود - عملية ذبح العرب المسلمين في الجزيرة ، وفوجئ السكان يوم الأحد ١٢ - ١ - ١٩٦٤ م بالهجوم الوحشي الغادر على المنازل والشوارع والمتاجر ، وكانت الأوامر صريحة تقضي بذبح كل عربي مسلم . فلم ينقض ذلك اليوم إلا بذبح أكثر من ١٥ ألف مسلم دون تمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء ، واستولى عبيد كرومي على السلطة ، بعد مجزرة لم يحدث مثلها في التاريخ الحديث - الذي تبرز فيه الادعاءات عن الحرية والتقدمية والمساواة والعدالة - وبعد إتمام المذبحة اختفى ضباط نيريري عن الأنظار ، واكتفوا بتسليم مقاليد الأمور إلى خادهم كرومي ؛ الذي شرع يقلد يهودياً خلد التاريخ المزيف مكره ومذابحه ضد المسلمين هو مصطفى كمال أتاتورك .



وأخذ عبيد كرومي في إزالة الصبغة الإسلامية عن الجزيرة شيئاً فشيئاً ؛ ولكي يسند ظهره على قوة تضمن له الاستمرار في الطغيان والإجرام ، ضم زنجبار إلى تنجانيقا في ٢٦ نيسان ١٩٦٤ م . ليصبح جوليوس نيريري رئيساً للدولتين المتحدتين - زنجبار وتنجانيقا - تحت اسم تانزانيا .

وترك نيريري لخدمه عبيد كرومي مطلق التصرف بشؤون زنجبار ؛ ليمعن في إذلال الشعب المسلم ؛ ويحاول إبعاده عن أخلاقه وعاداته الإسلامية ، أملاً في تحويله إلى الماركسية طاملاً أن تحويله إلى النصرانية يكاد يكون مستحيلاً . وكما فعل أتاتورك بالمسلمات في تركيا يفعل كرومي بالمسلمات المحصنات في زنجبار : تشجيع على الإباحية والرديلة وهتك الأعراض ، حتى إنه أصدر مرسوماً يكره بموجبه الفتيات المسلمات على قبول الزواج من أي إنسان يتقدم إليهن دون النظر إلى جنسه ومعتقدده ، وكل فتاة ترفض أوامره تحبس ويحبس ولي أمرها (١) .

ومرت أحداث زنجبار - والقضاء على هذا المعقل الإسلامي في غفلة من معظم الدول العربية والإسلامية ، وتآمر بعضها ، فساعد ذلك في إنجاح الجريمة البشعة ، ولقي حكم عبيد كرومي المجرم ترحيباً في أوساط دول عربية ، ومن دعاة الحرية والثورة على الباطل !! كما حدث حين ابتلع هيلاسلاسي أريتيرية الشهيدة بمساعدة بعض دول الجامعة العربية ، وعار الصمت يسربل حكام العرب والمسلمين وشعوبهم ، الذين سكتوا ومازالوا

(١) نفس المصدر .

يسكتون على أبشع حكم عرفته الأرض يطبقه مجرم حاقد على العرب والإسلام في زنجبار ، ويدعمه أحد طواغيت أفريقيا وهو جوليوس نيريري - المجرم - متوهماً أنه استطاع القضاء على عروبة ذلك الحصن الإسلامي . وعبيد كرومي ونيريري من خلفه واهمان وجاهلان ؛ فإن شعب زنجبار عربي مسلم، وسيزول عبيد كرومي ونيريري ، وما يعقب الليل إلا النهار ، وإن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ، والهزيمة للباطل ، ولا بد للحق أن ينتصر .

ليس العجيب أن نرى الإسلام يُطَارَدُ وَيُحَارَبُ أهله في كل زمان ومكان ، وليس أدل على ذلك ما آل إليه حال إخوتنا المسلمين في أرض أفريقيا الطيبة . أقول : هل يرضي أمة العرب والإسلام أن يمحي دينها من معاقله بأفريقية ؟ !! . تلك الديار المعطاء التي أنجبت لنا رجالاً عظاماً، وقادة أبطالاً، وعلماء مخلصين ، حملوا راية الجهاد ونصروا دعوة التوحيد ، ولا زالوا مصابيح هداية في غرة التاريخ ؟ !! . إنها الأرض التي سار أبناؤها مع طارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي اللذين لقنا أعداء الإسلام درساً لن ينسوه ما عاشوا ، ولعمرُ الحق ، إنها للمأساة تهون دونها المآسي .

الباب الثاني

الفصل الأول

الماسونية



## الماسونية

تعريفها :

الماسونية كما عرفها المستشرق الهولندي دوزي : جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة ؛ هي إعادة الهيكل ؛ إذ هو رمز دولة إسرائيل<sup>(١)</sup> .

لكن لا يعلم هذه الغاية إلا القليلون .

وتضم الماسونية السواد الأعظم من الحكام والملوك والقضاة والأثرياء والزعماء والقادة والمثقفين ، وكذلك تضم فريقاً من الذين يرتدون ثوب القديس بطرس ويضربون بعضاً نيرون ، والحق أن سيف التصنيف المسلط على رقاب جميع الناس بعد التجربة والتبصير أراني أنه يضم أصنافاً من الجمهور :

١ - صنف مخدوع بالطلاء الخارجي . لكن لا يكاد ينحل الطلاء حتى يعود ذاك المخدوع ، وإن حافظ القوم على استغلال اسمه .

\* نظراً لما يعترى الماسونية من تسر وخفاء ، وبسبب ما يكتنف أهدافها من كيد وعداء للدين الإسلامي وأتباعه ، فقد رأيت من المفيد أن يكون الحديث عنها مسهباً بحيث يلم بأطرافها ، ويجمع شتات أهدافها ليستبين القارىء حقيقة هذه الحركة الهدامة ، ويبقى على حذر مما نبيته لهذا الدين .

(١) انظر الماسونية في العراق : ص ٢٢ .

٢ - صنف حريص على حطام يحقق ذاته ، أو كرسي أو لقب أو وسام  
يشبع أنانيته .

٣ - ذو غاية فردية ؛ يستعذب الحبة ولو في شبكة الصياد ، ويطمع  
بالغنيمة ولو أصبحت أمته غنيمة .

٤ - تاجر كلام ؛ يريد لجريدته أو مجلته الرواج بين رواد المحافل ،  
فتغنى بما ينهال عليها .

٥ - رئيس شرق اتخذ الماسونية حانوتاً للرزق ، ومنح نفسه ألقاباً يتلطف  
على مثلها ملك انجلترا .

٦ - وصنف يرى الماسونية ديناً ، وقد أوصى ذويه أن يودعوه بقبره  
بطقوسها ، وينقشوا على قبره شعارها<sup>(١)</sup> .

هؤلاء شركاء في المتاجرة بكرامة الشرق وهدم الأقصى ، وكوارثنا التي  
أصابتنا على أيديهم .

إذن هؤلاء الذين ساهموا بضياح الأقصى وعزة الإسلام ؛ هم أولياء  
الشیطان وإن تلبسوا بمسوح الإسلام .

### دوافع تأسيسها :

لدى المطالعة في الأناجيل والرسائل نلمس المناهضة اليهودية التي  
قوبل بها المسيح عليه السلام ، لا سيما بعد أن حكم بزوال الهيكل ،  
وحكم على التينة بالجفاف إلى الأبد .

(١) المصدر السابق : ص ٢٢ - ٢٣ بتصرف .

ومن تلك اللحظات عام ٣٧ م . قام اليهود بتأسيس القوة الخفية ، فأسسوها في الهيكل . والذين أسسوها تسعة منهم دعواها : القوة الخفية ؛ لتجهز على النصرانية والنصارى ، ولو باغتيالهم فرداً فرداً . ثم جاء الإسلام فاستقبلته تلك القوة الخفية بنفس السلاح الذي استقبلت فيه النصرانية .

ها هي حقيقة التأسيس وإن أخفاها العميان الكبار ورددوا الأبواق الصغار ، ألف ليلة وليلة !! .

فالماسونية اسم حديث للقوة الخفية ، وما زالت القوة الخفية منذ تأسيسها حتى الآن تفتك بجسم النصرانية ثم الإسلام ، وترميها بالوباء وإن خالا نفسيهما سليمان !! . لقد أخذت تلك القوة الخفية عام ١٧١٧ م . بمؤتمر لندن وبرئاسة أندرسون - الذي عاش رئيس كنيسة بروتستانتيسة اسكتلندية في الظاهر وبالباطن يهودياً - اسماً جديداً هو ماسونية<sup>(١)</sup> .

أقول : إن الحركة الماسونية ذات نشاط سري وتكتيك رهيب تعجز العقول الألمعية عن تداركه ، وما يبلو من نشاطها الخيري والاجتماعي ليس إلا تمويهاً يخفي وراءه العمل الحقيقي .  
أصل الماسونية :

الماسونية من أعظم وأقدم الجمعيات السرية التي مازالت قائمة ، ولكن

(١) الماسونية في العراق : ص ١٧ .

منشأها لازال غامضاً مجهولاً ، ولها غايات كثيرة بعضها يجهله أعضاؤها أنفسهم .

جاء في كتاب<sup>(١)</sup> أسرار الماسونية لمؤلفه الجنرال جواد رفعت أتلتخان - برجم من التركية للعربية وعلق عليه كل من نور الدين الواعظ ، المحامي ، وسليمان محمد القبلي : إن الماسونية لا تعترف بالأديان والقوميات ، وتهدف إلى إزالتها من الوجود ، وهذه هي غايتها الحقيقية . حتى المشرق الأعظم الفرنسي قد محا كلمة المهندس الأعظم للكون في دستوره . وهذا خلاف بين جوهري بين المشرق الأعظم الفرنسي والمحفل الأكبر الإنجليزي . أ. ه. (٢) .

وقد وردت عدة نظريات في أصل الماسونية ومن بينها :

- ١ - البطارقة .
- ٢ - أسرار الوثنيين .
- ٣ - بناء معبد سليمان .
- ٤ - الصليبيون .
- ٥ - فرسان الصليب الوردي .
- ٦ - جمعية الصنائع الرومانية .
- ٧ - عمال البناء في العصور الوسطى .
- ٨ - إخوة الصليب الوردي وغيرها<sup>(٣)</sup> .

(١) أسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت أتلتخان ؛ المولود باستنبول عام ١٨٩٢م . كان عضواً لجمال باشا السفاح وغيره ، استقال من الجيش بعد انحراف مصطفى كمال بتركيا . دافع عن قضايا الإسلام وكشف في كتبه مؤامرات الصهيونية والماسونية والصليبية الغربية ، كما تعرض للسجن والاضطهاد . وقد استمر حاملاً لراية الجهاد في سبيل الإسلام حتى وافته المنية . رحم الله المجاهد المؤمن ، وجزاه الله عن المسلمين خيراً .

(٢) أسرار الماسونية : هامش ص ٦ .

(٣) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة : عبد الله عنان : ص ٩٤ - ٩٥ .



ولعل التدقيق العلمي لهذه النظريات يؤدي بالباحث المتعمق إلى القول بأن الماسونية لا ترجع إلى مصدر واحد ، ولعلها اشتقت من جميع المصادر والنظريات أعلاه ، ولا تزال اليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية . والأساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات اليهودية السرية ، وأن التساند الواضح الموجود بين الماسونيين في العالم يرجعه الباحثون المطلعون إلى كثرة عدد اليهود في الصفوف المتقدمة من الماسونية .

والدليل - الذي لا يقبل الدحض - على صلة اليهودية بالماسونية هذه الفقرات التي ننقلها من بروتوكولات حكماء صهيون : وإلى أن ينتهي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة ، سنحاول أن ننشئ ونضع خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم ، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة . هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار ، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية .

وسنركز هذه الخلايا<sup>(١)</sup> تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، وستألف هذه القيادة من علمائنا ، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون كي نحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة .

وسيكون لهذه القيادة الحق في تعيين من يتكلم ، وفي رسم نظام اليوم . وفي هذه الخلايا وحدها سنضع الحبال والمصائد لكل الاشتراكيين

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون .

وطبقات المجتمع الثورية . وإن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا  
وسنهددها إلى تنفيذها حالما تتشكل .

وكل الوكلاء في البوليس الدولي السري تقريباً سيكونون أعضاء من  
هذه الخلايا . وحينما تبدأ المؤامرات خلال العام فإن بدأها يعني أن واحداً  
من أشد وكلائنا إخلاصاً يقوم على رأس هذه المؤامرات . وليس إلا  
طبيعياً أننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات الماسونية . ونحن  
الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجهها ، ونعرف الهدف الأخير لكل  
عمل . على حين أن الأميين - غير اليهود - جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة  
بالماسونية ، لا يستطيعون حتى رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون .

## الماسونية والاديان

أصدر البابا لويس الخامس عشر عام ١٧٣٧ م مرسوماً بمناهضة  
الماسونية ، وتتابعته بعده المراسيم لا سيما في الفترة الواقعة بين أعوام  
١٨٢١ - ١٩٠٢ . وكان لها صدى كبير في كل من فرنسا وإيطاليا  
واسبانيا .

وقد طرد الأمير لوسيان - ابن عم نابليون الثالث - من المحفل  
الماسوني لأنه ألقى خطاباً أشاد فيه بالبابوية .

وتجاوبت مع البابوية بطريركيات الكاثوليكية بالعالم . ومن الذين  
تجاوبوا معه بحماس في لبنان البطريرك مسعد سنة ١٨٨٩ م . والبطريرك

إلياس الحويك سنة ١٩٠٢ م . ومن أشهر رجال الأقلام والكتاب الذين كشفوا سر الماسونية في لبنان الأب لويس شيخو في كتابه : السر المصون . ويوسف الحاج في كتابه : هيكل سليمان . وقد ساهمت الأرثوذكسية في محاربة الماسونية ومناهضتها ، فأصدرت بطريركية الفنا سنة ١٧٤٤ مرسوماً تحرم فيه الإقبال على محافلها .

أما المسلمون فقد حاربوها بأقلام النخبة الواعية ؛ منهم العلامة المرحوم السيد رشيد رضا في مجلدات السنة الأولى والسادسة : ص ١٩٦ والثامنة : ص ٤٠١ . والرابعة عشرة : ص ١٨٠ . هذا في الوقت الذي كانت الكنيسة البروتستانتية - ولا تزال - تقيم من الملوك ورؤساء الجمهوريات حماة للماسونية . ولا عجب فإن بعض العميان الكبار لم يسعهم إلا الاعتراف بماسونية بل بيهودية لوثيروس . (٢٣) (١)

لقد ضرب التخطيط اليهودي بالحركة اللوثرية حجراً فأصاب عصفير (٢) .

١ - أصاب الكرسي البابوي بأكرم أبنائه .

٢ - استغل الدين للمصلحة اليهودية استغلالاً فحماً ؛ منذ ربط العهد الجديد بالقديم ؛ لقد كان العهد القديم قبل لوثر مهجوراً ومصفداً في أقبية بعض الأديرة ، ثم أخذ بالظهور بعد الحركة اللوثرية وفاز بالترجمة والانتشار للاستغلال في مصالحهم .

(١) راجع الماسونية في العراق : ص ١٠٦ وما بعدها .

(٢) الماسونية في العراق : ص ١٠٧ - ١٠٨ .

هذا ، ورغم الكتمان الذي توأصى به الماسون رأينا نجورجي زيدان  
يصرح بحرب الماسونية للأديان<sup>(١)</sup> . وعبد الحليم إلياس الخوري يقول  
بمعرض الرد : لم يبق أحد يؤمن بالله وخلود النفس إلا البلهاء والحمقى .  
إن ثورات القرن التاسع عشر التي نادى بوضع حد لطغيان الكنيسة  
ما كان رجالها إلا أعضاء في الماسونية . أما أبو شادي فقد نادى بهذا  
النص : المرأة لا تستطيع الحياة الكريمة إلا إذا حاربت رجل الدين .

ومع كل هذا الهجوم السافر الذي تدعمه نصوص ماسونية صريحة لا يزال  
حنا أبو راشد يردد ما رده العميان الصغار قائلاً : الماسونية لا تتداخل  
بالأديان .

## موقف الكنيسة الكاثوليكية الحديث

جاء في كتاب الماسونية في العراق ما يلي :

قيل : نشبت حرب إيطالية فرنسية وبينما البابا يدعو بالنصر لإيطاليا  
بلغه نبأ تفهقر الجيش الإيطالي، فرمق السماء قائلاً : حتى أنت صرت  
فرنسياً !! ؟ . يعني في هذا مخاطبة الإله سبحانه وتعالى . ونحن نود  
لو قلنا لقداسة البابا بولس السادس : حتى أنت صرت يهودياً !! .

(١) لقد وضعت الماسونية لأعضائها المنتسبين إليها مراتب ودرجات تبدأ من رقم واحد - ١ -  
وهو أدنى الدرجات وتنتهي بالرقم - ٣٣ - وهو أعلى الدرجات والمراتب . ولا يحصل عليه  
إلا الرؤساء وأصحاب الزعامات .

لقد كان الكرسي البابوي يرتاب في صحة إيمان الماسون حتى سنة ١٩٥١ م . ويرى إيمانهم بالمسيح معرضاً للشبهات ، ويقرر حرمان الكاثوليك الماسوني ولو انسحب ، ثم أخذ يعدل الأنظمة ؛ فيلغي الحرمان ويمنح الكهنة حق الإلغاء ويستقبل بعض أعضاء نادي الروتاري الإيطالي ، رغم ما لا يزال يردده الماسون مثل : الأديان تخدر وتفتر وتقتل روح الفكر والبناء ، والماسونية توظف وتبعث الأمل وتحقق الوجود ، وتجمع الذين فرقتهم الأديان وتنزع منهم الأمل المعلوم الرصيد ، وتدرك أن الأديان - طبعاً إلا اليهودية - أفيون ورجعية تناسب عصور الانحطاط .

وأشهد أنني سمعت بعض خطباء المحافل في بيروت يقول : إن القرآن من حسنات الماسون ؛ إذ أملاه الأستاذ بحيرا الراهب على محمد ﷺ (١) .

وموجز القول : إن العميان الكبار يعلمون أن هرتزل أبا الصهيونية عقد مؤتمراً سنة ١٩٠٣ م ضم ماسونيين كونييين ورفيعيين ، بارك الحملة على الأديان التي ورثتها الماسونية وتواصت بها عبر العصور ، وحددها بالنص الآتي :

١ - إبادة البشرية والأجناس والأديان .

٢ - الإكثار من الجمعيات التي تتفق مع الماسونية بالهدف وإن اختلفت الأسماء .

---

(١) وردت هذه العبارة على لسان الدكتور محمد علي الزعبي ، كما جاءت في كتابه الماسونية في العراق : ص ١٠٩ .

٣ - حصر الأديان بالمعابد تمهيداً لإزالتها حتى من المعابد .

٤ - يجب سحق عدونا الأزلي - الدين - مع إزالة رجاله ، ولا بأس أن يدخل الماسون بين المتدينين ويؤسوا الجمعيات الدينية ليلعبوا على السذج .

٥ - سوف نقضي على العقائد الباطلة<sup>(١)</sup> .

هذا وإذا علم القارئ أن بدعة فصل الدين عن الدولة اقترح ماسوني - سبق الجميع بحمل رايته مجلة أكاسيا الماسونية الإيطالية ، وأن اليهود يقيمون دولتهم الآن على الدين بصفتهم وكلاء أمناء عن المسيح - أدرك الخدعة الكبرى .

وهكذا ردد هرتزل القرارات العميقة ، والتي نلخصها بهذا النص : نعترف بجميع الأديان، ثم نضع عليها إشارات استفهام ، فإذا تزعزع معتنقوها عدنا وقلنا : لا خالد إلا نواميس موسى ، ولاختصار الطريق ندخل أديان الناس ونحفظ إسرائيل في قلوبنا ؛ لإحالة تلك الأديان فرقاً ومذاهب وطوائف ، إذ من فوائد تعدادها انتطاحها واقتنالها لأن الناس ترعى بأرضها ، وما علينا - كي نوقعها بحوزتنا ونأكل لحمها وننتزع أرضها - إلا أن نؤجج بينها نار العداوة لتسهيل إبادتها بأيدينا .

لم يكن عجباً أن يأخذ اليهودي على عاتقه مهمة انتزاع أديان الناس ، لاسيما النصراني والمسلمين ؛ لعلمه أن القرآن والإنجيل لمسا (١) وردت هذه العبارة على لسان الدكتور محمد علي الزغبى ، كما جاءت في كتابه الماسونية في العراق : ص ١٠٩ وما بعدها .

نفسيته ، ولذا صال عليهما بأسلحة لم يتقنها غيره ، وقد آن لنا أن نرى لليهودي - وإن اختلفت دياره - مراجع تتحكم في توجيهه ؛ هي العهد القديم والتلمود والبروتوكولات . وسواء دعا للماسونية أو العلمانية أو الاتحاد والترقي أو شهود يهوه ، أو البروتستانت أو القومية أو لإحدى بنات الماسونية ، فإنه بهذا كله يخدم اليهودية ويصمم على هدم سواها . وكذلك إنا نرى أن السبل قد تعددت لخدمة اليهودية ، حيث إن كل مسمار يدق في نعش سواها هو وتد في خيمة اجتماعها ، وكل فرقة منشقة من جسم الإسلام والنصرانية تساعد اليهودية على السيادة بالمستقبل ، ولذا دأبت على خلق الفرق في أميركا وأوروبا وغيرها ، التي عملت على خلق الفتن والقلاقل بين تلك المجتمعات<sup>(١)</sup> .

من تلك الأساليب العجيبة طريق سلكه نلسن روكفلر - اليهودي المستتر بالنصرانية - إذ أسس لجنة تزعم مساعدة اليهود الذين يعتنقون النصرانية ، وأخذ يجبي لها من النصارى مالا ، لكنه ينفقه في سبيل اليهود العازمين على الذهاب إلى فلسطين<sup>(٢)</sup> وغير ذلك .

لم يأت نلسون بجديد بل طبق قصة حصان طروادة ونفذ توجيه حاخام القسطنطينية ؛ إذ أرسل له يهود فرنسا طالبين نصحه فأجاب : علموا أولادكم الطب والصيرفة وأدخلوهم في دين الفرنسيين لتسمموا

(١) الماسونية في العراق : ص ١١١ .

(٢) أميركا مستعمرة يهودية : ص ١١ - ١٢ . نقلاً عن كتاب الماسونية في العراق .

أجسادهم ، وتفسدوا عقائدهم، وتذبحوا اقتصادهم، وتنشروا الآراء المتطرفة والأخبار المشوهة في مجتمعهم .

إلا أن القوانين الماسونية التي تنادي باحترام الأديان والتعاون مع جميع الأوطان ، أسرار وتغطية وأكاذيب ، كما أن كلمة (هيكل) التي يفسرونها بالأرض لا تعني إلا الهدم الأقصى والقيامة !! .

لقد ضحكوا على بعض موجهي الشعوب بقولهم : إن الأديان أصبحت قابعة في الكتب منزوية في المعابد . فزوروا وغشوا شعوبهم ناسين ما قاله العقاد : إن إصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية<sup>(١)</sup> .

أواه ! من لي بأن يدري أن منهاج الدعوة اليهودية خلق في الغرب – الذي يعيش في القرن العشرين – فناً واختراعاً ومستوى معيشة ؛ خلق إنساناً ينادي : صنعنا إسرائيل لنعيش !! . وهكذا كان المكر والخداع في يد اليهودية العالمية إسفيناً تدقه في صدور الذين وقفوا في وجوههم ، وحملوا شريعة السماء ونادوا بها للملاأ :

( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (٢) .

(١) الكتب والناس : نقلاً عن الماسونية في العراق للدكتور محمد علي الزعبي . لقد لحصت فقرات عديدة من كتاب الماسونية في العراق قصد التنويه بهذا المؤلف النافع ، والدكتور الزعبي الغني عن البيان هو في نظرنا من المفكرين المعاصرين القلائل الذين تعرضوا لكشف أعدائنا ونصرة قضايانا ، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خيراً .

(٢) سورة يوسف : ٢١ .



## من أخطار الماسونية - دعامة دولة إسرائيل

لم يعد خافياً على أحد أن الماسونية ملأت العالم رعباً ، وأبدلت أمنه خوفاً، وعدله جوراً، وعزه ذلاً، ومناحته ضحفاً وفساداً ، كما كانت حرباً على الأديان والعقائد والأخلاق ، حيث تعطلت القيم واندثرت، وتراجع دعاة الإصلاح وحملة مشاعل الحق والهداية أمام قسوة البغاة وقراصنة الشعوب وجلاوزة الاستعمار ... ومن هنا كان لا بد لنا من إلقاء الضوء على بعض مخططات الماسونية وألاعيبها ، والتي تمثلت في النقاط التالية :

١ - أمنت لمحافلها حصانة دولية ، وغطت أهدافها باصطلاحات هندسية ، ودجنت أبنائها مستترة بغيوم تخفي الأطماع اليهودية ، واستثنت نفسها من الترخيص والهزات التي تعترى جميع الأحزاب والجمعيات ، بل عطفت نفسها بمعاهدة لوزان على الأديان السماوية .

٢ - كذلك فقد لعبت دوراً خطيراً في السياسة العالمية ، وعملت جاهدة في الخفاء للاستيلاء على مقدرات الشعوب ، وتقنعت بالإنسانية والمثالية ، وسخرت الناس بحكمة الأفعى لخدمة شعب الله المختار .

٣ - ومن أنكى أدوارها ما انصب على العقيدة والدين والأخلاق ؛ حيث هدمت عقائد الأمم الدينية والقومية ، كما سيطرت على العروش والكراسي ومجالس الأمم الشعبية والبرلمانية ، وقتلت روح التعاون بين الشعوب وحكوماتها وجيوشها ، كما دعت الذين يخدمون دولتهم بإخلاص سدجاً معتوهين بلهاء .

٤ - سطرت دساتيرها المكتوبة والمعلنة باحترام الأديان والعروش والأنظمة ، وخلقت من دساتيرها المدفونة بالصدر والمبطنة أشخاصاً يحاربون دينهم ويتجنون بل ويقارعون وطنهم ، كما ينشقون على حكوماتهم لأنهم مهما علت مكانتهم يستحيل أن يستوحوا المفاهيم إلا من المحفل الكوفي وسفراء المودة .

٥ - أملت على مؤتمر ( سان ريمو سنة ١٩٢٠ ) الاعتراف بيهودية فلسطين ، واستخدام بريطانيا ريثما تقوم اليهودية على قدميها . كما خلقت عصابة الأمم لتثبيت هذا في ميثاقها، وهيئة الأمم لتنفيذه ولو عن طريق الضغط المعلوم . وكذلك فإن أكبر أعضاء هيئة الأمم من البريطان والباقي عبيد لهم . فليفهم العرب والمسلمون هذا التواطؤ البريطاني الاستعماري ، الذي كان مسخراً في خدمة الماسونية للقضاء على الحريات ، واستغلال الشعوب واستعبادها ، فلا شك أن إسرائيل هي ابنة بريطانيا البكر . فهل من مدكر ؟ ! .

ولازالت بعض الدول العربية والإسلامية على صلوات ومودة مع بريطانيا ، ذات التاريخ الطويل والعهد البغيض ، الذي لم يترك لنا سوى العار والشنار والذلة ، والتي لم يهملها التاريخ . وكانت وستبقى عاراً يلطخ جبين التاريخ ، مهما حاولت الظهور بأقنعة ملونة مختلفة وخاصة بالنسبة لشعب فلسطين ، حيث سلمت بريطانيا فلسطين لشردمة من قراصنة الشعوب ، وهي بذلك أعطت ما لا تملك لمن لا يستحق . ولا بد من العودة للمقدسات ؛ حيث الأقصى المحروق لا يزال أسيراً .

وليس لنا من سبيل إلا أن نكبح جماح المغامرين الصهاينة وعملائهم ؛  
ودرعهم الماسونية البغيضة ، ولو أدى ذلك إلى تفجير برمبل البارود  
المدمر ليصبحوا أثراً بعد عين ، جاعلين من فلسطين مقبرة للغزاة .

٦ - شلّت يد الملايين ووجهتهم توجيهاً ملتويماً ؛ فصافحوا يدها  
المضرجة بدمهم، وظاهروها على إقامة هيكل سليمان على أنقاض الأقصى  
والقيامة .

٧ - صالت على تراث الإنسانية الأخلاقي صولة اللثيم الحاقد ،  
ولقحتة بما جعل ثماره البانعة أشواكاً .

٨ - أخذت أسماء متعددة مثل : الروتاري - الليونز - جمعية  
الأسود - البنائي برث - الاتحاد والترقي - شهود يهوه - البهائية المستترة  
والمدعية بأنها دعوة إسلامية ، مما يلتقي بالدرجات والرموز والتأويل  
القائمة على التكلف والحروف والأعداد ، ويلتقي بنقطة إشادة الهيكل  
والمحافظة على الراية التي تعلوه ، لا غرو فهي برأي الراسخين دين  
مستقل ، يتولى فيه الحاخام - الرئيس المحترم - تناول العشاء الرباني ،  
ويبارك الزفاف والختان والتعميد، ويلقنه الرجال والنساء معاً ، ويقم  
حفلات التأسيس في الهيكل ، ويهب أيقونات من طراز جديد راق متطور .

لا شك أنه دين - كما قال المؤلف الماسوني جان أبو نعوم : له خطوطه  
الواضحة ، وإن تركت الماسونية لأبنائها أديانهم مؤقتاً . أ . هـ . دين  
لا يعطى إلا لمن مرّ بمراحل متعددة ، إذ نرى منهاج الماسونية من الدرجة (١٤)

يقول كما تقول الباطنية تماماً : الإيمان يجعلنا نقبل كافة العقائد . ولكن ما إن يبلغ الطالب درجة ( ١٨ ) حتى يتوارى القرآن - إذ هو لا يوضع على المذبح إلا في البلاد الإسلامية وفي الدرجات الأولى فقط - ويصعد الكتاب المقدس سدة الرياسة الكبرى ويتربع على كرسي سليمان ، وتصبح الماسونية ديناً يغني عن سواه ، إذ البحث في سواه تعصب ، متناسين أن رائحة التعصب في العالم كله لا تفوح إلا من العهد القديم . إنه دين أحال النصرانية ألفاً وثمانية مذاهب ، وجعل منها أحزاباً متنافرة وقطعاً متغايرة<sup>(١)</sup> .

إلا أن هذه الماسونية هي وسيلة استغلال يهودي ، ذبحت الصهيونية بخنجرها الشعوب بيد بعضها ، وظفرت بأسلاب الغالب والمغلوب ، وعاشت مع الذئب ، وبكت مع الراعي ، وجعلت من المسلمين والنصارى مذاهب متغايرة .

وهي كذلك حكومة عالمية سرية تحرص على تسليم زمام العالم لأبنائها ، وهي سرطان فتك بالأمم ، وحشرة امتصت دم الشعوب ، ووسيلة هدمت في موظفي الدول ضمائرهم ، وحرمتنا لذة العدل المطلق ، وسيف استل منذ عشرين قرناً ولن يعود إلى غمده إلا إذا أصاب مقتلاً ، تنفيذاً للعهد القديم المصمم على إبادة الإنسانية ، وفي مقدمتهم أمة العرب والمسلمين ، وكذلك فهي معول لهدم تراث العالم ليدوم دين واحد هو اليهودية أو الماسونية ، إذ هما اسمان لمسمى واحد . والماسونية هي زجاجة

(١) انظر كتاب الماسونية في العراق : ص ١١٦ .

سم مغلقة بأوراق يعلوها : حرية - مساواة - إخاء ، أحسّ دوارها من أحس ، وتجرع عصيرها من تجرع .

وهي تخطيط عجيب وخدمة لإسرائيل بعيدة المدى ، وسعي دائب لرفع رايثها كي ترفرف ما بين طوروس وبحر الهند على مملكة معدومة الجيران .

٩ - الماسونية مطرقة دقت أعناق الذين خانوا وأخلوا ، فأنزلتهم وادبها وأصعدتهم سلمها واستغلت مراكزهم ، وعلمتهم الدهاء اليتيم وقطفت ثماره . وهي التي تأمرت على السلطنة التركية والقيصرية الروسية وبنّت الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية لتقطع آخر عرق نابض بجسم الذين يرون الحفاظ على القدس جزءاً من دينهم ، ولتصمّ آخر أذن تسمع نداء فلسطين .

١٠ - الماسونية كامنة وراء المحافل التي سخرت بأديان البشر ، وطلبت إحالة الأقصى والقيامة هيكلًا ماسونياً ، وهي تسخر مال ودم وألسنة جميع رعيّتها لخدمة الأغراض البعيدة التي يخططها المجلس الكوني .

هذه خلاصة موجزة لمخططات ومنجزات أقطاب الجلال الاثني عشر<sup>(١)</sup> القابعيين في المجلس الكوني الأعلى ، وها قد فاحت من بين السطور روائح استغلالهم . نعم ، لقد نجح تخطيط الماسونية ، وقد حرق الأقصى ولم يبق بين هدم الأقصى والصخرة المشرفة وغيرها إلا لحظات قليلة ، حيث لازال الحفر تحت الأقصى مستمراً ، وبعدها يقوم الهيكل وتنتصب أعمدته على حساب مقدسات الإسلام وحضارة المسلمين .

(١) راجع كتاب الماسونية في العراق : ص ١١٧ . وكتاب أسرار الماسونية .

## الماسونية معول هدم الأديان

جاء في مجلة أكاسا الماسونية سنة ١٩٠٣ ص ٦٨ : إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة . أ . هـ .

كما ورد في الوصية الماسونية - الشيطانية - عن الملوك والأديان قولهم :  
اشنقوا آخر ملك بمصران آخر كاهن<sup>(١)</sup> .

كما جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني سنة ١٩١١ : ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسون أعداء للأديان ، وعلينا ألا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها .

كما جاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة ١٩٠٠ م ص ١٠٢ :  
إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية:  
إبادتهم من الوجود<sup>(٢)</sup> .

صرح الخطيب (فرانكلون) في ذكرى الثورة الفرنسية سنة ١٨٨٩ قائلاً : سيأتي يوم تتحرر فيه الأمم التي تجهل بواعث وأهداف ثورة ١٧٧٩ من أواصر الدين ، وإن هذا اليوم ليس ببعيد ونحن في انتظاره . وسيهب الإخاء الماسوني العام ذلك للشعوب وللأوطان ، وهذه هي فكرة المستقبل . وأعلن في هذا المؤتمر أن هدف الماسونية هو تكوين حكومة لا تعرف الله .

(١) الماسونية منشئة ملك إسرائيل : ص ١٥٢ . نقلاً عن كتاب الماسونية في العراق .

(٢) انظر كتاب أسرار الماسونية .

في مؤتمر الطلاب الذي عقد في مدينة لينج - إحدى مراكز الماسونية -  
أعلن الماسوني المشهور (لافارج) في الطلاب الوافدين من ألمانيا واسبانيا  
وفرنسا وروسيا وبريطانيا قائلاً : يجب أن يتغلب الإنسان على الإله ،  
وأن يعلن الحرب عليه ، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق (١) .  
قاتله الله وأخزاه .

جاء في السجلات الماسونية الصادر عام ١٩٠٤ : لقد تيقن اليهود أن  
خير وسيلة لهدم الأديان هي الماسونية ، وأن تاريخ الماسونية يشابه في  
الاعتقاد تاريخ اليهود ؛ يربط كيائها بخمسة آلاف سنة - منذ بدء  
الخليقة - وأن شعارهم هو نجمة داود المسدسة ؛ ويعتبر اليهود والماسونيون  
أنفسهم - معاً - الأبناء الروحيين لبناة هيكل سليمان ، وأن الماسونية  
التي تزيف الأديان الأخرى فإنها تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء  
اليهودية وانتصارها (٢) .

جاء في صحيفة (لاتوميا) الألمانية الماسونية في ٧-٨-١٩٢٨ من أقوال  
رودلف كلين : إن طقوسنا يهودية من بدايتها إلى نهايتها ، ولا بد أن  
يستنتج من هذا أن لنا صلات فعلية باليهودية .

كما قال الحاخام الدكتور إسحق وايز في كتابه : إسرائيليو أميركا ،  
بتاريخ ٣-٨-١٨٦٦ : إن الماسونية مؤسسة يهودية ؛ فتاريخها ودرجاتها  
وأهدافها ورموزها السرية ومصطلحاتها يهودية من أولها إلى آخرها .

(١) انظر كتاب : أسرار الماسونية . (٢) أسرار الماسونية : ص ٥٧ .

إن الماسونية تتخذ من النفس الإنسانية معبوداً لها (٢) .

تتبع الماسونية جميع الوسائل ؛ من إغراء ونفاق ومداهنة للوصول إلى أغراضها ، وتتستر بالملوك والزعماء ورؤساء الدول والشخصيات البارزة لتصل إلى غاياتها عن طريق إعطائهم درجات شرف ورتب وألقاب فخرية من المحافل الماسونية ، فقد حاولت الماسونية مثلاً أن تستغل حكيمي الشرق جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، إلا أنهما كانا أشد مما خالت ذكاء وأكثر يقظة ، ففضحاها وكشفا عن أخطار أهدافها ، وأوضحا للناس أن اليهودية العالمية كامنة وراء الماسونية ، وأن الماسونية عصاً حديدية بيد اليهود يضربون بها من استعصى عن السير في ركاب اسرائيل ، وأن الماسونية يهودية الأم والأب وأن اليهود ابتدعوها (٢) .

## الماسونية والأخلاق

لا يضير الماسونيين - وعلى طريقة أساتذتهم اليهود - أن يضحوا بكل شيء - حتى بالأخلاق والشرف والعرض - في سبيل تحقيق أغراضهم ، لأن مبدأهم في الحياة يقوم على أساس : الغاية تبرر الوسيلة .

ولعل في الأسرار التي نشرتها مجلة القوات المسلحة المصرية في عددها رقم ٤١٢ الصادر في مايو ١٩٦٤ م ما يوحى إلى القارئ بالمنكرات والفواحش التي ترتكب في المحافل الماسونية .

(١) المصدر السابق . (٢) أوقفوا هذا السرطان : ص ١١٧ .



فقد جاء في الصفحة ٢٨ منها ؛ تعريب للوحة رقم ٣ التي تقوا ، : إذا كنت تتمسك بالقيم الإنسانية فاخرج لأن هذه القيم لا وجود لها هنا . تقول إحدى فرق المنورين - فرقة ماسونية - كما ورد عنهم : إنني أقطع كل الروابط المادية التي تجمع بيني وبين أي كان من البشر ؛ كالأب والأم والإخوة والأخوات والزوج والأقارب والأصدقاء والملوك والرؤساء ، وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة وعاهدته على الخدمة .

في هذا القسم تدمير للأسرة والمجتمع ، وتقطع للعلاقات بين الجميع عدا الماسونية ؛ لها الطاعة وللإهودية الكامنة وراءها .

لقد كشف دور فويل - أحد شيوخ الماسون - النقاب عن نظرة الماسونيين إلى الأخلاق حين قال : ليس الزنا بإثم في شريعة الطبيعة . ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم<sup>(١)</sup> . وقال راغون في كتابه ؛ رسوم إدخال النساء إلى الماسونية : ص ٢٢ - ٢٨ :

العفة المطلقة مردولة عند الماسونيين والماسونيات ؛ لأنها ضد ميل الطبيعة ، ومن ثم تبطل من كونها فضيلة . كما ورد أنهم اثبتوا نجاح الماسونية في إبعاد الشباب عن تأثير الدين في فرنسا . وقد صرحت السيدة جانيت - هي زوجة جوناس - أحد البرازيليين الذي ساعد على نشر الماسونية - للسيد عوض الخوري - الذي أخرج هذا التاريخ باسم ؛ تبديد الظلام :

(١) أوقفوا هذا السرطان : ص ١٢٥ .

صرحت بما للماسونية من أثر مدمر على حياة المرأة وعلى أخلاقها وتربية أبنائها ، فوجهت نداءً - بل صرخة - إلى نساء العالم قائلة : لقد أصيبت المرأة الماسونية - وهي غير عالمة - بخسارة جسيمة لا تعوض ؛ خسرت هناءها وسعادتها الزمنية والأبدية ، خسرت آدابها وحياتها . وبهذه الخسارة أخسرت الكون نظامه الاجتماعي والعائلي والأدبي والديني والصحي والنسلي . أجل ، لقد فرحت المرأة بهذا التساهل ولكن نتيجة فرحها كان شقاءً وبكاءً . ألا ليت التساهل أدى إلى بكاء المرأة وحدها ، هيهات ذلك ، فإنه قد أبكى معها الكون بأسره<sup>(١)</sup> .

## صلة الماسونية بالشيوعية والصهيونية

لا شك أن الماسونية العالمية ذات الدماء الماكر ، ارتبطت مع معظم ثورات العالم ؛ حيث كانت المحرك والمشعل لنارها . ومن بين هذه الثورات التي كانت الرأس المدبر لها ثورة فرنسا ، والتي كان شعارها - كما كان عند الشيوعية والصهيونية - هو : الحرية والمساواة والإخاء . وأنها كلها بالتالي بذرة يهودية خبيثة . وإليك الإيضاح :

جاء في بروتوكول صهيون الثاني :

إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا محررين للعمال ؛ جئنا لنحررهم من هذا الظلم حيثما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشهم من

(١) تبيد الظلام : ص ٢٧٣ . لعوض الخوري .

الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين . ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها ، متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية . أ. هـ .

هنا يظهر التقاء الماسونية مع الصهيونية والشيوعية والصلة بينهم .

كما جاء في البروتوكول التاسع : إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي : الحرية - المساواة - الإخاء . وسوف لا نبدل كلمات شعارنا بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة ، وسوف نقول : حق الحرية وواجب المساواة وفكرة الإخاء . وبها سنمسك الثور من قرنيه ، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة لإلا قوتنا .

وهنا يظهر ترابط الماسونية والصهيونية العالمية والشيوعية والثورة الفرنسية في إطار واحد ؛ حيث شعار الجميع : الحرية - المساواة - والإخاء<sup>(١)</sup> .

## من أهداف الماسونية

١ - الماسونية هي الجمعية التي تعمل في الخفاء للاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها . وإن غايتها هي تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بأفكارها ، وإن تقبل أفكارها يكون مبعثاً لارتياحها .

(١) راجع المصدر السابق .

- ٢ - إن الماسونية هي سيدة الأحزاب السياسية لا خادمتها .
- ٣ - إن الغاية من وجود الماسونية هي النضال ضد الجمعيات المستبدة المنتمية إلى الماضي ، ولأجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الأولى ، لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد .
- ٤ - ومن أهدافهم قولهم : من أسرار اتحادنا هو تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية خفية .
- ٥ - إن هدف الماسونية هو تكوين جمهورية لا دينية عالمية .
- ٦ - إن السيطرة على الشبيبة من أولى غايات الماسونية وأهدافها<sup>(١)</sup> .
- ٧ - من أقوالهم : إن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الأديان جميعاً .
- ٨ - بعض الناس لا يصدق أن الماسونية أطاحت بالقيصرية وآل عثمان ؛ ليخلو لها طريق فلسطين . وصالت على الإنجيل والقرآن لأنهما كشفا أعماق نفسيتهما<sup>(٢)</sup> .

### الماسونية وتدخّلها في إسقاط خلافة العثمانيين

جاء في كتاب أسرار الماسونية - ص ٥٧ : منذ مدة تزيد على سبعين

(١) ومن الجدير بالذكر أن الماسونية الخبيثة قد ضمت إلى صفوفها معظم القادة والزعماء والمفكرين ، طبقاً لمخططاتها المرسومة ، ولذلك نجد أن غالبية الحكام ومفكري العرب والمسلمين قد أصبحوا أتباعاً لها ، ومن المروجين لأفكارها الهدامة . فعلينا الانتباه والحذر من ظلمات الكفر ودعائه ، والسعيد من اتعظ بغيره .

(٢) أسرار الماسونية . والماسونية في العراق .

سنة والكوارث تتوالى على بلادنا ؛ لإزالة الخلافة العثمانية واحتلال فلسطين وإقامة دولة يهودية مركزها القدس ، وقد دبرت الأيدي الخبيثة تقديم خمسة ملايين من الجنيهات الذهبية إلى السلطان عبد الحميد الثاني - رحمه الله - مقابل سماحه لاستيطان اليهود في فلسطين ، إلا أن السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك بشدة ، وأدى هذا الرفض إلى إثارة دعاية يهودية عالمية ضد الطبقة الحاكمة في الدولة العثمانية ، متخذة من الافتراءات والأكاذيب سلاحاً لها على من يقف أمام تيارها الجارف ... وكانت تتضمن أمثال هذه الكلمات : لا حرية في الدولة العثمانية - الاستبداد يخيم عليها - السلطان يفتك بالعناصر المثقفة ويرميهم من نوافذ القصر إلى البحر - إن أوروبا قد تأمرت فيما بينها لتقسيم الدولة العثمانية .

إن هذه الدعايات التي انتشرت في أنحاء الامبراطورية ، لم يميز كثيرون ما فيها من الأكاذيب والافتراءات ، فأصبحت جبال مكدونيا ملجأً للشوار - دعاة الإصلاح الغربي - بدعوى تنظيم السلطنة وإصلاحها إصلاحاً جذرياً ... وأن الكلمات المعسولة التي اجتلت بها آذان الناس أخذت تعطي ثمارها . وبدأ ، قرصوه<sup>(١)</sup> نشاطه السياسي فأوقع كثيراً من الوطنيين في شباك الماسونية ، وكان منهم طلعت باشا الذي انتخب رئيساً للمشرق العثماني . وكان طلعت باشا رجلاً طيب السيرة مخلصاً ،

---

(١) زعيم يهودي ماسوني من الذين دبروا الانقلاب الاتحادي عام ١٩٠٨ م . وصار نائباً عن سالونيك في المجلس النيابي العثماني ، وهو الذي أبلغ السلطان شخصياً بقرار التنازل عن العرش .

إلا أن هذه الصفات لا تكفي؛ لأن إدارة الحكم والسياسة تتطلبان ثقافة عالية ، ومقدرة فائقة وتجارب كثيرة .

إن جمعية الاتحاد والترقي - التي خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه - هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك ، وشهدت البلاد من المآسي ما لم تشهده خلال ثلاث وثلاثين سنة من حكم السلطان ، ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم على أعواد المشانق التي نصبت في مختلف أنحاء البلاد . أما المصيبة الحقيقية الكبرى فهي وقوع إدارة الحكم تحت تأثير النفوذ الماسوني اليهودي ؛ وكان الأرض قد انشقت مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ، ذات أبنية شاهقة في مناطق حيفا ويافا والرملة والكرمل ، وهكذا فإن أسس إسرائيل قد أرسيت بأيدينا ، وأن طلعت باشا - مأمور البريد السابق - رئيس وزراء الحكومة العثمانية المسكين - لم يكن على علم بخفايا الأمور؛ لأنه كبقية الغافلين كان قد صدق المزاعم الماسونية ، التي تتغنى بالحرية والمساواة والإخاء البشري والسلام العالمي .

ولقد انهارت الدولة العثمانية ولفظ طلعت أنفاسه الأخيرة غرباً في بلاد أجنبية برصاص الماسونية اليهودية<sup>(١)</sup> .

### ماسونية شهود يهوه :

إن شهود يهوه - الذين فتحوا لهم مكاتب عديدة في الوطن العربي ،  
(١) أسرار الماسونية : ص ٥٧ . وما بعدها .

والذين كانوا يظهرون أحياناً بأنهم دعاة للنصرانية ، ولكنهم كانوا على خلاف ذلك . ومن ترجمة يهوذا الذي نراه في الإنجيل يزعم أنه من أتباع المسيح ويضمّر التآمر عليه - تقوم بتنفيذ أهداف اليهودية العالمية . وفي مطالعتنا لواقعها نرى تخطيطها المبني الذي يحث على اعتناق الأديان لهدمها من الداخل .

هؤلاء الذين ينفذون تعليمات الصهيونية العالمية لإقامة دولتهم العملاقة بفلسطين ، أحياناً يعدلون ويغلطون ، وكتبهم خير شاهد على ذلك . فبعد سنة ١٩٤٨ م أخذوا يحاولون التنصل ، حرصاً على بقائهم في الدول العربية ، وبعد وضوح أهدافهم في مصر وسورية والجزائر طردوا منها . وهم يقولون : الأديان السماوية وثنية . وينعتون هرتزل مؤسس الصهيونية بنعوت : المرسل من الله لهذا العمل الجليل ، أو العظيم . أو المبارك من الله . هذا ، وبعد جرائمهم الكثيرة صدرت قرارات بعدم التعامل معهم في لبنان ، وإغلاق مكاتبهم وعدم تداول كتبهم ونشراتهم اليهودية الماسونية .

## ماسونية الاتحاد والترقي

هاجر يهود اسبانيا والبرتغال - بعد خروج العرب من الأندلس -  
فحلوا في الدولة العثمانية ، وقد ادعى كثير منهم الإسلام عام ١٦٨٣ م .  
وفاحت رائحة مخططاتهم . وقد أطلق عليهم اليقظون من الأتراك كلمة  
(دونما) وهي كلمة تركية تعني (مرتداً ، ملحداً ، زنديقاً ، كافراً ،  
كاذباً) ، فيما يزعم باعتقاده أن هؤلاء يعيشون بوجهين ؛ يصلون  
ويصومون ويحجون كالمسلمين !! .

يقرؤون التلمود والعهد القديم ويرتلون بالعبرية ويأكلون الفطير ،  
ويعيدون في أوكارهم وخلواتهم عيدي الفور والחנוكا كاليهود .  
أسمائهم في الأوكار عزرا وحاييم وهرون ودبورا وأستير وساراي ،  
أما في السوق والوظيفة فمحمود ومحمد وحسين ومصطفى وعائشة وخديجة  
وزينب . يقول صاحب كتاب الماسونية في العراق : لقد كتب في أحوال  
الدونما كثيرون ، لكن في هذه الكلمة نكتفي بمرجع واحد هو كتاب  
(الدونمة) الصادر عام ١٩٥٧ م . والمطبوع ثانية عام ١٩٦١ م .  
أصدره (إسحق بن زفي) - الرئيس السابق لإسرائيل - قال بن زفي :  
إن يهوداً كثيرين وكثيرين جداً يعيشون بين الشعوب بطبيعتين ؛  
إحداهما ظاهرة وهي : اعتناق دين الشعب الذي يعيشون في وسطه اعتناقاً  
جماعياً وظاهرياً ، والثانية باطنية وهي : إخلاص عميق لليهودية .  
هؤلاء الدونمة الذين دعاهم بن زفي ( طائفة مسلمة - يهودية ) لا تزال



منذ زعمت الإسلام تعيش في تركيا بوجه مسلم ، وهذا ما ساعدها على التدخل في شؤون تركيا الاقتصادية والسياسية والتربوية والتوجيه الفكري منها الوزراء والصدور العظام والنواب والمدرسون في الجامعات ، ومنها الشيوخ الذين يصعدون المنابر يغشون حلقات دراسة الفقه والحديث والتفسير والتصوف - الله أكبر . فهذا هو كيد الشيطان !! وماذا بعد هذا يا مسلمون !! فهل من مدكر ؟ !! - ويعودون للأوكار يتواصون بمثل هذا النص :

لا تتزاوجوا إلا فيما بينكم ، ولا تأخضوا من عادات الآخرين إلا الظاهر . ينبغي أن نعي عيونهم عن الحقيقة ونحافظ على الاسم المزدوج<sup>(١)</sup> .

حدثنا بن زفي عن كثير من هؤلاء وعدد أسماءهم ، وذكر منهم من هاجر لفلسطين ولا يزال بها ، وممنى لو أراحوا أنفسهم من هذه الازدواجية وهبطوا وطنهم القومي فلسطين .

الدونمة هم ماسون تركيا المستترون باسم اتحاد وترقي - وإن خُذع بهم بعض الأتراك - استنشق كثيرون رايحتهم لاسيما بعد عام ١٩١٨ م . بعد احتلال القسطنطينية - اسطنبول - العاصمة . وأخذ الدونمة يتقدمون لقادة الحلفاء معلنين أنهم ليسوا أتراكاً ولا مسلمين .

أسسوا حزب تركيا الفتاة ، ليدفعوا لتأسيس العربية الفتاة ؛ تنفيذاً للمخطط اليهودي الدونموي الذي شطر السلطنة التركية إلى قومية

(١) الماسونية في العراق : ص ٢١٨ . وما بعدها .

عربية وقومية طورانية ، مدخلاً أو طريقاً لا بد من تعبيده لتسلكه  
إسرائيل تحقيقاً لمخططاتها المعلومة ، ينتطحان الأتراك والعرب ويهدمان  
برجاً يعجزان عن إعادة بنائه ، وتفوز اليهودية بالأسلاب والغنائم !! .

ولكن ليت شعري ؛ لقد قرأ كثيراً كتيرون التاريخ ، ولكن الكثيرين لم  
يعرفوا بهذا - خاصة هذه الجمعية الماسونية - فلماذا لم يصدق المؤرخ ؟ .  
يقول بن زفي عن أتاتورك - قائد الثورة الثقافية التي اجتاحت تركيا ،  
وأثمرت استبدال الحروف اللاتينية بالعربية وفرضت إصلاحات جذرية :  
تصور ناراً مستورة برماد ثلاثة قرون ، تسرب بعضها لمصر ليستمر مطابعه  
ومناشيرها ، التي ما كاد عبد الحميد يطلب مصادرتها حتى أخذت انكلترا  
تدافع عنها ؛ دفاعاً عن العرب بالظاهر وانتقاماً من عبد الحميد بالحقيقة ؛  
لأنه كان سلبياً اتجاه اقتراحات ثيودور هرتزل صاحب كتاب (الدولة  
اليهودية) وأبو الصهيونية .

لقد عدّد صاحب المنار<sup>(١)</sup> - رحمه الله - في المنار الصادرة في شوال  
١٣٣٤هـ - ٢٩ آب ١٩١٦م - وفي الصفحة ٤٤٢ - عدّد أقطاب الدونمة ؛  
أمثال جمال السفاح وأنور وجاويد وقرصوه وخالدة أديب ... ويختتم  
الحديث - رحمه الله - متهكماً قائلاً : صلى الله عليهم وعلى جمعية  
الاتحاد والترقي !!! . فهلا قرأتم أيها العرب والمسلمون تاريخ بلادكم ،  
وعرفتم أمجادكم ومن ألقى بكم من حيث لا تشعرون . لا بد من العودة  
لتاريخ الإسلام ودراسته من قبل رجال مؤمنين صادقين متجردين ؛  

---

(١) المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار ، والتفسير الشهير باسم تفسير المنار .

لكشف الجور والكذب والتدليس الذي لحقه ، لقد عزف صاحب المنار  
- السيد رشيد رضا - مؤامرات الدوئمة - التي تجسدت في الاتحاد والترقي ،  
وحزب الشعب الذي استغله أتاتورك - وحذر من أبواقها حيث خلعوا على  
أتاتورك حلة البطولة متجاهلين ما انطوت عليه نفسه الحاقدة الدوئومية  
العنصرية ، والتي زجت بتركيا بحرب لا ناقة لها فيها ولا جمل ،  
كي يخلو للدوئمة طريق الوصول لفلسطين تحقيقاً للمواعيد التي أعطتها  
انجلترا (للدزائيلي) رئيس وزرائها اليهودي منذ عام ١٨٩٨ م .

افتتح أتاتورك - حفيد مزراحي - البرلمان التركي عام ١٩٢٣ بقوله :  
نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع  
يبحث عن التين والزيتون - ويعني بذلك القرآن الكريم - فصفق له  
الدوئمة ورددوا مع شاعرهم فاروق نافذ : سلمنا البلاد لأيدي أتاتورك  
الأمين وتركنا الكعبة للعرب . وما أن حلّ عام ١٩٢٧ حتى رأينا أحد  
مفتشي المعارف - علي رضا بك - يسأل تلميذاً :

- ما اسمك ؟ .
- محمد .
- من هو محمد ؟ .
- محمد أنا .
- هل تعرف شخصية كبيرة بهذا الاسم ؟
- كلا .

- ما هي قوميتك ؟
- التركية .
- ما هو دينك ؟
- الدين التركي .
- من هو الله ؟ .
- أتاتورك ..... !!!!! .

قدم المفتش ما سمع للوزارة فكان الجواب عزله . الله أكبر على الكفر ودعائه . فهل عرف المسلمون حال تركيا بعد أن انتهى دور الخلافة واستبدل بالعلمانية ؟ ! .

تحققت اليهودية-المستترة بالدوغة والماسونية والاتحاد والترقي - أن السلاطين والقيصرية عشرة في طريق القفزة شطر فلسطين ؛ حيث السلاطين يمثلون الخلافة الإسلامية ، والقيصرية يحملون راية الكنيسة الشرقية ، التي ترى نفسها صاحبة الحق الأول والأعرق بفلسطين . ولقد أعدت المؤامرات وخلعت على السلطنة ثوب العلمانية وعلى القيصرية رداء الشيوعية ، وبهذا نسيا التزاماتهما نحو فلسطين . ومن هنا فالمحافل الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي - الممثلة لها - وقيادتها بيد مصطفى كمال وجمال السفاح وغيرهم ، حتى إن أنور باشا تسلم أختام السلطان محمد رشاد ، ولم يبق للسلطان إلا الاسم ، ولا يحق له ممارسة أي عمل . وبعد أن اشتعلت نيران الفتن في الألبان والبوسنة وأرمينيا وغيرها ؛ على يد

الماسون والدونمة وجمعية الاتحاد والترقي - والذين هم في الحقيقة يمثلون  
وجهاً واحداً ؛ هو العدو الأكبر للخلافة - كانت النتيجة خلع عبد الحميد  
عام ١٩٠٩ أخذاً بشأراً هرتزل وبن غوريون ، وحبسوه بمحفل سالونيك  
تنفيذاً لقرار ماسوني ، وتواروا برشاد - الأحمق المغفل - ودفعوا بتركيا  
لخوض حرب - بتوجيه وايزمان .

هذه الحرب التي أخسرتها دياراً وكرامة وديناً ، وعوضتها الشعار  
الماسوني : حرية - عدالة - مساواة .

هكذا تم هذا الخطر في خلافة بني عثمان ، ونفذ فيه أتاتورك قانون  
العلمانية كما وضع - بصولة أتاتورك على الإسلام - تنفيذاً لقرارات  
ماسونية ، والتي ترى هدم تركيا لأنها آخر خطوط المدافعة عن فلسطين .

هل يكفي ما ظهر من أخطار ؟. كان الكثيرون لا علم لهم بها - وهم  
دعاة علم ومعرفة - فكيف بالمغفلين ؟ ! . ولم يبق عذر للذين فاتهم معرفة  
مبيئات الدونمة الماسونية - الاتحاد والترقي - بعد أن كشفوا أنفسهم  
ودعوا الماسونية : حكومة اليهود السرية القائلة في البروتوكول الخامس :  
نحن الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات الماسونية<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر الماسونية في العراق : بتصرف .

## الماسون - أثر القوة الخفية في الإسلام

لقد حرر الإسلام العرب من استثمار اليهود المادي ، فحاول اليهود وأده منذ ولادته ابتداءً من العهد الإسلامي ، وأثناء البعثة المحمدية إبان دعوة الرسول ﷺ للقبائل والأمم للدخول في الإسلام واعتناقه ، كانت أيدي اليهود الخبيثة ومؤامراتهم تتوالى على هدم هذا الدين والقضاء عليه . وهذا هو ديدنهم ؛ وقد جاء عدد من اليهود بقيادة كعب ابن مانع بن هيسوع - الذي أصبح في عهد الأمويين مرجعاً للتوجيه الذي تمليه السياسة - جاءت هذه الفرقة إلى المدينة في عهد الفاروق عمر زاعمة الإسلام ، فاندست كماداتها المتقنة في المجتمع الإسلامي ، وبعد فترة استعانت بالعناصر المتوردة والحاقدة التي يتزعمها تلامذة عبد الله ابن أبي بن سلول ، الفئات المتوردة بقومياتها - كفيروز الفارسي والهرمزان - ونفذت هذه الزمرة الخبيثة قرار اغتيال الخليفة عمر ، وأطاحت بعثمان بن عفان - رحمهما الله وأرضاهما - كما خلقت ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

لقد عاش أبناء مؤسسي هذه الفتنة مسلمين - كما يبدو للناس - وفي الحقيقة كانوا يهوداً ماكرين ، أي أنهم عاشوا عيوناً وآذاناً ؛ مطلقي التهم، وخالقي الفتن والأحزاب ، ومنظمي المؤامرات ، متحالفين مع الأعداء التقليديين، كالشعوبيين وغيرهم .

وكان من طليعة أعمال هذه الفرقة المجرمة التآمر على حياة الخليفة

عمر ، ثم سعت لإعادة مد الإسلام جزراً ، كما غزت الفكر العربي الإسلامي في بداية طفولته ، حيث الطهارة والبراءة ، كما دست جرائم الأمراض ، وهي التي عرفت بأمراض السبئية ، ومازالت تتوغل وتفرخ في مجتمع الإسلام وتعيث فيه فساداً .

وسأذكر فيما يلي بعض الأمراض والأسافين التي زرعتها الفئات المتوترة من يهودية وشعبوية وماسونية حاقدة ، ومن بينها<sup>(١)</sup> فتنة الظاهر والباطن ، وفتنة التشكيك ، ومرض إنكار القيامة ، والتمييز العنصري ، والاعتلاء ومرض الحرف ومرض عهدي الستر والكشف ، وفتنة الإرجاء ، وكتمان السر، ومرض خلق القرآن ؛ الدسيسة اليهودية والجرثومة المسمومة القاتلة، وكذلك مرض إحالة الوحدانية ، والتأويل غير المشروط ، ومرض انتظار المنقذ<sup>(٢)</sup> .

إن هذه الدسائس والآفات التي زرعتها تلك الأيدي الملوثة كانت إسفيناً وسرطاناً في قلب أمة الإسلام ، تركت جرحاً ينزف دماً وعصفت بقوة الإسلام ، ومازالت الآثار باقية وستبقى حتى يبعث الله لهذا الدين من ينصره ويخلص البشرية من سموم أعداء الحياة .

### الماسونية تحقق أهداف الصهيونية

إن الصهيونية العالمية تستخدم كثيراً من الحركات في خدمتها ،

(١) الماسونية في العراق : ص ٢٤٦ وما بعدها بتصرف .

(٢) وغيرها الكثير من الفتن والأمراض القاتلة ، التي تفتن في إبناتها وإخراجها بعض أهل التصوف وغيرهم من أتباع الفرق الباطنية الضالة .

ومن بين هذه الحركات الهامة والخطيرة: الماسونية ؛ حيث تقيم المنظمات وتجذب لصفوفها الشخصيات البارزة في العالم ، لتنفيذ مخططاتها الإجرامية ، ومنها :

١ - منظمة بناي برث : تتظاهر بخدمة المجتمع والإشراف على خدمات الفقراء والمحتاجين ، وهي في الحقيقة تعمل بالتجسس والتقاط الأخبار لخدمة الماسونية . وقد تولى المرحوم الجنرال محمد جواد أتلخان كشفها على حقيقتها في كتابه : أسرار الماسونية .

٢ - جمعية سر الدم المكتوم ، وشهود يهوه ، والروتاري، والكك ؛ إن لهذه الجمعيات أخطاراً تهدد كيان الأمم ؛ حيث تظهر أنها تعمل في سبيل الخدمة الإنسانية ؛ من حيث التطبيب والتعليم وتقديم المعونة المالية والغذاء والملابس للفقراء والمعوزين ... هذا ظاهرها ، ولكن حقيقتها الباطنية هي عكس ما تظهر تماماً ، وهي بهذه الوسائل تنفذ مخططاتها وتصل لأهدافها ، وتسمم المجتمع بلعابها المسموم ، ولهذه الجمعيات مراكز منتشرة بكثرة في بلادنا العربية الإسلامية ؛ حيث تعمل على محاربة القيم والأخلاق والدين ، وتفسخ الروابط الأسرية ، وتشرف اليهوديات على القيام ببعض الخدمات ؛ مثل العمل في الجمعيات الخيرية والحضانة والأندية وغيرها ، كما تعمل أمثالهن في الرقص على المسارح والملاهي ، ومرشدات ومبشرات لإفساد الأمة .

والحقيقة أن للماسون وسائل شيطانية للوصول إلى أهدافهم ومحاربة



عدوهم ، فلقد حاولت زج الكثير من عظماء أمة الإسلام في قبضتها ؛  
ومن بينهم : الشيخ محمد عبده ، و الشيخ جمال الدين الأفغاني  
- رحمهما الله - هذان الزعيمان اللذان كشفوا طوية الماسونية ودخائلها ،  
إلا أن الماسونية اللثيمة حاولت الدس والتشويه في سمعة الشيخ جمال  
الدين الأفغاني وأنه من أعضائها . وكان حال المؤرخ محمد كرد علي  
أيضاً كحال من سبقه ، من الذين حاولت الماسونية إلصاق العضوية  
بهم . وقد قضى بقية عمره مناهضاً لها لما عرفه من سوء عملها ومحاربتها  
لكل القيم ، وبالرغم من كل هذا إلا أنهم يرونه من أبنائها (١) .

ولا يفوتني التنويه بما للحركة البهائية وبعض الصوفية البلهاء من علاقة  
بالماسونية الباغية ، وكيف كانت الماسونية توجه البهائية وتحتضنها ...  
وبعد : فهذه الماسونية يا عرب ويا مسلمون ؟ !! ولا أريد للمسلمين أن  
ينخدعوا بها ، لأنها حرب على الأديان ، أما ماسون العرب الذين خربوا  
بيوتهم بأيديهم ، فنصيحتي لهم أن يراجعوا حساباتهم قبل ساعة الاحتضار .  
والله تعالى حذرنا من الوقوع تحت رحمة الهوى وغواية الشيطان ، ولنعلم  
جميعاً أن الذين حاربوا الإسلام في الهند وتركيا وإيران والبلاد العربية ،  
وابتلعوا أخيراً قدس الأقداس فلسطين كحلوى بعد الدسم هم الماسون  
وأولياؤهم .

---

(١) انظر ج ٢ من مذكرات محمد كرد علي ، وتفسيراً عنها في ج ٤ - ص ١٨٠ . والسر  
المصون : ص ٤٣ . ومذكرات محمد عبده ، دار الهلال : ص ٥٢ . عن أسرار الماسونية .  
والماسونية في العراق .

## [ الصهيونية ]

تعريفها :

حركة سياسية عنصرية عنيفة ، تسعى إلى تحقيق آمال اليهود في تخريب دول العالم ، وقيام دولة اليهود لحكم العالم . إنها القومية اليهودية - كما نقول : القومية العربية بالنسبة للأمة العربية - ولا فرق بين الصهيونية واليهودية ، كما أنه لا فرق بين العرب والقومية العربية ، إلا في كون الصهيونية وسيلة لخدمة اليهودية العالمية ، وكون القومية العربية حركة تهدف إلى إنماء الوعي القومي وخدمة أهداف الأمة العربية .

ويفرق كثير من الكتاب العرب وساستهم بين الصهيونية واليهودية ، مع أن اليهود أنفسهم لا يعترفون بأي فارق بين يهودي وصهيو ، باستثناء عدد ضئيل من الكتاب اليهود الذين يتظاهرون بعدائهم للصهيونية عن خطة مرسومة<sup>(١)</sup> . وفي شرح معنى الصهيونية قالت دائرة المعارف البريطانية - ط ١٩٢٦ م :

إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين ، واستعادة الدولة اليهودية ، وإعادة بناء هيكل سليمان ، وإقامة عرش

(١) جنور البلاء : ص ١٣٨ .

داود في القدس ثانية ، وعليه أمير من نسل داود<sup>(١)</sup> .

وقالت دائرة المعارف اليهودية - في شرح كلمة صهيونية : ينبغي اليهود أن يجمعوا أمرهم ، وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء ، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل - مكان المسجد الأقصى - ويقيموا ملكهم هناك<sup>(١)</sup> .

والكلمة - صهيون - كانت في الأصل تطلق على جبل (اليبوسيين) في القسم الجنوبي من القدس ، وحينما احتلها الملك داود فكر في بناء بيت الرب - الهيكل - في ذلك المكان ، وجاء من بعده الملك سليمان فأنجز المهمة . وصار الاسم: صهيون، يطلق على القدس كلها .

والصهيونية - كما تقول دائرة المعارف البريطانية - هي التي حفزت يهود السبي البابلي تحت قيادة زروبابل إلى إعادة بناء الهيكل . ويمكن تلخيص الأدوار التي مرت بها الصهيونية العالمية كما يلي : -

١ - حركة المكابيين : التي أعقبت العودة من السبي ، والتي كان من أول أهدافها العودة إلى صهيون ، وبناء هيكل سليمان ، وتثبيت الشريعة بطقوسها اليهودية .

٢ - حركة باركوخبا (١١٨-١٣٨ م) : وقد أثار هذا اليهودي الحماسة في نفوس بني قومه ، وحثهم على السعي للتجمع في فلسطين ،

(١) جذور البلاء : ص ١٣٩ .

وإعادة بناء الهيكل وتأسيس دولتهم ، وتنصيب ملك عليها من نسل داود .

٣ - حركة موزس الكريتي : ولم يكتب لها النجاح .

٤ - مرحلة الركود : في النشاط الصهيوني بسبب اضطهادهم في القرون الوسطى .

٥ - حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ (١٥٠١ - ١٥٣٢ م) : حاول هذان اليهوديان إنقاذ شعبهما ، وتجولا في أوروبا داعيان للعودة إلى فلسطين وتأسيس ملك إسرائيل .

٦ - حركة منشه بن إسرائيل (١٦٠٤ - ١٦٥٧ م) : وقد استعان هذا الصهيوني بالانجليز ، ويمكن القول بأن هذه النواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية لاستخدام بريطانيا وشعبها في تحقيق أهداف الصهيونية ، كما عمل بذلك بلفور فيما بعد .

٧ - حركة شبتاي زفي (١٦٢٦ - ١٦٧٦ م) : ادعى فيها أنه المسيح ، حيث انتشرت حركته انتشار النار في الهشيم وتبعه كثيرون .

٨ - حركة رجال المال التي تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيوري ، وكانت تهدف إلى إنشاء المستعمرات اليهودية الزراعية على ثرى فلسطين ، وساعدهم الانجليز كثيراً .

٩ - الحركة الفكرية الاستعمارية : كانت في منتصف القرن التاسع عشر ؛ داعية لإقامة دولة يهودية في فلسطين لخدمة مصالح

بريطانيا الاستعمارية في آسيا وأفريقيا. يوافق هذه المرة ساعد  
أقطاب بريطانيا - لورنس وليفانت - في مفاوضاته مع تركيا  
للحصول على امتياز يمهّد لإنشاء دولة يهودية بفلسطين المقدسة .

١٠ - حركة صهيونية مكبوتة قام بها في القرن التاسع عشر ( هيرش  
كاليشر وسمولنكن ) على أثر الاضطهاد الذي وُجِّه إلى يهود روسيا  
وأوروبا الشرقية : نجحت هذه الحركة خاصة بعد مذابح ١٨٨٢ م.  
في روسيا ، وتدفق اليهود لأوروبا وأمريكا (١) .

## جذور الصهيونية

لا بد لنا - قبل أن نتحدث عن الصهيونية الحديثة ونبيها ثيودور  
هرتزل - من الرجوع إلى توراة اليهود نقتبس منها ما يثبت أن الصهيونية  
قديمة قدم التوراة نفسها ، وأنها هي اليهودية بما فيها من آمال وأحلام  
ومطامع .

وقد ورد ذكر صهيون في التوراة مراراً وتكراراً ، أذكر منها ما يلي :  
[ وأخذ داود حصن صهيون - هي مدينة داود - وأقام داود في الحصن  
وسماه مدينة داود ، وكان داود يتزايد تعظماً والرب إله الجنود معه ] (٢) .  
[ ابتهجي جداً يا صهيون ، اهتفي يا ابنة أورشليم ، هو ذا ملكك

(١) دائرة المعارف البريطانية : ط ١٩٦٤ م . وكتاب جنور البلاء : ص ١٣٦ - ١٤١ .

(٢) سموئيل الثاني : ص ٥ - ٦ عن جنور البلاء .

يأتي إليك ، هو عادل ومنصور ووديع يأتي ركباً على حماز ، على جحش  
ابن أتان<sup>(١)</sup> . [

[ من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ ، حتى يخرج  
برها كضياء وخلصها كمصباح فتري الأمم برك وكل الملوك مجدك ،  
وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب<sup>(٢)</sup> ] .

[ الرب اختار صهيون ؛ اشتهاها مسكناً له ... هناك أنبت قروناً  
لداود . أرتب سراحاً لمسيحي<sup>(٣)</sup> ] .

[ على جبل صهيون أمر الرب بالبركة حياة أبدية<sup>(٤)</sup> ] .

يربط كثير من مفكري اليهود ومؤرخيهم تاريخ الحركة الصهيونية  
بنبيهم موسى عليه السلام ، فنحن إذا أمعنا النظر جيداً نرى أن تاريخ  
الصهيونية يتناول أربعة أزمنة مختلفة :

الأول : زمن التوراة . والثاني : الزمن السابق لهرتزل . والثالث : الزمن  
المعاصر لهرتزل ، والذي يبدأ من سنة ١٩٠٤ م إلى آخر سنة ١٩١٨ م .  
والرابع : الزمن التالي لتصريح بلفور<sup>(٥)</sup> .

[ قلنا إن موسى - كما تقدم الإلماع - كان أول من شيد صرح

(١) زكريا : صح ٩ / ٩ . المصدر السابق .

(٢) أشعيا : صح ٦٢ / ١ . نقلاً عن جنور البلاء .

(٣) مزامير : ١٣٢ / ١٧ . المصدر السابق .

(٤) مزامير : ١٣٣ / ٣ المصدر السابق : ص ١٤٢ .

(٥) إيلي ليفي أبو عسل : يقظة العالم اليهودي سنة ١٩٣٤ . عن جنور البلاء .

الصهيونية ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية ، وقد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالاً مستمسكاً وثيقاً ، ومتوافقة أجزاؤها تماسكاً محكماً شديداً<sup>(١)</sup> .

وواضح من كلام الصهيوني ليفي أبو عسل أن الصهيونية بعينها الحركة اليهودية ، التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيام موسى ... وعن علاقة الصهيونية باليهودية . قال إسرائيل ابراهامز : لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيرو النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية ، فجميعنا إذن صهيونيون بحكم أن الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن ، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة<sup>(٢)</sup> .

ومن أشهر حكماء اليهود الذين مهلوا للصهيونية الحديثة الحاخام ريشون صاحب خطاب مشهور اعتبر وثيقة هامة منذ نشره ، وألقي في سنة ١٨٦٩ م . وقد سبق مقررات حكماء صهيون ؛ ومما جاء فيه مترجماً إلى العربية :

الذهب أعظم قوة في العالم . إنه قوة وفي الوقت نفسه هبة . وإنه يؤمن جميع أنواع السعادة ؛ تلك التي يخشاها المرء ويشتهيها ، هنالك يكمن السر وعمق المعرفة بالروح التي تحكم العالم ، هنالك تملك المستقبل ...

(١) إيلي ليفي أبو عسل : ص ٣٢ . عن جنور البلاء : ص ١٤٣ .

(٢) عبد الرحمن سامي عصمت - الصهيونية والماسونية : ص ٢٨ سنة ١٩٤٩ م .

شعبنا مؤمن متدين ولكن علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية ، فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة ، التي تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد . . . . . وكذلك : علموا أبناء يهودا هذه التعاليم ، ولقنوهم المبادئ التي ستجعل من شعبنا شجرة عظيمة مثمرة ، تحمل أغصانها ثمار السعادة والرخاء والقوة والثراء<sup>(١)</sup> . ا. ه .

هذه أخي القارىء بعض فقرات لخطاب حاخام يهودي قاله قبل أكثر من مائة عام ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على حقد هؤلاء القوم ، الذين أكلت قلوبهم تلك الأحقاد ، والذين ليس لهم من هم سوى تخريب المجتمعات وتدمير المعتقدات الإنسانية .

ونظرة سريعة على أعمالهم التي طبقها على دنيا الواقع أحفاد هذا الحاخام الماكر ، وخاصة تلك الأعمال البربرية التي أوقعوها بشعب فلسطين ؛ حيث القتل الجماعي ، والتعذيب ، واغتصاب الأرض وتشريد الأهل الآمنين ، لخير دليل على إجرامهم . فبهذه الأعمال التعسفية - والتي ستبقى وصمة عار في تاريخهم الأسود - استطاعوا تحقيق أطماع أجدادهم وتنفيذ مخططاتهم .

(١) جنور البلاء : ص ١٤٦ - ١٤٨ .



## الصهيونية الحديثة

وهي الحركة التي تنسب إلى ثيودور هرتزل - الصحفي اليهودي النمساوي - الذي ولد سنة ١٨٦٠ م ومات سنة ١٩٤٤ م - وكان هرتزل يهودياً عادياً إلى أن حضر محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي - دريفوس - الذي كان متهماً بخيانة الجيش الفرنسي ، وتسليم أسرار فرنسا إلى الألمان ، وأحس هرتزل بعنف الاضطهاد الذي يلاقه اليهود ، اعتقاداً منه بأن التهمة الموجهة للجاسوس - دريفوس - غير صحيحة .

وحين أصدرت المحكمة الفرنسية حكماً بتجريد دريفوس من رتبته وسجنه لمدة عشر سنوات ، هبت أقلام اليهود - ومن يؤجرهم اليهود من الكتاب - مدافعين عن دريفوس ومدددين بالظلم الذي وقع عليه ، وأصاب اليهود كافة بالعار والشنار . وتدخلت عدة قوى لإعادة محاكمة دريفوس ثانية حتى برأت المحكمة ساحته .

ويهمنا من قصة الجاسوس اليهودي - دريفوس - ما كان لها من أثر على حياة هرتزل ، فبعد أن خرج هرتزل من قاعة المحكمة شرع ينادي - متهكماً - بضرورة تنصير اليهود وتعميدهم تخلصاً من الذل والظلم والعبودية ، وبعد عام واحد اخترت في ذهنه خطة إنقاذ اليهود وجمعهم في مكان ما ، ليكون لهم دولة ترعى شؤونهم . وأفرغ هرتزل فكرته في كتاب أصدره باللغة الألمانية أسماه : الدولة اليهودية . سنة ١٨٩٥ م .

واستقبل اليهود مشروع هرتزل بحماسة شديدة ، وعدوه فاتحة عهد

جديد . ورحل هرتزل لعواصم دول أوروبا أولاً ليلمس الأثر الذي أحدثه كتابه في الأوساط اليهودية والماسونية ، واتصل هرتزل بالمنظمات اليهودية السرية المنتشرة في أوروبا وأهمها تلك التي انتمى إليها وايزمن وبين غوريون فيما بعد ، ولم تكن هذه الجمعية معروفة في ألمانيا ، وإنما أنشأت لها فروعاً سرية في الآستانة وسلانيك بتركيا وبعض مدن بلغاريا ، واتصل هرتزل بأغنياء اليهود مثل البارون هيرش النمساوي ، صاحب مشروع التوطين في الأرجنتين . ومن بعده آل روتشيلد الذين شجعوه بعد أن آمنوا بأفكاره<sup>(١)</sup> .

ثم رحل هرتزل إلى الشرق حيث اتصل بالسلطان عبد الحميد ، وقدم إليه مقترحاته المغرية التي تتلخص بما يلي :

- ١ - مساعدة السلطان على إنشاء أسطول بحري .
  - ٢ - معاضدته في سياسته الأوروبية .
  - ٣ - إنشاء جامعة إسلامية في القدس تفني عن الذهاب إلى جامعات أوروبا ؛ لئلا يتشرب الطلبة نزعات جديدة .
  - ٤ - تحسين أوضاع السلطنة العمرانية .
  - ٥ - عقد قرض مالي لتغطية تكاليف المشروعات المقررة ، مقابل منح اليهود حق استيطان فلسطين ، وإقطاعهم جزءاً من أرضها المهملة .
- تمت المقابلة الأولى مع السلطان في مايو سنة ١٨٩٦ م . والثانية في أغسطس سنة ١٩٠٢ م ، وفي كلا الحالتين أخفق هرتزل في إقناع

(١) جنور البلاء : ص ١٤٢ .

السلطان ، وعجز عن الحصول على أي وعد يسهل مهمته الخادعة ، رغم المغريات الكبيرة والوساطات العديدة والأموال الكثيرة التي بذلها لحاشية السلطان .

واعترف هرتزل أنه قدم الرشوة ، وعجزت جميع دسائسه ومحاولاته عن زحزحة السلطان عبد الحميد فظل ثابتاً أمام المغريات ، وكان آخر جواب فاه به أمام هرتزل ما نصه :

نص السلطان :

[ إن فلسطين ليست ملكاً لي ، وإنما هي ملك شعبي ، لا يحق لي التصرف بها ولا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين ، التي قاتلت أمتي في سبيلها وروت تربتها بدماء المسلمين ]<sup>(١)</sup> .

وأرسل السلطان من يقول لهرتزل: إن أحلامه لا يمكن أن تتحقق إلا على أنقاض السلطنة ، وينصحه أن يحتفظ بملايينه لأنه يفضل أن يقطع الموضع من جسمه ولا تقطع فلسطين من جسم السلطنة العثمانية ، وإنه حين تتجزأ الامبراطورية الإسلامية فإن اليهود قد يأخذون فلسطين بلا مقابل<sup>(٢)</sup> ...

وقد اتصل هرتزل بعدة دول أوروبية ؛ من بينها ألمانيا وبريطانيا اللتان حاولتا مساعدة هرتزل لإنشاء وطن قومي لبني قومه ، فعرضتا

(١) واحسرتاه لقد حققت الصهيونية هدفها بواسطة بعض الحكام المرتزقة ، واكن نهايتها قريبة لأن الأمة التي أنجبت عمر وصلاح الدين وعبد الحميد لازالت باقية .

(٢) راجع جنود البلاء : ص ١٤٩ وما بعدها .

عليه قبرص ويوغندا ليختار إحداها ، إلا أن اليهود رفضوا العرض .  
وأخيراً طلبوا سيناء ولم يتحقق ذلك ، ولكن اليهودية العالمية أصرت  
على فلسطين لتكون وطناً لهم متكفين على دول أوروبا النصرانية ، وعلى  
رأسها بريطانيا ، وبالفعل فقد تحققت أمانيتهم وبذلك كانت إسرائيل  
بنت بريطانيا البكر .

ومن أهم أعمال هرتزل قبل وفاته سنة ١٩٠٤ م :

١ - جمع زعماء المنظمات اليهودية إلى أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة  
١٨٩٧ م - بعد مرور قرن كامل على اجتماع المجمع اليهودي العالمي في  
عهد نابليون - وسمي ذلك الاجتماع الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا  
بالمؤتمر الصهيوني الأول ، وتقرر أن ينعقد هذا المؤتمر سنوياً .

٢ - صهر هرتزل في ذلك المؤتمر والمؤتمرات اللاحقة الكتل اليهودية  
المتنافرة في أهدافها وخططها ، وأصبح يمثل في المؤتمر جميع يهود العالم  
بدون اختلاف .

٣ - نجح هرتزل في جمع حكماء صهيون الذين صدر عنهم أخطر  
مقررات - بروتوكول - في تاريخ العالم ، والمراد بحكماء صهيون ، الدهاة  
من شيوخهم ومفكريهم ، الذين يعتبرونهم أعلى كعباً من جميع رجال  
الفكر في العالم ، وهم متوارثو ومنفذو تعاليم التلمود جيلاً بعد جيل  
سراً وعلناً . ويرجع بعض المؤرخين أن واضع المقررات السرية لحكماء

صهيون هو اليهودي سيكفرا ؛ من أهالي كييف ، ومؤسس الجمعية السرية الصهيونية ابن موشي<sup>(١)</sup> ... الخ .

وحين انتهى المؤتمر الصهيوني الأول - الذي رأسه هرتزل - أصدر قرارات علنية وأخرى سرية ؛ و خلاصة القرارات العلنية :

العمل على تأسيس دولة لليهود في فلسطين ، ويمهد ذلك بتقوية الحركة الزراعية وشراء الأراضي لليهود في فلسطين ، وتنمية موارد اليهود المالية ، وإنعاش الثقافة العبرية والمشاعر الوطنية بين جميع اليهود .

أما المقررات السرية فقد اكتشفت بطريقة بوليسية جريئة على يد البوليس السري الروسي ، الذي كان يتعقب نشاطات الجمعيات السرية اليهودية في سويسرا ، وأخيراً استطاع رجال البوليس السري القيصري أن يداهم المؤتمرين الصهاينة ، بعد إشعال النار في مكاتبهم والغرف المحيطة باجتماعهم ، وأن يضع يديه على الأوراق والمحاضر التي كانت قد خططت لها الصهيونية في ذلك المؤتمر<sup>(٢)</sup> .

وقد حاول اليهود إنكار هذه المحاضر السرية ، إلا أن الأدلة توفرت لإثبات صحتها وصدورها عن حكماء اليهود ، وأن الأدلة القاطعة على صحة المقررات وما حوته من خطط يهودية جهنمية ؛ هو تنفيذ ما ورد

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) راجع الصهيونية في الميزان - جذور البلاء - بروتوكولات حكماء صهيون .

فيها من خطط ودسائس ومؤامرات ، ومن يقرؤها - وقد صدرت في القرن التاسع عشر - يدرك اليوم إلى أي مدى تحقق الكثير مما ورد فيها .

ونظراً لأن تلك المقررات اعتبرت دستور الصهيونية العالمية السري ، فلا بد من ذكر خلاصتها في هذا البحث لتم الصورة عن وسائل التنفيذ ، التي يستخدمونها - اليهود - في تحقيق أغراضهم .

أضع بين يدي القارئ الكريم بعض مقتطفات من خطة الصهيونية الكبرى ، للسيطرة على العالم - عن طريق هدم كل ما فيه من قوى - والتي اكتشفت وذاع سرها للمرة الأولى في أواخر القرن التاسع عشر . وهي الخطة المشهورة باسم : بروتوكولات حكماء صهيون . وقد تعين على تدبر بعض ما ذكرت :

١ - ومما جاء في البروتوكول الأول<sup>(١)</sup> : يجب أن ننظر إلى أولئك السكارى ، الذين قد تبلدت أذهانهم بفعل الخمر ، أن الحرية أتاحت لهم هذا الإفراط والإدمان ... إن الشعب لدى النصارى أصبح متبلداً تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر ، الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات ، اللاتي تعلمن في أماكن اللهو . ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف .

وجاء فيه أيضاً : لقد كنا أول من صاح في الشعب فيما مضى

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون

بالحرية والإخاء والمساواة ، تلك الكلمات التي راح الجهلة في أنحاء المعمورة يرددونها بعد ذلك دون تفكير أو وعي . إن نداءنا بالحرية والإخاء والمساواة اجتذب إلى صفوفنا من كافة أركان المعمورة - وبفضل أعواننا - أفواجاً بأكملها لم تلبث أن حملت لواءنا في حماسة .

٢ - وما جاء في البروتوكول الثاني : يلزم لغرضنا ألا تحدث أي تغييرات إقليمية عقب الحروب ، فبدون التعديلات الإقليمية ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادي ، وعندئذ تتبين الأمم تفوقنا في المساعدة التي سنقدمها ، وإن اضطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوي ملايين العيون ، الذين يملكون وسائل غير محدودة على الإطلاق ، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم ، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته التي تحكم به الحكومات الفردية رعاياها ، وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد ، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا إلى قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة المبكرة .

وما جاء فيه أيضاً : ... والأمميون - من غير اليهود - لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة ، بل يتبعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه ... ومن أجل ذلك لسنا في حاجة إلى أن نقيم للأميين وزناً . . . .

وما جاء فيه : ... إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها

بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصلتها من العلم ، الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولهم ، حسب الاتجاه الذي توخيناه . وقد جاء فيه أيضاً : ... لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأُمِّي - غير اليهود - سيكون واضحاً لنا على التأكيد ...

وجاء فيه أيضاً : ... إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة ، التي بها نحصل على توجيه الناس ، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء ، وإن تحقيق حرية الكلام قد تولد في الصحافة غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة فسقطت في أيدينا ، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً وبقينا نحن وراء الستار ، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم ، فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا ، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأُميين - غير اليهود - أمام الله<sup>(١)</sup> .

٣ - وجاء في البروتوكول الثالث : أستطيع اليوم أن أوكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ، ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية - شعار شعبنا - دورتها ، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوروبا محصورة فيها بأغلال لا تكسر ...

(١) انظر المصدر السابق ، وجلودر البلاء .



إن كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سريعاً؛ لأننا على الدوام  
نفقدها توازنها كي نبليها بسرعة أكثر ونحقق كفايتها ، وقد أقمنا  
ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات ،  
وسرعان ما ستنتلق الفوضى وسيظهر الإفلاس في كل مكان ، ونحن  
نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق  
والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من  
يصدوننا عن سبيلنا ....

وجاء فيه أيضاً : تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى ،  
إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا .  
ونحن من ذلك الحين نقود الأمم من خيبة إلى خيبة ، حتى إنهم سوف  
يتبرؤون منا لأجل الملك الطاغية من دم صهيون ، وهو الملك الذي نعده  
لحكم العالم ، ونحن الآن - كقوة دولية - فوق المتناول؛ لأنه لو هاجمتنا  
إحدى الحكومات الأهمية لقامت بنصرنا أخريات ...

وجاء فيه أيضاً : ... إن النصارى من الناس في خستهم الفاحشة  
ليساعدوننا على استقلالنا حينما يخرون راکعين أمام القوة ، وحينما  
لا يرثون للضعيف ولا يرحمون في معالجة الأخطاء ويتساهلون مع الجرائم .  
وحينما يرفضون أن يتبنوا متناقضات الحرية ، وحينما يكونون صابرين  
إلى درجة الاستشهاد في تحمل قسوة الاستبداد الفاجر ....

ومما جاء فيه : ... إن كلمة الحرية تزج المجتمع في نزاع مع كل

القوى ، حتى قوة الطبيعة وقوة الله ، وذلك هو السبب في أنه يجب علينا - حين نستحوذ على السلطة - أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية ، باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسح الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء... ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم ، وفي تلك اللحظة يكون يسيراً علينا أن نسخرها وأن نستعبدها ، وهذه الحيوانات إذا لم تُعط الدم فلن تنام بل سيقاتل بعضها بعضاً .

٤ - وجاء في البروتوكول الرابع : ... ثم لكي نحول عقول النصارى<sup>(١)</sup> عن سياستنا سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة ، وهكذا سننصرف كل الأمم إلى مصالحها ولم تفتن في هذا الصراع العالمي إلى عدوها المشترك ، ولكن لكي تزلزل الحرية حياة الأُميين الاجتماعية زلزالاً وتدمرها تدميراً ، يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة... وستكون نتيجة هذا أن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر في أيدي الأُميين - غير اليهود - بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا .

... إن الصراع من أجل التفوق والمضاربة في عالم الأعمال ، سيخلقان مجتمعاً أنانياً غليظ القلب منحل الأخلاق ؛ هذا المجتمع سيصير منحللاً كل الانحلال ومبغضاً من الدين والسياسة ، وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد ، وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب

---

(١) اختصت بالنصارى لأنهم أكثر عدداً وأعظم قوة من غيرهم .

متخذاً للذات المادية - التي يستطيع أن يمد بها الذهب - مذهباً أصيلاً ، وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسينا ، الذين هم الممتازون من الأميين ، دون احتجاج بدافع نبيل ولا رغبة في الثورات أيضاً ، بل تنفيساً عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا (١) .

٥ - وجاء في البروتوكول الخامس : ... في كل الأزمان كانت الأمم - مثلها مثل الأفراد - تأخذ الكلمات على أنها أفعال ، كأنما هي قانعة بما تسمع ، وقلما تلاحظ ما إذا كان الوعد قابلاً للوفاء فعلاً أم غير قابل ، ولذلك فإننا - رغبة في التظاهر فحسب - سننظم هيئات يبرهن أعضاؤها بالخطب البليغة على مساعداتهم في سبيل التقدم ويشنون عليها (٢) . وسنزيف مظهرًا تحريراً لكل الهيئات وكل الاتجاهات . كما أننا سننضفي هذا المظهر على كل خطبائنا ، وهؤلاء سيكونون ثرثارين بلا حد ، حتى إنهم سينهكون الشعب بخطبهم وسيجد الشعب خطابه من كل نوع أكثر مما يكفيه ويقنعه .

ولضمان الرأي العام يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة ؛ بتغييرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأميون في متاهاتهم ، وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو أن لا يكون لهم رأي في المسائل السياسية ؛ هذه المسائل لا يقصد منها أن

(١) راجع بروتوكولات حكماء صهيون .

(٢) هذه حقيقة جديرة بالالتفات في السياسة ؛ فالزعماء الدجالون يلجؤون إلى تضليل الشعوب بالوعود البراقة ، وإن الجماهير تميل دائماً إلى تصديقهم ، غفلة أو أملاً كاذباً في تغيير الحال ، أو ثقة زائفة بالزعماء أو كل ذلك ونحوه . . .

يدركها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب .  
ومما جاء فيه أيضاً : ... وسنضع موضع الحكومات القائمة مارداً  
يسمى : إدارة الحكومة العليا . وستمتد أيديه كالمخالب الطويلة المدى ،  
وتحت إمرته ، سيكون له نظام يستحيل معه أو يفشل في إخضاع كل  
الأقطار ....

٦ - وجاء في البروتوكول السابع : إن ضخامة الجيش وزيادة القوة  
البوليسية ضروريتان لإتمام الخطط السابقة الذكر ، وإنه لضروري لنا  
- كي نبذل ذلك - ألا يكون إلى جوانبنا في كل الأقطار شيء بعد إلا طبقة  
صعاليك ضخمة ، وكذلك جيش كثير وبوليس في كل أوروبا ،  
وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات  
والعداوات المتبادلة ، فإن في هذا فائدة مزدوجة ، فأما أولاً : فهذه  
الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا  
القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد ، مع قدرتنا على إعادة النظام ،  
وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة  
متى لزم الأمر .

وأما ثانياً : فبالمكائد والدسائس سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا  
التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات ، ولم نحكمها بسياستنا  
فحسب ، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً .

ولكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوي على كثير من

الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات ، ولكننا فيما يسمى اللغة الرسمية سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك ، كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية<sup>(١)</sup> .

وجاء فيه أيضاً : ... وبهذا سننظر إلينا دائماً حكومات الأُميين - التي علمناها أن تقتصر في النظر على جانب الأمر الظاهري وحده - كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية . وبإيجاز : من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأُممية في أوروبا ، سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف ، وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب . وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية .

٧ - وجاء في البروتوكول التاسع : عليكم أن توجهوا التفاتاً خاصاً - في استعمال مبادئنا - إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التي أنتم بها محاطون ، وفيها تعملون ، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها في استعمال مبادئنا بكل مشتملاتها حتى يعاد تعليم الأمة بآرائنا ، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد في استعمال مبادئنا فستكشفون أنه - قبل مضي عشر سنوات - سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً ، وسنضيف كذلك أمة أخرى إلى مراتب تلك الأمم التي خضعت لنا من قبل .

(١) هذا يعني أن موقفهم كان مراوغة ، سواء في أولم يف ، وهذا هو دينهم الدائم في المراوغة والتصيد لإيقاع الناس في شركهم ، وما أكثر البسطاء من أبناء أمتنا المخدوعين بمراوغتهم وتضليلهم ، وقد يعيد التاريخ نفسه ونحن الذين قرأناه وعرفنا ما يدبره هؤلاء ، أعداء الله لهذا الإسلام ، الذي سيتصر يوماً رغم أنوف أعدائه .

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية والمساواة والإخاء ، وسوف لا نبدل كلمات شعارنا بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة وسوف نقول : حق الحرية ، وواجب المساواة ، وفكرة الإخاء ، وبها سنمسك الثور من قرنيه ، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا ، وإن تكن هذه القوى الحاكمة نظرياً ما تزال قائمة ، وحين تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر ، فإنما ذلك أمر صوري متخذ بكامل معرفتنا ورضانا ، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية ؛ كيما نتمكن من حفظ إخواننا الصغار في نظام .

ومما جاء فيه : ... ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأُميين وجعلناه فاسداً متعفنأ ، بما علمناه من مبادئ معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها ، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل ، بل بتحريفها في بساطة ، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشرعوها .

٨ - وجاء في البروتوكول الرابع عشر : حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا : أي الدين المعترف بوحدانية الله ، الذي ارتبط خطنا باختياره إيانا ، كما ارتبط به مصير العالم . ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وأن تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين<sup>(١)</sup> ، فلن يدخل هذا في

---

(١) ليلاحظ أن علماء اليهود يجدون بكل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية =

موضوعنا ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة ، التي ستصغي إلى  
تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا - بعقيدته الصارمة - واجب  
إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا .

## خلاصة بعض محاضرات حكماؤه صهيون

ومما جاء في خلاصة بعض مقررات حكماؤه صهيون - خلاصة المحاضر  
العاشر<sup>(١)</sup> : لا بد من تحطيم الأسرة غير اليهودية والقضاء على تأثيرها  
الثقافي ، وأن نحول دون خروج أي رجل ذكي من قبضتنا ، وعلينا  
أن نقيم حكومات أوتوقراطية يسهل العبث بها ، وإخضاعها علناً عن  
طريق تركيز السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في أقل عدد من  
المرتشين ، وعلى رأسهم الكبار من وكلائنا الذين ينفذون الخطط بحسب  
إرشاداتنا ، والاتجاه إلى السرية التامة في نشاطنا السياسي هو السبيل إلى  
النجاح .

المحاضر الثاني عشر : سنسقط نير سلطاننا على الصحافة الحزبية ،  
ونفرض رقابة صارمة تحول دون نشر أي شيء يمسننا قبل الرجوع إلينا .

= والسياسية والفكرية والبيولوجية ؛ مثل مذهب دوركايم والشيوعية والوجودية ومذهب  
التطور والسرالية . . . وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن ، متوسلين به إلى نشر  
الإلحاد ونسف الإيمان بين النفوس ، وأن تلاميذهم من المسلمين والنصارى يروجون  
لآرائهم الهدامة بين الناس جهلاً وكبراً ، وفي بلادنا العربية والإسلامية التي أنيط بها قيادة  
الأمم وحمل راية التوحيد ؟ !

(١) جلور البلاء : ص ٥٦ .

لن يمر نبأ في وكالات الأنباء التي نسيطر عليها دون رقابتنا ، وسنفرض الرسوم الكبيرة على الكتب القيمة ، ونرفع الرسوم عن الكتب الصغيرة والنشرات ليكثر الكتاب من الإنتاج الرخيص التافه ويحجم العلماء عن التأليف ، وسنخفض الضرائب على كتب التسلية ، وسوف نشترى الصحف الدورية لاستخدامها في الرد على الصحف المستقلة البعيدة عن قبضتنا . . . .

المحضر التاسع عشر : لكي ننزع عن الجرائم السياسية هالة البسالة والتقدير ، علينا أن نضع المجرمين السياسيين في صف المجرمين العاديين وأن نساويهم باللصوص والقتلة وباقي المجرمين الذين يرتكبون الجرائم البشعة ، وأخيراً يخلط الرأي العام بين الجرائم السياسية والعادية ، وينظر إلى الجميع باشمئزاز واحتقار .

المحضر العشرون : إننا نعمل على أن تحل القروض الأجنبية محل الوطنية ، لتنهال ثروات الشعوب على خزائننا ، ولا يدرك غير اليهود بعقولهم الحيوانية أنهم باقتراضهم المال منا سوف يضطرون إلى استنزاف رأس المال الذي اقترضوه وفوائده من مواردهم . . . . إن استلاءنا على ثروات العالم عن طريق الأسهم والسندات سيضطر الحكومات إلى طلب العون المالي من مصارفنا وخزائننا ، فتقع هذه الحكومات في قبضة الرأسماليين منا .

المحضر الرابع والعشرون : لا بد أن يكون ملكاً من أسرة داود ، تحيط به نخبة من حكماء صهيون ، وأن يكون بعيداً عن الشهوات الجنسية



متواضعاً ، يختلط بشعبه في الساحات العامة ، يجب أن يكون خالياً  
من كل عيب ، ويضحى بكل شهواته في سبيل شعبه ، وأن يكون رمزاً  
للغزة والمهابة والقوة .

## بعض أقوال زعماء الصهاينة

يقول الدكتور أوسكار ليفي : نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم  
ومفسديه ، ومحركي الفتن فيه وجلاديه .

وقال زعيم صهيوني آخر - وهو ناحوم سوكلوف - في ٢٧ آب  
١٩٢٢ م . أمام مؤتمر (كارلسباد) الصهيوني : إن عصابة الأمم هي فكرة  
يهودية ، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة .

كذلك يقول هنري جورج<sup>(١)</sup> : من بين قدمي أبي الهول الضخمة  
يصعد رمز الحرية ، ومن خلال أبواب الخروج ترتفع بفخر شرعة  
حقوق الإنسان<sup>(٢)</sup> .

وفي القرن الثامن عشر عندما استشير (بنجامن فرانكلين) و (توماس  
جفرسون)<sup>(٣)</sup> في موضوع اختيار شعار مناسب للاتحاد الأمريكي العتيد ،  
اقترحا أن يحمل شعار الولايات المتحدة صورة بني إسرائيل وهم يقطعون

(١) من رجالات وأدباء الولايات المتحدة في أواخر القرن الماضي .

(٢) انظر التوراة تاريخها وغاياتها - ترجمة سهيل ديب .

(٣) هما من زعماء الثورة الأمريكية ، وواضعي دستور الولايات المتحدة .

البحر الأحمر المنشق أمامهم ، وهم يتجهون نحو الحرية . وفوق ذلك العبارة الآتية : مقاومة الحكام المستبدين هو من إطاعة الله .

وقال بن غوريون<sup>(١)</sup> - وهو غني عن البيان والتعريف - في مقابلة له مع مجلة تايم في ١٦ آب ١٩٤٨ م : إن هدف الأمم المتحدة هو مثل أعلى يهودي .

يقول ناحوم جولدمان : لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم ، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ٣ آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ، وليس أيضاً لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل ٢٠ مرة مخزون الأمريكتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا ، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم<sup>(٢)</sup> .

أما أبا إيبان فيقول بكل بساطة : ... وأصبح خروج بني إسرائيل من مصر في الكثير من المحاضرات واللغات الأخرى رمزاً للتحرر الوطني والاجتماعي<sup>(٣)</sup> .

(١) أحد رؤساء وزارات إسرائيل السابقين ، ولد في بولونيا ، وهو عرقي متعصب لا يمت إلى فلسطين بصلة . والله في خلقه شؤون ! ! ؟ . وهو القائل عند دخوله بيت المقدس بعد هزيمة ١٩٦٧ : لقد استولينا على أورشليم الآن . . . ونحن في طريقنا إلى يثرب ! ! ! تنبهوا يا مسلمون ! ؟ . فهل من مدكر . ! ! ! ؟

(٢) لقد كان ناحوم جولدمان رئيساً للمؤتمر اليهودي العالمي ، ولقد وردت عبارته هذه في خطاب ألقاه في مدينة مونتريال بكندا عام ١٩٤٧ ، ونشرتها جريدة الاتحاد الوطني الناطقة بالفرنسية في مونتريال عدد / ١٢ لعام ١٩٥٣ م .

(٣) انظر التوراة ، تاريخها وغاياتها : ص ٦٥ .

ويقول بن غوريون : لسنا عمياناً ، إننا على علم أكيند بأن فلسطين ليست بلداً خاوياً ، بل إننا نعرف أن ملايين العرب يسكنون في الأراضي الواقعة على ضفتي نهر الأردن الغربية والشرقية ، كما أن هناك ملايين وملايين من العرب ، الذين قطنوا فلسطين منذ آلاف السنين ، وأنهم يعتبرون أنفسهم بحق أبناء فلسطين ، ولكن شاء العرب أم لم يشاؤوا فإن فلسطين هي حلم اليهود منذ ثلاثة آلاف سنة .

وقوله : ليس العرب في حاجة إلى شراء أراضي فلسطين لأنها أراضيهم ، وليسوا في حاجة إلى هجرة عرب إلى فلسطين لأنهم هم أصحابها الشرعيون وهم يقيمون فيها ... إن كل شيء في فلسطين هو ملك للعرب ما عدا الحكومة ، أما نحن اليهود فعلينا وحدنا تقع مسؤوليات شراء الأراضي والهجرة إلى فلسطين والاستقلال بالحكومة . إننا نحارب في سبيل الأمة اليهودية في فلسطين ، ولسنا نحارب لسلامة ٤٠٠ ألف يهودي فقط مقيمين في فلسطين<sup>(١)</sup> .

وقال أوسكار ليفي : العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية . ونحن الذين اخترعنا حكاية الشعب المختار ، والذين نصبنا أنفسنا مخلصين للعالم . ونتباهى بخروج المسيح منا . لسنا اليوم سوى مفسدين في العالم ومخربين له ومدمرين . ونحن الذين وعدنا أن نقودكم إلى الجنة والسعادة ، نقودكم فعلاً إلى الجحيم الجديد<sup>(٢)</sup> . ا.هـ .

ونحن نقول : من فمك ندينك . كما نترك التعليق للقراء !!! .

(١) انظر القدس العربية : ص ٦٦ . للأستاذ محمد أديب العامري .

(٢) انظر جنور البلاء : ص ٦٠ .

وقال العالم «بفافر كن» حول امتلاك اليهود لأملاك الغير: إن ممتلكات النصراني بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار . وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكها الأصيل ا.هـ. والتلمود الذي لا يبارى في هذا الموضوع يقول بشدة : كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات أمم الأرض دون أن يحتملوا عناء العمل<sup>(١)</sup> .

إن الرباني مناشيم يقول : أنتم يا أبناء إسرائيل رجال ، أما الأغيار فلا يمتون إلى الرجولة بنسب . نفوسكم متسلسلة من روح الله ، أما نفوسهم فمنحدرة من الروح النجس<sup>(٢)</sup> .

نريد أن ننبه أنه لا يجوز للحكومات أن تعامل اليهود على قدم المساواة مع أهل الأديان الأخرى ؛ لأن لهم آداباً أخرى تختلف عن آداب الشعوب ، واعتقادات إلحادية إباحية مضلة ، وهم معلمو الغش والرشوة والخداع والسرقة والربا والسطو على مال الآخرين بالطرق الملتوية الماكرة ... الخ . ا.هـ .

أيها العرب والمسلمون ، لقد دنس الصهاينة أقدس المقدسات ، فهذه فلسطين المغتصبة تناشدكم بالله أن تطهروا أرضها من دولة العصابات اللقيطة !!! . لأنه إذا - لا قدر الله - استطاع صهيون أن يشيد دولة

(١) همجية التعاليم الصهيونية .

(٢) مجلة الربانيين الإسرائيلية - عدد ١٥ - سنة ١٩٦٧ م : ص ٧١١ . عن جمعية التعاليم الصهيونية .

في الأراضي المقدسة فقولوا : على العرب والمسلمين السلام - عظم الله  
أجركم - وذلك بالاعتراف بوجودهم كدولة في قلب أمتنا .

أبناء أمتي ؛ هذه صرختي إليكم ، فانقشوا كلماتي على صفحات  
قلوبكم ، واعلموا أن عقيدة الإسلام ورسالة التوحيد أمانة في أعناقكم .  
إنكم غداً مسؤولون عن التفريط في القدس ، وثقوا أن فلسطين إذا  
سلخت عن عالمنا العربي والإسلامي - والتي هي بمثابة القلب في الجسد -  
إذا سلخت عن عالمنا كتبت عليكم الذلة والمسكنة إلى الأبد .

فاجمعوا صفوفكم ، ووحّدوا كلمتكم ، وأشعلوها حرباً مقدسة في  
نصرة أولى القبلتين ، وإنقاذ الحق وتحرير الأقصى المبارك . والله معنا  
وناصرنا . إنه نعم المولى ونعم النصير .

## محاربة الصهيونية للإسلام

قبل الحديث عن محاربة الصهيونية للإسلام في القرن العشرين ،  
لابدّ من الإشارة إلى بروتوكولات حكماء صهيون ؛ وهي الأسس الرئيسية  
التي اعتمدها الصهيونية في تطبيقاتها العملية في ميدان الحياة ، وخاصة  
ما يتعلق منها بالعقائد والأديان والأخلاق . والتي فيها يقولون : عندما  
نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا . من أجل ذلك يجب  
إزالة العقائد<sup>(١)</sup> . وكذلك لابدّ من الإشارة إلى أعمال أجداد الصهاينة

(١) انظر أساليب الغزو الفكري : ص ١٧٥ . ولمزيد من البيان راجع البروتوكول - ١٤ .

ومراجعتها ؛ أولئك الذين كانوا أول معاول هدم في التاريخ ، وحسبنا الإشارة لموقفهم المناهض للأديان منذ بعثة سيدنا عيسى عليه السلام ، وكيف دبروا مؤامرة اغتياله ولكن الله حفظه وسلمه من بطشهم وإجرامهم . أما موقفهم من الإسلام ورسوله الأعظم ﷺ فقد بينت ذلك الصفحات السابقة .

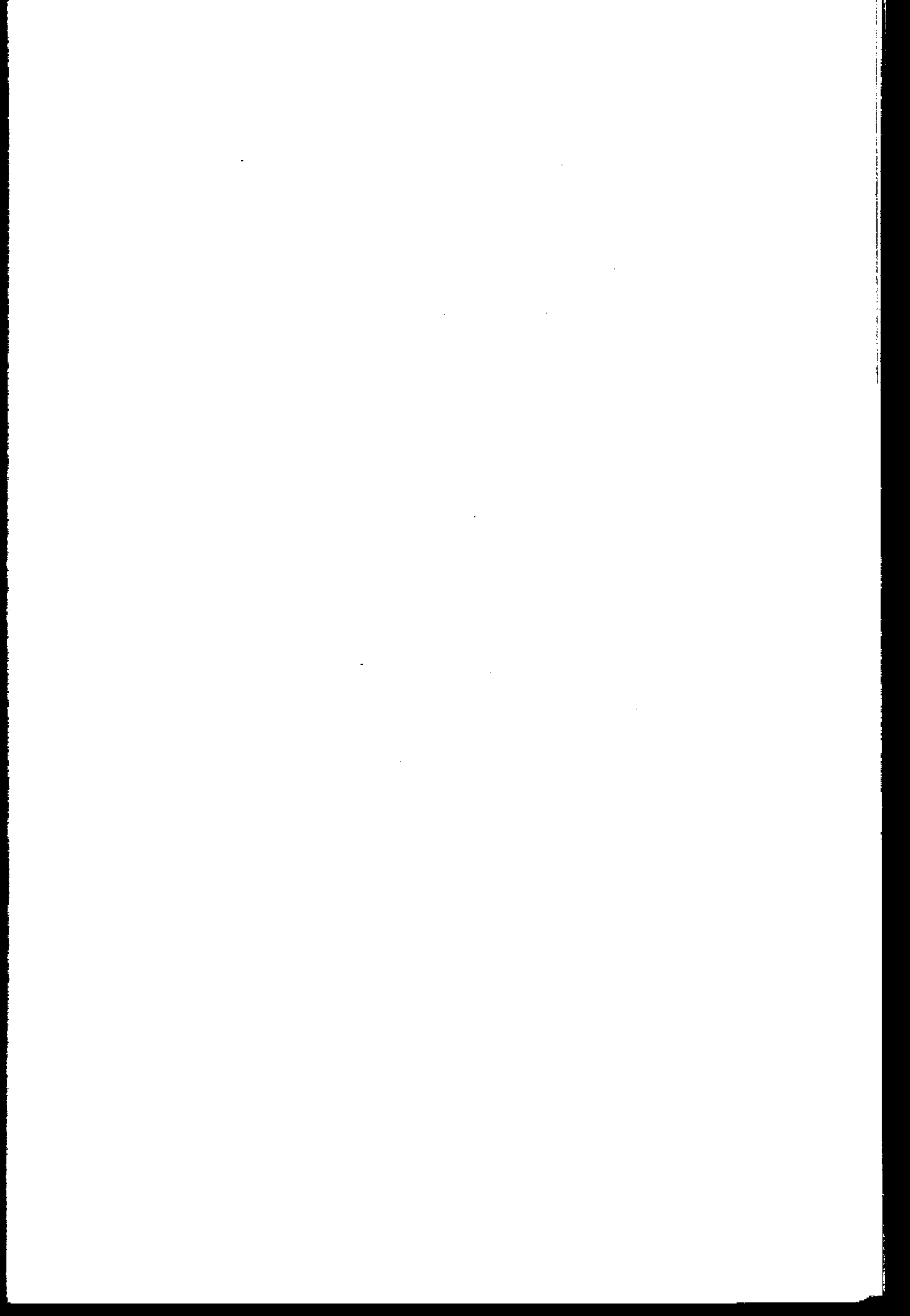
وحول تطبيقات الصهاينة لمخططاتهم المناهضة للعقيدة والإسلام خاصة<sup>(١)</sup> بعد احتلالهم لفلسطين وسقوطها بأيديهم عام ١٩٤٨ م - فحدث ولا حرج . ومن هذه الأعمال البربرية : عدم تدريس التاريخ الإسلامي وما يتعلق بحاضر المسلمين وماضيهم . كما أنهم لجؤوا إلى تجهيل طلبة المدارس بماضي أجدادهم العرب المسلمين ، وحضارتهم الرائدة وتشويه تاريخ المسلمين ، بالإضافة إلى بث سمومهم وأحقادهم في كل ما يتعلق بالتراث الإسلامي ، حتى إنهم شوّهوا مبادئ التربية الإسلامية ، وحذفوا كثيراً من المناهج التي كان معمولاً بها في عهد الحكومة الأردنية إبان حكمها للصفة الغربية قبل عام ١٩٦٧ م . ومن ناحية أخرى فهم يجبرون التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها ، والديانة اليهودية وحفظ التوراة - المحرفة - ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الإسلامي<sup>(٢)</sup> .

(١) هكذا طبق الصهاينة الأحقاد ما التزم به الصهاينة الأجداد من مخططات ، أما نحن معشر العرب والمسلمين فقد تنكرنا لحقنا وما أمرنا به من قبل ربنا ، وما جاء في قرآنا الذي فيه قوتنا وعزتنا . ونحن أحق بهذا الحق فلنطبقه ليعود لأمتنا دورها القيادي على هذا الكوكب .  
(٢) بتصرف عن أساليب الغزو الفكري . للدكتور علي محمد جريشة ورفيقه : ص ١٧٥ .

لقد تناولت الصهيونية على القرآن الكريم فطبعت في عامي ١٣٨٠هـ -  
١٣٨٨هـ نسخاً مزورة من المصحف الشريف ، أسقطت منها بعض  
الألفاظ أو بعض الآيات ، وأحياناً سورة بحذفها ، أو تناولت بعض  
الألفاظ بالتحريف -تبتغي بذلك تحريف بعض المعاني القرآنية والتشكيك  
في كتاب الله - بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد ، حريصين على تعقب  
كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة  
دون تداولها<sup>(١)</sup> .

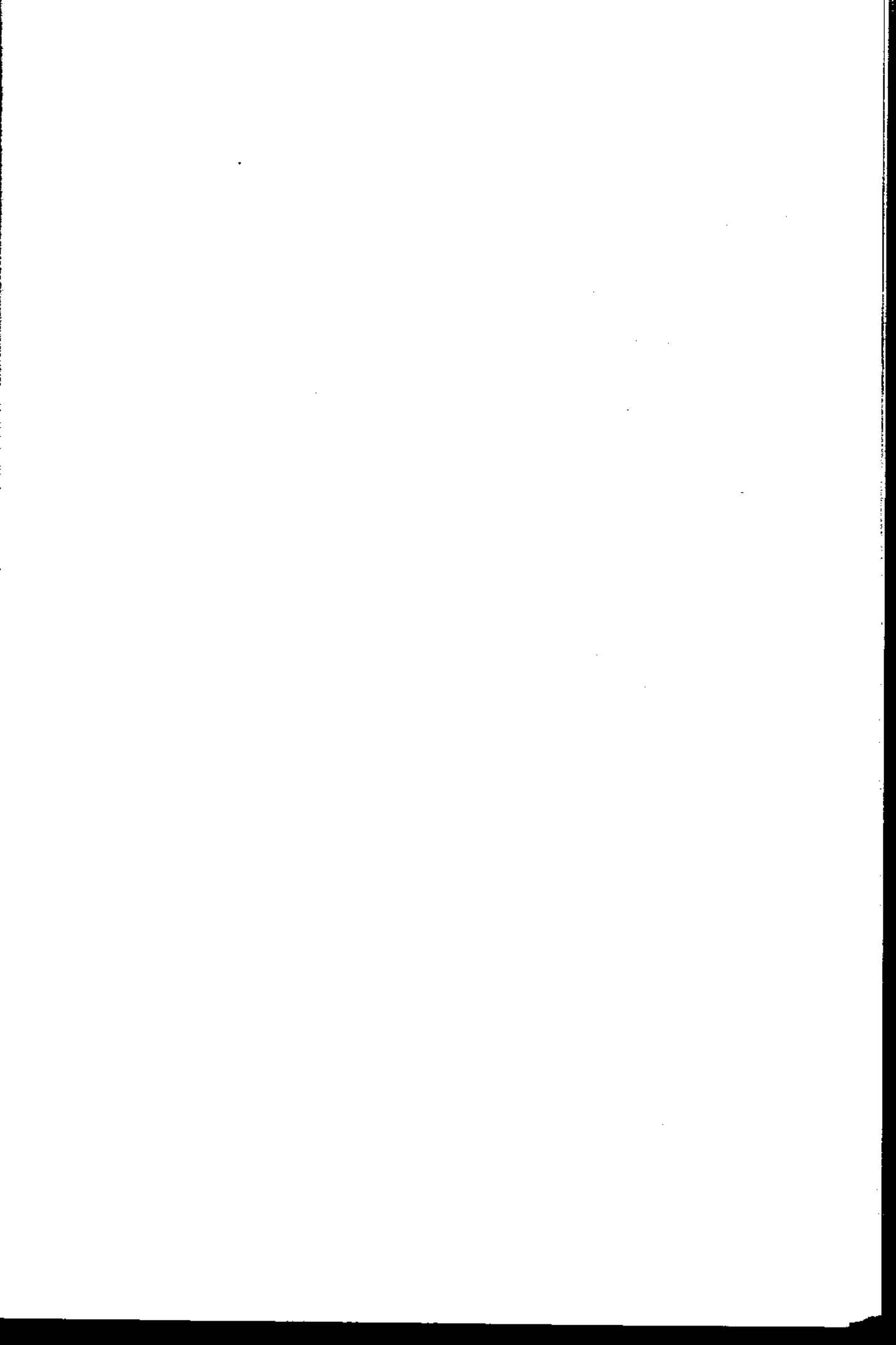
هذه هي بعض سمات اليهود الذين غضب الله عليهم ولعنهم ، فقد  
عرف ضلالهم ونفاقهم وتحريفهم منذ عهد غابرة ، حتى إنهم حرفوا  
توراتهم التي يدعون أنها لا زالت على حقيقتها كما نزلت من عند الله !!  
وقد فضحهم القرآن الكريم وكشف زيفهم وبهتانهم وضلالهم .  
هكذا حاربوا الإسلام وأهله وتآمروا عليه عبر العصور - ولا يزالون -  
على منهاج آبائهم وأجدادهم الخبيثاء ، الذين وسموا بالمكر والخداع  
والتشويه . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

(١) انظر كتاب أساليب الغزو الفكري : ص ١٧٥ .





# تدمير العقيدة الإسلامية



## تدمير العقيدة الإسلامية

استهدف التخطيط الصهيوني أكثر ما استهدف العقيدة الإسلامية ؛ مع أن دين الإسلام لن يمحي من الأرض ، فلقد تعهد بحفظه الله سبحانه وتعالى وحين يتعهد الله !!! ! نعرف نحن من الذي تعهد ! إنه ليس زعيم أو حاكم أخذته نشوة حماس المصنفين والهاتفين في ساحات المهرجانات .

وفي هذه الأيام يجري تدمير العقيدة الإسلامية وتشويه حقائق التاريخ على أيدي السلطات الصهيونية بأساليب مختلفة ووسائل متنوعة منها : التشكيك في صحة القرآن الكريم وحوادث التاريخ والسيرة النبوية وغيرها ؛ ومن ذلك ما ورد في كتب التاريخ التي يضعونها كمناهج للتعليم حيث يلقنونها للطلاب العرب والمسلمين ، وفيها اختراع الأكاذيب والحوادث . نقتطف بعضاً منها كما ورد في المنهاج :

[ ففي سنة ٦٥٣ هـ . ظهر أهم اختلاف في قراءات القرآن أثناء غزوة أرمينية بين جيوش الشام وجيوش العراق ، ويقال: إن هذا الاختلاف أدى إلى اشتباكات بين الجنود ، نظراً لما كان من التوتر بين سكان هذين القطرين<sup>(١)</sup> ] .

(١) سلمان فلاح - التاريخ للصف العاشر : ج ١ . وزارة المعارف والثقافة - أورشليم - ص ٤٣ نقلاً عن كتاب التحدي الصهيوني في مناهج التعليم العربي في إسرائيل .

ثم يستطرد ويشكك الناشئة بصحة الوحي الذي تنزل على رسول الله ﷺ وفي مصدره فيقول : [ وكانت الأصوات التي سمعها النبي تختلف عليه ، وسمع مثل صلصلة الجرس إلى أن جاءت سور المدينة فإذا الصوت واحد<sup>(١)</sup> ] .

ويتلاعب في آيات القرآن فيحرف ويزيد . ومثال ذلك ما يلي :  
الآية كما وردت في المنهاج الإسرائيلي : [ هل الذي جعل الأرض ذلولاً<sup>(٢)</sup> ] .  
والصواب : ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا )<sup>(٣)</sup> .

وهناك آيات أخرى كثيرة ورد فيها التلاعب والتحريف والتشويه نذكر من بينها : [ وكل عام وأنتم بخير ، وفديناه بذبح عظيم ] .  
والصواب : ( وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ )<sup>(٤)</sup> . وما عداه كلام ليس من كتاب الله الذي تعهد بحفظه سبحانه وتعالى فقال : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )<sup>(٥)</sup> .

هذا غييض من فيض ذكرته لك أيها القارىء لتعرف نفسك وموقف عدوك من دينك ، فقد استخدم كل معاوله لهدم الإسلام وتخريبه .  
وليعلم كل مسلم - حاكماً أو محكوماً - بأنه سيسأل عن تقصيره تجاه إسلامه ، ولن يفلت من العقاب .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) سامي فريغيت - سنايل من حترول - الأدب : ج ٢ للصف السادس - دار النشر العربي  
تل أبيب - ص ٢٦٠ عن كتاب التحدي الصهيوني .

(٣) سورة الملك : ١٥ .

(٤) سورة الصافات : ١٠٧ .

(٥) سورة الحجر : ٩ .

اللهم إليك المشتكى والملاذ . فاصرع بجبروتك جند أعدائك فهم  
لا يعجزونك . سبحانك إنك أنت القوي المتعال .

## فتوى إسرائيلية جديدة

نشرت بعض الصحف العربية صورة زنكوغرافية لفتوى صادرة عن  
الحاخام الأكبر لقيادة الجيش الإسرائيلي - كما نشرتها مجلة هعولام  
هذه الإسرائيلية - وقد تضمنت هذه الفتوى ما يلي :

١ - تصطدم قواتنا بمدنيين في الحرب أو في مطاردة أو عملية غزو ،  
فطالما لم يكن هناك تقدير أكيد بأن هؤلاء المدنيين غير قادرين على جلب  
الضرر لقواتنا ، من المسموح - بل من الواجب - حسب تعاليم التوراة -  
قتل هؤلاء المدنيين .

٢ - يجب عدم الثقة بأي عربي في أية حالة .

وقد ذكرت تلك المجلة الإسرائيلية أن الفتوى تخص كل المدنيين  
العرب بدون استثناء ، وأضافت تقول إن الفتوى أثارَت ضجة في  
الجيش ، وصدر الأمر بعدم توزيعها علناً ، ويبدو أن ذلك حدث لتلافي  
الفضيحة الخطيرة ، لأن قيادة الجيش لا تريد إقناع الجنود بما جاء بها<sup>(١)</sup> .

ويظهر أن الحاخام الأكبر يريد بتعاليم التوراة ، ما ورد في الإصحاح

(١) الأنوار اللبنانية : عدد - ٤٨٦٩ سنة ١٩٧٤ م .

السادس من سفر يوشع ؛ أنه أمر بحصد كل ما يجدونه في أريحا ، وإحراقه وتدميره من رجل أو امرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف ، ولم يستثن من ذلك إلا الزانية راحاب ، هي ومن معها في بيتها ؛ أبوها وأمها وإخوتها وكل مالها ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها ، أما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة الرب ؛ أي حفظوها . انظر الأرقام ١٧ - ٢٥ من ذلك السفر<sup>(١)</sup> .

وتنفيذاً لتلك الأقوال أقدمت سلطات إسرائيل على جرائمها في دير ياسين وقبية ، وكفر قاسم وإربد ، وفي الجولان وجمهورية مصر العربية ؛ قديماً وحديثاً ، بالإضافة إلى حرق المسجد الأقصى بفلسطين ، الذي تخاذل المسلمون عن حمايته والدفاع عنه !! .

وكان ذلك الحاخام<sup>(٢)</sup> يحرض الجيش على المزيد من الفتك بالأبرياء المدنيين وسفك دماء العرب ، ما وجدوا لذلك سبيلاً ، وهذا يوحى بالإصرار على سلوك سبل الوحشية والبربرية ، مما لا تعرف له البشرية مثيلاً إلا في تاريخ الصهيونية الآثمة المجرمة ، خصوصاً إذا لاحظنا أن سلطات الاحتلال أخذت بنظام الحرس المدني حديثاً ، وسمحت لجميع الإسرائيليين بالتسلح .

(١) جريدة الدستور - عمان .

(٢) الحاخام هو الرئيس الديني - كالحبر - عند اليهود وكلمته نافذة ومسموعة لدى الصهاينة عكس علماء المسلمين الذين أصبح بعضهم عالة على الإسلام وبؤرة فساد لتضليل المسلمين ولتشوية الدين .

## مقارنة بين حضارتين

وبمناسبة هذه الفتوى الإسرائيلية رأيت أن أستعرض بعض نصوص الإسلام ، في مثل هذه الحالة ، حتى يتبين للعالم أجمع حقائق الأمور على وجهها الصحيح ، والتناقض الواضح بين فلسفتنا وفلسفتهم ، وحضارتنا وحضارتهم ، بل التناقض بين الحضارة العالمية قاطبة والحضارة الإسلامية خاصة .

١ - قال تعالى : ( وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) (١) .

٢ - كان ﷺ إذا بعث سرية قال : « بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَىٰ مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَمَثَّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا » (٢) .

٣ - نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والأطفال (٣) .

٤ - نهى رسول الله ﷺ أن يلقى السم في بلاد العدو - الطحاوي .

٥ - قال رسول الله ﷺ : « اسْتَوْصُوا بِالْأَسْرَىٰ خَيْرًا . » . رواه الطبراني .

هذه من مبادئ الإسلام التي ندعوا إليها ونعني بها ، مقابل فتوى

هذا الحاخام .

(١) سورة البقرة : ١٩٠ .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه البخاري .

## الإسلام لا يقرب العدوان

ولكن حذار أن يظن أحد أن الإسلام يرضى لأتباعه استخذاءً أو هواناً ،  
أو تمكيناً للمعتدين من أن يتطاولوا في عدوانهم ، فإن الله سبحانه قال :  
( وَإِنْ حَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ) (١) .

وقال أيضاً : ( فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى  
عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ) (٢) . وقال الرسول ﷺ :  
« مَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قَتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » . رواه  
أحمد وابن حبان . [انظر فيض القدير : ٦ - ١٩٥] .

والوجود الصهيوني على أرض فلسطين وغيرها من ديار العرب والإسلام  
عدوان ، وسلطات الاحتلال عملت على إخراج الفلسطينيين وغير  
الفلسطينيين من الديار المغتصبة ، ليحل محلها دخلاءً تجمعوا من شتات  
الأرض ، ولا يجمعهم بفلسطين أية صلة ، والله سبحانه يقول :  
( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ  
مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا  
يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ  
وَوَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) (٣) .

(١) سورة النحل : ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٤ .

(٣) سورة الممتحنة : ٨ ، ٩ .



## من هذا الحاخام؟!

هذا الحاخام الذي أصدر الفتوى هو شلومو غورين ؛ الذي سبق له أن أصدر فتوى أخرى خطيرة في شهر أغسطس سنة ١٩٦٧ م تتضمن ؛ أن المسلمين إنما يملكون عمارة المسجد الأقصى وعمارة مسجد الصخرة الحاليتين وما عداهما من ساحات تحيط بهما فليست من مقدسات المسلمين ؛ ولذلك أقدم ولأول مرة في التاريخ على إقامة صلاة جماعية مع آخرين من الصهاينة في ساحة الأقصى ، وقد أحضروا معهم حينئذ خزانة فيها توراتهم وتلمودهم ، وأخذوا ينشدون أناشيدهم الخاصة كأنهم في كنيس لهم ، وأعلنوا مع ذلك أنهم سيكررون الصلاة في مواقع أخرى من ساحات الأقصى ، وأن ذلك الحاخام سيقم كنيساً في تلك الساحات مما أثار المسلمين إثارة بالغة ، وكادت تحدث فتنة خطيرة تؤدي إلى صدام دموي في المسجد الأقصى ، دفاعاً عن قدسيته ، لو استمر ذلك الحاخام في تنفيذ مخططه . وعلى أثر ذلك أصدر علماء المسلمين في القدس وسائر الضفة الغربية فتوى دينية ؛ مبنية على نصوص إسلامية وتاريخية صريحة من مراجعها الموثوقة ، ونصوص أجنبية من بعض المستشرقين المنصفين ؛ تشهد بأن المسجد الأقصى - المقدس لدى المسلمين ، والمرتبط بعقيدتهم الدينية - هو كل ما قام عليه السور ؛ وأنه يشمل جميع الساحات الموجودة . ولهذا دبرت بعد ذلك مؤامرة إحراق المسجد الأقصى المبارك ، والاستمرار في محاولة إحراقه<sup>(١)</sup> .

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - عدد ٤ سنة ١٣٩٤ هـ .

بناءً على كل ما ذكر يجب على المسلمين أن يأخذوا حذرهم ، وأن لا يؤخذوا على غرة ، ويجب عليهم أن تتضافر جهودهم بإصرار وعزيمة جادة ، لإنقاذ القدس وسائر الديار المغصوبة من المحنة التي ألمت بها ، والأخطار الماحقة التي تدبر لها ، وأن لا يتهاونوا في تقدير أبعاد هذه الفتوى الجديدة ولا في أبعاد الفتوى القديمة ، كما قال سبحانه وتعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ) .

سورة النساء : ٧١ .

أما العالم - الذي يثيره أي حادث يقع على المعتدين الصهاينة - فيجب عليه أن يقرأ فتوى هذا الحاخام ، ويتدبر معناها ومرماها وأخطارها ، ويعرف أن المسلمين والعرب لا يمكن أن يركنوا للظالمين المعتدين ، ولا أن يسكتوا على هذا التطاول المتواصل من قيادات الصهاينة ، وأن يعمل جدياً على ردع هؤلاء المعتدين واجتثاث فسادهم وشرورهم ، إذا كان حريصاً حقيقة على أن يسود هذا العالم السلام والأمان والاطمئنان<sup>(١)</sup> .

(١) لقد أثبت هذه الفتوى الإسرائيلية الأخيرة - من فتاوى سلطات الاحتلال الصهيوني - ليقف القارئ الكريم على آخر موضة من موضة المخادعة والافراء التي يمارسها هؤلاء القراصنة في بلادنا ، مع أن صفاتهم معروفة ؛ فهم كالذئاب والأفاعي من وقع في شركهم هلك .

## الشيوعية

لقد أسقط المجتمع الشيوعي الدين من حسابه وأقام حياته على أساس : أن لا إله ، والحياة مادة . والحقيقة أن هذا لا يعبر عن نفسية المجتمع ، ولا يترجم مشاعره ترجمة صحيحة واقعية ، فالفكرة الإلحادية ليست وليدة علم ولا ممثلة للفطرة الإنسانية ، وإنما هي فكرة شاذة أوحث بها الظروف القاسية ، وخلقتها البيئة ، وروجت لها الأحقاد الدفينة ، التي ملأت صدور دعائها أمدأ طويلاً ، ثم حُمل الشعب عليها حملاً ، وأكره عليها إكراهاً دون أن يكون له رأي أو اختيار . ومنذ قيامها وهي في حماية الحديد والنار . فالفطرة الإنسانية هي المنتصرة في نهاية المطاف مهما طال الزمن .

إن الشيوعية قائمة على فلسفة مادية بحتة ، لا تؤمن إلا بما تراه الحواس فقط ، وكل ما لا تدركه الحواس فهو خرافة لا وجود لها ، أو على الأقل شيء ساقط من الحساب<sup>(١)</sup> .

يقول أنجلز : إن حقيقة العالم تنحصر في ماديته . ويقول الماديون : إن العقل ما هو إلا مادة تعكس الظواهر الخارجية .

ويقولون كذلك : إن ما يسمونه الروح ليست جوهرأ مستقلاً وإنما هو من نتاج المادة .

وهكذا نعيش مع الشيوعية في جو مادي خالص ، يسخر بالروحانيات

(١) نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية . إسلامنا . الدين والعلم الحديث .

ويعتبرها حقائق غير علمية !! . والعقيدة الإسلامية تنأى أن تنحصر في هذا المحيط الضيق ، الذي يهبط بكرامة الإنسان ويحوله من كائن رفيع يسير على الأرض بجسمه ، وهو يتطلع إلى السماء بروحه وفكره ، إلى مخلوق مادي حيواني كل همه إشباع المطالب الأساسية ، والتي حددها كارل ماركس ؛ بالغذاء والسكن والإشباع الجنسي .

ولا يقولن أحد: إننا غير مقيدين بهذه الفكرة المادية ، ولا ملزمين بها إذا أخذنا الاقتصاد الشيوعي ، إذستظل لنا عقائدنا وإلهنا وروحانياتنا والاقتصاد كيان منفصل عن كل هؤلاء !! .

لا يقولن ذلك أحد ؛ لأن الشيوعيين أنفسهم هم الذين قرروا استحالته ؛ إذ ربطوا ربطاً وثيقاً بين النظام الاقتصادي وبين العقائد والأفكار والفلسفات المصاحبة له ، على أساس أن النظام الاقتصادي هو الذي ينشئ العقائد والأفكار والفلسفات ، وإذن فلا يمكن لنظام اقتصادي قائم على فلسفة مادية صريحة - كما يقرر كارل ماركس وأنجلز - أن ينشئ فلسفة روحية أو ينسجم مع فلسفة روحية .

والشيوعيون يؤمنون بالمادية الجدلية ، وهذه المادية الجدلية لا مكان فيها لتدخل الله في خط سير البشرية ، ولا مكان للرسل ورسالاتهم ، لأن هذه الرسالات - في وهمهم - لا يمكن أن تجيء سابقة للتطور الاقتصادي ولا منشئة له ، وإنما هي تجيء فقط في مكانها المرسوم من هذا التطور ، وبهذا تفقد قيمتها التوجيهية من وجهة النظر الإسلامية .

كيف إذن يمكن التوفيق بين هذه النظرة وتلك ؟ !! . وكيف لا تتأثر عقائد المسلمين الذين يؤمنون برعاية الله لخلقه . وإرشاده لهم على يد رسله الكرام . وبأن الإسلام لم يكن خاضعاً للضرورات الاقتصادية .

كيف تتأثر عقائدهم حين نأخذ نظاماً اقتصادياً ، نقول في كل مرحلة من مراحل تطوره: إنه يتطور حسب صراع المتناقضات الذي لا مجال فيه لله ؟ !! . ولا محرك له غير الضروريات الاقتصادية ؟ ! . إن الإنسان - في عرف الفلسفة الشيوعية - كائن سلبي لا إرادة له إزاء قوة المادة وقوة الاقتصاد .

يقول كارل ماركس : في الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس ، تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها وهي مستقلة عن إرادتهم . ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم ، ولكن وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم ا.هـ .

والإنسان في عرف الإسلام كائن إيجابي له إرادة خاضعة بطبيعة الحال لإرادة الله . يقول القرآن :

( وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ) (١) .

فيقرر أن الإنسان هو المخلوق الأعلى في الأرض ، وأن القوى المادية والاقتصادية مسخرة له وإرادته ، وليس هو المسخر لإرادتها ، ومصداق ذلك هو الإسلام ذاته ؛ فهو لا يسير حسب التطور الحتمي الذي يرسمه

(١) سورة الجاثية : ١٣

مبدأً المادية الجدلية ، وحين كان الناس مسلمين - في صدر الإسلام - لم يشعروا أن التطور الاقتصادي قوة جبرية تخضعهم لها وهي [ مستقلة عن إرادتهم ] . كما يقول ماركس !!! . وإنما أحسوا أنهم هم يضعون الاقتصاد كما وجههم الله على يد رسوله . وهم ينشئون العلاقات الاجتماعية دون الاقطاع ، مع أنه ظل قائماً مئات السنين في أوروبا . وفي غير العالم الإسلامي .

حين نأخذ الاقتصاد الشيوعي لا بد أن نأخذ معه الفلسفة الاجتماعية التي تقوم على أساس أن المجتمع هو الأصل . والفرد لا كيان له إلا باعتباره فرداً في القطيع . وذلك مخالف في أساسه للتربية الإسلامية التي تعنى عناية شديدة بالفرد . وتكل إليه - بعد تهذيب ضميره - القيام بتبعية المجتمع . وهو شاعر أنه جزء حر يريد موجهً يختار عمله بنفسه . ويختار المكان الذي يعمل فيه ويملك حرية توجيه الحاكم . والخروج عليه إذا خرج هذا الحاكم عن طاعة الله .

إن الفلسفة الشيوعية قائمة على أن العامل الاقتصادي هو الوحيد أو على الأقل - صاحب الأولوية المطلقة في تصريف شؤون المجتمع وإقامة علاقاته . والعقلية الإسلامية لا تنكر أهمية الاقتصاد ولا ضرورة إقامة المجتمع على أسس اقتصادية سليمة . ويمكن إقامة الفضائل الأخلاقية والاجتماعية فيه ، ولكنها مع ذلك لا تؤمن بأن الحياة كلها اقتصاد . ولا أن الحلول الاقتصادية تحل كل مشاكل المجتمع .

إن النظام الاقتصادي الشيوعي قائم على الدكتاتورية الكاملة .  
فالدولة هي التي تعين الأعمال وتوزع عليها العمال حينما ترى . بغض  
النظر عن رغبة العامل في نوع العمل ومكانه الذي يشتغل فيه . ولا يتم  
ذلك بإشراف الدولة على جميع الأعمال والأفكار والأقوال والاجتماعات  
والتوجيهات . . . إن تسيير النظام الاقتصادي والإشراف عليه يتم  
بدكتاتورية الدولة . وهو ما تعترف به الشيوعية صراحة في تسميتها  
نظام الحكم بدكتاتورية البروليتاريا<sup>(١)</sup> .

يضاف إلى هذا كله أن الشيوعية نظام لا يزال يتخبط . فقد بدأ  
بالغاء الملكيات جميعاً . وتسوية الأجور بين العمال جميعاً . ثم وجد  
تحت ضغط الواقع أنه يحسن السماح بقدر معين من الملكية الفردية  
وقدر من التفاوت في الأجور حسب همة العمال .

فارتد بذلك عن مبدئين أساسيين من مبادئ ماركس . واقترب  
خطوتين من الفكرة الإسلامية . فكيف يجوز لنا أن نترك الأصل الذي  
ترتد إليه البشرية - كلما جربت تجربة جديدة - لنلحق بقطار  
يتخبط ؟ ! . مهما تكن السرعة الخاطفة التي ينهب بها الطريق ؟ ! ! .  
لا يصنع هذا شخص في رأسه عقل ، ولا في نفسه ثقة بكيانه . . . إنها  
الهزيمة الداخلية تتخذ صوراً شتى ، ولكنها هزيمة لا يقدم عليها إلا  
الضعفاء والخائرون .

(١) نظرات إسلامية - الاشتراكية الثورية - إسلامنا . الدين والعلم الحديث .

## رأي الشيوعية في الأديان

أما رأي الشيوعية في الدين ، فإننا نجد ذلك من إجابات زعمائهم على ذلك ؛ يجيب كارل ماركس في جوابه عن الدين ، ببساطة ووضوح فيقول : الدين وعي مزور عن العالم<sup>(١)</sup> . ويقول : الاضطهاد والاستثمار - العجز والجهل - هذا هو المصدر المزدوج للأخلاق والدين<sup>(٢)</sup>

ويقول : الإنسان يصنع الدين وليس الدين صنع الإنسان<sup>(٣)</sup> .

فالدين في نظر كارل ماركس صورة خاطئة ، كونها الإنسان عن الكون على مر الزمن مدفوعاً إلى ذلك بعاملين :

أولهما : قصور عقله عن إدراك حقيقة هذا الكون .

وثانيهما : اضطهاد الرأسماليين له ؛ الذي كان يضطره إلى البحث عن عزاء وسلوى لم يجدهما إلا في العالم الآخر .

ويصرح كارل ماركس أن الدين لا يتبعه إلا ضعاف العقول ، وأن النمو العقلي كفيل بالقضاء على الأديان فيقول : سوف يبقى الدين محتفظاً ببعض الهيبة والنفوذ إلى أن يهل يوم تصبح فيه ظروف معيشة الإنسان العملية واليومية علاقات قائمة على أساس عقلي<sup>(٤)</sup> .

(٤،٣،٢،١) كتاب كارل ماركس : صفحات ١٥-١٩ . عن رسالة للدكتور ناظم نسيمة : ص (١٠،٩) .



ونحن نقول لكارل ماركس ولأذنا به وتلاميذه : لقد أفنى أعداء القرآن وخصوم محمد ﷺ أعمارهم في الكيد لمحمد ﷺ والقرآن الذي بعث به ، ولم يربحوا من ذلك كله إلا خزي الدنيا وعذاب الآخرة<sup>(١)</sup> .

وإننا لنناشد من خدعتهم الشيوعية بأضاليلها ، أن يعودوا إلى ربهم وقرآنهم ، فلن يغني عنهم زعماء روسيا من ربهم شيئاً ، ولن يشفعوا لهم بين يدي رب السموات والأرض ؛ يوم ينفخ في الصور ، وينصب الميزان ، ويجيء الرحمن ليحكم بين الناس بالعدل ! وحينئذ يتبرأ بعضهم من بعض : ( إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ) . (سورة البقرة : ١٦٦) .

أما عن أسطورة الحرية الدينية في الاتحاد السوفيتي ، فإننا نقدم مثلاً واحداً نشرته الجرائد الشيوعية للأستاذ الجليل الشيخ بهجت البيطار - رحمه الله - عن الحرية الدينية في الاتحاد السوفيتي ، والذي اضطر فضيلته إلى تكذيبه في عدد كبير من الصحف السورية . جاء في دستور سنة ١٩١٨ ودستور سنة ١٩٢٥ النص الآتي : ضماناً لحرية الضمير لدى العمال تعد الكنيسة منفصلة عن الحكومة ، والمدارس منفصلة عن الكنيسة ، ولكن حرية الدعاية الدينية واللا دينية مكفولة للجميع<sup>(٢)</sup> .

وفي دستور سنة ١٩٣٦ الذي أصدره ستالين - ولا زال قائماً - أبدلت

(١) ومن معتقداتهم الفاسدة ؛ أن الدين أداة استغلال ، ولن تقوم القيامة ، والحياة مادة ، والكتب السماوية عندهم خرافة ، والأنبياء عندهم لصوص كذابون . . ألا إنهم هم الكذابون اللصوص . لعنهم الله بما قالوا .

(٢) كتاب الشيوعية على حقيقتها : ص ٩١ .

عبارة حرية الدعاية الدينية بعبارة : حرية إقامة الشعائر الدينية<sup>(١)</sup> .

والظاهر أن الشيوعيين قد نجحوا في تنفيذ مخططاتهم الإجرامية ؛ حيث أفلحوا في تكفير الجزء الأكبر من سكان بلادهم . وإليك ما صرح به الأستاذ بهجت البيطار لو كالة الأنباء السورية ، عقب عودته من الاتحاد السوفيتي : أعتقد أنه إذا لم تحدث حرب ذرية أو هيدروجينية تفني العالم ، أو قلبه رأساً على عقب ، فإن عدد المتدينين بالإسلام في الاتحاد السوفيتي سينضاءل كثيراً للأسباب التالية :

١ - كون نظام الحكم علمانياً ولا يشجع الأديان أو التدين بها .

٢ - لأن نظام الحكم يمنع قيام المدارس الدينية أو الطائفية أو الخاصة ، ويحصر التدريس بالمدارس الرسمية فقط وفق المنهاج الذي ترسمه الحكومة .

٣ - لأن المتدينين الموجودين هم من المسنين ، ولأن التعليم الديني يجري في البيوت ؛ فالأب أو الولي المتدين يلقن ولده تعاليم الدين بصورة شبه مستترة ، وهذا يجري على نطاق ضيق .

ولقد أديت صلاة الجمعة في طاشقند ، واستمعت إلى خطبة الجمعة التي لم تستغرق أكثر من خمس دقائق ، واشتركت في تشييع جنازة في

(١) إن هذه العبارة الجديدة تمنح الدعوة إلى الدين ، وتتيح الدعوة إلى الإلحاد فقط ، وتخصر الحرية الدينية في إقامة الصلاة والصوم وتلاوة القرآن ، إن وجد بين أيديهم قرآن أو من يعرف قراءة القرآن .

يوم يهطل فيه الثلج ، فلم أر غير المسنين يشتركون. في هذه المراسم الدينية ؛ من الذكور والإناث<sup>(١)</sup> .

ومن تأمل هذا الكتاب الذي أصدره الشيوعيون مؤخراً باسم : الحرية الدينية في الاتحاد السوفييتي . فإنه يلاحظ أن جميع الصور التي نشرت فيه للمصلين في المساجد والكنائس لا تحتوي على شاب واحد أو فتاة واحدة ، فإن جميع من في المساجد والكنائس من الكهول الذين عجزت الشيوعية عن سلخهم عن أديانهم .

وهذا هو شكيب أرسلان يتكلم عما يبذله البلاشفة من جهود في الشرق وفي العالم الإسلامي<sup>(٢)</sup> إذ : [ يهمسون في آذان الشعوب المغلوبة على أمرها ، الناقمة الساخطة ، انجيل البلشفية الجديد حملاً لهم على الهياج والشغب ، ثم الانقضاض والثورة ، فكل حركة وطنية ومطمع قومي وسخط سياسي ومظلمة اجتماعية وتحكم جنس في جنس ... جميع ذلك من الوسائل التي يتخذها البلاشفة وقوداً لنار الهياج فالانقضاض ، فالحرب ] .

ثم يبين أن هناك غرضين يحدّ وراءهما البلاشفة [ غرض عاجل : وهو محو التفوق الغربي سياسياً واقتصادياً . وغرض آجل : وهو بلشفة الشعوب الشرقية ... أما في الدور الأول فالبلشفة مستعدة تمام الاستعداد لاحترام الأديان والعادات والتقاليد الشرقية ، والأخذ بنصرة الحركات

(١) الشيوعية تقول - رسالة للدكتور ناظم نسيمة . ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) حاضر العالم الإسلامي : ٢ ، ٣ وما بعدها . والاتجاهات الوطنية .

الوطنية في الشرق . أما في الدور الآخر فالأديان مثل الإسلام ستتقوض  
تماماً ] .

## أهم مساوئ الصراع الطبقي في فلسفة ماركس

- ١ - الحقد بين المواطنين ؛ ومن ثم الثورة وإراقة الدماء فيما بينهم .
- ٢ - تحكُّم القلة بالكثرة ؛ حيث الحكم الفردي التسلطي<sup>(١)</sup> .
- ٣ - تجريد المواطن من أي شعور وطني عملاً بقول ماركس : إن العامل لا وطن له .

٤ - تجريد الإنسان من شعوره بالإخاء مع أخيه الإنسان ، كما أعلنه ماركس أيضاً بكل صراحة حيث قال : لم يكن جميع الناس إخوة في أي من الأحوال !!! بل كانوا أعداءً ، طبقتين تتصارعان .

ولذلك كان شعار ماركس في الميثاق الشيوعي : يا عمال العالم اتحدوا . وقد تجنب عن قصد أن يقول : يا بني الإنسان اتحدوا .

وهكذا يظهر ماركس على حقيقته ؛ حيث استخدم إرثه الروحي اللاشعوري من اليهودية التلمودية الحاقدة ، وألبسه ثوباً جديداً ولكن دون أن يعلنه للعمال ، ودون أي قبول أيضاً لفكرة إخاء الإنسان مع أخيه الإنسان !!!

(١) نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية : ٤٠ .

## النظرة الإسلامية في فلسفة الحياة

### ومشكلاتها وحلولها

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وهياً لهم سبلهم ، كما أرسل الرسل هداة ومعلمين للبشرية ، ومصالحين للخلائق بموجب تعاليم السماء ونواميس الكون ، وهكذا تتحقق للبشرية السعادة ويعم الخير ، وبهنا الناس في ظلال دعوة الإسلام وأفياء الدين الحنيف .

وللوقوف على نظرة الإسلام إلى الحياة ومشكلاتها وحلولها ، فهاتيك التي يمكن أن تتضح معالمها في النقاط التالية<sup>(١)</sup> :

- ١ - إنها نظرة إنسانية مصلحة غير مادية ؛ حيث تؤمن بالله رب العالمين .
- ٢ - وتؤمن بكرامة الإنسان والناس أجمعين ، وبأن أكرم الناس عند الله أتقاهم لأوامره فيما فرضه على المؤمنين .
- ٣ - ترفض كل امتياز لفئة على فئة ، سواء بالعرق أو النسب أو بالمال ، فما هو من خصائص الإقطاعية والبرجوازية الأوروبية وغيرها .
- ٤ - تعتبر تملك ثمرة السعي حقاً طبيعياً لا ظلم فيه ؛ مادام يؤدي منه حق السائل والمحروم .

٥ - كما تعتبر تشجيع الحوافز الفطرية والكسب لدى الفرد من مصلحة الجماعة والفرد ، وأن التفاوت في درجات الرزق حينذاك

(١) نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية : ص ٣٣ .

هو ظاهرة اجتماعية ضرورية لمصلحة الحضارة الإنسانية ؛ وذلك لزيادة الحوافز الفردية وزيادة الإنتاج والحصص كل بقدر عمله ، من حيث القدرة والتقصير .

٦ - كما تعتبر التضامن الاجتماعي واجباً دينياً فيما بين الكاسبين وبين المحتاجين والمحرومين .

٧ - تؤمن بأن المجتمع متضامن بحكم خليقته ، والفرد مسؤول عن مصلحة الجماعة ، والجماعة مسؤولة عن مصالح الأفراد ، وقيام الدولة في المجتمع هو عمل تفرضه المصلحة الاجتماعية ، وأن الدولة رمز لوحدة المجتمع وجهاز لخدمته لا للتسلط عليه ؛ كما تصوره ودعا إليه ماركس ومن تبعه في منهاجه وطريقته .

٨ - تؤمن بأن الملكية لا تعفي الفرد من المسؤولية فيما إذا أساء استعمالها ، حتى ولو كان ذلك ضد مصلحة المالك نفسه ، فضلاً عن الإساءة لغيره ... كما تؤمن - فيما يتعلق بمصالح الأفراد ومشاكل الأراضي والصناعة - بمحاربة كل فساد قد يتعرض له الأفراد ، وبحق كل مصلحة تقتضيها الحال للأمة بدون حقد أو صراع : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ )<sup>(١)</sup> .

هذا هو الإسلام في فكرته وفلسفته وإنسانيته ودعوته ومبادئه الخيرة ، التي ارتضاها الله تعالى للبشرية ليستظلوا في ظلها الوارف ولينهلوا من منابعها الصافية التي لا يظماً واردها .

(١) سورة الإسراء : ٩ .

وصدق الله العظيم : ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١) .

## بعض جرائم الشيوعية

لا شك أن دعوة الإلحاد التي تبناها دعاة الشيوعية العالمية ، والتي ذاق البشر على أيديهم كثيراً من المصائب والأهوال التي يشيب لها الولدان ، قديماً وحديثاً ، فهاتيك مما يدعو كل مؤمن وصاحب عقيدة أن يقف في وجه دعائها وكشف طويتها ، وما ذلك إلا بعض الواجب الذي يدعو كل مؤمن أن يكون مدافعاً عن الحق وناصراً لدينه .

من هذا المنطلق فقد رأيت أن أحيط القارئ ببعض الطرق التي دأبت الشيوعية على سلوكها في سبيل اضطهاد المسلمين ، ومحو معالم دينهم ومدنيتهم ، داعماً كل طريقة منها بالأمثلة الحية من الوقائع والحوادث الثابتة ، وسأتعرض لما حل بمسلمي روسيا على يد الشيوعية . ومن بعض هذه الأعمال والوقائع ما يلي (٢) :

١ - الإبادة الجماعية أو نفي جزء من الشعب - أو الشعب كله - من وطن آبائه وأجداده إلى سيبيريا ، أو إلى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلة بوطنهم الأصلي ويضيعون بمرور الزمن .

(١) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(٢) الأفعى اليهودية : عن المذكرة التي رفعها رئيس جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية إلى الأمم المتحدة الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز - القاهرة سنة ١٩٦٥ .

٤ - هدم المساجد وتحويلها إلى دور للهو ، واستخدامها في غايات أخرى وإقفال المدارس الدينية .

(أ) وقد بلغ مجموع المساجد التي هدمت أو حولت إلى غايات أخرى في تركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعاً ، منها أعظم المساجد الأثرية ؛ مثل منارة مسجد كالان في مدينة بخارى ، وكنه جامع في مدينة قوقان، وجامع ابن قتيبة ، وكثير من المساجد في مدينة طشقند . ومجموع عدد المدارس والكتاتيب التي أقفلوها في التركستان يبلغ ٧٠٥٢ مدرسة ؛ منها: ديوان بيكي مدرسة في مدينة بخارى، وبران حان مدرسة في مدينة طشقند ، وغيرها من المدارس التاريخية التي كانت يوماً مناهل للعلم والعرفان .

(ب) وفي القرم قتلوا سنة ١٩٢٨ ولي إبراهيم رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه ، وفي سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباي رئيس جمهورية القرم مع هيئة وزرائه أيضاً .

٣ - لقد قامت روسيا بعدة حملات على رجال الدين المسلمين ، في تركستان وغيرها من المناطق الإسلامية الشاسعة المندمجة في امبراطوريتها الحمراء ، وقتلت كثيراً منهم ؛ ومن ضمنهم فضيلة الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة ، وفضيلة الشيخ خان مروان خان مفتي بخارى ، وغيرهما من الزعماء ، مما لا يتسع هذا المقام لذكر أسمائهم ، وما حصل لطوائف الشركس والشاشان ومسلمي الكتلة الشرقية الأكبر برهان على بطش وإرهاب وظلم الشيوعية الملحدة .



## القيم والأخلاق عند الشيوعيين

يقول لينين : إن المناضل الشيوعي الثوري هو ذلك الذي يبذل كل تضحية يفرضها عليه تحقيق الهدف الشيوعي ؛ ولو تطلب الأمر التضحية بالأخلاق والكرامة والضمير ، فالهدف المثالي الحق هو تحقيق المجتمع الشيوعي وتدعيمه .

يجب علينا أن نتوسل بكل أنواع الحيل والمناورات والوسائل القانونية وغير القانونية لتحقيق أهدافنا الشيوعية . هذا ما قاله لينين عام ١٩٢٠ م وسار خلفاء لينين على الطريق نفسه التي سار عليها لينين وانجلز وماركس ، فقد قال ستالين في عام ١٩٤١ م :

الأخلاق الصالحة في نظرنا هي تلك التي تيسر لنا القضاء على النظام القديم ، وهي التي تدعم النظام الشيوعي ، ولا شيء غير هذا يمكن أن يسمى أخلاقاً فاضلة .

وفي ١٤ إيلول سبتمبر عام ١٩٤٦ قالت مجلة المدرسين السوفياتية : إن الأفكار المتعلقة بالخير والشر والعدالة والظلم تختلف مع أهدافنا ؛ فالأخلاق السوفياتية السليمة هي التي تحقق أهدافنا الشيوعية ... وفي عام ١٩٥٢ م قال مالينكوف : إن الأخلاق الفاضلة في نظرنا هي كل الوسائل التي تؤدي إلى القضاء على النظام القديم ، بينما تؤدي في الوقت ذاته إلى تدعيم النظام السوفياتي .

هذه نماذج من المفاهيم الأخلاقية عند أساطين الشيوعية ، وواضح أن مذهباً اجتماعياً جديداً يريد أن ينطلق من هذه المرتكزات الواضحة ، لا يستطيع أن يجد لنفسه أنصاراً عند الأخلاقيين الذين آمنوا بالرفق الإنساني .

إن الأخلاقيين يرفضون الشيوعية لأن وسائلها تتنافى مع رقي الفرد وكرامة الإنسان<sup>(١)</sup> .

## الشيوعية والأسرة

يقول ماركس في البيان الشيوعي ص ٤٨ : ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوى إشاعة النساء المتزوجات ، فقصارى ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون إذن ؛ هو أنهم يريدون إبدال إشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمداجاة بإشاعة رسمية صريحة ! ! . أما لينين فنراه يقول في عام ١٩٢٢ م :

نحن لا نؤمن بالأفكار المثالية عن الأسرة ، فهذه الأفكار المثالية تنادي بجعل الأسرة مجتمعاً ذا كيان خاص له استقلاله ، ونحن لا نؤمن بمثل هذه المثالية التي تشجع على جعل الوطن مجموعة من الأسر المستقلة ، إن الأسرة في نظرنا ليست سوى أفراد مستقلين يحدد لكل فرد منهم دوره في المجتمع .

(١) اشتراكيتهم وإسلامنا ص ٢٢٦ وما بعدها .

وفي عام ١٩٢٨ م قال ستالين : دعوني أذكر لكم بصراحة أنه من الخطر على حياتنا السياسية تشجيع ذلك المفهوم الخاطيء للأسرة ، وأقصد بذلك الآراء القائلة بأن هناك ما يسمى الولاء للأسرة ، فالولاء الوحيد المسموح به في مجتمعنا هو الولاء للدولة .

وأضاف ستالين يقول في عام ١٩٣٠ م : مادمننا ننكر الأديان فإننا لا نستطيع أن نأخذ بالآراء القائلة بأن للأسرة قداسة . . . فكل القداسات زائفة ، ونحن لا نريد أن يكون للأسرة أي نوع من أنواع القداسة ، مثلما لا نريد أن يصبح الولاء العائلي عائقاً يحول دون تحقيق أهدافنا<sup>(١)</sup> .

مرة أخرى ؛ الغاية هي الهدف ، والهدف هو تحقيق الشيوعية ، ومن أجل هذا الهدف يقول ستالين : كل القداسات زائفة ؛ قداسة الأسرة ، قداسة الزواج ، قداسة الأبوة والبنوة . وهذا ما قاله لينين وأنجلز وماركس في تعريفهم للشيوعية ، ونقول للتائهين في بوادي الكفر : ماذا بقي لكرامة الإنسانية ؟ ! . وهل لدى دعاة الإلحاد هؤلاء من شيء له قداسة ؟ ! .

---

(١) نفس المصدر السابق .

## من أقوال قادة الشيوعية

وإذا رجعنا إلى أقوال وتصريحات ومؤلفات زعماء الشيوعية الأم ، تلك الأقوال التي تبيح الخداع واللف والدوران والمناورات . إذا عرفنا السبب بطل العجب . وإليكم بعض هذه الأقوال :

يقول زعيم الشيوعية الأكبر لينين في كتاب - مرض الطفولة اليساري - من تأليفه وقد طبع بدار الفارابي في بيروت - يقول في صفحة ٧٨ ما يلي<sup>(١)</sup> :

١ - ينبغي الجمع بين الإخلاص الشديد لمبادئ الشيوعية ، وبين القدرة في الإقدام على جميع المساومات العملية الضرورية ، والمناورات والاتفاقات واللف والدوران والتراجع وما إلى ذلك ، كما يعمل في مجيء وزوال سلطة الساسة الذين يمثلون الديمقراطية البورجوازية الصغيرة ، والذين يدعون أنفسهم اشتراكيين ، ويعجل في إفلاسهم الذي لا مناص منه في العمل ، الأمر الذي يسير أذهان الجماهير لأفكارنا بالذات ويوجهها نحو الشيوعية .

وحتى يطلع الناس هنا على موقف الشيوعيين من الديمقراطية التي يدعونها ويتشدقون بها ، وددت أن أنقل هنا بعض أقوال زعماء الشيوعية في العالم ، حتى يتبين الأمر للقراء الكرام على حقيقته .

---

(١) نداء الإسلام .

٢ - يقول ستالين في مقال نشرته له جريدة البرافدا - كبرى الجرائد في موسكو - وكان ذلك في ٢٩ من شهر تشرين أول عام ١٩٢٥ م . عند الذكرى السابعة لمنظمة الشباب الروسي الشيوعي ، وقد طبع هذا المقال مع كتاب الخلايا الشيوعية وتنظيمها - طبع بدار المنتصر - بيروت - جاء في صفحة ٢٧ ، ٢٨ ما يلي : ولهذا فإن دراسة مذهب لينين والثقافة فيه ، شرط أساسي في تحويل الإدارة الحاضرة لمنظمة الشباب الشيوعيين ، إلى إدارة نشطة عالمة بالفلسفة اللينينية ، وقادرة على تدريب الملايين من الشباب الشيوعيين من أعضاء المنظمة بروح الدكتاتورية الشيوعية .

٣ - يقول لينين في كتاب - مرض الطفولة اليساري في الشيوعية - طبع دار الفارابي ، كما جاء في صفحة ٧ : إن تجربة ظفر دكتاتورية البروليتاريا في روسيا قد ظهرت بجلاء ، لأولئك الذين لا يستطيعون التفكير إن لم يتسن لهم أن يتمعنوا في هذه المسألة . إن المركزية المطلقة ونظام الطاعة البروليتارية الصارم للغاية ، أحد الشروط الأساسية للانتصار على البرجوازية .

٤ - ويقول ستالين في كتاب - أسس اللينينية - طبع مطبعة الجامعة ص ٤٠ عن لينين ما يلي :

إن دكتاتورية البروليتاريا هي سيادة البروليتاريا على البورجوازية ، سيادة لا يحدها قانون ، وهي تستند إلى العنف .

ويعلق ستالين على ذلك بقوله : إن دكتاتورية البروليتاريا لا يمكن أن تكون الديمقراطية الكاملة ؛ الديمقراطية للجميع : الأغنياء والفقراء على حد سواء .

ومن أجل ذلك يقول لينين - كما ورد في نفس الكتاب السابق . ص ٤٤ - ما يلي : إن قيام سلطة السوفيات قد سجل نهاية عصر البرلمانية الديمقراطية البرجوازية ، وبداية فصل جديد في التاريخ العالمي ؛ عصر الدكتاتورية البروليتارية .

أرايتم أيها القراء الكرام إلى هذه التصريحات الخطيرة ؟ ! ! . وأود أن لا ننساق وراء الكلمات البراقة ، فنتصور أن دكتاتورية البروليتاريا تعني دكتاتورية الطبقة بأجمعها ، فهذا لم يخطر ببال أحد من زعماء الشيوعية ، إنما تعني - وهم يقصدون - دكتاتورية زعيم الحزب فقط فهو الحاكم بأمره ! ! .

٥ - وإليكم ما قاله لينين في كتاب مرض الطفولة الآنف الذكر ص ٢٦ : إن الطبقات في العادة تقودها الأحزاب السياسية كقاعدة عامة ، تدار من قبل جماعات ثابتة - كثيراً أو قليلاً - من الأشخاص الأكثر سمعة ونفوذاً وتجربة ، ممن انتخبوا للمناصب الأكثر مسؤولية ويدعون بالزعماء ، تلك كلها أمور بدائية . إن كل ذلك بسيط وواضح .

ولقد كان ستالين صريحاً كل الصراحة حين قال : يسرني أن أعلن أن الاتحاد السوفييتي سجل نصراً كبيراً بالقضاء على العقيدة الإسلامية

واستئصالها من الوجود ، فلم يبق من أتباعها إلا قلة هم في طريق  
التصفية والاضمحلال ، كما أن مساجدهم في طريق الزوال<sup>(١)</sup> .

٦ - يقول كارل ماركس - وهو يهودي دساس ، والمؤسس الأول للحزب  
الشيوعي الهدام . يقول في كتاب المسألة اليهودية ص ٢٦ وقد ترجم  
هذا الكتاب إلى العربية محمد عيتاني ، وطبع بمطابع دار الكشاف في  
بيروت<sup>(٢)</sup> :

وبديهي أن الدولة تستطيع - ويجب عليها - أن تمضي إلى حد  
إلغاء الملكية الخاصة إلى الحد الأعلى فتصل إلى المصادرة ، إلى الضريبة  
التصاعدية ، إلى إلغاء الحياة ، إلى المقصلة .

٧ - وقال ماركس في نفس هذا الكتاب ص ١٧ : إن التحرر  
السياسي للإنسان الديني ، إنما هو تحرير الدولة من اليهودية والمسيحية ومن  
الدين بصورة عامة ، والدولة في شكلها الخاص في النمط الخاص  
بجوهرها بوصفها دولة تتحرر من الدين ، بتحررها من دين الدولة ،  
يعني بعدم اعترافها بأي دين .

٨ - وقال لينين في كتاب - مهمات منظمات الشباب - طبع في دار  
النضال في بيروت ، وهو خطاب ألقاه لينين سنة ١٩٢٠ م . قال في  
صفحة ١٥ ما يأتي :

بأي معنى ننكر الأخلاق وننكر السلوك ؟ ! . بالمعنى الذي تبشر به

(٢) نداء الإسلام .

(١) نفس المصدر السابق .

البرجوازية التي كانت تشتق هذه الأخلاق من وصايا الله . وبهذا الصدد نقول : بالطبع إننا لا نؤمن بالله ، ونعرف جيداً أن رجال الدين ، وكبار الملاكين العقاريين والبرجوازية ، كانوا يتكلمون باسم الله لكي يؤمنوا مصالحهم كمستثمرين .

٩ - قال لينين : إن من أهم الأهداف لحزب العمال الاشتراكي في روسيا ؛ هو أن يحارب بلا هوادة كل نزعة دينية في أفئدة العمال . إن مهمتنا الدعوة إلى الإلحاد على أوسع نطاق ممكن<sup>(١)</sup> .

١٠ - قال مكسيم جوركي في كتاب - أين الله : لقد تخلصنا من الاستعمار الأرضي وقضينا عليه ، ونريد أن نتخلص من استعمار السماء ونحطم الإله . وقال في صفحة ٣٤٠ : إن الشعب هو الله<sup>(٢)</sup> .

بعد أن وقفت أيها القارئ على أوضاع الشيوعية الملحدة ، وموقفها من القيم والأخلاق والدين والمجتمع ، فإننا سنقف على مبدأ مناقض لهذا الذي أوضحناه ، وهو يتمشى مع الفطرة البشرية ، وينسجم تماماً مع مطالب الروح والجسد ، ذلك هو الإسلام الذي ارتضاه خالق هذا الكون ليكون تشريعاً ودستوراً شاملاً للبشرية كافة .

فالإسلام ليس اشتراكية<sup>(٣)</sup> ، بل الإسلام إسلام ، وهو إسلام فقط !!

(١) الاشتراكية والدين . تأليف لينين . نقلاً عن نداء الإسلام .

(٢) نداء الإسلام .

(٣) وما دام الأمر كذلك ، فليس عدلاً أن تؤلف الكتب وتعد الرسائل الإسلامية تحت عنوان الاشتراكية الإسلامية أو اشتراكية الإسلام . . . مهما تمتع أصحابها بالنيسة الحسنة ، وبهدف الدعوة إلى الله .



ففي الإسلام عدالة اجتماعية شاملة ، لا حقد فيها ولا صغينة ولا ظلم ولا استئثار ، ولا تسويد طبقة ولا تذويب طبقة . وفي الإسلام حرب على الجشع والاحتكار واكتناز المال واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ... وفي الإسلام شمول اجتماعي روحي مادي متكامل لا يدانيه مذهب مكتوب ، ولا يرقى إلى مستواه نظام موضوع .

يقول المستشرق الانجليزي المعروف جيب ما يلي : مازال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتغاليين المتقابلين في دنيا الغرب ؛ فهو يساوي ويوائم بين الاشتراكية القومية الأوروبية ، وبين شيوعية روسيا ؛ فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة إلى ذلك النطاق الضيق ؛ الذي أصبح من مميزات أوروبا في الوقت الحالي ، والذي هو اليوم من مميزات الاتحاد السوفياتي .

ويقول أيضاً ليو دوروش : ولقد وجدت في الإسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طراً ، الأولى قول القرآن : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ )<sup>(١)</sup> . فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية . والثانية : فرض الزكاة على كل ذي مال<sup>(٢)</sup> .

وحسبنا فقرات قصار ، تشتمل على بعض معانٍ للعدالة الاجتماعية أيضاً : إن الصلة القائمة بين العامل ورب العمل في الإسلام تتمثل في قول الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول : « إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ

(١) سورة الحجرات : ١٠ .

(٢) اشتراكيتهم وإسلامنا : ص ١٣٦ .

جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ» (١) . ويقول: « وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٢) .  
ويقول: « أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ» (٣) .

فيا من تبغتم الشيوعية وأنتم لا تعرفونها ، وساهتم في نشرها وأنتم تجهلونها ، كفرّوا عن ماضيكم فيها بالانقلاب عليها ومقاومتها . غادروا صفوفها التي توشك أن تحترق في نار جهنم ، قبل أن يأتي يوم الحسرة والندامة ... وإذا أغراكم شياطين الشيوعية بالبقاء في مستنقعها؛ فاقروا عليهم قول الله عز وجل : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ) (٤) .

وعلى أمة العرب وشباب الإسلام تصفية حسابهم مع شيوعية الإلحاد ، فإني أتمثل بقول نوح عليه السلام حيث خاطب قومه بقوله : ( إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) . (سورة الأعراف : ١٥٩) .

ومع كل هذا فالشيوعيون يدعون الديمقراطية ويتشددون بها (٥) ، فما

(١) فقرة من حديث طويل رواه البخاري . (٢) قطعة من حديث رواه البخاري .

(٣) حديث صحيح رواه ابن ماجه وغيره . (٤) سورة الممتحنة : ١٣ .

(٥) نذكر القراء بما فعله الشيوعيون بالمسلمين في الأرض : ما فعلته الصين وروسيا الشيوعيتان بالمسلمين في البلاد التي استولتا عليها بعد الحرب الكونية الأولى : تركستان وأذربيجان وغيرها ؛ من إبادة المسلمين وتدمير معالم الإسلام هناك . وما فعله الشيوعيون في الحبشة النصرانية بأريتريا والصومال المسلمين . وما فعله الشيوعي جوليس نيريري بالمسلمين في تنزانيا بأوغندا المسلمة التي احتلها وبسدل حاكمها المسلم - عيدي أمين - بحاكم نصراني عميل . وما فعلته روسيا الشيوعية بالتعاون مع الهند المجوسية ؛ من فصل لدولة باكستان الإسلامية وتقسيمها ، وما فعلته دول البلقان الشيوعية من تدمير ومحو معالم الإسلام في الدول الإسلامية هناك .

بعد كل هذه الصراحة والوقاحة من دعاة الإلحاد والإباحة ؟ ! ...  
وما بعد الهدى إلا الضلال .

فإلى كل مغرور تائه أتوجه بهذا النداء الغيور ، للابتعاد عن مزلق  
الشيوعية وضلالاتها وإباحتها ، وأن يتمسك بهدي ربنا وصراطه  
المستقيم ، وفي ذلك فلاحنا ونجاحنا . فله الحمد والمنة على نعمة الإسلام  
والإيمان ، والله المستعان وإليه نلتجئ ، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

## المادية

ومن الدعوات الدخيلة والمذاهب المستوردة والفلسفات الملحدة مذهب  
المادية الخبيثة التي غزت ديار الشرق ، مهبط الوحي وأرض النبوات  
وموطن الحضارات الإنسانية الأولى ؛ من حيث الروحية الدينية وتنظيم  
الحياة الاجتماعية والسياسية للأمم والشعوب .

وفي هذه الأيام يواجه المجتمع الإسلامي قضايا متعددة ، فرضتها عليه  
تحديات العصر والحضارة ... إن القرآن الكريم هو النص الموثق  
الذي لم يصبه أي تحريف ؛ كتاب الله المنزل بالحق الذي أعطى  
البشرية منهجاً كاملاً للحياة والمجتمع والأخلاق ، وعقيدة ناصعة قوامها  
التوحيد .

وهكذا يبقى القرآن المجيد شامخاً يتحدى أنظمة البشر ومبادئ  
المادية الملحدة ، التي حاول أهلها أن يسعدوا البشرية بمبادئهم وأنظمتهم

المزعومة ، فما رأت البشرية على أيديهم إلا أتعس أيامها وأشقى لياليتها ؛  
ذلك أن ما جاء في القرآن قواعد ثابتة مستمدة من السماء ، من عند الخالق  
العظيم الذي خلق الناس ، وهو أعلم بما يصلحهم ويصلح شأنهم ،  
وما ينظم غرائزهم ويشبع حاجاتهم العضوية وينسقها تنسيقاً منسجماً  
لا يشقيها ولا يقلقها .

إن دُعاة المادية لا يعتقدون بأن للوجود صانعاً قادراً ، بل قالوا : إنما  
هي حياتنا الدنيا التي لا حياة لنا بعدها ، فهم لذلك كالأنعام بل هم  
أضل سبيلاً .

يقول الماديون إن كل ما في الوجود صادر عن المادة ، والنواميس  
الطبيعية نشأت على سبيل الصدف والاتفاق ، وبلغت ما بلغته من  
الكمال والإتقان عن طريق التطورات الثقافية ، وعلى هذا فلا حياة  
عندهم بعد هذه الحياة . . . وكل شيء في الحياة مادة أو مظهر من مظاهرها  
ولا شيء يسمى الروح ، فلا معنى لخلودها وإنما هو من نسيج الخيال .

## أثر المذهب المادي

اشتد دُعاة المادية في القرن الماضي في نشر مذهبهم ، معتمدين على  
ما كشفته العلوم الطبيعية من خفايا القوى الكونية ، ذهاباً منهم إلى  
أن تجرد العقول من كل علاقة بما فوق الطبيعة يفضي إلى نضج القوى  
العقلية ، ويكون أثر ذلك على الأخلاق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية

رقياً لا تشوبه شائبة ، وكمالاً علمياً وعملياً يؤدي بالإنسانية إلى عهدها الذهبي المنتظر ، دون أن ترتطم بمعطلات اعتقادية تحول بينها وبين الحقائق الكونية . وقد بذل دعاة المادية جهد الجابرة في نشر مبادئهم ، فأكثروا من المحاضرات الفلسفية المؤيدة لمذهبهم ، وعمدوا إلى طبع المؤلفات - التي تؤيد مزاعمهم<sup>(١)</sup> - طبعات رخيصة لتنتشر بين طبقات الشعب ، حتى تم لهم ما أرادوا من زعزعة عقائد بعض المتدينين في شؤون ما فوق الطبيعة ، فكانت ثمرات هذه الجهود - التي بذلت من الدعاة الماديين - تدهور الآداب العامة ، والتي يقول عنها الدكتور الفرنسي - ليون ووتي-<sup>(٢)</sup> في كتابه المسمى : إلى الذين يأملون إلى الأرواح المعطلة :

والمذهب المادي ينفث في صدر الإنسان نظرياته التي تقرر له أنه سيفنى بعد الموت ، يطلق فيه شهواته من قيودها ويوجد منه نهماً حيوانياً لتوفيتها ... هذا المرض الاجتماعي الخطير المؤلف من الهستيريا وعدم الشعور ، يعمل على إيقاع الإنسانية في انحلال لا علاج له .

والإنسان في هذا الحضيض من الانحلال يشعر بكدر عظيم ، ويتألم متمنياً أن تكون له حياة أفضل مما هو عليه ، ولكنه لا يجد العون الضروري لإنقاذه مما وقع فيه ... فالعقلية التي تساورنا اليوم سم نافع تجتاح إنسانيتنا ، وإن تسرب هذا السم القاتل يلون كل ما بقي في نفوسنا من جليل ونبيل وعظيم ، والقوانين البشرية تعجز عن كبح أي

(١) روح الدين الإسلامي : ص ٨٣ وما بعدها .

(٢) روح الدين الإسلامي : ص ٨٤ .

جماح إنساني ما دامت الأخلاق قد فقدت سلطانها على القلوب . فنحن إذن نفرق في انحطاط ، فإذا لم نعمل على استرداد وجودنا ، فسنسير قدماً إلى هلاكنا لأن الشر يستدعي العقاب .

ويضيف الأديب الفرنسي - فيكتور هيجو - إيضاح تأثير المذهب المادي في النفسية الإنسانية بقوله<sup>(١)</sup> : لا توجد كارثة في زماننا هذا - وكنت أريد أن أقول شبه كارثة - إلا وهي تؤكد الميل إلى حصر كل اعتبار في هذه الحياة وحدها !! . والحقيقة أنه باقتناع الإنسان بأن هذه الحياة الأرضية المادية هي الغرض الأسمى من الوجود ، والنهية التي ليس بعدها مرمى ؛ تتضخم جميع متاعب العيش وتعظم سائر تكاليفه ، وتصبح فكرة العدم غير ممكنة الاحتمال ، وينقلب الأمل - وهو ناموس إلهي موصل إلى الكمال - ناموساً من اليأس موصلاً إلى النار . وقس على ذلك جميع الشؤون الاجتماعية .

فالذي يخفف الجهاد ويشرف العمل ، والذي يجعل الشخص قوياً متسامحاً عاملاً صبوراً شجاعاً جريئاً ، وفي الوقت نفسه متواضعاً وعظيماً جديراً بالحرية ، هو ما يتراءى له على الدوام من حياة أبدية أكمل ، يتألق نورها خلال غياهب هذه الحياة ... فواجبنا جميعاً أن نوجه الرؤوس نحو السماء ، وأن نلفت جميع الأرواح إلى حياة بعد هذه الحياة ، يتقرر فيها العدل ويجازى كل على ما كسبت يده<sup>(٢)</sup> .

(١) ترجمة الأستاذ محمد فريد وجدي في مجلة الأزهر : م ١٣ - ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٢) هذه الكلمات ألقاها فيكتور هيجو في الجمعية التشريعية التي عقدت في ١٥ يناير ١٨٥٠ م . في باريس . وقد نقلها الدكتور ووت في كتابه : هل الإلحاد ممكن ؟ وترجمها محمد فريد وجدي في مجلة الأزهر .

## مناقشة الماديين

يقول الأستاذ أحمد أمين : أما أن العالم مادة فقط فقول لا يستسيغه العقل ، فكيف تكون الأفكار والإرادة والعواطف نتيجة للمادة الكثيفة الجامدة ؟ ! . وكيف يكون الفكر الذي يشعر بشخصيته نتيجة لمادة لا تشعر بشخصيتها ؟ ! . بل كيف تكون المادة علة للفكر والعقل غير الماديين ؟ ! . إن لم يكن ذلك ، فلا بد أن يكون هناك شيء وراء المادة ووراء الجسم وهو الروح .

وقد أثبت العلم الحديث أن المادة لا تنعدم ، فكل ذرة في هذا العالم لا تفتنى ولكن تتحول ؛ فالشمعة تحترق ، ولكن الكيماوي يستطيع أن يثبت أن عناصرها لم تفتن ، وإنما تفرقت في الجو ، وهي موجودة في الهواء ولكن في وضع آخر ؛ تغير شكلها ولكن لم يتغير جوهرها .

هذا ما قرره العلم الحديث . وعلى ذلك ؛ فموت الأجسام ليس إلا تغيراً لحالات الجسم ، وسيبقى الجسم في هذا العالم على أشكال أخرى . وإذا كان العالم مادة وروحاً معاً وكانت المادة لا تفتنى ، فكيف تفتنى الروح وهي أصلح من المادة للبقاء ؟ ! . وتكوينها وصفاتها أنسب للديموم ؟ ! . إن الروح هي التي تمس المادة فتدب فيها الحياة ؛ إنها تحل في الجسم فيعقل ويفكر ، وتفارقه فيكون مادة جامدة كسائر المواد . لا ، ليس إلهام الإنسان بالحياة الأخرى وهم ، إنما هو وحي صادق

من طبيعته ، وشعور حي يتغلغل في غريزته (١) . ا. هـ .

وهكذا تم الافتتان بالمادة والتقدم المادي ، واتخذ الناس القوة والرفاهية إلهاً يقدر ويعبد ويكفر بغيره ، ويضحى على أنصابه بكل القيم الخلقية والروحية وما ليست له قيمة مادية . وهذا يتعارض مع الأديان السماوية وتعاليم الإسلام الحنيف . ذلك المنهاج المادي الذي يلح على أن هذه الحياة هي كل شيء وهي المنتهى ، ويبالغ في تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها ، والحرص على ترفيها وتحسينها وتزيينها .

استفتت مجلة - كوليرز المعروفة - عدداً كبيراً من علماء الذرة والفلك وعلم الأحياء وغيرهم ، فأكدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الكون ويرعاه برحمته وعظمته وعلمه ... وقال عالم آخر إنه لا يشك في أن : الكائن الأعظم - وهو ما تسميه الأديان السماوية الله - هو الذي يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة في هذا الوجود ... (٢) .

---

(١) فيض الحاطر .

(٢) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها . عبد الرحمن الميداني . ج ١ - ص : ١٠٥ .



## جنايات المادية

وإلى القارئ الكريم بعض الفقرات التي تكشف القناع عن أخطار المادية الهدامة وسوء منقلبها :

يقول أبو الحسن الندوي<sup>(١)</sup> : كان من نتائج هذه المادية الجارفة ، والتربية اللادينية التي ليس فيها نصيب للأخلاق ومخافة الله عز وجل ، والإيمان بالآخرة ؛ أن أصحاب المراكز الكبيرة ورجال السياسة والمسؤولين يرتكبون في بعض الأحيان جنایات لا يتنزل إليها أكبر الآثمين ؛ وذلك لمصلحة سياسية وهمية لبلادهم وأمتهم أو لجاه شخصي أو ربح مالي<sup>(٢)</sup> .  
فمن أغرب ما روي في تاريخ البشر من القسوة والظلم ، أن الإنجليز قد أوقعوا في بنغال الهند مجاعة مزورة غير طبيعية ؛ لأنهم منعوا استعمال القوارب التي يحصد الناس عليها مزارع الأرز - وهو غذاء بنغال - واحتكروا الحبوب في مقدار عظيم للجند ، ولم يتمكنوا الناس منها حتى فسدت وضاعت وماتت مئات الألوف من الناس جوعاً ، والحبوب وفيرة في البلاد والمواصلات ميسورة ، والقطر غادية رائحة ، والهند بلاد مخصبة تستطيع أن تغذي بلداً أخرى ؛ وذلك كله لما توقعوه من إقبال الناس على التجنيد ، وليبرهنوا على فشل الحكم الذاتي في إدارة البلاد .

وقد تغافل لورد - ماونت بيتن - حاكم الهند العام سنة ١٩٤٧ عما يدبر من الفتك بالمسلمين في دلهي وبنجاب الشرقية ؛ فقد اتصلت به

(١) ماذا خسر العالم بالمحطات المسلمين : ص ٢١٠ . بتصرف .

(٢) المصدر السابق .

أنباء المؤامرات والخطط التي كانت تبث ضد العنصر الإسلامي في هذه المنطقة ، وأنذره الخبراء بوقوع اضطراب طائفي هائل ، فنام على ذلك كله انتقاماً لأن المسلمين لم ينتخبوه حاكماً عاماً لباكستان - كما فعل أهل الهند - ولتكون هذه الاضطرابات الطائفية والحروب الأهلية حجة على عدم أهلية أهل البلاد للاستقلال ، وكونهم عبيلاً على الإنجليز في الأمن والنظام ، فكان نتيجة ذلك تلك المجزرة البشرية الهائلة التي عقت القرون أن تلد مثلها .هـ .

ومن ذلك أن -ريد كلف- الذي اختاره الفريقان الهنديان حكماً في مسألة بعض مدن بنجاب ؛ هل تنضم إلى هند وباكستان أو إلى باكستان ؟ حكم حكماً جائراً ، فكان نتيجة ذلك جلاء المسلمين من فيروز وبور وكورداسبور ، ومتاعب عظيمة وخسائر كبيرة في النفوس والأموال .

أما تأييد واشنطن والرئيس الأمريكي للصهيونية ودولة إسرائيل في فلسطين ، ومعارضة القضية العربية التي لا غبار عليها لأجل أن يكسب ود اليهود ، ويتمتع بنفوذهم السياسي والمالي والصحافي وليكسب انتخابه وتعاميه عن براهين الدول العربية الساطعة ، وسكوت أمريكا على فظائع فرنسا في الجزائر ووقوفها بجوار هذه الدولة الجائرة في قضية الجزائر العربية الإسلامية ، وتعاونها على الإثم والعدوان ، فقضية تنبئ عن ضعف أخلاق العظماء في أمريكا وأوروبا ، ودوران الحياة السياسية على الفوائد لا المبادئ .

وما أحسن ما قاله الدكتور محمد عبد الله دراز : إن الغيب الذي

تؤمن الأديان بوجوده وراء الطبيعة ، ليس من جنس هذه المادة المادية المنفعلة ، بل هو شيء ذو قوة فعالة مؤثرة ، وله أسلوب في تصرفاته مباين للطرائق التي تؤثر بها المادة فيما حولها .

القوة التي يخضع لها المتدين يفهمها على أنها قوة عاقلة ؛ تقصد ما تفعل وتتصرف بمحض إرادتها ومشيتها .

وهي ليست قوة منطوية على نفسها منعزلة عنه وعن العالم ، بل يرى أن لها اتصالاً معنوياً به وبالناس ؛ تسمع نجواهم ، وتعنى بآلامهم وآمالهم ، وتكشف عنهم الضرر .

القوة التي يقدها المتدين ليست فكرة مجردة ، وصورة عقلية محضة ، بل هي حقيقة خارجية ، هذه الحقيقة ليست مادة يقوم عليها الحس بل هي سر غيبي لا تدركه الأبصار .

هذه القوة الغيبية ؛ قوة عاملة تتصرف بالإرادة لا بالضرورة - كما المغناطيس والكهرباء - ولها عناية مستمرة بشؤون العالم الذي تدبره وأن لها تجاوباً نفسياً مع نفوسه .

والمتدين يرى وراء كل حس معنى ، ويلتمس لكل ظاهر باطناً ، ويضع في مبدأ كل فعل فاعلاً ، معتقداً أنه لا يقع في الكون شيء من دقيق الحوادث وجليلها إلا والله فيه قضاءً وتدبيراً .

والدين هو الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية لها شعور واختيار ، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعنى بالإنسان . وهو اعتقاد من شأنه

أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية رغبة ورهبة في خضوع وتمجيد .  
وهو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة .

ويقول : إن مطلب الألوهية مطلب توافرت عليه الفلسفات  
والنبوءات ، وإن دلائله البرهانية ماثلة في الأنفس وفي الآفاق ، وإن  
بواعثه النفسية مركوزة في العقول وفي الوجدانات .

وإنما اختلف الناس في الاستنباط والافتناع ؛ فهناك من استمد إيمانه  
من مشاهد الطبيعة وتجارب عالم الروح ، إن آيات الألوهية ماثلة  
في كل مكان ، وإن وسائل الناس إلى معرفتها مختلفة<sup>(١)</sup> .

### أقوال لبعض العلماء الداحضة لأفكار الماديين

إن كبار علماء الدنيا وفلاسفة الكون - في عصور التاريخ على  
اختلافها - يعتقدون بوجود الخالق سبحانه . وإليك طائفة من أقوالهم  
واعترافاتهم<sup>(٢)</sup> :

(١) يقول - روبرت موريس بيدج عالم الطبيعة - أول من اكتشف  
الرادار في العالم سنة ١٩٣٤ م : وجدنا أناساً موهوبين يحدثوننا عن  
الغيب . يقولون إنهم رسل الله . وما حدثونا به قسمان :

(١) من كتاب الدين . بقلم الدكتور محمد عبد الله دراز . ثم انظر قضايا العصر في ضوء الإسلام :  
ص ٥٣ - ٥٥ .

(٢) هذه المعلومات مقتبسة عن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم . للصحفي الأمريكي جون  
كلوفر مونسم . ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان . العقيدة الإسلامية وأسسها : ج ١  
ص : ١٠١ وما بعدها .

١ - قسم يقولون فيه : إن لهذا الكون خالقاً واحداً يجب الإيمان به .

٢ - قسم يخبروننا به عن بعض أمور الغيب التي ستحدث .

أما القسم الثاني فقد وقع كما أخبرونا به بعد مئات السنين ، وأيدت الأيام وأثبت التاريخ صدق هذه النبوءات جميعاً ، وهي من الأشياء التي عجزت العلوم حتى اليوم أن تجد لها تفسيراً ، فدل ذلك على صحة رسالتهم وصدق أخبارهم ، ووجب أن نصدقهم فيما أخبرونا به عن الله تعالى وصفاته ، وهو القسم الأول ؛ لأن عقولنا لا تمنع منه بل عندنا من الشعور الداخلي ما يثبتته . ثم قال :

إن الإيمان بوجود الله من الأمور الخاصة ، تثبت في شعور الإنسان وضميره وتنمو في دائرة خبرته الشخصية ا.هـ .

(٢) يقول - فرنك ألن - عالم الطبيعة البيولوجية ، تحت عنوان : نشأة العالم ؛ هل هو مصادفة أو قصد ؟ :

إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود ، فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟ ! .  
هناك احتمالات أربعة للإجابة على هذا السؤال :

١ - فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ؛ وهذا ما يتعارض مع ما سلمنا به من أنه موجود .

٢ - وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم ؛ وهذا مرفوض بداهة .

٣ - وإما أن يكون هذا الكون أزلي الوجود ليس لنشأته بداية ؛ وهذا الاحتمال يساوي ما يقوله ناس من المؤمنين بالله بالنسبة لأزلية الخالق ، لكن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذاً حدث من الأحداث ، ولا يمكن إحالة وجود هذا الحدث المنظم البديع إلى المصادفة عقلاً ، ولذلك فهذا الاحتمال باطل أيضاً .

٤ - وإما أن يكون لهذا خالق أزلي أبدعه ؛ وهو الاحتمال الذي تقبله العقول دون اعتراض . وليس يرد على إثبات هذا الاحتمال ما يبطله عقلاً ، فوجب الاعتماد عليه . هـ .

(٣) يقول - إدوارد لوثر كيل - أستاذ الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرانسيسكو :

١ - أضاف البحث العلمي - خلال السنوات الأخيرة - أدلة جديدة على وجود الله ، زيادة على الأدلة الفلسفية التقليدية .

٢ - لقد عمت بلادنا في السنوات الأخيرة موجة من العودة إلى الدين ، ولم تنحط هذه الموجة معاهد العلم لدينا ، ولا شك أن الكشف العلمية الحديثة التي تشير إلى ضرورة وجود إله لهذا الكون ، قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة إلى رحاب الله والاتجاه إليه .

٣ - يرى البعض أن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ، ليس أصعب من الاعتقاد في وجود إله أزلي ، ولكن القانون الثاني من قوانين

الديناميكا الحرارية يثبت خطأً هذا الرأي ، فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ، ولا يقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية ، فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة ، والواقع أن الكون لا يزال في عملية انتشار مستمر تبدأ من مركز نشأته .

٤ - لو أن المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق ، بنفس روح الأمانة والبعد عن التحيز الذي ينظرون به إلى نتائج بحوثهم ، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثير بالعواطف والانفعالات الخاصة ، فإنهم سوف يسلمون دون شك بوجود الله تعالى ، وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسر الحقائق ، فدراسة العلوم بعقل متفتح سوف تقودنا دون شك إلى إدراك وجود السبب الأول ، الذي هو الله تعالى<sup>(١)</sup> . ا.هـ .

وهكذا تتسلسل مقالات كبار العلماء الماديين المنصفين على هذا الأسلوب العلمي ، الذي يقررون فيه حقيقة وجود الله تعالى ، وهم يعلنون خشوعهم وخضوعهم بين يدي عظمته وقدرته وحكمته جل جلاله ، مقتبسِينَ من أدلة الكون - التي لا تحصى - ما يقنعهم في إيمانهم بالله تعالى .

وكان من تلك الأسس - التي بنى عليها العلماء آراءهم ، فيما تضمنه

(١) انظر كتاب العقيدة الإسلامية وأسسها : ج ١ - ص : ١٠٣ وما بعدها .

كتاب: **الله يتجلى في عصر العلم**؛ هذه الأدلة التي تدل على وجود الخالق سبحانه ،

١ - الكون منظم بأبدع نظام وأدق ، وهو موافق في نظامه للحكمة بلزقي ما يمكن أن تكون ، سواء في قوانينه العامة أو في شذوذاته .

٢ - لا يمكن أن يقبل العقل إحالة هذا النظام البديع إلى المصادفة ، فوجب أن يكون منظماً بإرادة منظم ذي قوة لا نهاية لها ، وحكمة لا يوجد أحكم منها ، وعلم واسع محيط .

٣ - إن العلوم الإنسانية تؤيد أن لهذا الكون بداية ، وأنه قد بدأ بشكل مفاجئ ، وكل ماله بداية فلا بد أن يكون له مبدئ خالق ، لأنه لا يمكن أن يخلق نفسه بنفسه .

٤ - الخبرة الشخصية لكل إنسان تدل على وجود الخالق .

٥ - لا يمكن أن تكون فكرة وجود الله خاطئة ، وهي الفكرة التي يتفق على الشعور بها الناس على اختلافهم

٦ - لا يوجد دليل واحد للمنكرين ، ولكن لكل مثبت أدلة كثيرة من خلال ملاحظاته الخاصة ، مهما يكن مستوى ثقافته ومدى ذكائه .

ويقول العالم تشاد والسن : إذا ما يطلب إلى أي إنسان - سواء أكان مؤمناً أم ملحداً - هو أن يبين لنا كيف تستطيع المصادفة أن تخلق



هذا الكون ؟ . كذلك يقول العالم الطبيعي والكاتب اللامع أوليفرونديل يقول : كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، فالفهم الحقيقي للعلوم يدعو إلى زيادة الإيمان بالله . ه :

ونحن حين نورد هذه الآراء لا نحاول أن نستشهد بها على وجود الله تبارك وتعالى ، ولكننا نقدمها تكذيباً للقائلين بأن العلم ما زال مادياً ينكر الغيب ، ونقول إن العلم قد تحول عن نظرتة القديمة .

أما دعاة المادية والإلحاد ، وإنكار الغيب وما وراء الغيب من بعث وجزاء ، فإنما هم الفلاسفة أصحاب المذاهب الهدامة وأضرابهم ، التي ترمي إلى تدمير مقومات الأمم<sup>(١)</sup> .

ونستطيع أن نقول في هذا المجال ، الذي فتحه رجال العلم نحو الغيب : إن الإسلام هو دين الفطرة ، والفطرة ليست عقلاً صرفاً ولا عاطفة محضاً ، وإنما هي مزيج من العقل والعاطفة إذا التقيا ؛ تلك هي الفطرة مركوزة في النفس البشرية :

( فَطَرَتَ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )<sup>(٢)</sup> .

(١) لزيادة الفائدة راجع كتاب : الله يتجلى في عصر العلم . والعقيدة الإسلامية وأسسها : ج ١ للميداني .

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

## الوجودية

كثرت دعوات الهدم والإلحاد بعد عصر النهضة ، وازداد خطرها وتفتت أوبشتها خلال القرن العشرين .

هذه الدعوات تستهدف في مجموعها تجريد الإنسان من إنسانيته ، واعتباره عنصراً مهماً معطلاً ليس له من مهمات سوى إشباع غرائزه . .

وفي عصر التطور وطغيان المادة ظهرت النظرية الوجودية ، التي كانت واحدة من هذه المبادئ الهدامة ، التي تواجه المجتمع الإسلامي وفكره ، بقيم ومفاهيم تتعارض مع أصول هذا الفكر ومقوماته المستمدة من القرآن الكريم والقائمة على التوحيد . . . هذه النظرية المرتبطة بنظرية فرويد ارتباطاً وثيقاً ، وتكاد تكون ثمرة لها وامتداداً من الفلسفة المادية في تطورها وغايتها .

فالفلسفة المادية لا تسلم بوجود الروح ولا القوى الغيبية ؛ وهي لا ترى أن القيم الاجتماعية العقلية والتعاليم الروحية قيماً باقية لا يعترها التبديل والتغيير ؛ وهي ترى أن الدين ليس فطرة ، والجريمة ظاهرة سوية ، والزواج ليس من الفطرة ، والجنس هو الدافع الوحيد للشخصية ، ومفهوم الإباحية والجنس هما أبرز دوافع الإنسان . ويجري هذا الاتجاه كله من امتداد عنوانه : الإنسان حيوان .

## مبادئ الوجودية

وتقدّم النظرية الوجودية على أساس رفض الحياة ، والقول بالعدمية والتعطيل ، وهي تربط نفسها بالدعوة إلى تحرير الإنسان من كل القيود - كما تقوم النظرية الفرويدية لتحرر الإنسان من الكبت - فالنظريتان تقومان حول أخلاق الإنسان ونفسيته ، وتستهدفان تدمير وجوده بتحرره وإطلاقه من كل القيم والمقومات والضوابط .

إن الوجودية تكفر بالدين وتنكر المجتمع ، وكذلك لا تحفل بالعقل وتعتبره شيطانها الرجيم ، إذ أنّها خاضعة للدوافع الذاتية والغرائز الجنسية ، تتلقى أوامرها من هوى الإنسان ونفسه فتخليه عن كل مسؤولية ، ولا يدخل في حسابها شيء من حق المجتمع لأنها لا تؤمن به ، وتعتقد أن المجتمع كلمة جوفاء لا حقيقة لها أطلقت من غير وعي وتفكير<sup>(١)</sup> .

أما الفرد فله وجود حقيقي ملموس ، يخاف ويأمن ويحيا ويموت ، والمجتمع مجرد من هذا كله لا يحمل أي صفة من صفات الفرد ، فلا حقيقة للإنسان إلا إذا أشبع غرائزه الذاتية مما تتطلبه نفسه وتصبو إليه ، غير مبال بما ينجم عن ذلك من فساد وأضرار . إذن تؤول الوجودية - بعد التمحيص والتنقيب - إلى أن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، وفطره على أحسن فطرة ، وجعله خليفته في أرضه ، يكون شبيهاً

(١) الدين والعلم الحديث .

بالحيوان الأعجم ؛ يعيش ليأكل ويتسافد ليتمتع ، وليست عليه مسؤولية ، وفي ذلك إهدار للكرامة الإنسانية وعدم تقدير للألوهية . والوجوديون يناون عن الدين لأنه يحد من شهواتهم ويقف في طريق نزواتهم ؛ في سبيل إصلاح مجتمعهم ، فالوجودية لا تمجد الفضيلة ولا تقبح الرذيلة ؛ فالخير والشر عندها سواء فيما يتعلق بالمجتمع والمجتمعات .

أما الخير في الأفراد فهو كل ما صادف هوى ولبى نداءً غريزة ، فكان هاتف الوجودية يهتف ويصيح في آذان كل فرد : خذ حظك من الحياة ماشئت ، ولا تدع أية فرصة تفوتك دون أن تظفر بلذة مشروعة أو غير مشروعة ، أو متعة مباحة أو غير مباحة . . . وهل تألفت الحكومات إلا لتحدد لكل شخص رغباته ، وتعاقب كل من تعدى حدوده وهضم حق غيره ؟ ! .

وهل أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا لتنظيم هذه الغرائز وتحديد مطالبها ، حتى لا يبغى أحد على أحد ؛ فيعيش الناس في أمن وسلام وطمانينة<sup>(١)</sup> .

هذه الوجودية وفلسفتها التي لم تنشأ عن تفكير بل نشأت عن هوى وتقليد للغربيين ، الذين استباحوا لأنفسهم كل محظور ، وهم عن آيات الله غافلون ولحق المجتمع جاحدون .

ومما يناسب هذا المقام نذكر ما قاله أحد العلماء الأفاضل<sup>(٢)</sup> : عرضت

(١) راجع الوجودية وقضايا العصر . (٢) انظر كتاب الدين والعلم الحديث .

علي حادثة وأنا قائم بإلقاء محاضرة في مسجد الشهيد الحسين رضي الله عنه ؛ تلك الحادثة هي أن أحد ضباط مكتب حماية الآداب جيء إليه بفتى وفتاة ارتكبا في قارة الطريق ما يخل بالآداب ، على مرأى ومسمع من الناس فقال لهما : إن هذا محظور في القانون السماوي والقانون الوضعي . فقالت الفتاة : ألم تعلم أن حرية الأديان والمذاهب مكفولة لكل فرد في القانون الوضعي ؟ . فقال لها : ما دينك ؟ . قالت : ديني ومذهبي الوجودية . وقال الشاب مثلها ، فأرتج عليه لأنه لم يعرف شيئاً عن الوجودية ، وهذا ما دعاه إلى أن يجيء إليّ سائلاً . فهذه لا تتركز على دعائم ثابتة ولا تهدف إلى الإصلاح بل الفساد بعينه .

أما الشعور بالمسؤولية أمام الله فإنها تدفع عن النفس طغيانها ، وتزلزل عليها قواعد شرها في ليلها ونهارها ، في بعدها عن القانون . فأين الشرى من الشريا ؟ ! ! .

كل هذا يحدث لغياب الدين عن أرض الواقع ، ولفقدان الوازع الديني الذي هو الرقيب العتيد ، والكفيل بخلاص البشرية وسعادتها . فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وللقارئ الكريم ما جاء في مقال للأستاذ عباس العقاد عن الوجودية - الجانب المريض منها - قال ما نصه<sup>(١)</sup> :

ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة

(١) كتاب : بروتوكولات حكماء صهيون : ص ٧٧ .

التي لا شك فيها ؛ وهي أن إصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان ، فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية ؛ التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان ، واليهودي دوركايم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب .

واليهودي - أو نصف اليهودي - سارتر وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد ، فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال . ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية كلما شاع في أوروبا مذهب جديد ، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة المعارضة والتدبير المقصود .

والوجودية في نظر الباحثين في مجال الفلسفة الغربية ، هي فلسفة عدمية<sup>(١)</sup> سلبية من ألفها إلى يائها ، تود أولاً وقبل كل شيء أن تقتل التفكير وتشل القدرة على استخدام العقل . فهي تقول : يجب أن تقتل في نفسك العقل والمنطق إذا أردت لنفسك خلاصاً ، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بهما . ه .

والمذهب الوجودي قائم على عدم الاعتراف بالعقل ، وعدم الاعتراف بالعقل هو عدم اعترافه بكل شيء ، ولا ينتبه إلى ذلك الجزع النفسي

---

(١) راجع كتاب الوجودية وقضايا العصر .

الذي يملك على الإنسان حسه ونفسه جميعاً ، وإلى ذلك الشعور بالقيء  
أو الغثيان الذي يسيطر عليه عندما يواجه العالم .

وتنادي الفلسفة الوجودية بنفي الألوهية والدعوة إلى عبادة الذات ،  
فالإنسان في نظرها يجب أن يستمتع بوجوده كل الاستمتاع ويطلق  
لحريته العنان ، فيحقق لنفسه أكبر نصيب من المتع والم لذات باعتباره  
إله نفسه وسيد كيانه .

وفي رواية الذباب لسارتر يقول أورست مخاطباً جوبيتر رب الأرباب :  
سيدي الإله ، كان عليك ألا تخلقني حراً ، وما أن خلقتني حتى  
انفصلت عني وتخليت عن نسبتي إليك ، فأنا لم أعد ملكاً ، وليس  
ثمة في السماء من خير أو شر أو إنسان يصدر إلي الأوامر ، لن أعود  
أخضع لشرعك ، ولست محمولاً على الخضوع لغير شريعتي أنا ، لأنني  
إنسان يا جوبيتر ، وعلى كل إنسان أن يبتكر طريقه بنفسه .

وتعد الوجودية ثورة على مفهوم الدين في المجتمع الغربي ؛ امتداداً  
لثورات نيتشه وفرويد وماركس . ومجمل آراء الوجودية من نصوص  
سارتر (١) :

- ١ - الله افتراض غير نافع ، وهو يكلفنا كثيراً فنحن نلغيه .
- ٢ - هذا العالم وجد بغير داع ويمضي لغير غاية .
- ٣ - يوجد كل موجود بدون سبب عقلي وبدون داع ، وتمتد حياته  
بواقع من الضعف ثم يموت بالمصادفة .

(١) قضايا العصر .

٤ - العالم كله خداع في خداع ، إننا موجودون بدون سبيل عقلي  
وبلا داع ، والعالم يمضي لغير غاية .

وملخص النظرية الوجودية :

أن أزمة العصر هي غربة الإنسان عن ذاته ، فإن التقدم التكنولوجي  
قد جعل منه ترساً في ماكينة أو قطعة غيار في جهاز . وتدعو الوجودية  
الإنسان فتقول :

أنت مطلق الحرية فاصنع ما شئت ، فإن الحياة كلها سخف يورث  
القلق والضجر ، وقد وجه الغربيون النقد للنظرية الوجودية من  
حيث إنها :

أولاً : تجعل الإنسان في عزلة عن الجماعة .

ثانياً : تستطيب إبراز القبيح من جوانب الطبيعة الإنسانية .

ثالثاً : تبطل الأوامر الإلهية وتنكر القيم الخالدة .

والإنسان في الإسلام مخلوق لغاية فلم يخلق عبثاً ولا سدى . والفرق  
بين الإنسان والحيوان إنما يكمن في العقل والقدرة على التفكير ، وذلك  
التكليف الذي أطلق عليه القرآن اسم الأمانة ؛ فالإنسان خلق خلقاً  
متميزاً في تركيبه الطبيعي ، وفي وظيفته وغاية وجوده ومآله ومصيره ،  
وإنه قد وضع موضع الامتحان بالحياة والابتلاء بها ، والمحاسبة في  
النهاية على سلوكه فيها ، هذا السلوك الذي يقرر جزاءه ومصيره .  
فلنستمع إلى قول الحق سبحانه :



( أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ) (١) ؟

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ) (٢) .

كما أكد الإسلام على ترابط الروح والجسد في الإنسان ، ودعا إلى التوازن بينهما حتى لا يقع التناقض ؛ ليعيش الإنسان في وسط مأمون مؤدياً وظائفه المنوطة به ومهامه كاملة ، فيحقق بذلك سعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

## الاستشراق والمستشرقون

من سوء حظ البشرية في عصورها المتعاقبة أن يكون أعداء الحق والخير أكثر عدداً وعدة من أنصارهما ؛ لغلبة الهوى وتحكم الشهوات في نفوس البشر . ولعل الحكمة في ذلك أن الحق قوة بذاته فلا يضره قلة الأنصار ، أما الباطل فضعيف بطبيعته ، لذلك كان أحوج إلى كثرة العدد والعدة ليستكثر بهما على الحق .

ثم هو بعد ذلك ضعيف ، ومن هنا كانت طبيعة الحق الصدق والصراحة ، وكانت طبيعة الباطل الكيد والمراوغة . والعاقبة للحق وأهله ، وللباطل الهزيمة ولو كثر أذعياؤه .

(٢) سورة الملك : ٢ .

(١) سورة القيامة : ٣٦ .

وهكذا فإننا لا نجد غرابة في كثرة أعداء الإسلام وتعدد فئاتهم وتنوع أساليبهم وأفانينهم ؛ في الكيد لحقائقه ومحاولة طمس معالمها بتشويه تاريخه وسيرة رجاله وعظمائه وحضارته ، بدافع الحقد والتعصب والهوى المتحكم في نفوس أعداء الإسلام من صليبيين وصهاينة واستعمار وإلحاديين .

لقد أفرط منا أناس في الثقة بالمستشرقين ، والاعتماد عليهم في كثير من الأبحاث التي سطرتها أيديهم ولوثتها بسمومهم وحنقهم أقلامهم ، كما أن الشناء المطلق قد انهال على جهودهم وما توصلوا إليه ، سواء كان رائدهم الحق أو الضلال ؛ من حيث التشويه والتمويه والذس والافتئات على الحقيقة .

ولعل من أخبث أعداء الإسلام في العصر الحديث فئة من الدجاجلة المتورين ، بمن أكل الحقد والتعصب أفثدتهم ، انتحلوا صفات العلماء والباحثين ، وزعموا لأنفسهم العلم والمعرفة ، وهم أبعد الناس عن حقيقة العلم وعن أخلاق وصفات العلماء .

أولئك هم المستشرقون بغالبيتهم ، الذين انبروا لحرب الإسلام تحت ستار العلم وقناع الدراسات الاستشراقية ، ويكفيينا معرفة بأن معظم المستشرقين هم من رجال الكهنوت في دول الغرب ، أو من موظفي دوائر الاستعمار والمؤسسات الصهيونية ، لنكتشف بسهولة طبيعة دراساتهم وحقيقة أهدافهم وأساليبهم الملتوية وأغراضهم الماكرة ، هؤلاء الصنف الممتاز في الضلال والتضليل والخداع على حساب العلم والحق .

وإنه لمن المؤسف حقاً أن عدداً غير قليل من أبناء الغرب والمسلمين ، من كتاب ومؤرخين وعلماء - ممن تلقوا العلم في ديار الغرب ، وقل رصيدهم من الثقافة والعلوم الإسلامية من مصادرها الأصيلة ومنابعها الصافية - قد تأثروا بدراسات المستشرقين وخذعتهم أساليبهم عن حقيقتهم ، فأخذوا يرددون شبهات المستشرقين وأباطيلهم ، ويروجون لها على أنها حقائق علمية لا تقبل الجدل ، دون تمحيص لأقوالهم أو عرضها على المصادر الأصلية .

ولذلك سرى السم بالدمس وانطلت الأباطيل على من قصرت همته عن تتبع الحق والوقوف عنده والتزامه منطلقاً ومنهاجاً .

ومن بين الأدباء والمفكرين الذين انساقوا في تيار المستشرقين ، واقتفوا أدراجهم إعجاباً بهم ؛ الدكتور طه حسين الذي كان من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر ، حيث يقول في مقدمة كتابه : الأدب الجاهلي .

... وكيف تتصور أستاذاً للأدب العربي أن يلم - بما انتهى إليه الفرنج - المستشرقون - من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة ، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ؛ ولا بد من التماسه عندهم ، حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا ، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا<sup>(١)</sup> .

(١) الاستشراق والمستشرقون : ص ١٠٢ .

ومما لا شك فيه أن كلام الدكتور طه حسين هذا ، إنما يمثل دوراً من أدوار العبودية الفكرية ، التي مرت بنا في مطلع نهضتنا العلمية والفكرية الحديثة ، وتمثل هذه العبودية في كتاب الأدب الجاهلي الآنف الذكر ، لقد كان ذلك الكتاب ثدياً لمخلصة لآراء غلاة المستشرقين والمتعصبين ضد الإسلام والعرب ، أمثال مرجليوث اليهودي الذي نقل آراءه كلها في كتابه الأدب للجاهل ونسبها إليه .

أفاد الدكتور مصطفى السباعي في كتابه : الاستشراق والمستشرقون : كما يمثل هؤلاء المعجبين بالمستشرقين أيضاً الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام وضحي الإسلام ، حيث حوياً كثيراً من السرقات لآراء المستشرقين<sup>(١)</sup> .

ولقد كتب كثير من علماء الإسلام في الماضي والحاضر ، وتصدوا للمستشرقين ومطاعنهم وكشفوا زيفهم وتجنبااتهم على الإسلام وأهله ، حتى إن أباطيلهم وهراءهم التي كانوا يتوقعون أن تلدها ليالي الظلام ، أصبحت هشيماً تذروه الرياح ؛ لأن هؤلاء الذين لا يفهمون تاريخ الإسلام ، والذين ارتفعت عقيرة بعضهم لجهلهم به ، كانوا يريدون أن يلبسوا الإسلام أثواباً مستعارة وهنداماً مرقعاً .

فأني لهم هذا وأهل الحق والإيمان يقفون لهم بالمرصاد لكشف الباطل ودعائه ، ولقد ثبتت إدانتهم وسيقوا إلى قفص الاتهام ، حيث

(١) نفس المصدر . استفدت معلومات نافعة من هذا الكتاب القيم ، فجزى الله مؤلفه عنا خيراً .

ناقشهم علماؤنا بالحق والدليل ، وظهرت عوراتهم مخزية .. وظهر الحق وزهق الباطل .

يقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق في كتابه - ذيل الفاريق<sup>(١)</sup> :  
إن هؤلاء الأساتيد - المستشرقين - لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً ، وتوثبوا فيه توثباً ، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسيس ، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام ، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه ، وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله ، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء ، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء وما كان ، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح وفضل المفضول . هـ .

والحقيقة فنحن قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم ، ورائدنا الحق دائماً والوقوف معه ومناصرته . والله يقول :

( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ )<sup>(٢)</sup> .

(١) الاستشراق والمستشرقون : ص ١٠٢ .

(٢) سورة المائدة : ٨ .

## تاريخ الاستشراق

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ، ولا في أي وقت كان ذلك . ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الطب والفلسفة والرياضيات .

ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي جوبرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده . وكذلك بطرس المحترم - ١٠٩٢ - ١١٥٦ م - وجراردي كريمون ١١١٤ - ١١٨٧<sup>(١)</sup> .

ثم تأسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة بادوي العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية - وهي لغة العلم في جميع أوروبا يومئذ - واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية ، وترجموا القرآن والكتب العربية العلمية والأدبية ، حتى جاء القرن الثامن عشر - وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي

(١) المصدر السابق . وقارن المبشرون والمستشرقون : ص ١٥ .

على ممتلكاته - فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ،  
ويصدرون لذلك في جميع الممالك الغربية ، ويغيرون على المخطوطات  
العربية في البلاد العربية والإسلامية ، فيشترونها من أصحابها الجهلة ،  
أو يسرقونها من المكتبات العامة ، التي كانت في نهاية الفوضى ،  
وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر  
المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا ، وقد بلغت في أوائل  
القرن التاسع عشر ٢٥٠ ألف مجلد ، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين  
في باريس عام ١٨٧٣ م . وتتالي عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات  
عن الشرق وأديانه وحضارته ، وما تزال تنعقد حتى هذه الأيام .

#### ميدان الاستشراق :

لقد بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام ، ثم توسع حتى شمل  
جميع ديانات الشرق وحضاراته وعاداته وتقاليده وجغرافيته وأشهر  
لغاته ، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية ، وحضارة الإسلام ؛  
هي من أهم ما عني به المستشرقون حتى يومنا هذا ؛ نظراً لدوافع سياسية  
ودينية شجعتهم على الدراسات الشرقية

#### دوافع الاستشراق : للاستشراق عدة دوافع منها :

١ - الدافع الديني : إن الدافع الأول عندهم كان الدين ؛ حيث بدأ  
بالرهبان واستمر حتى يومنا هذا ، وكان همهم الطعن في الإسلام والتشويه

والتحريف في حقائقه ، ليشبثوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية ، أن الإسلام - وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للنصرانية في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم همج لصوص ، وسفاكو دماء ، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي خطفي ، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر<sup>(١)</sup> بعد أن رأوا بأن الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين ، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى . فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ، ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله ، فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية . وهناك الهدف التنصيري قام به المنصرون - وهم رجال دين - فشوهوا سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين ، لتوهين العقيدة الإسلامية والتشكيك بحضارة وتراث الإسلام .

٢ - الدافع الاستعماري : لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين - وهي في ظاهرها دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية - لم ييأس الغربيون من العودة لاحتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام ،

---

(١) انظر المبشرون والمستشرقون : ص ١١ - ١٣ . وقارن بالاستشراق والمستشرقون .



فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها ؛ من عقيدة وعادات وتقاليد وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها . ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية - بعد أن مهد لهم رجال الاستشراق الطريق - وأضعفوا المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا ، وبثوا الوهن والارتباك في تفكيرنا ، باتباع طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث وما لدينا من عقيدة وقيم إنسانية ، وبذلك نفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب ، بما لديه من حضارة وقيم ومبادئ عقيدية ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم المشوهة وثقافتهم المسمومة ، ذلك الخضوع الذي لا تقوم لنا بعده قائمة .

٣ - الدافع السياسي والتجاري والعلمي : لقد كان هدفهم وورغبتهم في ترويج بضائعهم وسلعهم في أسواق الشرق ، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ، ولقتل صناعتنا لنكون عالة على ما لديهم ، حيث كان هذا الدافع التجاري لمصلحتهم الاقتصادية . وأما الدافع السياسي فهو واضح في سفارات الغرب المعتمدة لدى بلاد المسلمين ؛ ففي كل سفارة ملحق ثقافي أو إداري يتقن اللغة العربية ، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة ، ويتعرف على أفكارهم ويبث فيهم الاتجاهات السياسية التي ترغبها دولته ، ومنها الدسائس التي كثيراً ما كانت السبب في الانقلابات ، وتبديل الحكومات كما هو الحال في بعض دول العرب والإسلام .

وأما المجال العلمي : فقد كانت قلة من المستشرقين قد أقبلت لدراسة معارف الشرق ، بدافع حب الاستطلاع ونقل المعارف بأمانة وصدق ، حيث كان خطر هؤلاء قليلاً بالمقارنة لأولئك الذين كان هدفهم الدس والتشكيك في حضارة المسلمين وعقائدهم ، ولذلك كانت أبحاثهم أقرب إلى الحق والمنهج العلمي السليم من أبحاث جمهرة المستشرقين .

## أهداف الاستشراق ووسائله

تنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام :

١ - هدف علمي مشبوه ويهدف إلى :

أ - التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي ؛ فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله جل شأنه ، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي أحياناً ، وبخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب الرسول عليه الصلاة والسلام حيناً بعد حين ، ومنهم من يرجعها إلى تخيلات أو يفسرها بمرض نفسي وكان الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي ، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ونصارى يعترفون بأنبياء التوراة ، وهم كانوا أقل شأناً من محمد ﷺ في التاريخ والتأثير والمبادئ التي نادى بها ، كان

إنكارهم لنبوة النبي ﷺ نعتاً مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم ؛ كرهبان وقسس ومنصرين . . . ويتبع ذلك إنكارهم أن القرآن كتاب منزل عليه من عند الله عز وجل ، وعندما يفحمون لحقائقه التاريخية والعلمية يزعمون بما زعمه المشركون الجاهليون ، أو يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي ﷺ في تخبط غريب .

ب - ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول وسماوية القرآن إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله ؛ وإنما هو ملفق - عندهم - من الديانتين اليهودية والنصرانية ، وما هذا إلا افتراء لا يستند على دعامة تدعمه ، وإنما هو تشويه وتدليس . ويلاحظ أن المستشرقين اليهود - أمثال جولد تسيهر وشاخت - هم أشد حرصاً على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه . أما المستشرقون النصارى فيجرون وراءهم في هذه الدعوى ؛ إذ ليس في النصرانية من يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به وأخذه منه ، وإنما فيها مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام ودخلت عليه منها ، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادئها الأخلاقية ، وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ج - التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف الذي اعتمده علماؤنا المحققون ، ويتذرع المستشرقون بما دخل على الحديث من دس ووضع ، متجاهلين جهود علمائنا الذين بذلوا الجهد العظيم في تنقيته وبيان المدسوس عليه .

د - التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، ذلك التشريع الهائل الذي لا يماثله تشريع آخر في كل العصور ، وقد شككوا فيه وادعوا ادعاءات لا سند لها . ومن جهة أخرى فقد شككوا في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ، وفي الأدب العربي وحاجته لأدبهم . وهذا هو الاستعمار الأدبي ، الذي يريدونه مع الاستعمار العسكري<sup>(١)</sup> .

٢ - الأهداف الدينية والسياسية وتتلخص فيما يلي :

أ - تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم .

ب - تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري ، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الرومان .

ج - إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته ليكونوا عبيداً له .

د - إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف الأقطار ، عن طريق إحياء القوميات والعصبيات والتفرقة وحربهم على الوحدة والأخوة .

٣ - أهداف علمية خالصة مقصدها البحث والتمحيص :

هذا الصنف قليل جداً وهو مخلص للبحث والحقيقة ، إلا أن هذا الصنف لا يخلو من أخطاء لجهله باللغة وتاريخ الإسلام وطبيعة مجتمع

(١) المبشرون والمستشرقون : ص ١٢ وما بعدها . د . محمد البهي .

المسلمين ، وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاثة في أهدافها وأقلها خطراً . وقد يلاقون عنثاً كبيراً وهجوماً شديداً من قبل الفئتين السابقتين ؛ لأنهم لا ينساقون مع الهوى والشيطان . ومن بين هؤلاء الباحثين لوجه الحق من يعتنق الإسلام ويدافع عنه في أوساط الغربيين ، كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجبه الإسلام وتعاليمه السامية ، فأعلن إسلامه وتسمى باسم ناصر الدين دينيه ، وألف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ ، وله كتاب - أشعة خاصة بنور الإسلام - بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله . بعد وفاته بفرنسا نقل جثمانه الطاهر إلى الجزائر ودفن فيها .

### وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبحث آرائهم إلا سلكوها ومنها :

- ١ - تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه ، وأكثرها محرف بتعمد وعن قصد رخيص .
- ٢ - إصدار مجلات خاصة عن الإسلام في بحوثهم عن شعوب وبلاد المسلمين وأوضاعهم .
- ٣ - إرساليات التنصير لمزاولة الأعمال الإنسانية ظاهراً ؛ كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجيء وغيرها .

٤ - إلقاء محاضرات في الجمعيات والجامعات ، وأبرزهم كان يخطب في جامعات المسلمين لتشويه وتسميم أفكار أبناء الأمة والمثقفين منهم خاصة .

٥ - نشر المقالات في صحفهم ، كما تم شراء بعض صحف لنشر سمومهم فيها ، وعقد المؤتمرات الخاصة بذلك باستمرار .

٦ - إنشاء موسوعة - دائرة المعارف الإسلامية - بعدة لغات ، كتبها أشدهم عداةً وحقدًا على الإسلام وتراثه ، وكلها مملوءة بالأباطيل ، كما هي مرجع كبير لمثقفينا وحجة لديهم . وإن هذا من مظاهر جهل هذه الأمة<sup>(١)</sup>

---

(١) للمزيد انظر الاستشراق والمستشرقون : ص ٢٣ . وقارن بكتاب المبشرون والمستشرقون : ص ١٤ .

## التنصير

11



## التنصير

تمهيد:

إن التنصير فكرة خبيثة وبذرة فاسدة ملوثة ودعوة ماكرة خادعة ، تقوم على أسس هدامة ماحقة للدين والعقيدة ، ومدمرة للأخلاق والفضيلة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والقسوة . غرست بذورها زمرة ملحدة موتورة ، ونفذت أدوارها ومخططاتها على أيدٍ شريرة ، قلوبها ملامئ بالحقد والضعينة ، وقد تسترت بأقنعة الإحسان وانتحلت صفات البر والفضيلة ، وزعمت لنفسها حب الخير ومحاربة الجريمة وهي في الحقيقة داعية سوءٍ ومن أسوأ معاول الهدم اللثيمة .

إن هذه الزمرة من اللقطاء والدخلاء كالسم الزعاف ، فقد لطحوا جبين الإنسانية بالعار والشنار ، وسيبقون وصمة مמושخة في بطون التاريخ ؛ لأنهم وصموا الضمير الإنساني بالنفاق ، وستبقى صفحات تاريخهم السوداء لعنة في جبينهم لأنهم سودوا صحائف التاريخ - الذي هو المرآة الصادقة للأجيال - بالخداعة ، وجعلوا منه زاوية معتمة تحت ركام الرذيلة، ومستودعاً للإلحاد والجريمة .

## بواعث التنصير

يظن بعض الناس أن المنصّرين يأتون إلى الشرق لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى ، والحق أن نشر الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التنصيرية ... قد نجد أشخاصاً قليلين يمولون حملات تنصيرية على الشرق ، ثم أفراداً قليلين أيضاً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين حباً في نشر الدين ، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سام ، على أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ، ومن الذين يأتون فيها لا صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين الذي يزعمون أنهم جاؤوا لنشره .

إننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين<sup>(١)</sup> ، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى . إن أمريكا التي تعبد الذهب والحديد والبتروول - كما يقول أمين الريحاني<sup>(٢)</sup> - قد غطت نصف الأرض بمنصّرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني !! . وبينما ترى فرنسا دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج !! .

إن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا في الداخل ، وأصدقائها الحميمون في مستعمراتها .

(١) التنصير والاستعمار : ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق .

وكذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداة ، وخجرت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمنصرين .

حتى الروسية السوفياتية - التي تدعو في بلادها إلى محاربة الأديان - كما يقال - رأيناها بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما أرادت أن تحقق لنفوذها توسعاً إقليمياً وسياسياً ، قد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ، ودعت إلى مجمع مسكوني في موسكو ، وحملت إليه المؤتمرين في طائراتها .

ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلته .

وكثيراً ما كان الرجال العسكريون - من الإنجليز خاصة - يحضون حكوماتهم على بث المنصرين في العالم ، كما نصح الجنرال (هايج) للحكومة البريطانية أن ترسل منصرين إليها إلى شبه جزيرة العرب<sup>(١)</sup> .

إن الكثيرين من هؤلاء المنصرين المنتشرين في الأرض لم يأتوا في واقع الأمر للتنصير ، فمنهم من يحب الأسفار والمغامرات ، ومنهم من يطمح إلى السيطرة الشخصية وغيرها ، حتى إن بعضهم استغل جمعيات التنصير لمصالحه الشخصية لإشباع أطماعه ، ومنهم المكررة والتجار الذين لا صلة لهم بالتنصير ، وأصحاب الدعوات الذاتية الذين لا يتحلون بالأخلاق الحميدة .

(١) نفس المصدر : ص ٣٥ .

كتب الشاهر القروي المجيد - رشيد سليم الخوري - في مجلة العصابة الأندلسية يتكلم باسم النصارى المتألمين - كالمسلمين أيضاً - من أضرار المنصرين كلهم والبروتستانت خصوصاً فيقول : أما من الناحية الدينية فإن إقامتي الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضي أن أكون بارعاً في الجدل أو عالماً شهيراً بالتاريخ<sup>(١)</sup> .

إن طوائفنا العديدة قد زيدت - بفضل تعرفنا على الرسالة الأمريكية - طائفة جديدة اسمها الطائفة الإنجيلية... وكم أنفق الأمريكيون لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه ، كأننا أشد افتقاراً إلى فضائل النصرانية من الأمريكيين أنفسهم !! ا.ه. (٢) .

والمؤلفون عادة لا ينكرون أن التنصير قد اتخذته الكثيرون آلة للتجارة والسياسة ، وأن المنصر الأمريكي خاصة لم يستطع التحرك من غاية وسيطرة حكومته .

ذكر جسب في كتابه الذي طبع سنة ١٩١٠ م : إنه قد ثبت على اليسوعيين مؤخراً أنهم فضحوا فتاتين من طائفة الروم الأرثوذكس وأخفوهما حيناً ، ولكنهم أرغموا على ردهما بعدئذ لأهلهما . ويهاجم جسب الأديرة ونظامها ، ويذكر أنه كان لعنة على سورية ، ثم يقول :

---

(١) المصدر نفسه : ص ٣٦ .

(٢) التنصير والاستعمار .

إن بعض هذه الأديرة كان مستقراً للفاحشة والرذيلة . . . (١) .

على أن المنصرين جميعهم - سواء كانوا انتهازيين دنيويين أم كانوا مخلصين في مهمتهم - تتميز كل فرقة منهم بعداوة نحو العرب والمسلمين كما كانوا خطراً وسهماً مسموماً ينخر في كيان أمة الإسلام ، مما هدم كيان الأمة وسهل على الأعداء تدميرها وتشويه وجودها .

ولا ريب في أن مرد هذه العداوة الشديدة إنما هو إلى الحروب الصليبية ، على ذلك أجمع مؤرخو التنصير كلهم ، وهم في ذلك على صواب ، ثم إن هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن العداوة دنيوية سياسية لا صلة لها بالدين ، إن المنصرَّ جسد مثلاً يود أن يُمحي الإسلام من العالم (٢) .

## خطر الوحدة الإسلامية على الغرب

جاء في كتاب التبشير والاستعمار صفحة : ٣٦ : يرى بعضهم أن السبب الأساسي في هذا الكره إنما هو بلا ريب راجع إلى العداوة التي أثارها الصليبيون ، وإلى أن المسلمين لا يزالون متأثرين بموقف الدول النصرانية من الإسلام في أثناء الحروب الصليبية .

(١ ، ٢) التنصير والاستعمار : ص ٣٦ . إن هذا الكتاب ل ذو فائدة عظيمة لأنه يضم ما كان العرب والمسلمون بحاجة إليه ، حيث يكشف الأعداء على حقيقتهم ، ابتداء من الصليبية الحاقدة وانتهاء بلدور التنصير والاستشراق والاستعمار الغاشم ، هذه الآفات التي اكتوت بنارها أمتنا ، فجاء كاشفاً لمكائدها وأضرارها . أنصح باقتنائه بارك الله لمؤلفيه .

إلا أن **المتشرك الألماني** - كارل بيكر - يرى السبب أبعد قليلاً من ذلك؛ **إنه يرى أن الإسلام** لما انبسط في العصور الوسطى ، أقام سداً في وجه **انتشار النصرانية** ، ثم امتد إلى البلاد التي كانت تخيف أوروبا؛ **ويحاول المنصرون أن يجعلوا** العداوة بين الإسلام وبين الغرب دينية ، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات ألسنتهم فإذا هي سياسية .

إن بولص رشر يؤنب النصارى على قصر نظرهم ، أثناء الأعصر المتطاولة التي تلت ظهور الإسلام ، فإنهم كانوا فيها وادعين غافلين ، بينما كانت الامبراطورية البيزنطية - الرومانية الشرقية - تغيب شيئاً فشيئاً في الامبراطورية الإسلامية ، حتى سقطت القسطنطينية نفسها سنة ١٤٥٣ م بيد الأتراك العثمانيين .

ولا ريب في أن رشر يتألم للناحية السياسية ، لأنه هو نفسه يذكر أن سكان الامبراطورية الشرقية كانوا نصارى بالاسم . أضف إلى ذلك أنه كان منصراً بروتستانتياً ، بينما سكان الامبراطورية الشرقية على المذهب الأرثوذكسي ، ولكن كل ما ذكرناه يعود إلى ألف عام من الدهر؛ فهل ثمت مبرر لاستمرار هذه العداوة إلى أيامنا هذه ؟ ! . إذا اعتبرنا بأن أساس العداوة سياسي دنيوي لا روحي ولا ديني ، أيقنا أن هذه العداوة من المنصرين نحو الإسلام لا يزال لها مبرراتها .

لقد أبرز لورانس براون هذا الموقف في صورة واضحة حينما قال<sup>(١)</sup> :

(١) التنصير والاستعمار .

إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة<sup>(١)</sup> على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة لهم . أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير .

أما القس سيمون فكان أوضح في التعبير لما قال : إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السم - كذا - وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية . ولذلك كان التنصير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لأن التنصير يعمل على إظهار الأوروبيين في ثوب جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها ؛ إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلاً ضد الاستعمار الأوروبي .

ثم استطاع المنصرون أن يظهروا الأوروبيين في غير مظهر المستعمر ، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسبباً من أسباب وجودها . من أجل ذلك قالوا : يجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية ، حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين . وعلى هذا الأساس أصبح الأتراك خطراً على أوروبا منذ دخلوا في الإسلام ؛ لا لأنهم مسلمون ، بل لأنهم قد أصبحوا قوة تستطيع أن تقف في وجه الأطماع الأوروبية .

(١) وهل كانوا لعنة على العالم أم رحمة يوم قدموا للبشر عقيدة التوحيد ، ورفعوا راية العدل ، وحكموا بالقسط المستقيم وأنشؤوا حضارة إنسانية رائعة ، أشرفت على العالم ومنه أوروبا فاستيقظت من جهالتها ، فقد تبجح براون فبادلنا الإحسان بالإساءة وهذه أخلاق المنصرين وإن كان هذا الأخير أقلهم سوءاً .

من هنا نرى أن المنصّرين يمزجون الدين بالسياسة لاستعباد الشرق للغرب ، وأن يكونوا تحت اليد والوصاية .

### بعض افتراءات المنصّرين

من الملاحظ أن كتب التنصير مليئة بالدس والطعن على أمة الإسلام وعقيدة أهل الإيمان ؛ حيث يظهر ذلك واضحاً في مئات الكتب التي وزعها وكتبها أولئك المنصّرون ، والتي تزخر بضروب الاستهزاء والتهم على كل مظهر من مظاهر الإسلام ، ثم هم ينكشفون عن جهل فاضح ، سندل على بعضه في الصفحات التالية :

من جهل المنصّرين وبعدهم عن العلم أنهم إذا بحثوا في الدين لم ير أحدهم لغير مذهبه هو فضلاً ولا حقاً في الوجود ، ثم هم يحبون أن تتلقى أقوالهم بالإذعان والتسليم ، وهذا هو طابعهم ودينتهم الخاص الذي يتشبثون به .

ومن أشد أعداء العرب والمسلمين رجل أرمني - اسمه لطفي ليفونيان - ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام . ومع أن العلم قليل في كتبه ، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهم عليها . ويبلغ به - لطفي ليفونيان - الجهل إلى أن يقول : إن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنزيه في الله تعالى . والتنزيه في علم العقائد الدينية ؛ أن ننفي



عن الله سبحانه وتعالى صفات هي للبشر ؛ كالجسم والأنف واللحية .. (١) .  
ومن الأمور التي تستحق التفكك بها ، قول منصر اسمه نلسن يزعم  
فيه أن الإسلام مقلد ، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر  
ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل ... ! .

ويبلغ التدجيل ذروته لمنصر اسمه المحترم جون تاكي إنه يقول  
عن المسلمين : يجب أن نستخدم كتابهم - أي القرآن الكريم -  
وهو أمضى سلاح في الإسلام - ضد الإسلام نفسه ، لنقضي عليهم تماماً .  
يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن  
الجديد فيه ليس صحيحاً .

أما المنصر الأمريكي - جسب - فيقول : إن الإسلام مبني على الأحاديث  
أكثر مما هو مبني على القرآن ، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة  
لم يبق من الإسلام شيء ، وصار أشبه بصبييرة طومسون . وطومسون  
هذا رجل أمريكي جاء إلى لبنان فقدمت له مرة صبييرة ، فحاول أن  
ينقيها من البذر ، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق منها في يده شيء (٢) .

ويتعرض المنصرون عادة - بعقليتهم القاصرة وغبا ثهم وفساد طويتهم  
هذه - لتفسير القرآن الكريم ويكثرون من الانتقاد والتهكم . ومن  
جهلهم وسوء نيتهم تأتي سلسلة طويلة من التحامل والافتراء ، وأشهر  
هذه التهم أن الإسلام قام بالسيف . قال نلسن : وأخضع الإسلام

(١) التنصير والاستعمار : ص ٤٠ . (٢) نفس المصدر .

شعوب أفريقية وآسيا شعباً بعد شعباً. هـ. ويتميز المنصّر الأمريكي - هنري جسب - بمزيج من الافتراءات والخرافات ، فقد زعم أن الشيخ يوسف الأسير علم أولاده أغاني نصرانية باللغة العربية . . . والشيخ يوسف الأسير علم معروف في بيروت ، وأولاده معاصرون لنا ، وأحفاده لا يزالون يحيون بيننا ، ولم نعرف ذلك عن أحد منهم .

هذا قليل من كثير لتلك الآراء المشوهة التي ينشرها المنصّرون على أقوامهم في أوروبا وأمريكا ، وهكذا كانوا يصورون الإسلام حتى يبرروا دوام التنصير بين المسلمين ؛ لتدوم لهم دراهم تدر عليهم من جماعات غافلة عن الحقائق ، أو أنها لازالت معتقدة أن للعداء والافتراء والدس قيمة في القرن العشرين<sup>(١)</sup> .

## إعداد المنصرين

يدرس الذين يريدون أن يعملوا في التبشير مناهج خاصة مبنية على تفهيمهم روح الشرق وعاداته ، وأن هنالك سياسة تهيمن على ذلك المنهاج ؛ وهي تصوير الشرق بصورة من التأخر والسوء ، تحمل طالب التنصير على أن يندفع في مهمته إندفاعاً أعمى .

(١) التنصير والاستعمار : ص ٤١ - ٤٣ .

ولقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد ؛ في روما وباريس وفي طليطلة الإسبانية وغيرها من بلدان الغرب . وقد أضافت هذه المدارس إلى مناهجها تدريباً عسكرياً للتبشير بالقوة .

وكما ورد في كتاب التبشير والاستعمار : لم يكن من المستغرب أن تقوم الرهبانات الأجنبية على اختلاف نزعاتها بالتنصير ، إن فرقاً مختلفة من الرهبان قامت منذ أوائل القرن الثالث عشر بالتنصير ، ثم استمرت في عملها هذا بعد ذلك . ومنذ القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر كان الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان ، يعملون جاهدين في مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام وكيليكية ، ثم برزت في أواخر القرن السابع عشر فرق أخرى منها: اللعازريون والكبوشيون والأغسطينيون ، ومع أن هؤلاء قد عملوا في الأكثر بين العبيد والأسرى النصارى ، فإنهم كانوا من حين إلى حين يتعرضون للمسلمين . على أن هنالك أفراداً ليسوا رهباناً ، ولكنهم تعلموا في المعاهد الرهبانية وفي معاهد اليسوعيين خاصة ، إن هؤلاء أيضاً يقومون بأعمال تنصيرية مختلفة . هذا النوع من الرجال يعرفون باسم اليسوعيين ذوي الشياب القصيرة ، حتى الراهبات اللواتي يظن أنهن وهبن أنفسهن لخدمة المرضى وتعليم الجاهلين ومؤاساة المساكين لم يكن سوى منصرات . يقول اليسوعيون في كتابهم الذي أصدره في بيروت عام ١٩٣١ م : إن الأخوات لسن راهبات معلمات فقط ، ولكنهن أيضاً راهبات منصرات . إنهن في كل مكان يوجدن فيه يعملن إلى جانب عملهن التعليمي أعمالاً

تنصيرية . وهن لا يكتمن ذلك بل يُعلننَّ أنهن يعملن لضم الخراف الضالة أو المهملة إلى حظيرة المسيح الملك .

ولقد استخدم المنصرون جميع الطرق في سبيل التنصير ، واستغلوا جميع المناسبات ؛ فصناعة التطبيب والتعليم والوعظ ونقل الكتب من لغة إلى لغة ، كلها يجب أن توجه توجيهاً يفيد التنصير .

إن الطبيب - كار نيلْيوس فاندِيك - أرسل إلى سورية على أنه طبيب منصرّ !! . والمنصرون مجمعون على أن الوسائل - مهما كانت - يجب أن تستغل في سبيل التنصير ، حتى أعمال البر يجب أن تستغل استغلالاً بحتاً . من ذلك قولهم : كان التطبيب والتعليم من وسائل التنصير ، ويجب أن يبقيا كذلك . أما أعمال الإحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها . يجب أن تعطى الأموال أولاً للبعداء عن الكنيسة ، ثم تقل تدريجياً كلما اقترب أولئك من الدخول في الكنيسة - اعتناق مذهبها - فإذا دخلوها منع الإحسان عنهم مرة واحدة .

ومن وسائلهم أنهم إذا دخل في خدمتهم رجل لا ينتمي إلى مذهبهم حملوه على الدخول فيه . كما كان يتخذ المنصرون من زيارة المسجونين ومن العمل في المستشفيات وسيلة إلى التنصير .

وفي الحرب العالمية الأولى أخذت الدولة العثمانية عدداً من الراهبات للعمل بالمستشفيات والمياتم ، فقال الكتاب المثوي عن هؤلاء : وفي منصبهن الجديد بقيت الأخوات منصرّات يُلقنَّ التعليم النصراني ويعددن

للمناولة الأولى ، ويعلمن الصلوات على الرغم من التحذير والتهديد  
الذين كان المفتشون الأتراك يوجهونهما إليهن . وهكذا كان المنصرون  
والمنصرات يتقدمون إلى الإنسانية بوجه من فعل الخير والسهر على المتألمين  
منهم ، بينما هم ينفذون من خلال هذه الآلام المبرحة إلى طرق جديدة  
للتنصير . ورغم فشلهم إلا أنهم أدخلوا إلى نفوس الكثيرين آلاماً  
جديدة كثيرة ، ووصموا الضمير الإنساني بالنفاق . وإن إعداد المنصرين  
وطرق التنصير كانت من عصر إلى عصر وحسب الأحوال والظروف .  
وقد سلكوا أخيراً طرقاً ملتوية في وسائل تنصيرهم ، وتلبسوا بجميع  
المظاهر حتى في ثوب المستكشفين ، الذين ظهروا أمام العالم علماء أعلاماً  
والحقيقة عكس ما يظهرون .

كما هو الحال في اكتشافات بعض مناطق أفريقيا ؛ حيث دعوتهم  
ومسرح التنصير هناك .

## ميادين التنصير

لقد استغل المنصرون عدة ميادين في نشر سمومهم ودعواتهم الهدامة ،  
وقد تمثل ذلك في الوسائل التالية :

### أولاً: التطبيب والمعالجة .:

لقد أصبحت مهنة الطب والمعالجة وسائر أنواع التطبيب ؛ من

مستشفيات ومستوصفات وغيرها من الحيل والميادين التي يتكى عليها التنصير وحملاته التضليلية .

والمعروف حينما يتخرج الطبيب من كليته يقسم - بعد أن يتسلم الشهادة - يميناً تسمى يمين أبقراط ، وتعرف في الكتب العربية باسم وصية أبقراط ، وصورة هذا العهد هكذا :

أقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، وأقسم بأسقليبيوس - هو أول من تكلم في الطب من اليونانيين كما ذكر مؤرخو الطب<sup>(١)</sup> - وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً على أنني أفي بهذا اليمين وهذا الشرط . وأقصد في جميع التدابير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأبي . ولا أعطي - إذا طلب مني - دواءً قتالاً ، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة . وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النساء فرزجة - كذا بالأصل - تسقط الجنين . وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة . وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود إليه في سائر الأشياء ، وأما الأشياء التي أعينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها ، أو في غير أوقات علاجهم ، في تصرف الناس من الأشياء التي ينطق بها خارجاً ، فأمسك عنها وأرى أن أمثالها لا ينطق بها . . . .

(١) التنصير والاستعمار ، نقلاً عن طبقات الأطباء ص : ١ - ١٤ .

هذه اليمين تنكشف عن نفس نبيلة إنسانية ؛ ذلك لأن المريض المتألم يضحى بأشياء كثيرة في ملكه حتى يتخلص من آلامه ، وإذا رأى أحد قريباً له أو ابناً - على الأصح - مريضاً زاد رضاه بالتضحية وقلت قيمة كل شيء في عينيه ، في سبيل شفاء ابنه أو أبيه أو زوجه<sup>(١)</sup> .

استغلال آلام البشر : ولقد استغل المنصرون هذا الميل في البشر فخرجوا عن كل نبل في الطبيعة الإنسانية ، وسخروا الطب في سبيل غايات حسبك دليلاً على نوعها قولهم : حيث تجد بشراً تجد آلاماً ، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى طبيب ، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتنصير !! . وهكذا اتخذ المنصرون الطب ستاراً يقتربون تحته من المرضى .

وقد كان أول من غير سنة أبقراط الجميلة الأمريكيون ، حينما بدؤوا ينشئون عيادة طبية في سيواس - بتركية - عام ١٨٥٩ م . وهكذا نظر الأمريكيون منذ ذلك الحين إلى الطب على أنه معين على التنصير ، ومنذ ذلك الحين اعتبر الأمريكيون الطب مشروعاً نصرانياً .

وعلى هذا قال الطبيب بول هاريسون في كتابه : الطبيب في بلاد العرب ص ٢٧٧ : إن المنصرلاً يرضى عن إنشاء مستشفى ، ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها ، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى !!<sup>(٢)</sup> .

(١) نفس المصدر .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٩ .

ولا ريب أن المنصرّ يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس ، حتى من الذين لا يخالطون غيرهم . ولذلك قالوا : بإمكان وصول الطبيب المنصرّ بتنصيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم ، وبإمكانه تغيير من حوله ويجعل منهم نصارى حقيقيين ، أو يترك أثراً عميقاً في نفوسهم على الأقل . وقد صرحوا بذلك .

كتب س . أ . موريسون في مجلة العالم الإسلامي التنصيرية يقول : نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية المنقذة من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين من المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة ؛ معرفة ربنا يسوع المسيح . وأن ندخلهم أعضاءً عاملين في الكنيسة النصرانية الحية .

ثانياً: استخدام المستوصفات والمستشفيات :

إذا كان للأطباء المنصرّين مستوصف أو مستشفى ، تكون مهماتهم سهلة وناجحة نوعاً ما ، حيث يستطيع الطبيب أن يجد في غرفة الاستشارة أو في العراء - الخارج - فرصاً مناسبة لينشر بذور التنصير ، ولينفث سمومه وأحقاده السوداء في قلوب المرضى ، في هذه الحال يكون كل من دخل المستشفى أو أتى إلى المستوصف للمعالجة قد تلقى من طبيبه المنصرّ تلك الكرازة<sup>(١)</sup> التي توجهه نحو المسيح ، والحقيقة هو عمل تخريبي وإلقاء بالسموم الفتاكة .

(١) الكرازة : لفظ وتعبير نصراني معناه إلقاء النصائح - على زعمهم - على الآتين إلى الكنيسة . كرز أو خرز بالسريانية : وعظ .



من أجل ذلك غنى المنصرون أول ما عنوا بالتطبيب على أنه واسطة إلى غاية ؛ إن اليسوعيين مثلاً قد أسسوا أكثر أعمالهم التنصيرية في سوريا إلى جانب مراكز التطبيب ... بل إن مراكز التنصير قد بدأت عندهم مراكز للتطبيب في أول الأمر ، وفي هذه المراكز وجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين وإلى الأعيان ، وكانوا يستغلونهم من هذه الطريق لمصالح تنصيرية بحتة .

ومع الأيام أخذت عناية اليسوعيين بالتطبيب تقل ، وقيامهم بالتنصير يزيد ، حتى حل التنصير المحض محل التطبيب الذي كان رثاء الناس ، ثم عادوا فأنشؤوا مستوصفاً كبيراً للتطبيب في البقاع في لبنان<sup>(١)</sup> .

إن أكثر الأطباء البروتستانت ما جاؤوا إلى بلاد العرب إلا حباً بالتنصير لا بالتطبيب ، ثم إن جلهم - إن لم نقل كلهم - قد أوقعوا في البلاد أضراراً تفوق الخدمات الطبية التي أسدوها أضعافاً مضاعفة .

إن - آسا دودج وفورست وكارينليوس فاندريك وجورج بوست وتسارلس كلهون وماري ادي والدكتور طومسون - كلهم كانوا أطباء في الظاهر ، أما في الباطن فكان ضررهم على البلاد يزيد أو ينقص بحسب الاستعداد الشخصي لكل واحد منهم ، وبحسب الفرص التي سنحت لهم .

اعترفهم بخداع المرضى : في الحبشة مثلاً كانت معالجة المريض لا تتم إلا بعد أن يركع ويسأل المسيح أن يشفيه . ومن حيلهم التي

(١ ، ٢) التنصير والاستعمار : ص ٦١ .

استخدموها في وادي النيل أنهم استخدموا ثلاثة مراكب وجعلوها مستوصفات نقالة على النيل ، وكانوا يعلنون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل ، فيأتي الناس من كل صوب يحملون مرضاهم وينتظر الجميع قدوم الطبيب ، وفي هذه الأثناء يقوم فيهم من ينصر فراحاً بالجموع ، من غير أن يتحرك ضميره لهذه الآلام التي يتحملها المرضى في وضوح الشمس ومضض الانتظار عمداً وخداعاً .

ومثل هذا كانوا يفعلون في بلدة الشيخ عثمان في اليمن ؛ كان الناس يأتون من مكان بعيد يحملون مرضاهم ، وكان أولئك الأطباء - الذين لم يضع الله في قلوبهم شيئاً من معاني الإنسانية - لا يبدوون بعلاج المرضى إلا بعد أن يكرزوا عليهم وعظاً وإرشاداً وتنصيراً .

وحملت أم مرة طفلها المريض وجاءت به إلى مستوصف الناصر بالسودان ، ولكن الطفل مات في أثناء الطريق الطويلة ، فلم يعز الطبيب هذه الأم الشكلى بل جلس يكرز عليها .

أما حيث تمتزج الصفاقة بالتدجيل ، ويمتزج الجهل بموت الضمير ، فكلام إيرا هاريس . قالت إيرا هاريس تنصح الطبيب المذاهب بمهمة تبشيرية : يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل . إياك أن تضع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنه أئمن تلك الفرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التنصير ، فلا تسمع منه !! .

ولقد تنبه دانيال بلس الرئيس الأول للجامعة الأميركية في بيروت إلى كل هذا وإلى غيره أيضاً ، فأشار إلى الأطباء الدجالين الذين يتعرضون لمداواة الناس ، فإذا جاءهم المريض انصرف بنسخة حسنة الطبع من الإنجيل وبوصفة خاطئة . ويعلق دانيال بلس نفسه على هذا الحديث بقوله : وبعد ذلك يكتشف المريض أن إنجيل الطبيب كدوائه . وهناك أحداث مشابهة وأقوال مماثلة ... الخ<sup>(١)</sup> .

ثالثاً- استخدام العنصر النسائي المتنصير :

ولم ينس المنصرون مقام المرأة في الأسرة ، فوجهوا اهتمامهم إلى التأثير عليها ، وجعلو ينصرون في مستشفيات النساء وفي المستوصفات . وكذلك أرسلوا الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء ، واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم التي يزعمون أنها نبيلة ، ولكنها لا تنكشف دائماً إلا عن سعي لبسط نفوذ سياسي استعماري وتشويه الحقيقة .

ولقد استغل المنصرون كل شيء في سبيل التنصير حتى المرضات ؛ يرى المنصرون أن المرضة لا تعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط بل تحمل إليهم أيضاً رسالة المسيح ، ولذلك حرص المنصرون على إنشاء مدارس للتمريض في إيران وغيرها<sup>(٢)</sup> .

(١) المصدر نفسه : ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) وبالمناسبة فقد اكتشف في آخر سنة ١٣٩٩ هـ أن مستشفى إقامه الإنجليز سابقاً في إيران ، كان في حقيقته مركزاً للتجسس والتآمر ضد الإسلام . فقد ضبطت وثائق تدين القائمين على أمر المستشفى بالتجسس والتآمر على الدولة الإسلامية في القطر الإسلامي الشقيق ، مما حدا بالسلطات إلى إغلاق هذا الوكر التجسسي الخبيث .

قال نفر من المنصرين<sup>(١)</sup> ; إن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد - كانت دائماً متشابهة . إن المدارس والكليات تعتبر في النجدة الأولى واسطة لتمارين قس للكنيسة ... حتى أن الموضوعات المطالغية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين ، تجعل معها الآراء النصرانية . وعلى هذا الأساس كتب المنصر هنري هريس جيب إلى المحترم و . ستوارت دودج في الخامس من كانون الأول عام ١٨٧٠ م : لنبتهل إلى الله في سبيل تعويد نفوس أولئك الشبان الذين يترددون على الكليات . ويرى جيب نفسه أن التعليم في مدارس الإرساليات النصرانية إنما هو واسطة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً نصارى وشعوباً نصرانية .

ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه ، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي ... فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول : إن رسالة مثل هذه ، قد خرجت عن المدى التبشيري النصراني إلى مدى علماني محض ، إلى مدى علمي دنيوي . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج وهارفرد وشيفيلد ، لا الجمعيات التنصيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب<sup>(٢)</sup> .

ويرى بعض المنصرين أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير

(١) التنصير والاستعمار : ص ٦٦ ، ٦٧ . (٢) نفس المصدر .

التعليم النصراني أكثر من كل قوة أخرى ، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم<sup>(١)</sup> .

يقول المنصّر المشهور - جون موط - حول ما يتعلق بالتعليم بين الصغار خاصة : يجب أن نؤكد في جميع ميادين التنصير جانب العمل بين الصغار وللصغار ، وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غيرية ، ترانا مقتنعين - لأسباب مختلفة - بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية . إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، من أجل ذلك يجب أن نحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية . إن اختبار الإرساليات في الجزائر فيما يتعلق بهذا الأمر ، وكما ظهرت من بحوث مؤتمر شمالي أفريقيا ، اختبار جديد ومقنع ... وهكذا نجد أن وجود التعليم في يد النصارى لا يزال وسيلة من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين<sup>(٢)</sup> .

وهكذا يظهر واضحاً وجلياً مخطط أولئك الدخلاء ، وتآمرهم ووسائلهم الخبيثة لزعزعة عقائد أبناء المسلمين ، وتنصيرهم أو حرمانهم من رسالة نور الإيمان والتوحيد .

أقول : على كل مسلم غيور على دينه وقيمه ومثله العليا ، أن يربأً على نفسه بعدم الانسياق في تيار مدارس التنصير الملحدة ، التي تسعى جاهدة لسلخ أبناء هذه الأمة عن الإسلام ، وجرهم إلى مستنقع الرذيلة ،

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر : ص ٦٨ .

وذوبانهم في أحضان دعاة الانحلال ومحاربة الفضائل والإيمان . هذه دعوتنا لأبناء الأمة ، عسى أن يقفوا على مكامن الأخطار التي تحدق بهم من كل جانب ، ومنها دعوة التنصير الهدامة ، هذه التي هي بمثابة الإسفين المسموم الموجه إلى قدس الأقداس ، لكل مسلم على سطح هذا الكوكب .

## السياسة طريق التنصير وميدانه الفسيح

لقد تعاون المنصرون مع الحكومات والدول ، وارتبطوا في سلك السياسة وتشعبت أعمالهم ، وأصبحوا مطية لحكوماتهم لتنفيذ مخططاتها بكل ما تتطلبه الأحوال والظروف السياسية وغيرها ، ولقد عمت نكبات الشرق السياسية او الخلقية ، وكثرت على يد رجال الدين الأجانب الذين كانوا يثيرون تلك الفتن بين أهل الأديان والمذاهب ، وإن أهل الوطن الواحد - على اختلاف أديانهم - كانوا دائماً ضحايا بريئة .

وبعد أن رضي المنصرون أن يجعلوا أنفسهم والدين آلة طيعة في يد دولهم ، ينفذون كل ما يعهد به إليهم ، انتهزت تلك الدول هذه الفرصة المناسبة وجعلت تمد يد العون للمنصرين وتقف بجانبهم وترعى مصالحهم ، إلا أنها في الحقيقة كانت تسعى إلى أهدافها السياسية والاقتصادية وغيرها باستغلال المنصرين والدين .

يقول غاردنر : لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي

المسلمين ليقيموا دولة نصرانية في قلب العالم الإسلامي... والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام .

خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية الأولى عن طريق السيف ، فأرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التنصير ، فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات وكافة الوسائل ، حتى وسيلة العلم النبيلة استخدمت لأغراض شريرة تنكرها الأديان والإنسانية ، كما فرقت المنصرين في العالم ، وهكذا تبنت الدول حركة التنصير لمآربها السياسية ومطامعها الاقتصادية .

ولقد استطاع رامون لل في عام ١٢٩٩ وعام ١٣٠٠ م أن يحصل على إذن من الملك يعقوب - صاحب أرغونه - ليبشر في مساجد برشلونة محتمياً بالسلطة النصرانية في إسبانيا<sup>(١)</sup> .

يقول اليسوعيون : ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ؟ . أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التنصيري والتمدين النصراني ، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح ؟ ! .

وبالإضافة إلى هذا فقد كان السلك السياسي والأجنبي يحمي المنصرين ، ويقف بجانبهم سيما إذا ما تعرضوا لضغط أو مضايقة من الدولة التي يعيشون فيها ، أو يعملون في مؤسسات تنصيرية في نطاق تلك الدولة وداخل حدودها ، وهذا كان حال المنصرين الذين كانوا يتعرضون لبعض المضايقات من إغلاق للمدارس أو مراقبة حركاتهم داخل الدولة العثمانية

(١)التنصير والاستعمار : ص ١١٥ .

إبان ضعفها ، حيث تتدخل الدول الغربية وتدعم منصرّيها لإعادة نشاطهم . ومن حيث الامتيازات الأجنبية فقد منحت للمنصرّين وغيرهم امتيازات كثيرة ؛ من إعفاءات جمركية وضرائب وقضاء ، وغيرها من الإعفاءات التي منحتها الدولة العثمانية إبان ضعفها لرعايا الدول الأجنبية والنصارى وغيرهم ، كما حدث التنازع بين دول الغرب على حماية الأجانب في امبراطورية بني عثمان ، من الذين ليس لدولهم تمثيل في استانبول .

وكل واحد من هؤلاء الأجانب أو المحميين من قبل دولهم يتخطى القوانين ويخالف مبادئ الإنسانية فإذا تعرض له متعرض شمش بأنفه وقال : أنا أجنبي . أو : أنا حماية أجنبية . روى عبد الله المشنوق شيئاً من هذا قال : من ذلك حادثة شهدتها بأمر عيني ؛ دهست سيارة كان يقودها رجل أجنبي طفلاً في بيروت ، فأمر الشرطي السائق بالوقوف ، فرفض قائلاً بلغته الأجنبية : القنصلية . لا شأن لي معك . وتابع السائق طريقه تاركاً الطفل المسكين يعاني سكرات الموت<sup>(١)</sup> .

ورغم غطرسة هؤلاء القوم وانحرافهم ، وتلبسهم بالجرائم الخلقية والإنسانية ، حيث كانوا رؤوساً للفتن والمشاكل لتنفيذ مخططاتهم وأغراضهم ، وكانوا يتجسسون لدولهم سياسياً وعسكرياً ، وكانوا سبباً من أسباب تقسيم لبنان وتدخلهم في الطوائف ، وفتنة عام ١٨٦٠ م بجبل لبنان وغيرها كثير ليس هذا موضعه ...

(١) نفس المصدر : ص ١٢٤ .



وبذلك فقد استفاد المنصرون من امتيازاتهم وحمايتهم فاستغلوا أسوأ استغلال . ورغم قناعاتهم المموهة وأثوابهم الباهتة فقد كانوا يدورون في البلاد كأجانب ، ويعملون فيها كمنصّرين متقنعين برداء الدين وخدمة الناس أجمعين<sup>(١)</sup> .

## الاستعمار يناصر التنصير ويدعمه

لقد كان التنصير يستخدم في مصالح الحكومات الاستعمارية لتحقيق أغراضها ، وإلى زمن قريب كانت كل دولة تكتفي بجهود منصّريها هي فقط ، في سبيل بلوغ أغراضها السياسية ، إلا أن هذه الدول جعلت أخيراً تتعاون تعاوناً وثيقاً فيما بينها في هذا السبيل ، مادام الشكل الديني ليس إلا واسطة لبسط النفوذ السياسي .

في الرابع من نيسان عام ١٩٢٤ م وقعت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا اتفاقاً تأخر إعلانه إلى الثالث عشر من آب من العام نفسه ، وقد جاء في هذا الاتفاق ما يلي<sup>(٢)</sup> :

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن الكنائس الصليبية قد وثبتت على معاقل الإسلام في أفريقيا وآسيا مستغلة فقر المسلمين وجهلهم ومرضهم وغياب حكم الله عنهم ، تذلّمهم وتنصّرهم . ففي بنغلادش استغلّ المنصرون انفصالها عن باكستان عام ١٩٧٢ م ونصّروا منهم حوالي ستمائة ألف . كل ذلك بمباركة حبرهم الأكبر قعيد روما . فوا أسفاه ! ! .

(٢) سلسلة المعاهدات - رقم ٦٩٥ ، نقلاً عن كتاب التبشير والاستعمار .

## المادة العاشرة

إن إشراف الدولة المنتدبة - فرنسا - على الإرساليات الدينية في سوريا ولبنان يجب أن يقتصر على حفظ الأمن والإدارة الحسنة .

إن أوجه نشاط هذه الإرساليات الدينية يجب ألا يخضع لتدبير يضيق مجال عملها ، ولا أن يخضع أعضاء هذه الإرساليات لتدبير يضيق مجال عملهم بسبب اختلاف جنسيتهم ، على شرط أن تنحصر أوجه هذا النشاط في حقل الدين .

هذه المادة تنص بوضوح على تعاون فرنسا والولايات المتحدة - وغيرها من الدول الأوروبية - على التنصير في سورية ولبنان ؛ فالدول الغربية كلها إذن ترى أن التنصير ذو فائدة لها حتى تعقد في سبيله المعاهدات . وهكذا يتبين لنا بوضوح نتائج التنصير وأهدافه وأغراضه الدنيئة التي ما كانت في يوم من الأيام إلا تشويهاً للحقائق ، ومعمل هدم في حياة البشرية ، فتنبهي يا أمة العرب والإسلام إلى هذه الأخطار والسموم القاتلة ، التي توجه إلى صدور أبنائك في مشارق الأرض ومغاربها ( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> ) .

---

(١) سورة يوسف : ٢١ .

## التنصير يتعاون مع الصهيونية ويستخدمها لأهدافه

استغل المبشرون الصهيونية لأنهم كانوا يتفوقون معها في عدائهم للعرب والمسلمين ، ولم يُصِرَّ المبشرون على إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، إلاَّ لأنَّ إنشاءه يضعف العرب إضعافاً شديداً ، ويفتح أبواب فلسطين العربية أمام التنصير ، ولأنَّ فلسطين إحدى نقاط الهجوم على العالم العربي الإسلامي . . . لقد حاول المبشرون عدة مرات أن يستغلوا القضية اليهودية في سبيل أهدافهم الدينية ؛ فقد أسس فريدريك ولهلم الرابع - ملك بروسيا ١٨٤٠ - ١٨٦٠ م الأسقفية الانكليزية البروسية في القدس لتكون مركزاً بروتستانتياً لإصلاح الكنائس الشرقية عامة ولتنصير اليهود خاصة . إنَّ المنصِّرين كانوا جد مقتنعين بأنَّ جمع اليهود في فلسطين يسهل لهم مهمتهم في الوصول إلى المسلمين .

من أجل ذلك ؛ أرادوا أن يفتحوا أبواب فلسطين على مصاريعها لهجرة اليهود ، فليس من المستغرب إذن أن نجد سبعاً وعشرين جمعية تنصيرية مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا ملل في فلسطين .

وهكذا نجد عوامل مختلفة كانت ترمي إلى استعمار فلسطين توصلاً إلى أهداف خاصة .

كانت البابوية والبروتستانتية والصهيونية تتنافس فيما بينها في فلسطين ، وكان روتشيلد الممول اليهودي يساعدهم جميعاً . ومما يجدر

ذكره أن الألعاب الرياضية والنوادي والجمعيات وغيرها كانت تخدم قضية المنصرين ، وتخدم الصهيونية في فلسطين خدمة عظيمة ، مما أدى إلى اندفاع مدارس التنصير لتشجيع الروح الرياضية والتسامح في ميادينها إلى أبعد الحدود ، تسامحاً كان يرادفه قتل الشعور القومي الثمين عن طريق التسلية وما شاكلها .

[ وكان تأسيس الدولة اليهودية أمراً مقررأً عند المنصرين ، فقد كتب المنصرجون فان أس يذكر في عام ١٩٤٣م اسرائيل ويعلن حدودها فيقول بأنها الدولة التي ستؤلف من معظم أراضي اليهودية - الجليل - جنوباً إلى خليج العقبة ، ثم أردنية ويجعلها القسم الغربي من فلسطين مع شرقي الأردن الحالية .

هذا يدلنا دلالة واضحة على أن أخبار هذه التقسيمات السياسية كانت في متناول المنصرين ، أو أن المنصرين كانوا يحضون عليها في سبيل تسهيل مشاريعهم الدينية وغيرها <sup>(١)</sup> .

جاء في كتاب التبشير والاستعمار ص ١٩٠ : ولم يكتف التنصير بالدعوة السافرة إلى الاستعمار ، بل كان يسلك سبيل التجسس أيضاً خدمة لإسرائيل وحققاً على العرب .

نشرت مجلة الشرطة والأمن العام - الصادرة بدمشق سنة ١٩٥٣م - مقالاً عن داعية أمريكي لإسرائيل يدعي أنه يدير جمعية للتقارب

(١) التنصير والاستعمار : ص ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

النصراني ، مع أن اسم جمعيته الحقيقي جمعية التقارب النصراني اليهودي .  
ولم يكن عمل هذا الداعية - واسمه رالف باني - سوى مساعدة  
اليهود والدس على العرب بتشويه سمعتهم والتجسس عليهم .

ومع أن هذا الداعية كان يرتدي ثياب المنصرين ، فإنه كان يقوم  
بأعمال تنافي الدين وبنشاط يضر بالعرب ، وقد أخرج من الأردن  
بهذه التهم كلها .

والمنصرون الذين يقومون بمثل نشاط رالف باني كثيرون ، ولكن  
إقامة البيئة عليهم عسيرة أحياناً لإتقانهم فن العمل الصامت ولدفاع  
حكوماتهم عنهم ، إذ أنهم يخدمون الغايات الاستعمارية التي ترمي  
إليها دولهم<sup>(١)</sup> .

### أخطر وثيقة للمنصر قسيس

فيما يلي أضع بين يدي القارئ الكريم كلمة موجزة عن القس  
هربرت سموثيل زويمر - يهودي متعصب - الذي عاش من سنة ١٨٦٧  
إلى ١٩٥٢ م ، كما وصفه الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون :  
رئيس المنصرين في الشرق الأوسط ؛ تولى تحرير مجلة عالم الإسلام التي  
أنشأها مع ماكدونلد ، وله مصنفات في العلاقات بين النصرانية وبين  
الإسلام ، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية .

(١) التنصير والاستعمار - ص : ١٩٠ .

وذلك من مؤلفاته أربعة وعشرين مصنفاً كلها تدور حول الإسلام ،  
والمشجع لشيء من تاريخه يجدقساً منصراً مستشرقاً ناشطاً في حرب الإسلام ؛  
كل هذه الحياة الطويلة التي قضاها وهو في كل مؤتمر الأداة المحركة  
والعقل المفكر .

وفي مؤتمر المنصّرين الذي عقد في الهند عام ١٩١١ م يترأس المؤتمر .  
ويقول صاحب كتاب الغارة على العالم الإسلامي : انتقل الرئيس  
زويمر في خطبته الافتتاحية إلى قسمها الثاني الخاص بالانقلابات السياسية  
التي حدثت في العالم الإسلامي ، فشكر الله على حدوث هذه الانقلابات (١) .  
وينقل الدكتور الخالدي والدكتور فروخ ما قاله بعينه ، قالا : قال  
زويمر إن الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي ، دليل بالغ على عمل  
يد الله في التاريخ واستشارة للديانة النصرانية لكي تقوم بعمل (٢) ... الخ .

وسأذكر للقارئ الكريم الوثيقة التاريخية ؛ وهي خطبة هامة جدية  
بالملاحظة والتأمل ، لأنها تحوي في طياتها أسرار التنصير ودوافعه ،  
كما تم عن النفسية الخبيثة التي يحملها المبشرون ، والدعوة الهدامة  
والمغالطات الصريحة التي يتعرض لها المسلمون ، للنيل من عقيدتهم  
وحضارتهم من أعداء الإنسانية الماكرين .

هذه الخطبة للقس زويمر ، ألقاها في مؤتمر المنصّرين المنعقد في جبل  
الزيتون في القدس . إبان الاحتلال الإنجليزي لفلسطين ، وقد أثير

(١) انظر الغارة على العالم الإسلامي .

(٢) التنصير والاستعمار : ص ١٩٠ .

زومر في ذلك المؤتمر واضطر إلى الإفصاح عن أمور ربما أخفاها لولا اضطراره إلى بيانها . وكان الذي أثاره ما سمع من الخطب اليائسة التي قدمها كثير من المنصرين ، الدالة على إفلاس التنصير في البلاد الإسلامية :

قال<sup>(١)</sup> : أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل النصرانية واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجلي المقدس ... لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء ووفقت لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفتن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه . إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة النصرانية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلت أحد ثلاثة : إما صغير لم يكن له من أهله من يُعرِّفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته ؛ وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ...

ولكن مهمة التنصير - التي ندبتكم دول النصرانية للقيام بها في البلاد المحمدية - ليست هي إدخال المسلمين في النصرانية ، فإن هذا هداية لهم وتكريماً - كذا - وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة تربطه بالأخلاق ، التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ...

(١) المخططات الاستعمارية : ص ٢٩٦ .

وهذا ما أهنتكم عليه وتهنتكم دول النصرانية والنصارى جميعاً كل  
التهنئة .

لقد كان قبضنا - أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث  
القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا - على جميع برامج التعليم في الممالك  
الإسلامية ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التنصير والكنائس والجمعيات  
والمدارس النصرانية الكثيرة ، التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية  
والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتم برسائلكم جميع  
العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له  
كل التمهيد .

إنكم أعددتم نشأاً - في ديار المسلمين - لا يعرف الصلة بالله ،  
ولا يريد أن يعرفها . وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في النصرانية ،  
وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار النصراني ؛ لا يهتم  
بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ؛  
فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز  
ففي سبيل الشهوات وجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج ،  
وباركتكم النصرانية ورضي عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم  
فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب ... وتابع  
زويمر خطابه قائلاً : وهنا نقطتان أحب أن أقف عندهما قليلاً :



النقطة الأولى - يقول : ولكن مهمة التنصير التي ندبتكم دول النصرانية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في النصرانية؛ وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله .

أقول : أيقول مثل هذا القول إنسان يؤمن بالله ، ويسعى في الخير لعباد الله ؟ !! . أيقول مثل هذا القول إنسان فيه بقية من خير أو مسكة من ضمير ؟ !! . هذا القول يدل على أن هذا الرجل إنما كان يعبد الشيطان ، وأنه كان في خدمته وخدمة أغراض الاستعمار .

ويؤيد هذا الاتجاه النكد اللثيم ما يصرح به الأستاذ المودودي في رسالة يوجهها إلى البابا ، جواباً على رسالة البابا الموجهة إلى المودودي في ديسمبر سنة ١٩٦٧ م ، التي يدعوه فيها إلى الاحتفال بغرة يناير عام ١٩٦٨ م كعيد للسلام ، وإجابة الأستاذ المودودي على أهمية بالغة ، فلقد بين الأمور بأسلوب صريح مباشر . قال الأستاذ المودودي ص : ٢٧ من جوابه :

[ وهناك جانب آخر للمشكلة عظيم الأهمية ، فالمؤسسات التعليمية للمنصرين تخرج طبقة جديدة من الناس ؛ طبقة لا تتمسك بالنصرانية ولا تظل على دين الإسلام ، وإنما تفضل نفسها على تراثها ولا تطبق أي تراث أخلاقي آخر ، والنتيجة هي أن تصبح أنموذجاً غريباً عن الجنس البشري في مواقفها الأخلاقية ومعاييرها الثقافية ، وكذلك في تصرفاتها

وأخلاقها ، في لغتها وعاداتها الاجتماعية ... وباختصار في منهج حياتها برمتها ، فمن وجهة النظر الدينية الصرفة لا تظل هذه الفئة متمسكة بالإسلام ، كما لا تنجذب نحو النصرانية ، وإنما تنساق بدلاً من ذلك في أحضان العلمانية والإلحاد والانحلال في الدين والخلق .

فهل يوسع أي رجل عاقل أن يعتبر هذه النشاطات - من قبل البعثات النصرانية - خدمة للدين من أي وجه من الوجوه ؟ ! . وهذه هي الأسباب الحقيقية التي تجعل المسلمين ينظرون نظرة ارتياب شديد تجاه هذه البعثات ، ويشعرون أنها لا تعمل من أجل نشر الدين ، وإنما تحيك مؤامرة ضد الإسلام والمجتمع المسلم . رجاءً أن تولوا هذه الجوانب قدراً مناسباً من التفكير ، وأن تبدلوا نفوذكم لإقناع الإرساليات التنصيرية بالكف عن هذه الأعمال التخريبية المكشوفة والمستوردة [ .

النقطة الثانية : في كلمة القس زويمر - التي يخاطب بها إخوانه المنصرين هي قوله : [ وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ] .. وإنما لكلمة يصرح بها إنسان فقد وعيه وضاع ضميره ... ويتصل بهذه النقطة مسألتان ؛ أولهما الوسائل التي تبلغهم هذه الغاية ، وثانيتهما الثمرات التي يجنونها من وراء هذا الإفساد.

أما الوسائل فقد ذكرها في قوله : [ قبضنا - في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا - على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التنصير والكنائس

والجمعيات والمدارس النصرانية الكثيرة ، التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأميركية ] .

وأما النتيجة التي جنوها ففي قوله : والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء ؛ إنكم أعددتكم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

ويتابع القس زويمر قائلاً : [ إنكم أعددتكم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في النصرانية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار النصراني لا يهتم بالعظائم ، يحب الراحة والكسل ، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات ؛ فإذا تعلم فللشهووات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود بكل شيء ، جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية في قبضة المنصرين ، إعداد جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الخط الذي رسمه المبشرون ] .

النشء الإسلامي لا يهتم بالعظائم يحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات !! . أصحيح كل هذا الذي ذكره القس زويمر ، أم هو يبالغ في الأمر ليرد الثقة إلى أصحابه حين رآهم مشرفين على اليأس من إدراك غايتهم في مهمتهم التنصيرية ؟ !! .

لنأخذ المسألة الأولى : المناهج ، وهي مسألة هامة ، فالمناهج إنما تستوحى من أهداف الأمة وغاياتها البعيدة ، فهل نستطيع أن نقول : إن

مناهج التربية في البلاد الإسلامية ترعى أهداف الأمة الإسلامية وغاياتها؟؟ .  
يشير زويمر إلى انتشار مكان التنصير والكنائس والجمعيات والمدارس  
النصرانية ، وهو يقرر ما ذكرنا أنه ليس هناك شبر من أرض بلاد  
المسلمين ليس فيه وكر من أوكار المنصرين ، وليس من شك في أن هذه  
المدارس التي يؤمها في الأيام الأخيرة عدد ليس باليسير من أبناء المسلمين؛  
بل الذين يؤمنونها هم أبناء علية القوم ، الذين يتسلمون مقاليد الأمور  
ويديرون دفة السفينة .

وليس من شك أن المناهج التي وضعت في مدارس التنصير تحمل السم  
في ثناياها لأبناء الأمة الإسلامية . وحين يتسلم الأمور خريجو هذه  
المدارس التنصيرية ، ينقلون بأنفسهم إلى أبناء الأمة ما تعلموه ولقنوه .  
وهنا نجد الاستعمار والتنصير ودعاة المبادئ الهدامة يجتمعون في  
صعيد واحد ، ونجد دعوة هؤلاء المنصرين تبدأ في الميدان وحدها ثم  
لا يلبث هؤلاء أن يضموا إلى صفوفهم فريقاً من طلائع أبناء المسلمين ،  
وينتهي الأمر إلى حمل الدعوة وحدها من قبل أبناء المسلمين أنفسهم ،  
ولقد وضعت المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية كلها تحت سيطرة  
الاستعمار والمنصرين ، ثم جلا المستعمر وغلب على البلاد الإسلامية كلها  
ثمرات التربية الأولى ، وكانت المقاومة يسيرة وكانت الغلبة للدعوات  
المنوثة .

## غزو وتصيري جديد

تعرض منطقة الخليج العربي اليوم إلى تخريب عقائدي صليبي مركز !. وذلك ضمن المخطط العالمي لغزو الأمة العربية والإسلامية ، وبالأخص المناطق الاستراتيجية والمهمة فيها .

إن هذا الهجوم على الإسلام تقوم به المؤسسات الكنيسية ، والمدارس التنصيرية والكتب المدسوسة والصحف المأجورة والنوادي المشبوهة ، ويهدف هذا الهجوم إلى إضعاف عقيدة الإسلام ، وتخريج جيل من المسلمين يتنكر لقرآنه وإسلامه ويحمل من الإسلام اسمه فقط ، وبالتالي يترك هذا الجيل في فوضى فكرية ودوامة عقائدية .

والخليج العربي - هذه المنطقة المسلمة الهادئة الوديمة ، التي تتميز بفطرتها النقية والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإسلام ، هذه المنطقة الزاخرة بالثروات النفطية - يتعرض اليوم لغزو يلتمسه كل من له بصيرة ، ويحس به كل من له عقيدة أبية وغيره على الإسلام وأمور المسلمين .

قلاع الكنائس تطل على ضفاف الخليج المسلم وكلها قام حديثاً في بلاد المسلمين لتصبح بعد مدة مرتعاً وخيماً لأعداء الإسلام ، يجر الويل والدمار والفساد والكفر لأبناء المسلمين ، ولتصبح قلاعاً صليبية كما هو الحال في بيروت وغيرها .

الكتب التي تحمل في طياتها السم الزعاف والتشويه الفكري والثقافي  
لتعاليم الإسلام !! كل هذا والعرب المسلمون ينظرون وبدون أدنى معارضة .  
لقد استغللت البعثات التنصيرية حاجة المنطقة إلى العلم والمعرفة ،  
فأخذت تبتث سمومها عن طريق المدارس والبعثات والدورات الثقافية  
والمحاضرات العلمية ! . ففي إحدى المدارس المهنية - مثلاً - التابعة  
لشركة ادما للبتروول - بريطانية - تعرض الأفلام - مرتين في الأسبوع -  
على طلاب المدرسة المسلمين . ومن خلال هذه الأفلام يتم تشويه الإسلام  
وعقيدة التوحيد !! . وقد عرض فيلم يصور حياة البدو في الصحراء ،  
وكان الفيلم يركز على صلاة البدوي بجانب البعير الذي يهيم بالجلوس ! .  
وكان المخرج يتعمد إظهار التشابه بين المشهدين ويبرزهما ويشير إليهما  
الانتباه بالألوان المثيرة والموسيقى ، قعود الجمل إلى جانب ركوع  
وسجود المصلي ، كل هذا يجري باسم الثقافة وباسم العلم ! . إنه العلم  
المشوه والثقافة المسمومة .

وفي ٢٠ - ١٠ - ١٩٧٤ وزع على سكان أبو ظبي - عن طريق اليد وعن  
طريق صناديق البريد - منشور ملون جذاب جاء فيه : يسرنا أن نعلن  
للجمهور الكريم بأن السفينة ام . في . لوغوس والتي تحمل معرضاً  
دولياً مشهوراً للكتب ، ستقوم بأول زيارة لها لأبو ظبي في الثاني  
والعشرين إلى الثلاثين من شهر اكتوبر ١٩٧٤ م ، وسيكون المعرض  
والبيع مفتوحاً للجمهور في النادي السياحي : ١٠ - ١٢ ظهراً و ٤ - ٩ بعد  
الظهر يومياً ، إن الباخرة ستكون محملة بأكثر من ٢٥٠ طناً من الكتب

الثقافية الرائعة المتنوعة - كذا - إن الصعود على الباخرة سيكون مجاناً ،  
وإن الكتب ستكون معروضة للبيع بأرخص الأسعار .

نشرة صغيرة جذابة ظاهرها الرحمة ، أما باطنها فهو العذاب والإفساد  
وخراب على الدين والعباد ! . وبدأ العرض ... وتوافد الناس على اختلاف  
ميولهم وثقافتهم - حتى طلاب المدارس المتوسطة والثانوية بإشراف  
مدارسهم - وانتهى العرض ولكن ... وبعد فوات الأوان بالطبع ... تنبه  
المسؤولون !! تنبهت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، بعد أن قدر  
الله أن يقع في يدها كتاب باللغة الإنجليزية عنوانه [موسوعة الأبطال  
الحديثة] لمؤلفه (كينت بيلى) طبع في لندن سنة ١٩٧٢ م في كل من  
لندن ونيويورك وسدني ... وقامت بطبعه دائرة (هاملن) للمعارف  
- أطفال - وبالاطلاع على هذا الكتاب وجد به في الصفحة ١٢٥ رسم  
صورة للرسول محمد ﷺ وضع ضمن مجموعة من صور عباقرة العالم .

وقد جاء في الكتاب ما يلي نصه : محمد هو مؤسس الدين المحمدي ،  
ولد في مكة التي أصبحت فيما بعد مدينة مقدسة بالنسبة للمسلمين ،  
ويتخيل أنه نبي الإله ، والذي سماه القرآن هو الكتاب المقدس  
المحتوي على أقواله ؟ !! .

وبعد تسعة أيام من إقلاع السفينة المزهوة المنتصرة تنبه المسؤولون  
فأصدرت وزارة الأوقاف كتاباً عممته على جميع الوزارات في دولة  
الإمارات ، ترجو فيه أن تتخذ الوزارات ما تراه مناسباً للحفاظ على الدين

والمقدمات الإسلامية ، وخرجت الصحف بخبر يحمل هذا العنوان :  
اتصالات عاجلة مع الدول الإسلامية لحظر دخول السفينة المعرفة إلى  
مياها الإقليمية .

إن هذا الأسلوب الماكر الذي استخدمته سفينة لوغوس حاملة اسم  
المعرفة ! مثال بسيط للغزو التنصيري في منطقة الخليج ! هجوم يتستر  
بالثقافة والفكر - وبأرخص الأسعار - وفي هذه الأيام التي تكاد تكون  
موجة الغلاء عامة في جميع الأقطار ، مع أزمات الورق والطباعة ... كل  
ذلك لكي يوجه هذا الهجوم ضرباته نحو أمة الإسلام في الخليج ، لكي  
يوقعها في دوامة من التضليل والبليلة<sup>(١)</sup> .

فيا أيها المسلمون ؛ إن الإسلام الذي تنتسبون إليه ليس شعاراً يرفع ،  
وليس شارة تعلق ، وليس كلمة تقال ... إنما هو عمل يطبق في دنيا  
الواقع فيقره ، والتزام حقيقي يحول التفكير والنية إلى عمل إيجابي  
في واقع الحياة . إن الإسلام يوجب عليكم صدق الالتزام ، وإخلاص  
النية والغيرة على حرمة المسلمين ، يستوي في ذلك الحكام والمحكومون .  
ويجب الانتباه واليقظة لجميع أساليب التخريب بالخليج وغيره سواءً  
بسواء . وصدق الله العظيم حيث يقول : ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) .<sup>(٢)</sup> ويقول الرسول  
الكريم محمد ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ... » .

(١) هذا ما جاء في جريدة الشهاب عدد ١٢ الصادرة بتاريخ ١٧ ذي القعدة - ١٢٩٤ هـ .  
الموافق ١ كانون أول ١٩٧٤ م . (٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .



وفيما يلي أقدم بعض النقول الثابتة لبعض رؤساء إرساليات التنصير وقادتهم؛ تقول بربارة توخمان - كما ورد في كتاب التبشير والاستعمار: ... وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس عام ١٩١٨ م . فنجح حيث كان ريتشارد - ريكاردوس قلب الأسد - قد أخفق ، ولولا ذلك الانتصار - انتصار اللنبي - لما كانت إعادة إسرائيل إلى الآن قد أصبحت حقيقة واقعة . وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد . أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصراري على التعلق بالأرض المقدسة . وإن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم - وإلى حد ما - بفعل الدين الذي أعطوه للأُميين - الأُميون هم غير اليهود .

ووعد بلفور أيضاً لم يكن العامل الأساسي في إنشاء دولة إسرائيل . إن السياسات التي استترت وراء هذا الوعد هي التي أرادت خلق إسرائيل ، سواءً أتقدم هذا الوعد في التاريخ أم تأخر ، وسواءً أكان أم لم يكن . قالت بربارة توخمان : إن الانتداب لا وعد بلفور هو الذي فسح في القانون العام مجالاً لإعادة إسرائيل إلى فلسطين . إن وعد بلفور كان إعلاناً لسياسة فقط ، وكان بإمكان كل وزارة بريطانية تالية أن تتجاهله أو أن تدع الزمن يمر عليه أو أن ترفضه ، ولكن الانتداب - أي إدخال وعد بلفور في صك الانتداب - كان التعهد الدولي الذي وقعته دول الحلفاء الكبرى ، التي كانت تعمل باسم عصبة الأمم ، ثم أكدته فرغته بذلك بعد أن وضعت في صلب صك الانتداب إلى مستوى المعاهدات<sup>(١)</sup> .

(١) التنصير والاستعمار : ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

جاء في كتاب الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٤٢ ما يلي :  
قال رئيس إرساليات التنصير الألمانية في تقريره عن أعمالها : إن نار  
الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ، ولا في  
مستعمراتنا في آسيا وأفريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الإسلام  
منها قوته وينتشر ، سواء أكان في أفريقية أم في آسيا ، وبما أن كل  
الشعوب الإسلامية تولى وجوها نحو الآستانة عاصمة الخلافة ، فإن  
كل الجهود التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا  
فيها ، ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التنصير الألمانية ،  
هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة ، وهي قلب العالم الإسلامي .

## اقتراحات

للخلاص من أخطار التنصير وغزو الغرب لديارنا ومحاربة عقائدنا  
أرى القيام بما يلي :

التبشير بالإسلام في بلدان الغرب ، لإطلاع الغربيين على عظمة  
الإسلام وإنسانيته وسماحته وسمو مبادئه ، ومبلغ حاجتهم إليه وما  
خسروه بسبب محاربتهم له ولرسوله ﷺ ؛ وأنه صديق المسيح عليه  
الصلاة والسلام ومؤمن بنبوته ، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين ،  
فاستطاع النهوض بالعرب في مدة قصيرة من الزمن ، فانطلقوا من

باديتهم وفتحوا الدنيا وقتئذ وملئوها عدلاً ورحمة بعدفا ملئت جوراً وظلماً وهمجية<sup>(١)</sup> . . . وهو لا يزال وإلى الأبد يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة .

وينبغي أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبأرقى وسائل الإعلام . ونذكر فيما يلي نماذج منها لبيان مزايا الإسلام وحاجة الغرب إليه ، كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

- ١ - استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية .
- ٢ - صنع الأفلام السينمائية وعرضها في الغرب .
- ٣ - تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الإسلام .
- ٤ - إنشاء مجلات إسلامية خاصة بالأطفال .
- ٥ - الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين واطلاعهم على الإسلام ، والتعاون مع الذين أسلموا من الغربيين لوضع المخططات المناسبة لنشر الإسلام .
- ٦ - تقوية الإذاعات العربية لإيصال صوت الإسلام إلى أسماع الغربيين باللغات والطرق المختلفة .
- ٧ - إعلام الغربيين بما جاء في كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم والرفق .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي - الكويت ١٣٩٣ هـ .

٨ - وكفلك إعلامهم بما جاء في كتبهم من توحيد الإله ، ونبوة عيسى  
بوعظنا بوصولنا عليهما السلام .

وفي الختام أستصرخ ضمائر المسؤولين ، وأصحاب الثروات في العالمين  
العربي والإسلامي لإعطاء موضوع التبشير بالإسلام في ديار الغرب ما  
يستحقه من اهتمام ، وهو أولى من التبشير به في أفريقيا وغيرها ، حيث  
يلقى هناك مقاومة عنيفة من جيوش المبشرين النصارى بوسائلهم  
المختلفة القوية .

هذا ؛ ولا يوجد كل ذلك في الغرب نفسه وهو مصدر الجريمة ...  
أليس مما يبعث على الأسى والحسرة ، أن نرى دول الغرب القوية تتعاون  
على حشد ثرواتها وإمكاناتها ، للتبشير بالنصرانية في العالم ، مما أخضع  
لها كثيراً من الشعوب والجماعات والأفراد ، بينما نحن ساهون لاهون  
عن هذا التبشير ، مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا استعماراً واضطهاداً  
واعتداءً وتبعية ، وغيرها من الشرور التي لا نزال نعاني ويلاتها إلى  
يومنا هذا ؟؟؟ .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (١)  
صدق الله العظيم .

(١) سورة ق : ٣٧ .

## فتوى ونداء إلى الرأي العام الاسلامي حول المدارس التنصيرية

جرباً وراء الفائدة وتعميمها ، فإني أضع بين يدي القارىء هذه الفتوى محلياً بها هذا الفصل ، وهي في نظري العلاج الشافي والدواء الناجح لما يتعرض له أبناء الجيل الناشئ من إفساد وتضليل على يد عصابة التنصير في كل زمان ومكان ، لذا فإني أدون هنا هذه الفتوى لتبقى أثراً في التاريخ وها هي ذي نصوصها كما وردت في كتاب الصوفاء<sup>(١)</sup> :

[ الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

أيها الآباء الأجلاء والأولياء النجباء ، يبعث إليكم علماء بغداد بتحياتهم ودعواتهم ، ويرجون الله عز وجل أن يقر عيونكم بأبنائكم ، ويجعلهم من أبناء السلامة والنجابة والبر والوفاء ، وهم إذ يبعثون إليكم بهذه التحيات والدعوات يرجونكم أن تعلموا ، وإن كنتم ممن لا تخفى عليهم مثل هذه الأمور ، ولكنها الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

اعلموا أن أبناءكم أمانة الله في أعناقكم ، وقد وهبكم الله إليهم وأكرمكم بهم لينظر كيف تصنعون ؛ أتربونهم على حب الله وطاعته ،

(١) وقد تولى إصدار هذه الفتوى لفيف من العلماء في بغداد يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ .  
انظر كتاب نداء الإسلام : ص ١٣٠ .

وعلى الفضائل والآداب الإسلامية الرفيعة ؟ . أم تتركونهم وشأنهم ،  
أو تضعونهم بأيدي مؤذنين يجردونهم من عقائدهم ، وينفثون فيهم  
سموم الضلال والانحلال الخلقي ، وأنتم غافلون ؟ ! .

يقول الله تبارك وتعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ  
وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ  
فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ) (١) .

والفتنة هنا تحمل معنى الاختبار والامتحان . واعلموا أن الأبناء منكم  
ولكم ، فإذا نشؤوا نشأةً صالحة وربوا على الفضيلة والبر والوفاء ،  
كان خيرهم لكم وصلاحهم لصلاحكم وعشتم معهم عيشاً هنيئاً سعيداً .

والعكس بالعكس تماماً ؛ فإذا تجرد الولد من أخلاقه ودينه ، ونشأ  
على التسيب والانحلال وعدم التقيد بقيود الإسلام ، فرط الأمر من  
أيديكم وانصب شره عليكم ، وخرج عن طاعتكم تقيم العنت منه في  
الدنيا ( وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ) . سورة طه : ١٢٧ .

واعلموا أن الله تبارك وتعالى حيث وضع الأمانة في أيديكم أوصاكم  
بحفظها وحمايتها من النار ، وما حفظها من النار إلا بصددها عن الأسباب  
والأعمال التي توصلها إلى النار وبئس القرار . قال تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ  
وَالْحِجَارَةُ ) (٢) .

(١) سورة الأنفال : ٢٧ ، ٢٨ . (٢) سورة التحريم : ٦ .

والأولاد من الأهل ، بل هم صفوة الأهل والعشيرة ، وقد أمرنا الله بأن نقيهم ونحفظهم كما نقي أنفسنا ونحفظها من أسباب الهوى والسقوط في النار ، وإن أعظم هذه الأسباب هو بعدهم عن دينهم وتركهم لأوامره وفضائله ، ومنبع الفضائل ومصدر القوة في تربية الأبناء والبنات هو الدين وحده ، فإذا استمسك به الإنسان فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، وكان له درعاً واقياً من كل الشرور والآثام .

وإذا تركه وأهمله صاحبه فلا ينفعه علم ولا يصده قانون ، مادام الوازع الباطني قد زال عنه فقد أصبح صاحبه أشبه بالحيوان المفترس يفعل ما تقتضيه حيوانيته ، فلا وازع يردعه ولا قانون يمنعه ، فالدين والأخلاق هما مصدر القوة في الأمة ؛ تعيش حرة سعيدة كريمة ما عاش فيها هذان الركنان حين قويين .

ولقد فطن أعداء الإسلام إلى هذه الحقيقة فأجمعوا أمرهم وكيدهم ، ووضعوا الخطط والمناهج لمحاربتنا في هذه الميادين ، بعد أن خابوا وخسروا وفشلوا في محاربتنا بالسيف مئآت السنين ، وكانوا كلما أوقدوا للحرب ناراً أطفأها الله ، وأقام دولة الإسلام على الرغم من مكائدهم ، فعمدوا إلى حربنا من طرق أخرى ووضعوا المناهج التي تكفل بقاءهم وزوالنا ، وسعادتهم وشقاءنا وحریتهم واستعبادنا إلى أبد الأبدین ، ما دمنا منفيين لخطتهم ومناهجهم وسائرين في المسالك التي رسموها لنا ، ودفعونا إلى السير فيها بأيدي وكلاتهم و مندوبيهم من أبناء جلدتنا ،

ومن تخرجوا على أيديهم وتعلموا على مدارسهم ، حتى أصبحوا أشد  
منهم خطراً وأعظم كفراً .

إن أعدائنا اليوم يحاربوننا باسم العلم والفلسفة ، وباسم الأدب  
والفن وباسم حرية الرأي وحرية الأديان ، وهم بهذا وغيره ينظمون  
حملاتهم الشعواء ضد عقائدنا وديننا وأخلاقنا وعاداتنا ، ولقد دخلوا  
علينا من عدة أبواب ، وإن أعظم هذه الأبواب وأشدّها فتكاً وخطراً هو  
المدارس والكليات التنصيرية ، التي زرعوها في العالم الإسلامي هنا  
وهناك ، وجندوا لها القسس والرهبان يدرسون فيها ويبشرون وينفثون  
سمومهم في أطفالنا الأبرياء وشبابنا النجباء ، فيجردونهم من عقائدهم  
وأخلاقهم وينشئونهم على التحلل والفساد .

أيها الآباء ؛ إن هذه المدارس والكليات الأجنبية لم تفتح حباً في  
سواد عيوننا ، ولا طمعاً في تهذيبنا كما يزعمون ، بل فتحت لتثبيت  
قدم الاستعمار في بلادنا وتجريد أبنائنا من مقوماتهم الأخلاقية والدينية ،  
حتى تجعلهم كالسوائم لا يفكرون إلا في بطونهم وشهواتهم ، فتلهيهم  
هذه الأغراض الدنيئة عن عظام الأمور ، وتقعدهم عن أسباب المجد  
ومدارج الكمال ، وتزرع في قلوبهم حب أعدائنا وأعداء أوطاننا وديننا  
من رسل التبشير وأذئاب الاستعمار .

وهل يتصور أن إنساناً ما يحارب أو يكره أناساً علموه وهذبوه ؟ !  
وهذا ما يريده الأعداء من نشر هذه المدارس وصرف مئات الملايين من  
الدولارات والجنيهات عليها .



أيها الآباء ؛ قد يقول قائل منكم : إن التبشير النصراني قد فشل في ديارنا كل الفشل ، ولم يستطع حتى الآن أن ينصّر عشرة من المسلمين ، وننقل لكم بصدد هذا القول مقتطفات من الخطاب الذي ألقاه القس زويمر في مؤتمر المنصّرين ، الذي عقد في جبل الزيتون بالقدس إبان احتلال فلسطين الشهيدة من القوات الإنكليزية المعتدية .

ولقد أفصح القس زويمر - وهو رئيس المؤتمر - في هذا الخطاب<sup>(١)</sup> عن أغراض التبشير وبرامج التعليم ، بعد أن سمع إلى خطب كثير من المبشرين اليائسة والدالة على إفلاس التبشير في البلاد الإسلامية ، فقام خطيباً محدداً أغراض التبشير بهذه الكلمات . قال هذا القسيس - وكان رئيس المبشرين في القطر المصري :

أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أدت الرسالة التي نيّطت بكم أحسن الأداء ، ووفقت لها أسمى التوفيق .

انتهى خطاب القس زويمر ، وبه انتهى مؤتمر المبشرين المنعقد في القدس بعد أن أخذوا قراراً إجماعياً بالاستمرار على خطة السير في الوسائل التبشيرية القديمة ، يضاف إليها الوسائل الجديدة وأهمها : زيادة عدد المدارس والكليات وتكثيرها في كل مكان ، والابتداء من رياض الأطفال والتدرج منها إلى الثانويات فالكليات والجامعات ، وقد سيطروا على

(١) لقد ورد خطاب القس زويمر كاملاً فيما سبق ، ومن أراد الاستزادة فليراجع . ص ١٨٤ .

البرامج في جميع مراحل الدراسة وهيئوا لها جيوش المبشرين من القسس  
والرهبان ووكلائهم ، ممن تتلمذوا على أيديهم وخرج على أمتة ودينه .

أيها الآباء ؛ لقد رأيتم نوايا هذه المدارس ، وقد وصفها أصدق وصف  
القس زويمر وشهد شاهد من أهلها ، وأن الواقع الذي نلمسه في الشباب  
المتعطل المتفرنج المتحلل المتخرج من هذه المدارس ليصدق الوصف الذي  
نعتها به هذا المبشر الكبير .

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ !! . فهل يسوغ لكم أن تتركوا أبناءكم  
في هذه المدارس ؛ يعيث في عقولهم وعقائدهم ذئاب الاستعمار ورسل  
الشر والدمار ؟ . إن علماء بغداد - في الوقت الذي يضعون فيه هذه  
الحقائق بين أيديكم - يتقدمون إليكم بالفتوى الصريحة وهي :  
حرمة إدخال أبنائكم وبناتكم في المدارس والكليات التنصيرية ؛ إنكليزية  
كانت أو أمريكية أو فرنسية أو غيرها من مدارس التبشير ، فإنها  
تؤدي إلى الكفر ، ورضاكم بكفر أبنائكم وبناتكم يؤدي إلى كفركم  
أنتم كذلك ؛ فإن الرضا بالكفر كفر . نعوذ بالله من الكفر والضلال  
ونربياً بكم أن يصيبكم كما أصاب غيركم من الكفر والانحلال .

وفي الوقت الذي نبعث لكم فيه بهذه الفتوى الصريحة ، نعود  
فنناديكم وننادي ضمائركم المؤمنة ، ونسائلكم بالله وباسم الإسلام  
والإيمان أن تجنبوا أولادكم هذه المدارس وتخرجوهم منها بأسرع وقت  
ممكن ، ولا تفرنكم شهاداتها ولغاتها ، فما يقع فيه الأبناء من الفساد

والكفر لا تنفع معه شهادة مهما عظمت ، ولا لغة مهما سمت . فما قيمة الشهادة إذا حملها صاحبها وهو لص خامل كسول ، كافر بمجده ودينه وتاريخه وقومه ، عاق لوالديه فرح بما لديه من الكفر والضلال والانحلال ؟ ! .

ورجاؤنا أن تستجيبوا لندائنا ، فهو صيحة مخلصه نردها إليكم لنعذر أمام الله بأننا بلغناكم ورجوناكم ، وبيننا لكم حكم الإسلام في مثل هذه المدارس الكافرة .

فلا تخيبوا رجاءنا ولا تصموا آذانكم عن ندائنا ، فهو نداء الحق وصوت الضمير وصيحة الإسلام ، وستسألون عما كنتم تعملون ، كما ستسألون أمام الله عن هذه الصيحة إن تركتموها تذهب أدراج الرياح . وإننا نذكركم بقول الله تبارك وتعالى ونرجوا أن تمنعوا النظر في هذه الآيات وتنفكروا في المصير المحتوم . قال تعالى :

( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ . ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى

كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهْمٌ لَا يُظْلَمُونَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١) .

هذا وغيره مما نذكركم به . أما نحن فقد بلغنا ، ورجوا أن نعذر أمام الله . وما على الرسول إلا البلاغ المبين . اللهم اشهد بأننا بلغنا ما نعلمه في سبيلك ، فتقبل منا ووفق المسلمين للسمع والطاعة ، إنك نعم المولى ونعم النصير . والحمد لله رب العالمين .

## القوانين الوضعية

إن دعاة الجاهلية الغربية وواضعي قوانينهم وأنظمتهم ، الغارقين في ظلماتهم حتى أرنبة أنوفهم ، قد فقدوا صوابهم بمجانبتهم للحق والعدل ، وبافتئاتهم على الحق والحقيقة ومخالفتهم الفطرة الإنسانية ونواميس الكون ، هؤلاء الذين سلموا أنفسهم للهوى وباعوها للشيطان ، وما هم الآن يوجهون مبادئهم المنحرفة إلى ديار العرب والإسلام ليكتنوا بنارها بعد أن أحرقت الأخضر واليابس في ديارهم المظلمة .

لقد انشق أصحاب هذه الأفكار على دستور السماء وتعاليم الإسلام الحنيف ، وذلك عندما عطلوا مبادئ التشريع الإسلامي ، وهجروا قوانينه وعللوا ذلك بتعليلات واهية وأسباب غير معقولة ، وارتضوا

(١) سورة النحل : ١٠٦ - ١١٢ .

لأنفسهم الترددي في وحل ثقافة الغرب ومستنقع الانحراف والرذيلة ،  
ليكونوا أتباعاً ومقلدين بعد أن كانوا سادة ومتبوعين .

وفي تطبيق القوانين الوضعية تعطيل للسنة الكونية ، ومسح للبشرية  
وعودة بها إلى عصور الغاب .

إن الشريعة الإسلامية تتمشى مع الزمن والتطور في تحقيق مصالح  
البشر العامة ، وإن قواعدها الأصيلة تكفل تحقيق السعادة لكل من  
يعيش في ظلها ، وإن المسلمين إذا عملوا بقواعد شريعتهم فإنها تغنيهم  
عن القوانين الوضعية التي هي من صنع المخلوق ، كيف لا؟ والله  
سبحانه الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه معجزته  
الخالدة - القرآن العظيم - ودستور العالمين لصالح الناس في كل زمان  
ومكان ، وكيف كانت الشريعة الغراء في القرون الأولى وفي عهد سلفنا  
الصالح - المنهاج الواضح - والتشريع المتبع ، حيث طبقوه فكانوا الدررة  
النفيسة والشمس المشرقة في غرة التاريخ .

وإن دول أوروبا - في العهد السابق - قد طبقت كثيراً من تعاليم  
الإسلام في بلادها واهتدت بهديه ، ومن حسن الحظ فقد اعترف منصفوهم  
بهذه الحقيقة .

ولو تأملنا القوانين الوضعية وفكرنا في النتائج التي تنجم عن كونها  
من صنع الإنسان الضعيف ، الذي يتأثر - بحكم تكوينه - بالأهواء  
والرغبات ، وعوامل البيئة ودرجة الثقافة وطبيعتها وغير ذلك من

الدوافع المختلفة ، ثم تأملنا القانون السماوي الذي هو من وضع الخالق العظيم ، المحيط بما جل ودق من شؤون الخلق ، والذي يراعي فيه الله سبحانه وتعالى مصالح الناس في الدنيا والآخرة معاً .

نعم ، لو تأملنا ذلك على ضوء العلم والواقع ، لوجدنا فروقاً نلمس منها قوة التشريع السماوي وصلاحيته المؤبدة ، وضعف القوانين الوضعية وعيوبها المخزية وأضرارها المتكررة ، التي نلمسها في كل قانون والتي تثقل كواهل الشعوب ويتحملها الأفراد مرغمين .

وبنظرة سريعة على حال دول الغرب - في هذه الأيام - نجد الخبر اليقين . وإليك بعض الفوارق الملحوظة بين القانون السماوي والقوانين الوضعية :

أولاً : تجيز القوانين الوضعية أحياناً ما تحرمه الشريعة السماوية ؛ مثل بيع الخمر وفتح الملاهي والتعامل بالربا ، ملاحظة في ذلك تحقيق المصالح المادية لبعض الأفراد ، غير مبالية بالخسائر الصحية والخلقية والاجتماعية والروحية التي يجنيها المجتمع من مثل هذه الأمور ، بينما نجد القانون السماوي يقدم الربح الخلقى والصحي والاجتماعي والروحي على المباح المادية الفردية .

ثانياً : تمنع القوانين الوضعية ما يوجبه ويجيزه القانون السماوي ؛ مثل قطع يد السارق وجلد الزاني ، زاعمة أن القطع والجلد يتنافيان مع الرحمة بالفرد ، متناسين أن التشريع السماوي إنما أوجب ذلك رحمة

بالأمة جميعها ، حتى لا تكون أموالها وأعراضها عرضة للطمع والعبث ، متجاهلة أن رحمة الجماعة أهم وأفضل من رحمة الفرد ، وأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة في عرف العقلاء .

ثالثاً : التشريع السماوي يعتمد إلى تهذيب الفرد وتكوينه على أحسن حال إنساني ؛ فيربي فيه طهارة القلب وينمي فيه علو النفس ويقظة الضمير والشعور بالواجب ، والإسلام يعمل على تقوية العلاقة بين الإنسان والإنسان ، وبينه وبين خالقه ، بينما نرى القوانين الوضعية لا تعني إلا بعلاقة الفرد بالمجتمع وعنايتها في تعليمه وتثقيفه ، فالغاية هي تحسين علاقته بغيره من الناس فقط .

رابعاً : القانون السماوي يجازي على الطاعة وعلى المعصية ، وقد جعل الجزاء في الحالتين محتوماً . وهو في ذلك لا محالة ، سواء علم الناس بجرمه أم لا ؛ ذلك لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . أما القوانين الوضعية فتجازي على عدم الطاعة ولا تجازي على الطاعة ، فالدافع لطاعة الدين أقوى من الدافع لطاعتها ، ثم هي تجازي على الجرم المشهود ، أما الجرائم التي لا تطلع السلطة عليها فإنها تذهب أدراج الرياح ، ويذهب بذهابها ضحايا قصور القانون<sup>(١)</sup> .

(١) مجلة هدي الإسلام - عمان - الأردن .

## من جنایات القوانين الوضعية

وما كاد القانون الوضعي يحل في البلاد العربية والإسلامية محل الشريعة الإسلامية ويعطل الحدود والتعزير ، حتى سنحت الفرصة لشذاذ الآفاق وطلاب الربح من الغربيين ، فأقبلوا من كل فج و صوب وشرعوا ينشرون الحانات ودور اللهو والفساد في جميع أرجاء العالم الإسلامي ، فكان هذا بداية انقلاب أخلاقي واسع المدى ؛ وهو انقلاب يقوم على أساس الانطلاق من قيود الأخلاق والدين ، ويبدأ في حدود ضيقة وعلى استحياء ثم ينمو ويمتد ، ويشجع الناس على المجاهرة والاستهتار<sup>(١)</sup> ، ويساعد هذا التشجيع الرعاية من وسائل الإعلان والنشر ، ويعمن في الاستهتار حتى يبلغ ذروة الرذيلة . وفي ظل القانون الوضعي ضاعت هيبة الدين والشرع ، وفقد الناس احترام الشريعة وتجرؤوا على الانحلال والرذيلة والمنكرات ، وقوضت معالم الحياة الإسلامية بصورة عامة ، لأن القوانين الوضعية لم تهتم بحياة الفرد وخلقه ، بل

(١) وعلى النقيض من هذا ؛ فكم كنت سعيداً عندما أقرأ صحيفة أو مجلة ، وهي تحمل بين سطورها أنباء عن تنفيذ حكم الله ، بقطع يد سارق ، أو جلد شارب خمر ، أو جلد أو رجم مرتكب جريمة الزنا . وهذا ما حدث ويحدث في المملكة السعودية ، ولا زلت أذكر أيضاً حادثة جلد وسجن بعض الموظفين والمهندسين الأجانب ، الذين ضبطت لديهم بعض المشروبات المسكرة أثناء عملهم في المملكة السعودية ، حيث نالوا الجزاء وطردهوا من البلاد ، وكما هو معلوم فالمملكة السعودية هي البلد الوحيد في العالم الذي تندر فيه الحوادث والفساد لأنه يطبق الإسلام . وإني لأتمنى على الله أن يهدي حكومات العرب والمسلمين لتحلوا حنو الحكومة السعودية الرشيدة ، فتطبق شرع الله وتمنع الخمور وتجلد العصاة وتقضي على الفساد . لأن الأمة السعيدة هي التي تحتكم لأمر الله وتتفياً بظلال الإسلام .



جاءت تقويضاً للأخلاق ودعماً لكل فساد ورذيلة وخرباً على الدين والعقيدة .

وجميع مقاصد التشريع ما قاله ابن القيم<sup>(١)</sup> - رحمه الله : إن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه .

فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة ، وكل خير في الوجود هو مستفاد منها وحاصل بها ، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها .

فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم ، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة . هـ .

وأنقل للقارىء فقرتين فقط مما قاله عالم كبير من علماء المسلمين - حفظه الله - إذ قال في أول المقال<sup>(٢)</sup> : إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين ، منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، في الحكم به بين العالمين

(١) ابن القيم - أعلام الموقعين : ج ٣ - ص ١  
(٢) نداء الإسلام : ص ١٥ . محمد محمود الصواف .

والرد إليه عند تنازع المتنازعين . ومعاندة المتعاندين لقول الله عز وجل :  
( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . ) (١) .

ثم قال الشيخ - حفظه الله - بعد قول الله عز وجل : ( أَفَحُكْمَ  
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) (٢) .  
فتأمل هذه الآية الكريمة ، وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية ،  
وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح ؛ أن القانونيين  
في زمرة أهل الجاهلية شاؤوا أم أبوا ، بل هم أسوأ منهم حالاً وأكذب  
منهم مقالاً .

ذلك أن الجاهلية لا تناقض لديهم حول هذا الصدد ، وأما القانونيون  
فمتناقضون ؛ حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ ويناقضون  
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً . وقد  
قال الله في أمثال هؤلاء : ( وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ) . (٣) .

إن اتخاذ القوانين بدل الشريعة كفر بواح ، وفساد في الأرض غير  
مباح ، وتعطيل لأحكام الشرع ونصر للهوى والشيطان ؛ حيث التفكك  
والشلل والتصددع في جبهة الإيمان ، وظهور الباطل وغلبة الطغيان على  
دولة الحق وعباد الرحمن . . . نستجير بالله من الكفر ، ونعوذ بالله من

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة المائدة : ٥٠ .

(٣) سورة النساء : ٣٧ .

الشُرور والآثام ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بالله العالم بخائنة الأعين  
وما تخفي الصدور .

إن المسلم الحق هو الذي يدين بالإسلام كلاً من غير تجزئة ولا تفريق  
بين حكم وحكم ، فأوامر الله واحدة وكتابه واحد فلا يجوز تجزئته ؛  
كأن يطبق المسلم بعض الأحكام ويعطل باقي الحدود .

فإذا أردنا الخلاص والنجاة . فليكن رائدنا اتباع منهاج سلفنا .  
وتطبيق دستور أمتنا ؛ حيث لا يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به  
أولها . أما من حيث التفريق بين أحكام الله فهو تفريط في جنب الله  
عز وجل وتقصير بحق الدين . قال الحق عز وجل :

( أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ  
مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ  
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) (١) .

ولا يخفى على ذوي البصائر ، فإن إيمان المسلم سيبقى ناقصاً ،  
وكرامته مثلومة وشرفه مهذوراً ما دام شرع الإسلام وقوانين السماء غائبة  
عن ساحة العمل والتطبيق ، وما دامت القوانين الوضعية الهزيلة مهيمنة  
ومتبعةً بديلاً عن شرع الله والإسلام الحنيف .

إن دستور الإسلام وشرعه المجيد وأحكامه الحنيفة ، هي الحصن  
والملاجئ الأمين لاتباعها ، فقد استضاء بنورها وهديتها من سبقنا من السلف

(١) سورة البقرة : ٨٥ .

الصالح ؛ فسعدوا بها وكانوا بحق خير من قاد الشعوب وربحوا خيري الدنيا والآخرة .

فليكن منطلقنا من منطلقهم ، ودرينا امتداداً لدربهم ، بهذا نصل إلى الغاية ونحقق الهدف . والله غالب على أمره وناصرٌ لجنده وهازم لخصمه ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا )<sup>(١)</sup> .

## فصل الدين عن الدولة

فهم الرعيل الأول من سلفنا الصالح الدين فهماً متكاملًا كما هو ؛ أصول وأحكام موحاة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام من الله سبحانه .

وأما دعاة فصل الدين عن الدولة ، فهم يرون أن الدين علاقة بين العبد وربّه ، ولكنها كلمة حق أريد بها باطل ، فهم يقصدون منها حصر الدين في مجموعة من الشعائر ، وهذا التطبيق إنما هو فرية لم يؤيدها واقع الدين وتجربته الرائدة في العصور الأولى ، ولم يدعمها نص قرآني أو دليل من السنة أو رأي من آراء الفقهاء قديماً وحديثاً .

إن هذه الدعوة الدخيلة ، والفكرة الغربية المصطنعة ، ظهرت في أوروبا عندما نشب الصراع بين الكنيسة ومنازعيها على السلطة<sup>(٢)</sup> ؛ نتيجة لموقف الكنيسة الصارم من الكشوفات العلمية . وكان العلماء

(١) سورة الأحزاب : ٦٢ .

(٢) راجع كتاب الدين والدولة . نجيب الكيلاني .

التجريبيون قادرين على دحض نظريات الكنيسة وتأيولاتها التعسفية ، حيث وقع الصراع بين الفكر الحر والفكر الكنسي الجامد ، الذي افتعله رجال الكنيسة وتشبثوا به ظناً منهم أن التنازلات عنه إنما هو ضياع لهيبة الكنيسة ، وقد حوكم وعذب العلماء وأعدم الكثير من أمثال (جاليلو) و (كوبرنيكس) وغيرهما . ومع الزمن انتصرت الحقيقة العلمية وتوارى الزيف ، وظهرت الدعوة بفصل الدين عن الدولة من قبل عدد من العلماء ، وجعل الدين علاقة محدودة بين العبد وربّه .

أما عالمنا الإسلامي الذي يتفياً بأفياء القيم السامية ، وينتظم في سلك رسالة السماء ، وينضوي تحت لواء عقيدة التوحيد . . . فإنه لم يقع في مثل هذه المزالق ؛ حيث كان العلماء يعبرون عن أفكارهم وفق منهاج رسالة الإسلام من التكريم والتقدير . فهذا الشعار - فصل الدين عن الدولة - شعار غربي دخيل ، وبضاعة محلية لهم لا حاجة لنا فيها . وإن مثل دعوتهم هذه لا مستقر لها عندنا ، بل بدعة سامة يعافها أبناء الإسلام .

يظن كثير من الناس أن الدين الإسلامي دين روح لا غير ، وليس له أي علاقة تربطه بالسياسة والسياسيين . وما من شك أن هذه الطقولة التي تتولد عند بعض الناس أسبابها عدم معرفة الدين ، وقلة الاطلاع على أحكامه ونظامه وما جاء به . وبعبارة أخرى ، إن بعض رجال العلم جعلوا الدين دون السياسة ، أي صوماً وصلاة وانزواً في المساجد .

بل تركوا الحبل على الغارب حتى وصلت البلاد إلى هذا الذل والتفسخ  
الخلقي والانحطاط القيمي . وما الرذائل المنتشرة هنا وهناك إلا دليل  
على ذلك . والاستعمار وأعداء الأمة هم الذين أدوا بنا إلى هذه النتيجة  
السيئة . التي لم يطمئن إليها إلا الأعداء .

فبسبب ما قام به بعض رجال الدين من سكوت وعدم الخوض في بحر  
السياسة ، أضحى بعض الناس - بل أكثرهم - يقفون بوجه كل من  
يريد التدخل والاطلاع على السياسة من شبابنا المؤمن والمثقف والمسلح  
بعقيدة التوحيد ، بل ربما لقي ما يؤلمه ويؤذيه ، سواء كان من الناس  
أو من رجال الدين . الذين أصبح بعضهم عالة على الأمة والدين .

إن الإسلام الصحيح دين وسياسة ، لا يفرق بين السلطة الروحية  
والسلطة الزمنية ، ولقد كان السلف الصالح كثيري الاعتناء والاهتمام  
بالأمور والقضايا السياسية ، لعلمهم أنها الطريق المعبد للإصلاح ،  
فلم يتركوا هذه المهمة الخطيرة إلى العامة وغيرهم ممن لا يصلحون لها ،  
بل يفسدونها .

لقد ورد أن كبار الصحابة من المهاجرين كانوا في بيت النبي عليه  
الصلاة والسلام وهو مسجى على فراشه ، وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ،  
فلما علموا باجتماع الأنصار في السقيفة لتعيين خليفة ، أسرعوا إليه  
قبل أن يدفنوا رسول الله ﷺ وذلك لتقرير قضية الخلافة ، وقد أظهروا  
من البراعة والسياسة والعزم والحنكة والدهاء ما هو جدير ليكون نبراساً

ونوراً يستنير به العلماء ، ولاسيما علماؤنا الذين اعتزلوا السياسة ،  
لجهلهم بواجب الدين ومسئولية المجتمع .

وكذلك كان العلماء الصالحون يتمسكون بالحكم والسياسة ، لا حُباً  
في الجاه والمجد بل توصلاً إلى خدمة الأمة وإنعاش الشعب وإعلاء كلمة  
الإسلام ، وتطبيق العدل ومحاربة الشرك والذل والفساد .

لقد فرض الإسلام على الحاكم أن يجمع بين السلطتين ؛ السلطة  
الروحية والسلطة الزمنية معاً دون أن يكون له امتياز أو فضل على أحد ،  
فمن أجل الاتحاد وعدم التفاضل ، وضع الإسلام حجراً أساسياً في  
صرحه ، ليضع عليه المسلمون أحكامهم دون تمايز ، وذلك الحجر هو :  
إفراد الله بالعظمة وتوحيده ، واستواء جميع البشرية في ذلك تحت حكم  
المساواة ؛ لا فرق بين ملك ولا صعلوك . وكذلك ساوى بين الغني والفقير  
والآمر والمأمور في حكم الصلاة ؛ حين يقفون أمام الله جنباً لجنب ،  
يؤم الناس إمامهم - الرجل منهم ولو كان فقيراً ، ويتلو على أسماعهم  
من القرآن الكريم ما يحيي نفوسهم ، ويبعث النشاط في أجسامهم ،  
يحيي مجتمعهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup> .

هكذا حث الإسلام على إقامة تشريعه بتطبيق العدالة الصحيحة ،  
والمساواة التي قررها بين الناس . قال عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ  
لِابْنِ بَيْضَاءَ عَلَى ابْنِ سَوْدَاءَ سُلْطَانٌ إِلَّا بِالْحَقِّ » . وقد وضع الإسلام

(١) ثورة الأحرار على الاستعمار للأستاذ هاشم الأعظمي .

أساس الحكومة - الديمقراطية - الإسلامية الصحيحة ؛ حيث أمر الحكام بالعدل ، وسن المساواة والشورى ، وجعل قيمة كل امرئ بقدر ما يقدم من خدمة للأمة وما يعمله من نفع للشعب . قال تعالى :

( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) (١) .

دعا الإسلام الحكام لإقامة العدل ، ليكونوا قدوة صالحة لشعبهم ؛ يسرون تحت لوائهم ويستظلون بظلمهم ، لا يخشون الباطل مهما طغى . قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ وُلِّيَ أُمَّةً مِنْ أُمَّتِي قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ كَبَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي النَّارِ » . وهكذا فإن المسلم إذا رأى السلطان أو غيره يعمل المنكر ، أو يسعى في الأرض فساداً وجب عليه إرشاده بكل ما يستطيع .

إن القيام بهذا الواجب يضمن - بلا ريب - سلامة المجتمع من تسرب السوء إلى مناحي الحياة وتوجيه الأمور إلى أهلها ، وهذا هو الأساس القويم الذي يقوم عليه نظام الحكم ، وبخلافه يختل النظام وتسود الفوضى المؤدية إلى التدهور والانقراض .

إن فصل الدين عن السياسة أمر من الأمور التي يبثها ويوحى بها الأعداء ؛ من استعمار ويهودية وأصحاب هوى ، ليبقى لهم الجو خالياً صافياً لا هواء ولا ضباب فيه ، يذيعون هذه الأراجيف لاستمرار

(١) سورة الحجرات : ١٣ .



استسلام العرب والمسلمين ، وليعودوا بهم إلى استرقاقهم القديم ، الذي صرعه الإسلام فخلص الناس من قيوده وأغلاله ، ويتمثل عدل الإسلام ويتجلى ذلك في قول الفاروق رضي الله عنه : [ مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً ] .

فالإسلام بخلاف الأديان الباقية ؛ لأنه لا يوجد فيه رجال يدعون أنهم واسطة بين الله وبين الناس ، وليس لهم رسوم مالية في الحياة أو الموت ، ولا بيدهم الجنة أو النار ولا الغفران ولا الاستغفار ، ولا صكوك الغفران ، وليس لهم أي لون من هذه الألوان التي يملكها القساوسة والرهبان . فالإسلام دستور إصلاح اجتماعي عام ، ليس فيه عصبية لأحد على أحد ، ولا لطائفة على طائفة ، ولا لجنس يعلو به على جنس ؛ فهو الدين الخالي من العصبيات جميعاً ، أي أمة تعتنقه وتقيم مبادئه وحدوده تكون هي الفضلى ، التي تستحق الزعامة على العالم أجمع .

فإن صح فصل الدين عن الدنيا والسياسة في دين ما ، فلن يصح في دين الإسلام الخالد . ولقد جمع الفاروق عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة بين الإمامة والسلطان والسياسة والدين ؛ فكان عالماً فحلاً في الأمور الشرعية ، ومجتهداً بارزاً في الأحاديث النبوية ، وكان في نفس الوقت سياسياً محنكاً وقائداً منتصراً ، أعلى كلمة الإسلام ونشر العدل في ربوع العالم وأمدهم بالحرية والأمان .

فالإسلام دين وسياسة رغم من يريد الفصل بينهما ، فعلماء الدين هم قادة الحركات والنهضات ، كما هو في الأديان السماوية. وخاصة الإسلام فهو دين وسياسة .

سيبقى الإسلام ديناً وسياسة رغم الأعداء وكيد الاستعمار وأعوانه دعاة الفصل بينهم ، لا فصل بينهما لأنهما القوة . يقول الشيخ محمد الغزالي : إن تجريد الدين عن سلطانه ، وحرمانه من حقه في السيادة والحكم ، بدأ أول الأمر مع النصرانية ، وتاريخ العصور الوسطى يسجل صراعاً بين السلطتين الدينية والزمنية ، ليس هنا موضع تفصيله . والضرورات العملية جعلت النصرانية ديناً ودولة ، وإن كانت نصوصها العلمية لا تذكر ذلك في جلاءٍ وصراحة ، ونحن نعذر رؤساء الدين النصراني في سعيهم للحكم ، لأننا نعرف أن الحكم في أيدي أعداء النصرانية - قديماً - عرض النصارى الأقدمين لفتن هائلة . ولقد كادت الوثنية الحاكمة أن تقضي على الإنجيل وأتباعه ، فمن حق هؤلاء أن يستخلصوا الحكم من أعدائهم وأن يستأثروا به في أيديهم ، ومن ثم أصبح الباباوات حكاماً بعد مراحل من الاستيلاء على السلطة التنفيذية ، غير أن حكم الباباوات أساؤوا أبلغ إساءة إلى العلم والخلق والحضارة ، فكانت الثورة ضده عنيفة شاملة ، ولم تستطع أوروبا أن تسير في موكب العمران والتقدم ، حتى تخلصت تماماً من كل أثاره لنفوذ رجال الدين .

وفي هذا العصر نلاحظ أن الكنيسة أصلحت شأنها وهذبت مسلكها ، واسترجعت أغلب ما فقدت من نفوذ ، وأصبح رجالها ملوكاً غير

متوجين . وأصابع الكنيسة تعمل عملها في توجيه السياسات الداخلية والخارجية للكتلة الغربية التي تتزعمها أمريكا وانكلترا . والذي كان يسمع تصريحات - مستر تشرشل ومستر ترومان - سابقاً في تلك الأيام يظنها قد كتبت لتكون عطلة الأحد في الكنائس بنيويورك ولندن وغيرهما .

لقد كان الأمر منذ قرن عداءً بين الدين المسيحي والدولة ، وهو في هذا القرن ود متين وتحالف ظاهر .

والمغفلون من المسلمين وأشباههم يرون أن الدولة يجب أن تبتعد عن الدين ، ولعلمهم لم يشعروا بعد بأن السادة الذين كانوا يقلدونهم قد غيروا آراءهم فيتغيروا كذلك معهم . ا. ه. (١) .

ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ نَفْرًا مِنَ الْإِنْسِ كَانُوا يَعْْبُدُونَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمَ النَّفْرُ مِنَ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْآخَرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ » (٢) . فنزل قوله تعالى : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ) (٣) .

ولنفرض أن أوروبا أصرت على فصل الدين عن الدولة ؛ لأن تعاليم النصرانية لا تأبى ذلك ، فمن الذي قال أن النصرانية في ذلك كالإسلام ؟ ! . وأن القرآن كالإنجيل ؟ ! ! . إن مقارنة النصوص والدلائل هي

(١) راجع كتاب : من هنا نعلم

(٢) رواه الشيخان .

(٣) سورة الإسراء : ٥٧ .

الفیصل الحاکم علی طبیعة تلك الدیانتین ، وهی میسورة لكل ذی تفکیر .

وئمة حقیقة تاریخیة أخرى تفرق بین الحکم الدینی فی الإسلام و بین الحکم الدینی فی النصرانیة ؛ فلیست لحاکم فی الإسلام قداسة ولا صفة إلهیة خاصة ؛ فالخلفاء الراشدون و غیرهم الذین أخطؤوا فی أحكامهم ، وجدوا من الرعیة من یقوم باسم الله ورسوله یدافع عن الإسلام وحده ، لینقد تصرفاتهم ویکشف أخطاءهم وخطیثاتهم .

إن كل شخص فی الإسلام رجل للذین و لیس الذین احتکاراً علی طائفة دون أخرى . أما المسیحیة فعلى العکس ؛ نجد للذین رجالاً موقوفین علیه ، لهم مراسم و حقوق خاصة و الذین ألصق بهم من غیرهم . و الحکومات التي أقامها هؤلاء الرجال كانت تتمتع بلون من القداسة و الترفع ، و كانت الشعوب تنظر إلى أعمالهم كأنها اتجاهات الذین نفسه ، و كأن صلة الشعوب بالذین لا تتم إلا عن طریق هؤلاء الرجال !! .

فلما ضاق الناس ذرعاً بتصرفات آباء الكنيسة انفجروا ضد الذین و رجاله جمیعاً ، فهوى بهم و هووا به . و شتان بین الإسلام و النصرانیة فی هذا المضمار ؛ من ناحية البحث العلمی و الواقع تاریخی علی السواء<sup>(١)</sup> . و كان فصل الذین عن الدولة فی تركيا سنة ١٩٢٤ م خیانة للإسلام و أهله . . . .

---

(١) انظر : کتاب من هنا نعلم .

قال أبو الحسن الندوي - أطال الله بقاءه : لقد وقع الفصل بين الدين والسياسة عملياً ، فإن هؤلاء لم يكونوا من العلم والدين بمكان ، يستغنون به عن غيرهم من العلماء وأهل الدين ، واستبدوا بالحكم والسياسة ، واستعانوا بالفقهاء ورجال الدين كمشيرين متخصصين ، واستخدموهم في مصالحهم واستغنوا عنهم إذا شأؤوا وعضدوهم متى شأؤوا ، فتحررت السياسة من رقابة الدين وأصبحت قيصرية أو كسروية مستبدة وملكاً عضواً . وأصبحت السياسة كجمل هائج حبسه على غاربه ، وأصبح رجال الدين والعلم بين معارض للخلافة وخارج عليها ، وحائد منعزل اشتغل بخاصة نفسه ، وأغمض العين عما يقع ويجري حوله يائساً من الإصلاح ، ومنتقد يتلهف ويتنفس الصعداء مما يرى ويسمع ، ولا يملك من الأمر شيئاً ، ومتعاون مع الحكومة لمصلحة دينية أو شخصية ولكل ما نوى ... وحينئذ انفصل الدين والسياسة ، وعادا كما كانا قبل عهد الخلافة الراشدة .

أصبح الدين مقصوص الجناح ، مكتوف الأيدي ، وأصبحت السياسة مطلقة اليد حرة التصرف ، نافذة الكلمة صاحبة الأمر والنهي ، ومن ثم أصبح رجال العلم والدين طبقة متميزة ، ورجال الدنيا طبقة متميزة ، والشقة بينهما شاسعة ، وفي بعض الأحيان بينهما عداً وتنافس ا.هـ. (1) .

ويقول كبير علماء المسلمين في الدولة الإسلامية في العهد العثماني ، الشيخ مصطفى صبري : فصل الدين عن الدولة ارتداد عن الإسلام ، (1) انظر كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص ١٤٧ ، ١٤٨ ط . مصر ١٣٩٧ هـ .

من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانياً إن لم يكن ارتداد الداخلين في حوزة تلك الحكومة باعتبارهم أفراداً ، فباعتبارهم جماعة . وهو أقصر طريق إلى الكفر من ارتداد الأفراد ، بل إنه يتضمن ارتداداً لقبولهم الطاعة لتلك الحكومة المرتدة ا.هـ. (١) .

يقول الدكتور محمد البهي : إن الإسلام دين الله ورسالة خاتم الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - لا يعرف الفصل بين دين ودولة ، وإنما يعرف الحياة الإنسانية للفرد في علاقته بغيره ولا يعرف قضية للدين والعلم ، وإنما يعرف مؤمناً بالله يحكي صفاته في نفسه من علم وغنى وخلق وإبداع ، ويتقرب بما يحاكيه إليه جل جلاله ، ولا يعرف حكومة إلهية ولا رفعاً لإنسان عن مستواه الإنساني ، وإنما يعرف إنساناً يصيب ويخطئ في تقديره وفي رأيه وفي علمه ، ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر أو العرق ، وإنما يعرف أن الناس جميعاً سواء في الاعتبار البشري وفي المسؤولية لله ، وأن التفاضل بينهم هو في مدى تحقيق مستوى الإنسانية في تفكير المؤمن وسلوكه وعمله ؛ هو في التقوى والعمل الصالح ا.هـ. (٢) .

ألا وإنه لا نجاة لنا من هذه المحن ، ولا مخرج لنا من مضايقتنا إلا بما شرعه الله لذلك من وسائل وأسباب ، قضى في كتبه (٣) وعلى لسان رسله

(١) انظر المنهزمون : ص ١٠٢ .

(٢) انظر الدين والدولة و قضايا العصر في ضوء الإسلام .

(٣) انظر كتاب من هنا نعلم للأستاذ الشيخ محمد الغزالي .

أن تكون أولها التوبة والرجوع إليه جل شأنه . وأن نقلع عن جميع آثامنا وذنوبنا مستغفرين الله منها ، ومصممي العزم على السير قدماً في سبيل الإصلاح والإصلاح . . . وإعداد الأمة بأقوى ما تستطيع روحياً ومادياً ، مقبلين في صدق وإخلاص على ما آتانا الله من كتاب وحكمة ، فنحل حلاله ونحرم حرامه ونهتدي بهديه ونعمل بشريعته .

ثم لنتظر بعد ذلك المعونة والتأييد من الله الذي تكفل ذلك لأتباعه ، بل إن تأييده ومعونته مودعان أيضاً في كتابه وشريعته لو كنتم تعلمون . اللهم فاشهد . ربنا آتانا من لدنك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشداً .

## الرأسمالية

لقد وقر في نفوس الناس أجمعين أن هذه الرأسمالية تقوم على سرقة الجهود والأموال والفرص . . . ثم على إنفاق ما تسرقه في إشباع الشهوات ونشر الفوضى الخلقية والاجتماعية والسياسية . وقد ألجأتنا تصرفات هذه الرأسمالية الملعونة إلى طول الكلام عن الإصلاح المادي ، وتوفير الضرورات التي لا بد منها للإنسان . إن في الإكثار من الكلام عن الرأسمالية يكون هدراً لكثير من الجوانب الهامة في حياة البشرية ومصيرها ، لأن ذلك يصبح على حساب النواحي المعنوية ، وعلى حساب الجانب الإلهي والنصيب الأخروي الذي لا يجوز لنا أن نهمله أو ننساه .

إن الرأسمالية تحتال على دين الناس وعقائد الأمم ، كما أنها تغتال دنياهم . وبهذا فلا تبقي منهم إلا حطاماً لا يصلح لشيء . إن العالم الغارق في مفاسد الرأسمالية مازال يحتاج إلى نظام الإسلام ، الذي حرم الربا والاحتكار ، وهما الركنان اللذان تقوم عليهما الرأسمالية قبل القرن العشرين بثلاثة عشر من القرون<sup>(١)</sup> .

ففي الإسلام الضيق وفي ظلال أحكامه تتحقق سعادة البشر ، ولنسمع قول الله تعالى : ( وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )<sup>(٢)</sup> . فالنظرية الرأسمالية تقوم على فصل الدين عن الحياة ، وحصر الله في مكان العبادة ، سواء كان في الكنيسة أو المسجد ، وتنادي بالحرريات جميعها ، حرية الاعتقاد : فلك أن تعتقد ما تشاء ، تسمي مسلماً وتصبح كافراً ، وتسمي ملحداً وتصبح مسلماً ، وتعتقد بالله أو لا تعتقد ، إن هذا لا يعنيتها في قليل أو كثير وحرام في نظرها على الله أن يتدخل في شؤون الحياة وتنظيمها ، فالحلال والحرام وأحكام الشريعة كلها أمر يتمسك به الرجعيون الذين يريدون تقييد حركة الإنسان ومنع حريته ، ولذلك أبعد عن شؤون الحياة العامة والخاصة في أوروبا وأمريكا ، بعد أن تحررت أوروبا من سلطان الكنيسة ورجال الدين ، وبعد انحراف رجال الدين في الغرب ووقوفهم في وجه العلم والمخترعات العلمية الحديثة<sup>(٣)</sup> .

(١) من هنا نعلم للأستاذ محمد الغزالي . (٢) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(٣) انظر أضواء كاشفة .



وعلى ذلك فقد ثارت أوروبا وكادت أن تقضي على الدين ورجاله ،  
أو هي بالفعل قد قضت عليه ؛ إذ لم يعد للدين أثر في الحياة العامة  
أو الخاصة هناك ، حيث أصبح الدين هوية من الهويات ؛ من أراد  
الكنيسة ذهب إليها في اليوم المحدد .

ولقد قل أصحاب الهويات هؤلاء إلى درجة أن بعض الكنائس في  
أمريكا تعلن عن حفلات راقصة للشباب والشابات في ساعات معينة حتى  
تغريهم بالحضور ، ولا ينسى رجال الدين الذين يعلنون هذا الإعلان  
أن يقدموا المشهيات التي تغري الشباب من الجنسين ، كما يعلنون أن  
الحفلات ستكون تحت أشعة الأضواء الحمراء الخافتة ، التي تلهب  
الأعصاب ثم من بعدها تكون العبادة . فيا لها من عبادة وياله من تقديس

لقد فرضت الكنيسة على الناس ضرائب مالية وروحية وعقلية ،  
وحاربت العلم باسم الدين وحرقت العلماء وأساءت للمجتمع ، وأخيراً  
كانت مهزلة صكوك الغفران الشهيرة في التاريخ ، التي حولت الدين إلى  
مهزلة لا جدية فيه حقيقية ، وإنما هو لهو وعبث وتدليس . وثارت  
أوروبا على هذا عدة ثورات حتى استقر الأمر إلى فصل الدين عن الحياة  
أو الدين عن الدولة ، وأصبحت تقديس الحرب الشخصية وتدعو لها ،  
وأصبح أمر فصل الدين عن الدولة له فلاسفته ودعائه ، وتكون على  
أساسه المبدأ الرأسمالي في العالم المعروف اليوم بالعالم الحر .

وعندما كانت حركات الإصلاح الديني مشغولة بإصلاح الوجدان  
والنفوس ، جاءت أحداث القرن التاسع عشر والانقلاب الصناعي ،

وحلت نظرية دارون التي رَجَّتِ العقيدة ، كما انتشر الربا والغش والتدليس والظلم واستغلال الكادحين وامتصاص دمائهم .

وكانت الحرب بين الكنيسة ودارون عنيفة ؛ هي تتهمه بالإلحاد وهو يتهمها بالجهالة والتخريف ، وانجلت المعركة عن انحسار الدين . وكان الانقلاب الصناعي قد قلب صورة المجتمع وأقام مجتمعاً يحارب القيم والدين .

الرأسمالية متذرعة بالحريات تمتهن وصايا الدين ؛ فهي تسرق وتنهب وتقتل ، لقد استغلت المرأة أبشع استغلال في تحطيم حياة الناس وإلهائهم عن واقع الحياة التعس ، وبرأت اللذة والحرام وتحطيم حياة الشباب وتفكك الأسر ، واستحوذ الشيطان على الناس وصاروا في جاهلية عمياء . ولم يكن الانقلاب الصناعي وحده ولا النظرية الدارونية وحدها ، لقد كانت هناك الشياطين ! ! .

كان اليهود يتربصون لتحقيق حلمهم بالسيطرة على البشرية ؛ على الأميين - والأميون أو الأميون اصطلاح يطلقه اليهود على جميع الناس غيرهم وأن التلمود يقول لهم : إن الأميين هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار . . - يا لها من مهازل - .

وتعاليمهم السرية تقول لهم : [ تربصوا تجدوا الغفلة ، تثبون فيها على ظهور الحمير ] . وطرب اليهود لفصل العقيدة عن الحياة ؛ لأن العقيدة هي العدو الدائم لليهود . فهي الصخرة الصلبة التي تقاوم

مكر الشيطان ، فإذا انحلت العقيدة سهل على الشياطين حينئذ أن يركبوا الحمير . قال تعالى :

( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ) (١) .  
وقال : ( إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) (٢) .  
وقال : ( إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) (٣) .

يقول كتاب بروتوكولات حكماء صهيون : [ إن دارون ليس يهودياً ، ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها في تحطيم الدين ] .

فالرأسمالية إذن رجوع إلى الجاهلية الأولى ، استغلها اليهود المرابون أبشع استغلال ربوي ، وهي لا تكتفي بإنتاج النافع من المواد ، ولا تقتصر على النافع من المشروعات . والنظام الرأسمالي يعتمد الربا والاحتكار . وأمر الربا عجيب ، نتائجه في الدنيا والآخرة مخيفة . يقول الله تعالى :

( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ) (٤) .

(١) سورة الحجر : ٤٢ .

(٢) سورة النحل : ٩٩ .

(٣) سورة النحل : ١٠٠ .

(٤) سورة البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وهذه الآية تبين أولاً حرمة الربا . والإسلام لم يحارب شيئاً كما يحارب الربا ، وذلك لأن الإسلام يبني علاقة الأفراد بين بعضهم بعضاً على أساس من التوادد والعطف والتراحم . جاء في الحديث الشريف : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ » .

والربا لا يحرمني الرحمة ولا تدخل قلبه الشفقة ، وهو على استعداد لأن يبيع ألبان المسيحية وحتى استعباده في مقابل دينه . والرسول عليه السلام يقول في الربا : « لَعَنَ اللَّهُ آكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَكُلُّهُمْ فِي الْإِثْمِ سَوَاءٌ » . ويتهدد الله تعالى المرابين - الذين لا يتوبون ولا يخافون - بالحرب في الدنيا والآخرة في قوله تعالى : ( فَأَذُنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) (١)

وننقلهم إلى القاريء الكريم هذه الفقرات من مقدمة كتاب [ الإسلام المفتري عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ] (٢) ليزيد هذا المعنى وضوحاً وهو : إن الإسلام عقيدة ونظام ، والنظام في ديننا يتبع العقيدة ويقوم على خدمتها ، أو هو امتداد مطلق لآثارها وفضائلها فهو تابع لها أبداً ، وقد يأخذ أشكالاً مختلفة على مر الأزمنة ، بيد أن ذلك يشبه اختلاف الوسائل مع اتحاد الغاية . . . وقد يظن السطحيون أن وجود مبادئ معينة في النظام الإسلامي قد تميل به نحو اليمين أو اليسار وذلك خطأ ؛ فإن مبدأ الملكية مثلاً قد يشترك في الاعتراف به

(١) سورة البقرة : ٢٧٩ .

(٢) للأستاذ محمد الغزالي .

النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي ، وتحريم الفائدة الربوية قد يشترك فيه النظام الشيوعي والنظام الإسلامي ، وليس معنى هذا أو ذلك أن الإسلام رأسمالي أو شيوعي ! . كلا ؛ فإنه منهج مستقل يستقي من طبيعته ، ثم يمضي في مجراه المرسوم لِنفع الناس وحماية مثلهم العليا .

والحالة الاجتماعية التي نعيش فيها تفرض علينا أن نذكر عن الإسلام هذه الحقائق التالية :

- ١ - إنه لا يعترف بملك من حرام ولا بكسب من سحت .
- ٢ - إنه لا يجيز معاوضة الجهد الشاق بأجر بخيس ، ولا مكافأة العمل التافه بأجر كبير .
- ٣ - إنه لا يبيح التعطل والتسول والفضى ، ويعتبر الحكومة مسؤولة عن بقاء هذه الآفات .

في ظل الحرية الرأسمالية يصبح الإنسان مستغلاً ، خلاف ما وجدناه في كنف الإسلام الحنيف ورعايته ، لأن مخافة الله غير واردة عندهم ؛ حيث أصبح محصوراً هناك في المسجد أو الكنيسة . وحيث أصبح من السخف لديهم الحديث بالحلال والحرام ، وهذا أمر غير وارد لا يؤمن به إلا متخلف ، وأما الإنسان الراقى والمتحضر فهو الذي يتقن أساليب الدجل والاحتيال والرشوة في نظرهم ، فهذا هو الكيس الفطن حيث عرف كيف يجمع الثروة من كل طريق مشروع أو غير مشروع ، وهكذا تنتشر المآسي والشقاء في ظل الرأسمالية الجائرة .

يقول مؤرخو الاقتصاد : إن الرأسمالية في أثناء تطورها ، من صورتها البسيطة الخيرة التي كانت عليها في مبدأ الأمر ، إلى صورتها الفاحشة التي وصلت إليها اليوم ، أخذت تعتمد رويداً رويداً على الديون الأهلية ، ومن هذه نشأ نظام المصارف التي تنظم العمليات الرأسمالية الكبرى ، وتقرضها ما تحتاج إليه من الأموال لتشغيلها في مقابل ما تأخذه من الفوائد والأرباح . ولا نحتاج هنا أن ندخل في تفاصيل اقتصادية معقدة ، فهذه حقيقة مسلم بها ، وليرجع لكتب الاقتصاد من يرغب في الاطلاع على التفاصيل ، وإنما يهمنا أن نشير إلى أن هذه القروض ، وجملة من أعمال المصارف قائمة على الربا ، وهو محرم تحريماً صريحاً في الإسلام .

كذلك يقول الاقتصاديون : إن المنافسة الرأسمالية العنيفة تؤدي في النهاية إلى تحطيم الشركات الصغيرة ، أو اندماجها بعضها في بعض لتأسيس شركة كبيرة ، وهذا وذاك يؤديان حتماً إلى الاحتكار في نهاية المطاف ؛ والاحتكار حرام في الإسلام بنص أحاديث الرسول القاطعة بشأنه ، وهي كثيرة نختار منها أحصرها وأشملها : « مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِيٌّ » (١) .

وهكذا كان الإسلام يتفادى أمرين في وقت واحد : يتفادى اللجوء إلى الربا والاحتكار ، اللذين تحرمهما شريعته ، ويتفادى الظلم الشنيع الذي يقع على العمال حين يتركون فريسة لأصحاب رؤوس

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

الأموال يستغلونهم أبشع استغلال ، ويمتصون دماءهم ثم يتركونهم في  
حمأة الفقر المدقع والحياة المذلة لكبرياء الإنسان ، وهو أمر لا يستطيع  
أن يقره الإسلام .

إن ولي الأمر في الإسلام لا يقف عاجزاً أمام مشكلة تضخم الأموال  
في يد فئة قليلة من الناس وبقاء المجموع في حالة من الشظف والحرمان .  
فهذا مخالف لمبادئه الصريحة ، التي تحتم توزيع المال بين الجميع  
( كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ) (١) . فولي الأمر مكلف بتنفيذ  
الشريعة بكل طريقة يرى أنها توصله إلى ذلك ، مادام لا يقع ظلم  
ولا ضرر . إن الضمانات التي كفلها الرسول لموظفي الدولة وأبناء  
المسلمين مشتملة على المطالب الأساسية للإنسان . يقول ﷺ : « مَنْ وُلِّيَ  
لَنَا عَمَلًا وَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ فَلْيَتَّخِذْ مَنْزِلًا ، أَوْ لَيْسَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَلْيَتَّخِذْ  
زَوْجَةً ، أَوْ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا ، أَوْ لَيْسَ لَهُ دَابَّةٌ فَلْيَتَّخِذْ  
دَابَّةً » (٢) .

وهكذا نرى أن الحل ليسر نجده في تشريع السماء وفي منهاج الإسلام ؛  
حيث إنقاذ النفوس من هلاكها ، وعند ذلك نفخر بفتح باب النجاة  
وولوجه من قبل العالم المسعور بمصاب الرأسمالية الملحدة .

إن مهمة الدعوة الخلقية والروحية أن تمهد للتشريعات الاقتصادية  
- التي تقف في سبيل الرأسمالية - حتى إذا جاءت هذه التشريعات لم

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

تكن طاعتها ناشئة من خوف القانون ، وإنما تنبعث هذه الطاعة كذلك عن رغبة في داخل الضمير .

وبعد : إن الرأسمالية التي تقوم اليوم في العالم الإسلامي بأبشع مظاهرها ، ليست من الإسلام ، والإسلام ليس مسؤولاً عنها ؛ لأن الناس لا يحكّمون الإسلام في حياتهم في قليل أو كثير .

## الاشتراكية

إن الاشتراكية دعوة وحركة هدامة مجرمة لا تعترف بالدين ، وهي حرب على التوحيد ودعوة للشرك والضلال ... وفي الإسلام نجد ضالتنا ومبتغانا من صيانة لأصل الإيمان ، ومن إقامة لدعائم العدالة والمساواة بين الناس ، عكس مجتمع الاشتراكية الذي تتعطل فيه أبسط الحقوق الإنسانية ، كما تزخر البلاد بظواهر دخيلة غريبة ؛ حيث يعم الفسوق والعصيان لأوامر الله الواحد القهار .

وبعد أن وقفنا على أخطار الرأسمالية الربوية وآثارها ؛ حيث فزع الناس من طغيان رأس المال ، وتصارعوا فيما بينهم ، وكان صراعهم الجديد مع خطر ماحق وعدو قاهر ، الذي تجسد في الاشتراكية الباغية ؛ حيث فروا من خطر وطغيان الرأسمالية إلى طغيان أشد؛ حيث جربوا حظهم هذه المرة مع الاشتراكية المقيتة ، ويا ليتهم فروا إلى ظلال الإسلام الندية ونظامه العادل ، فوفروا على أنفسهم ذلك الانحراف المشين ، والالتجاء



إلى الجور وظلمة الحياة واستعباد الطاغوت ؛ هذا الوضع الجديد الذي يفصل الدين عن الحياة ؛ حيث يكون الإيمان بالله إيماناً نظرياً مع نكران وجود الله حقيقة .

هكذا أخذ كارل ماركس يدور دورة واسعة مع الأسباب والنتائج ، وصراع المتناقضات الحتمي - في زعمه - ليصل إلى الاشتراكية وحتيمتها ، ليحلم بعد ذلك بالمجتمع الشيوعي الذي تلغى فيه الملكية الغائاً تماماً . وهذا المجتمع الذي يتساوى فيه الناس في كل شيء ؛ في الأجر والأكل واللباس ؛ حيث تتساوى حاجات الأفراد ، حيث يتساوى العبقري والأبلة في حاجتهما وبدون تفاضل بينهما ... لقد زعمت دكتاتورية البروليتاريا أنها حررت الناس من المذلة والإقطاع ورأس المال من أجل لقمة الخبز - وهي غير صادقة فيما تدعيه - ولكن حزب الاشتراكية العلمية عاد يفرض المذلة من أجل لقمة العيش على ذات القطيع فهو ذل دائم ؛ تغير السيد ولم يتغير البؤس والحرمان وإلهاء الناس . يقدم إليهم بعض المنافع والعدالة الجزئية والمسرات ، حيث يستوي ذلك مع ما تقدمه دكتاتورية رأس المال ؛ من حفلات راقصة وإباحة وتحلل وفسق وهتك لكرامة الإنسان وفساد الأخلاق ...

ولقد ألف نائب تيتو - رئيس جمهورية يوغوسلافيا - كتاباً - سماه الطبقة الجديدة - بين فيه كيف أن أعضاء الحزب الشيوعي ورثوا الإقطاعيين وكبار الرأسماليين في متعهم وقصورهم ونعيم حياتهم وفجورهم وجميع امتيازاتهم ، وقد أدى به ذلك الكتاب إلى السجن

سنوات ، ثم أفرج عنه ليعود إلى السجن مرة أخرى ؛ لأنه كشف الدجل الذي يمارسه أعضاء الحزب على الناس .

والتفسير المادي للتاريخ يرسم صوراً حتمية لأطوار التاريخ من خلال صور حتمية لأنواع الملكية . والتاريخ يكذب هذه الحتمية ؛ كذبتها الإسلام يوم جاء للأرض فأقام أعدل نظام ؛ فهو مثلاً حرر العبيد مع أن العبيد لم تطلب التحرير ، ولم تكن هناك ظروف اقتصادية حتمية تؤدي إلى تحررهم وبالتالي إلى وجود الإسلام .

والفلسفة الاشتراكية العلمية تقوم على أساس أن المادة تتطور تطوراً ذاتياً ، وأن المجتمع يتطور في مراحل حتمية معينة ، وأن تطوره نتيجة انعكاس الواقع الاقتصادي عليه ، ونتيجة لصراع الطبقات ، وأنه لا يوجد خالق أو مخلوق وإنما تطور المادة<sup>(١)</sup> .

وقد كتب لينين بصدد المفهوم المادي عند فيلسوف العهد القديم - هيراقليط - الذي جاء فيه : [ إن العالم واحد لم يخلقه أي إنسان أو إله ، وقد كان ولا يزال وسيكون شعلة حية إلى الأبد تشتعل وتنطفئ تبعاً لقوانين معينة ] . فقال لينين : [ يا له من شرح رائع لمبادئ الديالكتيكية ] . ويقول أنجلز : [ إن الفهم المادي للعالم يعني بكل بساطة فهم الطبيعة كما هي دون أي إضافة غريبة ] .

ويقول ماركس : [ فإن هذه المادة هي جوهر كل التغيرات التي تحدث ] .

---

(١) انظر : نظرات في الاشتراكية الثورية . وأضواء كاشفة .

ويرى ماركس أن قيام النظام الجديد في المجتمع سينجح بمجرد عمل القوانين الاقتصادية ، وبمقتضى قانون التطور في المجتمع من غير تدخل إدارة مشرّع أو مصلح .

إن الفكرة التي تنبثق عنها الاشتراكية - وهي المادة والتطور المادي - فكرة خاطئة لأنها تخالف الفطرة ، فالعبادة غريزة في الإنسان ، ومن لا يعبد الله يعبد الزعيم أو الحزب أو الفكرة ، ولهذا عبد الشيوعيون مثلاً في روسيا ستالين ، وأعطوه صفات الإله المنقذ الذي لا يخطيء ، المعطي للعمال الحياة ، والمحطم لأعداء الشيوعية ... لقد كانت تماثيل ستالين وصوره تملأ كل زاوية في روسيا . والعالم الاشتراكي في المعاهد وكافة المراكز والمجالات وعلى رؤوس الجبال ، وأنه واهب الحياة للاشتراكيين في العالم . هكذا كانوا يقولون عنه حتى جاء خروشوف وزمرته فبدأ بتحطيم عبادة الفرد .

وهذا هو صوت من قلب بلاد الغرب النصرانية الفرنسية - لا من قلب بلاد العرب والإسلام - وهو صوت الباحث الفرنسي - جاك أوستروي - وهو صاحب كتاب [ الإسلام أمام التطور الاقتصادي ] الذي أصدره حديثاً باللغة الفرنسية ، واستنجد فيه بالإسلام ، وهو الفرنسي النصراني قال : [ ليس هنالك في الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لابد منها للإثراء الاقتصادي ، كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة في النظامين الاقتصاديين السائدين ] .

ثم ألح المؤلف المذكور في كتابه أعلاه على ضرورة التماس المذهب الثالث في الإسلام نفسه ، لأنه ليس فردياً ولا جماعياً ، ولكنه يجمع بين الحسينيين . ثم جاهر المؤلف بأن الإسلام يتمتع بإمكانات هائلة ، وأنه إذا ما وجد الطريق الصحيح فإن كثيراً من الصعوبات الاقتصادية التي أظهرت للاقتصاديين تعذر التغلب عليها حتى الآن سوف يحلها الإسلام . وهكذا يستنجد بالإسلام وبالمسلمين هذا الأجنبي عن الإسلام ، ويدعوهم إلى الإسراع ، ويحذرهم من فوات الأوان .

وهكذا نرى الاشتراكية التي ليس لها من خصائص سوى إثارة الحقد بين المحتاج والمحروم على المالكين ، وإعلان ضرورة الحرب الطباقية وحميتها للتخلص من تلك الطبقة الممتازة .

إن النظرية الاشتراكية التي شغلت الدنيا في السابق - وتشغلها اليوم - هذه التي أصبح لدعاتها تقديس في بلادنا ، وأصبحت الدعوة إليها قد تؤدي في النهاية إلى ردة جماعية ، وقد أصبح دعاتها يسيطرون على كثير من وسائل الإعلام في بلاد المسلمين ، ويصدرون كتباً ومجلات . وقد ألف أحدهم كتاباً يدعو فيه إلى الإلحاد بعنوان [ الله في قفص الاتهام ] وقد طبع في إحدى عواصمنا . . . وليس والله من طريق نهضتنا وإنهاضنا من كبوتنا إلا أن نعود إلى الإسلام ؛ فنطبق نظامه ونسير على هدي عقيدته حتى نرضي الله ونثبت وجودنا في هذه الدنيا ، بعد أن كدنا نذوب هنا وهناك في العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي . فهل الإسلام فيه ما يغني ؟ ...

نقول : إن الإسلام الذي جاء به رسول البشرية ومنقذها من كبوتها ، لا حيدة عنه ولا بديل له ، فهو الملجأ الوحيد لسعادة البشرية .

## الاقتصاد الإسلامي هو الحل لمشاكل الرأسمالية والاشتراكية

في وسط هذه الدنيا يأتي النظام الإسلامي بارقة أمل للحيارى ، ونوراً يشق ظلام الظالمين المتسلطين ، وشجرة وارفة لمن يريد أن يستريح من بني الإنسان .

وهذا النظام ليس من وضع البشر ولا من معطيات الإنسان - وإن كان الإنسان مفسراً له وموضحاً - ولا نتاج فكر بشري ، وإن كان الفكر البشري فيه مُنمّ لثروته ... الخ .

إنما هو نظام الخالق لخلقه ، وإعطاء الإله - جل وعلا - لمن أوجدهم من عدم وكرمهم على جميع خلقه ... وكما هو معلوم فالرأسمالية تعترف بالله اعترافاً نظرياً ، وهي تفصل الدين عن الحياة ، أي تفصل الدين عن الدولة ، فلا يتدخل الله في الاقتصاد ، وليس من وظيفته في زعمهم أن يحرم وأن يحلل ، أو أن يعطي وأن يمنع . والاشتراكية تنكر الله أصلاً وتؤمن بالمادة والتطور الحتمي للمجتمعات ، وأن التاريخ مراحل يحددها الاقتصاد ، وليس هنالك خالق أو مخلوق ، كما ذكرت ذلك سابقاً .

أما الإسلام فهو الحق الذي يرى أن الدنيا - بما فيها - من خلق الله وأن الله أرسل رسلاً وأرسل معهم تشاريع لنظم الحياة ، وأن الإنسان إذا أراد أن يسعد ولا يشقى ، وأن يهتدي ولا يضل ، عليه أن يتبع ما أنزل الله على يد رسله ، وأن خاتم هؤلاء الرسل محمد ﷺ وأن كل ما جاء به هو وحي من عند ربه ؛ سواء القرآن الكريم الذي نزل بنصه ومعناه من عند الله ، والسنة المطهرة التي جاء بها الرسول الأعظم ... لقد طبق المسلمون الإسلام ونظام اقتصادهم في ظلال دولتهم ، وفي عهد الرسول وخلفاء الرسول الأعظم ﷺ وخلال عدة قرون كانت أسعد أيام الإنسانية وأفضل أزمانها ، وكان ذلك بدون ربا وبدون احتكار وبدون غش ولا نهب ولا تضليل ولا عبودية لأحد ولا استعباد للناس ، إنما العبودية لله والتسليم لأمر الله ، ومن خلال الإسلام وتطبيق الإسلام لنظمه العادلة يتخلص البشر من قلقهم وحيرتهم .

والمبدأ الاقتصادي الإسلامي يقوم على أساس أن المال لله ، والجماعة مستخلفة فيه . والله يقول : ( وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ) (١) . كما حدد الشارع وسائل التملك في الإسلام لا يجوز تجاوزها . جاء في الحديث : « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ » (٢) . والآية : ( إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ) (٣) .

(١) سورة الحديد : ٧ .

(٢) رواه ابن ماجه والدارمي بإسناد ضعيف .

(٣) سورة المائدة : ٩٠ .

يقوم المنهج الإسلامي في أصوله الإلهية على أساس فكرة التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فهو لا يسحق الفرد لمصلحة الجماعة - كما في الشيوعية - ولا يسحق الجماعة لصالح الفرد - كما في الرأسمالية .

يقول عمر بن الخطاب في عام المجاعة : [ لو لم يجد الناس كفايتهم من القوت ، فعلى أهل كل بيت أن يستضيفوا مثل عددهم ؛ فيقاسموهم أنصاف بطونهم ، فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم ] .  
مثل هذا الإجراء هو إجراء طارئ للحالات المفاجئة .

والمنهج الإسلامي في الحالة العادية يلتزم بالأصول الإلهية ؛ وهي استهداف التوازن الدقيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

يقول سبحانه وتعالى : ( لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ )<sup>(١)</sup> . وكما يقول عليه الصلاة والسلام : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ »<sup>(٢)</sup> .

يقول - جاك أوستروي - أستاذ الاقتصاد الفرنسي : [ إن طريق التنمية ليس محصوراً في الرأسمالية والاشتراكية ، بل هنالك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامي ، يبشر بأسلوب كامل للحياة ، ويحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساويء ]<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة البقرة : ٢٧٩ .

(٢) حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني ومالك في الموطأ .

(٣) الماركسية والإسلام . مصطفى محمود .

إن طريق الخلاص واضح بين المعالم لمن يريد العزة والتفيؤ بأفائها ،  
فهذه رسالة خاتم الرسل ومنقذ الكون من شبح الهلاك والانتحار تنتظر  
الدرس والتطبيق ، كما سبق لها أن طبقت فأنقذت البشر من تخبطه ،  
ومن التجأ إليها فقد هدي إلى صراط مستقيم ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .



## الفصل الثاني

معاول الهدم الداخليّة

## المرتدون

الردة - معناها ومدلولها :

الردة تعني - في عرف الإسلام ومصطلح الشريعة الإسلامية - إبدال دين بدين وعقيدة بعقيدة ، وإنكار ما جاء به الرسول ﷺ وتواتر عنه ، وثبت بالضرورة من دين الإسلام<sup>(١)</sup> . وفي عقوبة المرتد يقول الرسول ﷺ « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » . متفق عليه .

ماذا يفعل المرتد :

بعد أن ينكر رسالة الإسلام وصاحبها عليه الصلاة والسلام متنصلاً من تبعاتها ، ينتقل إلى ديانة أو عقيدة أخرى كالنصرانية أو اليهودية أو الوثنية كالبرهمية ، أو يلحد أو يتنكر لكل دعوات الرسل والأنبياء ، وينكر الرسالات والوحي والمعاد والثواب والعقاب . هذا ما كان يرفضه العالم القديم ويقول به من ألوان الردة ومعانيها ، ومن كان يرتد عن دينه فإنه يدخل إما إلى هيكل أو كنيسة أو معبد وثني ، حسب الدين الجديد الذي اعتنقه وتحول إليه ، ويكون ذلك على مسمع ومرأى

(١) واعتبر القرآن الردة من أشد التضليل . قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) . سورة النساء : ١٣٧ .

الجميع ، كما يصبح يشار إليه بالبنان وبالتالي يقطع منه المسلمون كل أمل وصلة ، ويكون هدفاً لسخط المسلمين الشديد ، وينفصل عن مجتمعه الإسلامي السابق ، وتنتهي الروابط العرقية ورابطة الدم التي كانت تربطه بأهله وأقربائه وأواصر الأرحام ، كما تنقطع وشائج القربى كلها ، حيث إن الارتداد يعني الانتقال من مجتمع إلى مجتمع ومن حياة إلى حياة .

فالأُسرة التي كان يعيش معها وهو فرد من أفرادها تقاطعه وتهجره ؛ فلا زواج ولا مصاهرة ولا إخاء ولا ميراث ؛ وحيث تم المقاطعة التامة ويصبح مذموماً مدحوراً ممقوتاً من الجميع ؛ حيث يعم المجتمع الإسلامي السخط والاستنكار والقلق ، كما يرد علماء ودعاة الإسلام على حوادث الردة وأسبابها ، ويعرضون محاسن الإسلام ومزاياه السمحة الحنيفة .

وهذا هو عكس حال المرتد في عهدنا الحاضر ؛ حيث يبقى المرتد على سابق عهده ؛ فلا مقاطعة ولا حرمان ولا سخط ولا انفصال عن مجتمعه ، الذي يستمر في احتضانه كأن شيئاً لم يكن ، فهذه جريمة بشعة في حق المجتمع والدين .

لقد شهد تاريخنا الإسلامي حوادث ردة عديدة ، أبرزها وأعنفها ردة القبائل العربية على أثر وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام التي وأدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإيمانه وعزمه الذي ليس له مثيل في التاريخ ، ومنها حركة التنصر التي انتشرت على أثر جلاء المسلمين عن الأندلس ،

والتي ظهرت في بعض الأقطار التي استولت عليها بعض الدول الغربية النصرانية ونشط فيها القسس والإسرائيليات ، ومنها قضايا شاذة من ارتداد بعض ضعاف العقول وصغار النفوس من المسلمين عن دين الإسلام واعتناقهم للبرهمية<sup>(١)</sup> ، كما ادعى النبوة مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي والأسود العنسي ، وقد أخدمت هذه الحركات .

وفي الحقيقة إن تاريخ المسلمين لا يعرف الردة العامة إذا استثنينا اسبانيا البائسة - إذا صح أن نسميها ردة - كما اعترف به مؤرخو الديانات .

## موجات الردة

لقد اشتبك الإسلام في صراع رهيب مع الوثنية التي عاودتها الحياة فجأة . ولم يكن قد مضى على انتقال الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا أيام قلائل ؛ فكانت الصليبية الرابضة في شمال الجزيرة تمنع الدخول في الإسلام وتحبط دعايته بالقوة ، حتى لم تشهد تلك البلاد مثيلاً لهذه المعارك الطاحنة في عهد رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام .

ولقد توسعت الميادين وفدحت المغارم ، ولم يكن من سبيل لإيقاف هذه المجازر التي دوخت المجتمع وأنهكت قواه ، وتعاضمت الفواجع وكثرت الضحايا مما لم يخطر ببال أحد ولم يتوقعه متوقع ... إلا أن

(١) الحقبة المثالية في الإسلام : ص ٥٠ .

الرجال الذين رباهم محمد ﷺ وتخرجوا من تلك المدرسة العظيمة  
وبإشراف معلم البشرية ومنقذها محمد بن عبد الله ﷺ الذي قيل عنه  
إنه قال : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » (١) .

إنهم الرجال الذين عرفوا الحق وتفانوا فيه ، وصدقوا الله في عملهم ،  
ونهبوا كَأَعْي الأبطال بالأثقال الباهظة التي رموا بها ... أجل ، لقد  
ضربوا الوثنية ومثيري نارها في جزيرة العرب ، وكانت ضربتهم عنيفة  
كسرت فقار الوثنية ودعاتها ، واعتصرت روحها ولم تقم لها قائمة ،  
حيث همدت إلى الأبد ، فتلك عناية الله ( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ  
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ) (٢) .

كما أن الرومان على الحدود ، والذين تمردوا وتجبروا فيها وجهت  
إليهم ضربة قاصمة ، فلم تقم لهم بعد قائمة ... وما هي إلا سنوات  
قلائل حتى كان الإسلام ملء البر والبحر وملء السمع والبصر (٣) .

ولا يخفى أن الألوفا من الإباحيين في الشرق والغرب - القديم  
والحديث - يبطنون أو يظهرون كفرهم . هذا وإن القرآن الكريم سبق  
أن ناقش هؤلاء الملحدون ووصف مذهبهم بدقة . والله تعالى يقول في  
كتابه الكريم عن هؤلاء : ( وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا  
وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا

(١) ذكره العسكري في الأمثال . وقال عنه ابن تيمية : لا يعرف له إسناد ثابت .

(المقاصد الحسنة) : ص ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٧١ . (٣) انظر فقه السيرة للأستاذ محمد الغزالي .

تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُوتُوا بِآبَائِنَا  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) .

فالإلحاد في عصرنا هو ثورة على الإيمان ، تبغي قطع دابره واجتياح  
أهله ؛ ثورة تتحقق وراء أسباب مادية واقتصادية .

إن الملحد الذي يمارس حياة التحلل والإلحاد ، على مرأى ومسمع من  
الناس ، ليس مشدوداً إلى حياته تلك بسبب فكري مجرد ، ولكنه  
في الحقيقة مشدود إلى هذه الانحرافات والتحلل ، لأن هذه الأهواء  
النفسية أصبحت في دخائله مستحكمة ، كما أن الغرب كافة يخوض  
اليوم حمأة المادة ، متقلباً في أحوال الرذيلة ، وهاوياً إلى درك الإلحاد  
والخلاعة ، حيث انتهى أمره إلى مستنقع الفحش والإباحية .

يقول البرفسور - ليكي - في كتابه تاريخ الأخلاق في أوروبا : [ إن  
الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية قد انهارتا ، بسبب انحرافهما  
عن حميد الأخلاق ، وتخليهما عن خصائص الرجولة ] (٢) .

ولا يخفى على أحد حال مجتمعنا الإسلامي حتى مطلع عصر النهضة ؛  
حيث كان مصون الفطرة من الانحلال والرذائل ، على الرغم من كل  
الظروف السيئة التي كانت تحيطه ، هذا وما إن أطلت عليه مفاصد  
الغرب وانحرافاتة حتى اجتاحتته شياطينه ، فإذا هو يتخبط في مستنقعه ،  
لا يجد مستقراً ولا يهتدي طريقاً ، فوقع في تياره الجارف وشرك التقليد  
المجنون . أجل لقد انسلخ مجتمعنا عن خصائصه ومميزاته وانحرف عن

(٢) مجلة الحج - ص : ٢٣٤ وما بعدها .

(١) سورة البقرة : ٢٤ ، ٢٥ .

أهدتني القلبية ، تلك الشمائل العربية وهداية السماء ، ولقد خرجت  
أمتنا من تلك التعابير النبيلة والقيم الرفيعة ، التي أهدتها إلى  
البشرية ، فبذرة إشراق الإسلام الأولى على عالم الوجود ؛ حيث حملت  
الرسالة التي آمنت بقدسيته لنشر الفضائل ، وتقويض معالم الوثنية  
وذلك حين الطواغيت ، ومن ثم فقد وقفت المعركة بين الدم الميت  
والنضيبات المتعفنة ، التي تقنّعها السكر وهدمتها تفاهات الأمجاد  
الترابية من جهة ، وبين شخصية جديدة وعملاق مؤمن نائر على تقاليد  
الجاهلية ورواسبها من جهة أخرى .

وقد سلمت فطرته من تشويه الميوعة ومفاسد الجاهلية والإلحاد وحضارة  
الغرب المتحلل ... هذه الشخصية المؤمنة بربها والواثقة من تغيير مجرى  
التاريخ آنذاك ، كان منهاجها مرسوماً وهدفها محدوداً . وكما قال رسول  
سعد بن أبي وقاص - ربي بن عامر - إلى رستم قائد الفرس أيام القادسية  
حيث خاطبه بقوله : [ إن مهمتنا هي إخراج العباد من عبادة العباد  
إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل  
الإسلام ] .

وطبيعي أن شخصية كهذه لا يحسن بها أن تكون ذليلاً في ثياب  
أولئك السكارى وعبيداً للشهوات الجامحة ؛ تتبع ظلهم حيث قادتهم  
الأهواء ، لأنها تعلم أن مهمتها إنقاذهم من حماقاتهم وسفاهاتهم ، لا  
مجاراتهم في ترهاتهم وسقطاتهم<sup>(١)</sup> .

(١) تأملات في المرأة والمجتمع : ص ١٠ .

أما المرأة الشرقية المسلمة التي راقت لها حضارة الغرب وميوعته ،  
وتلقفت ما وصل ليدها من مغريات الغرب وما هو فتنة للمجتمع ،  
وبدون وعي ولا أدنى تفكير وتبصر ، حتى وقعت في شرك الافتراس  
وأصبحت سماً ناقعاً وداءً وبيلاً على الأمة والمجتمع ، بل لقد ملأت  
بتهتكها دروب الناس ألغاماً .

فصوني يا أمة الله حيائك وشرفك ، والزمي حدود الحشمة ، وعودي  
إلى رشدك وكفاك تحبباً ، فأنت مطالبة بتنفيذ الالتزام بالآداب التي  
حتمتها تعاليم السماء على لسان جميع الأنبياء... وإن لم تفعل ذلك  
مختارة فعلته مكرهة... فليست أميركا - وهي مبدعة هوليوود مزرعة  
رذائل اليهود - وليس بيتان - وهو ابن باريس أم الفجور والفسوق -  
بأغير على الآداب العامة من وطن عيسى ومحمد ﷺ ومن الأمة التي  
لا تزال تحمل للدنيا رسالتها الخالدة .

وإلى متى تستمر هذه الردة ، علماً بأن قانوناً صدر في بعض الولايات  
المتحدة ، يفرض على المرأة أن لا يزيد كعب حذائها عن مقياس معين ،  
وقد زود رجال الشرطة هناك بمنشار يقطع كل زائد منه عن المباح ..  
وياليت الشباب المرتد والنسوة الفاجرات في مجتمعنا يثوبون إلى رشدهم  
معتبرين من مبتدعي هوليوود وغيرها .

وكذلك في فرنسا أعلن المارشال - بيتان عقب هزيمة بلاده أمام  
الألمان في الحرب العالمية الثانية - أن سر الكارثة يعود إلى الفجور ،



وأصدر مرسوماً تشريعياً يحدد للمرأة قياس ثوبها وأكامها بشكل يستأصل  
دابر الفتنة ، وها هو نيريري طاغوت وديكتاتور تنزانيا يفعل اليوم  
قريباً من ذلك<sup>(١)</sup> .

فعلى المرتدين عن مصابيح الهدى العودة قبل الفوات ، للخلاص من  
موروثات الوثنية ورجس الجاهلية . وهذه معركة ذي قار - وهي من  
أضخم أحداث الجاهلية - تشب بسبب امرأة أرادها كسرى وأباها  
النعمان عليه<sup>(٢)</sup> . وتلك حروب الفجار نشبت من أجل امرأة أراد بعض  
الشباب كشف النقاب عنها وإظهار عورتها . فإلى متى يا أبناء جاهلية  
القرن العشرين ؟ !! .

فهل بقي مجال للاسترسال في هذا التيه والانزلاق ، يا دعاة الفجور  
والرذيلة في بلاد قدسها الله وشرفها بأن من عليها بنوره ، وسطع على  
أرضها مصباح عدله ؟ ! .

إنها ردة القرن العشرين وبئست الجاهلية جاهليته ... ألم تكشف  
الحجب عن البصائر ؟ ! . نعم ؛ وقد ظهر ما وراء الأكمة ، ولم يبق بعد  
اليوم مكان في العالم لم يستمتع بأشعة نور الدين الحنيف ، وبزوغ  
فجر الإسلام الذي عم سائر المعمورة ، وقضى على رواسب عنف التخلف  
والوثنية ، إلا أن تكون تلك العقول متحجرة ومؤثرة تقاليد الجاهلية  
وغوائلها على مبادئ السماء .

(١) تأملات في المرأة والمجتمع : ص ١٧ . جاهلية القرن العشرين : ص ٩ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٤ .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ عَصِيْبَةٍ ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَىٰ عَصِيْبَةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ عَصِيْبَةٍ » (١) .

ومن المعلوم أن الجاهلية التي عناها القرآن الكريم وحددها ؛ هي تلك الحالة النفسية التي ترفض الاهتداء بهدي الله ، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى القائل في محكم كتابه :

( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) (٢) .

## من أين جاءت معاول الهمم والردة

لقد حملت أوروبا والدول الغربية إلى بلاد الشرق - والعالم الإسلامي خاصة - كثيراً من فلسفاتها المستوردة والأفكار الهدامة ؛ تلك الدعوات والفلسفات التي تقوم على إنكار أسس الدين ، وإنكار القوة المصرفة لهذا العالم - القوة الواعية التي أخرجت هذا العالم من العدم إلى الوجود؛ وببيدها زمام الكون ، لله الخلق والأمر - وعلى إنكار عالم الغيب والوحي والنبوءات ونكران الشرائع السماوية ، وإنكار القيم الروحية والخلقية ؛ منها ما تبحث في عالم الحياة والنشوء والارتقاء ، ومنها ما تتصل بالأخلاق ، ومنها ما تدور حول علم النفس ، ومنها ما موضوعها الاقتصاد والسياسة ، ومهما اختلفت هذه الفلسفات في أهدافها وألوانها وأسسها ، فإنها جميعاً تلتقي على النظرة المادية المحضة إلى الإنسان وإلى الكون ،

(١) رواه مسلم والنسائي وأبو داود .

(٢) سورة المائدة : ٥٠ .

والتعليل المادي لظواهرها وأفعالهما... (١) .

لقد غزت هذه الفلسفات الطارئة المجتمع الشرقي الإسلامي وتغلغلت في أحشائه ، وكانت أعظم ديانة ظهرت بعد الإسلام في التاريخ وأعظمها انتشاراً وأعماقها جذوراً وأقواها سيطرة على العقول والقلوب ، وأقبل عليها زهرة البلاد الإسلامية وزبدتها عقلاً وثقافة ، وساغتها وهضمتها ودانت بها كما يدين المسلم بالإسلام والنصراني بالنصرانية بكل معنى الكلمة ، فهي تسميت في سبيلها وتقديس شعارها وتجل قاداتها ودعاتها ، وتدعو إليها في أدبها ومؤلفاتها وتحتقر كل ما يعارضها من الأديان والنظم والعقليات ، وتؤاخي كل من يدين بها ، فأفرادها أمة واحدة وأسرة واحدة ومعسكر واحد .

إن هذه ردة زعزعت العقائد واكتسحت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وغزت الأسر والبيوتات والجامعات والكليات والثانويات والمؤسسات ، فما من أسرة مثقفة - إلا من عصم ربك - إلا وفيها من يدين بها أو يحبها أو يجلبها ، وإذا استنطقته أو خلوت به أو أثرته عرفت أنه لا يؤمن بالله ، أو لا يؤمن بالآخرة أو لا يؤمن بالرسول عليه الصلاة والسلام ، أو لا يؤمن بالقرآن الكتاب المعجز الخالد ودستور الحياة . وأفضلهم من يقول : إنه لا يفكر في مثل هذه المسائل ولا يهتم بها كبير اهتمام .

---

(١) هذه المعلومات وما بعدها مستقاة من كتاب : ردة جديدة ولا أبا بكرها . لابي الحسن الندوي . وهو جدير بالمطالعة .

إنها ردة ولكنها لم تلتفت المسلمين ، ولم تشغل خاطرهم ولم يلتفتوا لهذا المرتد وأباطيله وانحرافاته

## ردة غريبة عجيبة

هذه ردة من نوع جديد وبأسلوب جديد وفي ثوب جديد ، لأن صاحبها لا يدخل الكنيسة أو الهيكل ، ولا يعلن رده وانتقاله من دين إلى دين ، ولا تنتبه له الأسرة فلا تقاطعه ولا تقصيه بل يظل يعيش فيها ويتمتع بحقوقها ، وقد يسيطر عليها ولا ينتبه لها المجتمع فلا يحاسبه ولا يعاتبه ولا يفصله ، بل يظل يعيش فيه ويتمتع بحقوقه وقد يسيطر عليه ، ومن أنواع هذه الردات :

### ١- العصبية الجاهلية

دعوتها كدين جديد : هناك نزعات ومبادئ جاهلية حاربها الإسلام بكل وضوح ، وحاربها الرسول ﷺ بكل قوة ؛ كالعصبية الجاهلية التي تقوم على وحدة الدم أو الوطن أو الجنس ، وتمجد هذه العصبية وتبالغ في تقديسها والدفاع عنها والقتال تحت رايتها ، وتوزيع المجتمع الإنساني على أساسها حتى تصبح ديانة وعقيدة ، وتسيطر على العقول والنفوس والأرواح والآداب ، وتكون هي المعرفة للحياة ، ولا شك أنها في عمقها ورسوخها وقوتها وشمولها تنافس الأديان وتستعبد الإنسان ، وتحبط مساعي الأنبياء وتحدد الدين الذي جاء ليحكم على

الحياة في العبادات والطقوس ، وتقسيم العالم الإنساني إلى معسكرات متحاربة .

والأمة هي التي قال الله عنها : ( إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ) (١) .

### ٤- تهور الأخلاق وإيثار المادة

إن التهور الأخلاقي وطغيانه وإيثار المادة على كل عقيدة ، والاستهانة بمحارم الله وشيوع الفتن ، والرذائل كالخمرة والفسوق والفاحشة ، وتهتك المرأة حتى أصبحت معبودة من دون الله ، لأخطر تحدٍ ومواجهة تواجه العالم الإسلامي ، وتقف طوداً في وجه أصحاب رسالة الإسلام .

هذا ، كما أن كثيراً من أبناء هذه المجتمعات ، التي تلوثت بجرائم الغرب وسمومه ، قد تحررت من قيود الإسلام وفرائضه وتعاليمه ، خاصة الطبقات الراقية وكأنها لا صلة لها بالإسلام وكأن شريعته منسوخة وأسطورة خيالية (٢) .

### ٣- الإلحاد والزندقة والإباحية :

إن المعركة قائمة بين الفلسفة الغربية اللادينية وبين الإسلام - آخر الرسالات - وبين المادية والشرائع السماوية ، ولعلها آخر معركة قامت بين الدين واللا دينية ، وأنها تهدد مصير العالم . إن الموجة اللادينية

(١) سورة الأنبياء : ٩٢ .

(٢) للمزيد يراجع : ردة ولا أبا بكر لها : ص ١٢ وما بعدها .

التي تواجه عالمنا الإسلامي وتجتاحه وتغزو عقوله ومراكزه لابد من مقاومتها ، لكي تعود الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب والطبقات المثقفة بمبادئ الإسلام وعقائده وحقائقه ونظمه ، كما يجب إزالة القلق الفكري والاضطراب النفسي اللذين يساوران الشباب المثقف ، وأن يقنعوا بالإسلام عقلياً وأن تحارب المبادئ الجاهلية التي رسخت في النفوس وسيطرت على العقول علمياً وعقلياً ، وأن يحل محلها المبادئ الإسلامية بإقناع وإيمان وحماسة .

لقد مضى علينا قرن كامل وأوروبا تغتصب شبابنا وعقولنا ، وتنبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق ، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية ، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية ، ونحن معرضون عن مقاومتها ومعتمدون على ما عندنا من تراث ، مضربون عن الإنتاج الجديد . وتمسكنا بالبحوث السطحية وتأخرنا عن السير في مضمار العصر ، حتى فوجئنا أخيراً بانهيار العالم الإسلامي في الإيمان والعقيدة ، وملك زمام الأمور في البلاد الإسلامية جيل لا يؤمن بمبادئ الإسلام وعقيدته ، ولا يتحمس لها ولا تربطه بالشعب المؤمن المسلم البريء إلا القومية الإسلامية أو المصالح السياسية .

لقد تسربت هذه النفسية والعقلية اللادينية عن طريق الأدب والثقافة والصحافة والسياسة إلى الجماهير ، حتى أصبحت الشعوب الإسلامية - وفيها كل خير وكل صلاح وكل استعداد ، وهي من أصلح الكتل البشرية في العالم - خاضعة لهذه الطبقة بحكم ثقافتها وذكائها

ونفوذها ، وإذا بقي هذا الوضع تسرب الإلحاد والفساد إلى هذه الشعوب وإلى سكان البادية والقرى وحتى المصانع والمزارع ، وسارت في طريق اللادينية والزندقة ، هذا ما وقع في أوروبا وهو واقع في بلادنا وشرقنا إذا جرت الأمور مجراها الطبيعي .

وهكذا ينتشر الإلحاد والارتداد في الأوساط الإسلامية عن طريق ما تشيعه أبواق أعداء الإيمان ، وبهذا يتم لهم ويحصل لهم المبتغى ، ومما لا يخفى أن هؤلاء الذين أصابهم ذلك الانحراف ، وسلكوا طريق الكفر والردة ، لم يسجدوا لصنم بردتهم هذه كما لم يذبخوا لطاغوت ؛ وكان ذلك دليل الارتداد والكفر والزندقة في العهد القديم .

### لماذا يحارب الإسلام العصبية ومظاهرها ؟

لقد حارب الرسول عليه السلام هذه العصبية بكل قوة ومن غير هوادة وسد منافذها ، فلا بقاء للدين العالمي ولا بقاء للأمة الواحدة مع هذه العصبية . ومصادر شريعة الإسلام زاخرة بإنكارها لأنها من أقوى معاول الهدم والتخريب والإفساد والتفريق بين الإنسان والإنسان ، لأن الأسرة الإنسانية جسد واحد . وكما يقول عليه السلام في الحديث الشريف :

« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » (١) .

(١) رواه مسلم وأحمد عن النعمان بن بشير . راجع : ردة ولا أبا بكر لها : ص ١٢ .

وكما هو واضح في عالمنا الإسلامي اليوم؛ حيث تمجيد العظماء والقادة؛ وإقامة التماثيل لها . وتهوين خطر الوثنية والتحلل في الدين والأخلاق والتحرر من قيود الإسلام - المرتد الجديد لا يقاطعه أهله ولا بنو قومه بل يبقى وكأن شيئاً لم يكن - وكما تنتشر الرذائل والفواحش كحانات الخمر المرخصة وعلى مرأى وبصر المسلمين ، والقمار والربا والمسارح وأجهزة الإعلام التي تبث سموم وأمراض المجتمع الغربي ، ودور الخلاعة والتعليم المختلط الفاسد .

والمرأة ومزاحمتها للرجل في الحقل والمصنع والمتجر ومكتب البوليس والدائرة وغيرها ؛ حيث تخرج كاسية عارية فتننتشر الفواحش من جرائمها ويسود مجتمعنا الفساد وألوان الإلحاد المختلفة ... ولنضرب بعض الأمثلة على ما عاناه الغرب صاحب الحضارة الفاسدة ، التي غزت شرقنا واستولت على عقولنا في قرننا العشرين :

أ - جاء في كتاب جاهلية القرن العشرين : [ قرر كنيدي في تصريحه الخطير سنة ١٩٦٢ أن مستقبل أمريكا في خطر ؛ لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه . وأنهم بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين !! لأن الشهوات التي غرقوا بها قد أفست لياقتهم الطبية والنفسية ] .

ب- وحدث ما هو أخطر وابشع ؛ اضطرت وزارة الخارجية الأمريكية



إلى فصل ٣٣ موظفاً من موظفيها لأنهم مصابون بالشذوذ الجنسي ،  
ولأنهم - بهذه الصفة - غير مؤتمنين على أسرار الدولة !! ثم  
جاءت فضيحة ووترجيت الشهيرة .

ج - أما بريطانيا العظمى وأخلاقياتها فمن نوع أبشع ، بل هو كما  
حصل في قضية بروفيمو ؛ وتعريض أسرار الدولة للخطر لقاء لذة  
فاجرة يقضيتها وزير الحرب مع إحدى العاهرات .

د - أما دور روسيا - دولة الإلحاد والكفر بالأديان - فيخبرنا عنها  
سكرتير حزبها الأول والزعيم الأوحدي في عصره - إنه المستر خروشوف -  
صرح خروشوف سنة ١٩٦٢ - كما صرح كنيدي - بأن مستقبل  
روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لا يؤمن على مستقبلها ؛ لأنه  
مائع منحل غارق في الشهوات<sup>(١)</sup> ؟ !! .

هـ - أما ما تقوله بروتوكولات حكماء صهيون : [ يجب أن نعمل  
لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ؛ إن فرويد منا  
وسيزل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى  
في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه  
الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه ] .

---

(١) جاهلية القرن العشرين : ص ١٩٧ - ١٩٨ . بتصرف . أنصح بمطالعة هذا الكتاب الفريد  
في بابه ، لمعرفة الإسلام لابد من الإطلاع على أحوال الجاهليات ، لأن الأشياء تعرف  
بأضدادها .

وبعد : فقد عرضنا عليك أيها القارىء ما آل إليه المجتمع الغربي من فساد وانحلال ، وما ذلك إلا لأنه اتبع الهوى والشيطان فضلّ ضلالاً بعيداً . أما حالة مجتمعنا الإسلامي التي يحياها في قرنه العشرين ، وما تنطوي عليه من معالم جاهلية ؛ التي تجمع معاني الجهل والضلال ، والبعد عن حقائق الإيمان وشريعة الإسلام ، كما أن أخطارها ومضارها في الدنيا والآخرة عظيمة ومدمرة ، جديرة بأن يثير ذكراها المقت الشديد ، والعمل على التخلص من هذه الرواسب التي تمر بنا من جديد ، بعد أن دك أوكارها الإسلام العظيم منذ طلوع فجره الباهر .

جاء في الحديث الصحيح : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ » .

وقد ذم الله شعائر الجاهلية وأبطالها وعظماؤها وأعلن عليهم الحرب فقال :

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ . وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ) (١) . ويقول :

( وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَقَدِّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ . وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ) (٢) .

فالله تعالى أخبرنا بأن حرمان نعمة الإسلام وسلب الإيمان ، والتعرض

(٢) سورة هود : ٩٧ - ٩٩ .

(١) سورة القصص : ٤١ - ٤٢ .

لَسِخَطِ اللَّهِ سِوَا جِهٍ بِهِ أَوْلَيْتُكَ الَّذِينَ يَعْظُمُونَ شَعَائِرَ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ مِنْ تَمْجِيدِ  
وَقَهْرِهِ عَلَى حِسَابِ شَرْعِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ( وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا  
تَنْصُرُون ) (١) .

وهكذا فتورة الأعداء مستمرة على الإسلام وشرعه ، وستبقى حتى  
يرث الله الأرض ومن عليها ؛ إنها ثورة على أعز ما نملك من عقيدة وقيم  
وأخلاق ، ولا بقاء لنا وإسلامنا بعد ضياع ثروتنا العظيمة ؛ المتمثلة في  
دستورنا الخالد ؛ الكنز المدخر الذي خلفه لنا رسول الإسلام ﷺ  
وتولوثه سلفنا وجاهدوا في سبيل نشره لإعلاء راية الحق والدين .  
وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول :

« تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا ؛ كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّةَ رَسُولِهِ » (٢) .

## الْمُنْتَبِهُونَ

ما أكثر دعاة السوء والضلال - المخذولين - الذين تنكبوا الصراط  
السوي طريق المؤمنين . وجملة هؤلاء من أتباع الشيطان والمبتدعة  
المارقين ، الذين لم يسعدهم الحظ ولم تواتهم الفرص ليحققوا  
منافعهم وأغراضهم الدنيوية ، أولئك قوم استهوتهم الشهوات ،  
(١) سورة هود : ١١٣ .  
(٢) رواه مالك في الموطأ .

واستعبدتهم الأهواء وجرفتهم الخيلاء ، وصرعتهم الكبرياء ، فوقعوا فريسة الطيش وأسرى الوهم وصرعى للمزاعم ، وقد تعرض الإسلام عبر عصوره الطويلة ، إلى العشرات من المحن والكبوات ، ومع ذلك فلم يهن ولم يتراجع بل تمكن بعون الله من النهوض من هذه المعامع والكبوات التي آلت به ، وتابع مسيرته بخطاً ثابتة مؤدياً دوره الريادي في قيادة البشرية على هذا الكوكب .

لقد تركت فتنة التنبؤ المشؤومة - التي ابتدعها أفراد طائشون وسامسة ملحدون وعصاة زائغون - آثاراً سيئة ومردودات سلبية على مسيرة الحياة الإسلامية ؛ فهي معول هدم يضاف إلى المعاول الكبرى والمحن العظمى ، التي وجهت إلى صدر الإسلام فأصابته في مقتله ، وذلك لتقويض أركانه وتغيير مساره ليصبح أثراً بعد عين ، ويؤول إلى ما آلت إليه الأديان السابقة ، التي لم يبق منها إلا الاسم في دنيا التطبيق والواقع .  
ورحمة بالإنسانية فقد أعاد الله العاقبة لاتباع هذا الدين ، فنهضوا على أقدامهم وأعادوا للإسلام مكانته السامية . والله رؤوف بالعباد .

وما أحسن ما قاله العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه القيم حيث قال : [ لم يمتحن الإسلام والمسلمون في تاريخ الإسلام الطويل بفتنة أعظم وأدق من فتنة المتنبيين ، إلا أن دعوة أكثرهم لم تلق نجاحاً يذكر ، وقد ماتت في مهدها ولم يبق لها عين ولا أثر ، ولكن الشأن يختلف فيما يختص بمتنبيء شبه القارة الهندية ، في القرن التاسع

عشر والعشرين - المرزا غلام أحمد القادياني ١٨٤٠ - ١٩٠٩ م - لأسباب  
سياسية اقتضت ذلك [ (١) ] .

فقد فتح غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه وقال : [ إن اتباع  
النبي ﷺ يمنح كمالات النبوة ، وإن العناية بذلك والاهتمام ينحت  
الأنبياء الجدد ويخلقهم ] (٢) وقال نجله وخليفته المرزا بشير الدين  
محمود : لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفذت ، ما قدروا الله حق قدره ،  
إنكم تتنازعون في نبي واحد ، وأنا أعتقد أنه سيكون هناك ألف نبي  
بعد محمد ﷺ . (٣)

إن هذه التخرصات وأمثالها قد أحدثت بلبلة فكرية ، وفوضى عقلية  
واضطرابات اعتقادية في قدسية النبوة وجلالتها ، أفقدتها العظمة  
والمهابة على أيدي المشعوذين والمارقين ، حتى أصبحت سوقاً للدجل  
والعبث وترويح الفساد والضلال .

جاء في كتاب تاريخ العرب والإسلام : [ كان مدعو النبوة يحتجون  
بأمور ليست من صلب الإيمان أو الإسلام ، إذ كان معظمهم يرمون إلى  
تولي الحكم على المناطق التي ثاروا فيها ] (٤) .

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ

(١) انظر كتاب النبوة والأنبياء : ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) راجع القادياني والقاديانية للعلامة النوي .

(٣) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد : ص ٩٦ . عن كتاب : النبوة والأنبياء : ص ٢٤٧ .

(٤) تاريخ العرب والمسلمين : ص ٥٩ للدكتور عمر فروخ .

أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضَلِّينَ ، وَإِذَا وُضِعَ السِّيفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعِ عَنْهَا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْتَحِقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ،  
وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ . وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابًا  
كُلُّهُمْ يَدْعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ... » (١) .

ولأحمد وأبي يعلى من حديث ابن عمرو : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثُونَ  
دَجَالًا كَذَّابًا » . ونحوه عند أحمد عن علي ، والطبراني عن ابن مسعود ،  
وفي الباب روايات سندها ضعيف .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وهو إن - ثبت - محمول على  
المبالغة لا على التحديد ، وأما التحديد ففيه ما أخرجه أحمد عن حذيفة  
بسند جيد : « سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْهُمْ  
أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » . قال : هذا يدل على أن  
رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر ، ويؤيده حديث البخاري :  
« قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ » . وما ذكره من الثلاثين أو نحوها يدعون النبوة ،  
ومن زاد عليهم ، كما في رواية : « أَوْ أَكْثَرَ » . وفي رواية « سَبْعُونَ » .  
يكون كذاباً فقط ، لكن يدعون إلى الضلال ؛ كفلاة الرافضة والباطنية  
والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به  
محمد ﷺ . ويؤيده حديث عن علي عند أحمد أنه قال لعبد الله بن الكوا :

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي مفسراً ، وأخرجه رزين بهذا اللفظ . وقد وقع كما أخبر .  
فهذا علم من أعلام النبوة . راجع الإذاعة لما كان وما سيكون بين يدي الساعة -  
ص : ٤٤ ، ٤٥ .

«وَأِنَّكَ لَمِنْهُمْ» . وابن الكوا لم يدع النبوة ، وإنما كان يغلو في الرفض . انتهى<sup>(١)</sup> .

## أشهر المتنبيين الكذابين

وفيما يلي بيان شامل لأشهر مدعي النبوة المارقين ، الذين تمردوا على الشرع ، ونبذة قصيرة عن كل منهم :

١ ، ٢ قال في الإشاعة : وقد كان منهم - المتنبيين - الأسود العنسي بصنعاء اليمن ، ومسيلمة الكذاب<sup>(٢)</sup> صاحب اليمامة . ثم ذكر من خبرهما ما ذكره البقاعي في اللامعة المنيرة .

٣ - قال : وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد الأسدي ، بناحية خيبر ، وادعى النبوة ثم تاب - كذا في الفتح - ومات على الإسلام في زمن عمر بن الخطاب - كذا في فتح المجيد ص ٢٨٠ - وقيل خرج في عهد النبي .

٤ - وتنبأت سجاح بنت سويد في فرسان تغلب<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع الإذاعة لما كان ولما سيكون بين يدي الساعة : ص ٨٨ .

(٢) ظهر الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب في زمن رسول الله ﷺ وقتل الأسود في حياة الرسول وقتل مسيلمة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٣) راجع كتاب الإذاعة : ص ٨٨ ، ٨٩ . وظهرت سجاح في زمن أبي بكر رضي الله عنه وذكر أنها تابت . كذا في فتح المجيد : ص ٢٨١ .

٥ - وخرج المختار بن أبي عبيد الثقفي في زمن ابن الزبير وعبد الملك ابن مروان ، وكان يدعي أنه يوحى إليه ، وفتنه كثيرة شهيرة<sup>(١)</sup> .

٦ - وخرج الحارث الكذاب في خلافة عبد الملك بن مروان ، وادعى النبوة فقتل . وقد ذكر قصته الإمام أبو الفرج الجوزي البغدادي - ٥٠٨ - ٥٩٦ - في كتابه النفيس تلبيس إبليس . وفتن به كثيرون<sup>(٢)</sup> .

٧ - وخرج المتنبي أبو الطيب الشاعر المعروف ثم تاب<sup>(٣)</sup> .

٨ - وخرج جماعة في بني العباس ؛ منهم إسحق الأخرس الذي ظهر في خلافة السفاح واتبعه طوائف ، وقتل فانقطعت فتنته<sup>(٤)</sup> .

٩ - وخرج جماعة في العهد العباسي أيضاً ، منهم في زمن المعتمد قائد فتنة الزنج - بهبود - الذي أفسد العراق وأهان آل الرسول ، كان يدعي أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة ، وأنه مطلع على المغيبات .

١٠ - وفي خلافة المكتفي خرج يحيى القرمطي ثم جاء بعده :

---

(١) وقد أظهر عجة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين ، وفتن به الناس واتبعوه ، ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه . انظر فتح المجيد : ص ٢٨١ .

(٢) قال ابن الجوزي : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي الجلاس وادعى النبوة ، وقصته مشهورة وقد ذكرها ابن الجوزي في كتابه القسيم - تلبيس إبليس ص ٤٢٧ ، ٤٣٠ . وكانت نهايته القتل والصلب .

(٣) راجع كتاب الإذاعة : ص ٨٩ . للسيد محمد صديق حسن البخاري رحمه الله تعالى .

(٤) انظر رسالة طائفة القاديانية : ص ٥٨ ؛ للعلامة محمد الخضر حسين .



١١ - أخوه الحسين القرمطي (١) .

١٢ - ثم جاء ابن عمه - عيسى بن مهرويه - وظهر على الشام وعاث وأفسد ، ودعا عليه الناس على المنابر ثم قتل .

١٣ - وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي .

١٤ - وفي خلافة الرازي ظهر محمد بن علي السلمفاني ، وقد شاع عنه أنه يدعي الإلهية ، فصلب وقتل معه جماعة من أصحابه .

١٥ ، ١٦ ، ١٧ - وظهر في خلافة المطيع جماعة من التناسخية ، فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه ، ثم امرأته التي زعمت أن روح فاطمة انتقلت إليها ، وآخر يدعي أنه جبريل .

١٨ ، ١٩ - وفي خلافة المستظهر بالله - في سنة تسع وتسعين وأربعمائة هجرية - ظهر رجل بنواحي تهاوند ، فادعى النبوة وتبعه خلق كثير ، أخذوا فقتلوه . وخرج جماعة آخرون بالمغرب وغيرها من الرجال والنساء ؛ فمنهم رجل يسمى بـ ( لا ) وحرف الحديث المشهور « لَا نَبِيَّ بَعْدِي »

٢٠ - ومنهم القازاري الساحر وقتل .

(١) وقد ذكر العلامة الفتح محمد الخضر حسين في رسالته - طائفة القاديانية : ص ٥٨ بأن الحسين بن حمدان الحسيني من أجداد النبوة ؛ وأنه قام بنشر نحلته في جبال حماة واللاذقية ببلاد الشام ؛ تلك النحلة الفاسدة التي يتمسك بها طائفة التصيرية اليوم ، ولا أدري هل هو الحسين القرمطي الذي ذكر في كتاب الإذاعة أم لا ؟ . والذي لم يشر مؤلفه إلى اسمه الكامل والمذكور أعلاه فاقضى التنويه .

٢١ - ومنهم امرأة ادعت النبوة ، فذكروا لها الحديث فقالت :  
إنما قال : لا نبيّ ولم يقل : لا نبيّة<sup>(١)</sup> .

٢٢ - ثم ظهر شيطان القرن التاسع عشر ، مؤسس النحلة البابية  
الذي تسمى بالباب - الدجال علي محمد الشيرازي - ولكثرة فتنه  
نفذ فيه حكم الإعدام سنة ١٢٦٥ هـ . ومما زعمه الباب الضال ، مدعياً  
أحقيته في الظهور كنبي : [ قل إن الله ليظهرن من يظهره الله ، مثل ما قد  
أظهر محمداً رسول الله من قبل ، وأظهر علياً قبل محمد من بعد ، كيف  
يشاء بأمري ، إنه كان على كل شيء قديراً ... قل لو تريدون كل الرسل  
في وجه الله ، فانظرون ، ولو تريدون كل الكتب في كتاب الله ، فانظرون ؛  
ولو تريدون كل خير من عند الله ، تدركون ]<sup>(٢)</sup> .

ومن المعلوم أن الباب من غرس الاستعمار البريطاني ، وصنيع ملل  
الكفر كالصهيونية . وديانته ديانة استعمارية زرعت في قلب العالم  
الإسلامي لإفساده وتقويض أركانه .

٢٣ - ثم ظهرت دعوة البهائية المسوخة ؛ فقد ادعى البهاء الألوهية  
علاوة على دعوى النبوة المزعومة ، وقد ورد ذلك في إحدى رسائل البهائية ؛  
وهو كتاب الإيقان وفيه : [ إن مظاهر الحق قد يتكلمون بلسان الحق ،

---

(١) راجع كتاب - الإذاعة ص ٨٩ - ٩٠ . وهذا الكتاب القيم فريد في بابه وموضوعه .  
رحم الله مؤلفه .

(٢) انظر كتاب خفايا البهائية : ص ٣٩ ، ويلاحظ ضعف الكتاب وجهله باللغة العربية ،  
وكلامه المتبدل فيه تشويه للحقيقة وتضليل للناس ؛ قاتله الله ما أسخفه وما أنعسه .

ولا يكون معنى ذلك أنهم الإله وإنما يكونون في حالة فناء ] . وعلى هذا يفسر البهائيون هذا القول بأن البهاء كان في حالة فناء في الله ... وعلى هذا تجدهم في كتاب الدرر البهية يقولون : [ نحن معشر الأمة البهائية نعتقد أن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه وهم هنا : برهما وبوذا وكونفوشيوس ، وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والباب ، الذين بشروا في النهاية بالبهاء ... ] (١)

هذه بعض مزاعم الباطنية والبهائية لادعائهم النبوة الكاذبة ، أسوقها ليعلم القاري كيف يتجرأ هؤلاء الملحدون المارقون ويفترون على الله الكذب . وما قاله الباب وخطبته البهائية - مسيلمة القرن العشرين - من دعاوى ساقطة وافتراءات كاذبة لأكبر دليل على سخافتها وسقوطها أمام الدليل والحجة ، فما هو الصادق المصدوق قد قال :

«... وَإِنَّ سَيِّئُونَ فِي أُمَّتِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِهِمْ كَذِبًا كُلُّهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » (٢)

قال العلامة الإمام عبد الحميد بن باديس بعد كلام له عن دعوى النبوة : [ ... ثم كان منهم في عصرنا وقبله الباب وإليه تنسب الباطنية . والبهاء وإليه تنسب البهائية ، وغلّام القادياني (٣) وإليه تنسب القاديانية

(١) انظر كتاب - خسايا البهائية : ص ١٢٧ ، ورسالة البهائية : ص ١٧ - ٢٥ . للكاتب الإسلامي عبد الدين الخطيب .

(٢) رواه مسلم وغيره . راجع كتاب - الإذاعة : ص ٤٤ - ٤٥ .

(٣) انظر كتاب - من هدى النبوة : ص ٢١٥ . للإمام الجزائري عبد الحميد بن باديس المتوفى سنة ١٩٤٠ . رحمه الله رحمة واسعة .

وهو آخر حلقة من سلسلة الدجاجلة قيد بحثنا هذا ] .

٢٤ - وظهر دجال الهند غلام أحمد القادياني - المولود سنة ١٢٥٢ هـ في ناحية البنجاب وهو مؤسس فرقة القاديانية - النحلة الضالة المارقة - وقد ادعى النبوة بمؤازرة صانعه بريطانيا عدوة الإسلام .

ومن مزاعمه الباطلة ما جاء في الخطبة الإلهامية مدعياً نزول الوحي عليه قال : [ هذا الكتاب الذي ألهمت حصة منه ، من رب العباد في يوم عيد من الأعياد ] ثم قال : [ بل هي حقائق أوحيت إلي من رب الكائنات ] . ثم قال : [ وقد أوحى إلي من ربي قبل أن ينزل الطاعون ، أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ]<sup>(١)</sup> .

وذكر الشيخ ثناء الله جملاً صدرت من غلام أحمد مأخوذة من كتبه .  
ومن هذه الجمل قوله : [ اتركوا ذكر ابن مريم فإن غلام أحمد خير منه ] .  
ومنها قوله : [ ما أعطاه الله لكل نبي واحداً واحداً أعطاه لي جميعاً ] .  
ومنها قوله : [ قال الله لي إن أمرك إذا أردت شيئاً أن تقول له كن فيكون ]<sup>(٢)</sup> .

ومن تخرصات القاديانيين أيضاً ما جاء في كتاب حقيقة النبوة ص ٢٥٧ - لميرزا بشير أحمد الخليفة الثاني لغلام أحمد : [ إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل ] .

(١) راجع رسالة - طائفة القاديانية : ص ٦٥ .

(٢) نفس المصدر : ص ٧٤ .

وفي صحيفة الفضل - المجلد الرابع عشر - ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ م - :  
[ أنه - أي غلام أحمد - كان أفضل من كثير من الأنبياء ، ويمكن أن  
يكون أفضل من جميع الأنبياء ] (١) .

وهكذا يظهر هذا السخيف الوقح - غلام أحمد - بهذا الوجه السافر ،  
الذي ينم عن سوء نيته وفساد طويته وخبث سريرته ، مما يؤكد أنه من  
صنع الاستعمار ودوائر الصليبية الحاكمة (٢) والصهيونية الماكرة . قاتله  
الله وقبحه وكل من سار في فلكه ومنهاجه الخرافي الهدام .

والحاصل أن عدد المنتبئة السبعة والعشرين أو الثلاثين ، الذين أخبر  
عنهم سيدنا رسول الله ﷺ قد تم أو كاد يتم ، وقد تكون بقيتهم في  
أحشاء الأيام وستلدها الليالي المظلمة (٣) .

ورداً على افتراءات دعاة النبوة الكذابين ، ودحضاً لشبهات الملحدين ؛  
ابتداءً من مسيلمة الكذاب وانتهاءً بالباب والبهاء وغلाम أحمد - صنائع  
الاستعمار - أذعياء نبوة القرن العشرين ، رداً على هؤلاء جميعاً نذكر  
هذه الحجج القاطعة لجماع المنتبئة وأشباههم ، التي تثبت انقطاع  
النبوة وختمها برسول الإسلام محمد ﷺ ومنها قوله تعالى :

(١) راجع - طائفة القاديانية : ص ١٧ - ١٨ للندوي .

(٢) أفردت بحثاً خاصة بكل من البابية والبهاية والقاديانية في هذا الكتاب فليراجعها من شاء .

(٣) وقد أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام ، أن دعاة النبوة دجالون كذابون  
وأنه لا نبي بعده ، وقد صدق ﷺ في قوله ؛ فما من مدع للنبوة إلا وقد ظهر كذبه وفساده  
وعسر تأويله على أتباعه ، ومن خلطه واضطرابه ما يدل على أنه لا سند له ولا حجة .

( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ) .

من سورة الأحزاب : ٤٠ . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

« كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ؛ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ ، وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ ؟ » . قال : « فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » (١) .

وفي رواية صحيحة لمسلم عن جابر رضي الله عنه : « فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ جِثْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ » . وقال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ » (٢) .  
إلى غير هذا من الأدلة والنصوص الشريفة والآثار الصريحة ؛ في أن النبوة انتهت بنبوته رسول الإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وعلى هذا انعقد إجماع المسلمين (٣) .

جاء في شرح الطحاوية : [ لما ثبت أنه خاتم النبيين ، علم أن من

- 
- (١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .  
(٢) رواه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح . وقال ابن كثير في تفسيره : أخرجه أحمد أيضاً .  
(٣) نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ . في كتابه المشهور : الشفاء : ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧٢ وبسط فيه القول . والعلامة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل : ج ٣ ص ٢٤٩ . وغيرهما .

ادعى بعده النبوة فهو كاذب . ولا يقال : فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه ؟!! . لأننا نقول : هذا يتصور أن يوجد - وهو من باب فرض المحال - لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة ولا يظهر أمانة كذبه في دعواه .

والغبي : ضد الرشاد . والهوى : عبارة عن شهوة النفس . أي أن تلك الدعوى بسبب هوى للخص لا عن قليل ، فتكون باطلة ... ]<sup>(١)</sup>

وبعد : فما نحن أولاء قد كتبنا هذا البحث الموجز عن المتنبيين الخرافيين ليحطوا بالظنون دعاة السوء وليكونوا في مأمن من ضلالهم وإفكهم ، فضلالة الضالين وادعواؤها من أخطر الدعوات الهدامة وأشدّها فساداً وتخریباً وفتكاً في جسم الأمة المسلمة ، وقد دلتنا التجارب والخبرات أن الدين الحنيف يتلى في كل عصر بنفوس نزاعة إلى الغواية ، فتتنكب عن الحقائق السوية وتحرف الكلام عن مواضعه العلية .

ولكن الله سبحانه يقيض لدينه من ينافع عنه ويرد كيد الطاعنين ، ويكشف زيف الدجالين ويفضح أستار المبتدعين .. وصدق الله العظيم :

( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر - شرح الطحاوية : ص ١٧٦ .

(٢) سورة الحجر : ٩ .

## الزنادقة

كان أشد الثورات بأساً وأكثرها خطراً في عصر العباسيين ، تلك الثورات التي أذكى نارها الزنادقة ؛ الذين تبعد تعاليمهم عن تعاليم الإسلام وعقائده ، وتقوم على نوع من الديمقراطية الفاسدة التي تبيح المحرمات ، وتعبث بالآداب الاجتماعية ، وتعرض الحياة السياسية والاجتماعية للخطر . وللزنادقة عدة معان تختلف باختلاف العصور ؛ فقد كان العرب يطلقون لفظ «زنديق» على من ينفي وجود الله سبحانه أو يقول: إن له شريكاً . وقيل: إن الزنديق من يظهر الإيمان ويبطن الكفر . وفي ذلك يقول الشاعر :

بغداد دار لأهل المال طيبة      وللمفاليس دار الضنك والضيق  
ظلت حيران أمشي في أزقتها      كأنني مصحف في بيت زنديق

وكان لفظ زنديق يطلق أوّل الأمر على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم ، ويسرف في العبث والمجون ، ثم صار بعد ذلك يطلق على من يتخذ عقائد المانوية شعاراً له ، ويتمسك بعقيدة الشنوية وعبادة إلهين اثنين واتباع تعاليم ماني . ثم توسعوا في العصر العباسي في إطلاق لفظ الزندقة فأصبح يطلق على كل منكر للألوهية أو متظاهر بالإسلام . ويرجع تاريخ الزندقة إلى أواخر عهد الأمويين ؛ فقد كان عبد الصمد بن عبد الأعلى - مربي الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومؤدبه -



زنديقاً<sup>(١)</sup> . كما كان الجعد بن درهم - الذي ينسب إليه مروان بن محمد ؛ آخر خلفاء الأمويين فيقال : مروان الجعدي - زنديقاً . وذكر ابن النديم<sup>(٢)</sup> أن الجعد كان مؤدباً لمروان ولولده ، وأنه أدخله في الزندقة . وكان خالد بن عبد الله القسري - رغم شدته وقسوته على الزنادقة - من الذين اتهموا بالزندقة حتى إنه حبس الجعد بن درهم وقتله يوم عيد الأضحى ، وجعله بدلاً من الأضححية بعد أن أعلن على المنبر في عهد هشام بن عبد الملك .

لم تقم الزندقة على الظهور إلا بعد قيام العباسيين ؛ حيث انتشرت في الكوفة . وتكلم الجاحظ على كتب الزنادقة ووضعها بدقة في عصر المأمون ، وجاء فيما وضعه مطابقاً لما وصلنا من كتب المنوية .

وجاء أبو الفرج الأصفهاني - ٣٤٨ هـ - فقال عن الزندقة والزنادقة إنهم [ كانوا يهرفون بالثنوية وعبادة إلهين اثنين واتباع ماني ]<sup>(٣)</sup> . من أسباب انتشار الزندقة أنها كانت وسطاً بين النصرانية والزرادشتية أتباع زرادشت ؛ أحد أنبياء الفرس وأشهرهم : زرادشت وماني ومزدك . وأن ذلك كان سبباً في تأثير الزندقة في أهل النحل .

كما أن شعائرها كانت تشبه شعائر الإسلام ؛ فإن المانوي كالمسلم له عدد من الصلوات في اليوم والليلة - أربع أو سبع - كما كانت له

(١) انظر الأغاني : ج ٦ ص ١٣٢ . وكتاب تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) الفهرست لابن النديم : ص ٤٧٢ . (٣) الأغاني : ج ٣ : ص ٧٣ - ٨٦ .

طهارة قبل الصلاة كالوضوء عند المسلمين ... اضطهد بعض خلفاء العباسيين أشياء هذه التعاليم ؛ فتعقبهم المهدي وأنشأ ديواناً عهد به إلى رجل أطلق عليه اسم صاحب الزنادقة ومهمته القضاء عليهم وعلى تعاليمهم . وكان يقتل المهدي على الظنة كل من رمي عنده بالزندقة ، ولما وصل إلى حلب أوصى بتتبع الزنادقة وقتلهم ومزق أجسادهم شراً ممزق .

نرى اسم الزنادقة مقروناً بالمُجَان في عهد أبي جعفر المنصور ، فيذكر الطبري : [ أن المنصور وجه مع محمد بن أبي العباس بالزندقة والمُجَان ، فكان فيهم حماد عجرد ، فأقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المجون ، وإنما أراد بذلك أن يُبغِضَهُ إلى الناس ] <sup>(١)</sup> . وكان محمد بن أبي العباس مرشحاً للخلافة فأراد من إحاطته بالزندقة والمُجَان أن يكرهه إلى الناس ، فيتسنى له أن يرشح ابنه المهدي ، ولعل ذلك كان سبباً في لفت نظر المهدي إلى الزنادقة ، فقد كان قرب محمد بن أبي العباس منهم بعداً له عن الخلافة ، فليقترب هو إلى الله وإلى الناس باضطهادهم <sup>(٢)</sup> .

وعلى الجملة فقد كان المهدي شديد الاهتمام بهذه الفتنة ، حتى لم ينس أن ينصح ابنه إذا قلد الأمر أن ينكل بهم . فالطبري يذكر أن المهدي قال لموسى - هو ابنه الهادي - يوماً وقد قدم إليه زنديق فاستتابه

(١) الطبري : ج ٩ : ص ٣٠٨ .

(٢) قال ابن القيم : الزنادقة هم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله . وهؤلاء المنافقون ، وهم في الدرك الأسفل من النار .



سمّاه : الدامغ . وكتاباً في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سمّاه :  
الزمردة . وكتاباً يقال له ( التاج ) في معنى ذلك ، وله كتاب : الفريد .  
وكتاب : إمامة المفضول الفاضل . وقد انتصب للرد على كتبه هذه  
جماعة ؛ منهم : الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي - شيخ  
المعتزلة في زمانه - وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي يقول :

[ قال الشيخ أبو علي : قرأت كتاباً لهذا الملحد الجاهل السفیه ابن  
الراوندي ، فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء ] . قال :  
[ وقد وضع كتاباً في قدم العالم ونفي الصانع وتصحيح مذهب  
الدهرية والرد على أهل التوحيد ، ووضع كتاباً في الرد على محمد رسول  
الله ﷺ في سبعة عشر موضعاً ونسبه إلى الكذب - يعني النبي ﷺ - وطعن  
على القرآن ، ووضع كتاباً على اليهود والنصارى وفضل دينهم على  
المسلمين والإسلام ؛ يحتج لهم فيها على إبطال دعوة محمد عليه السلام  
ونبوته ، إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام ] .  
نقل ذلك ابن الجوزي عنه ، وقد نقل ابن الجوزي في منتظمه طرفاً  
من كلامه وزندقته وطعنه على الأديان الشريفة والشريعة وردّ عليه .  
وهو أحسن وأذلّ وأحطّ من أن يلتفت إليه وإلى جهله وهذيانه وسفهه  
وتمويهه وإلحاده . وكان أبو عيسى الوراق مصاحباً له فلما علم الناس  
بهما وأعمالهما طلب السلطان أبا عيسى فسجن حتى مات .

أما ابن الراوندي فهرب ، فلجأ لابن لاوي اليهودي وصنف له كتابه  
الذي سمّاه : الدامغ للقرآن . ولم يلبث بعدها إلا أياماً حيث مات

- لعنه الله - ويقال: إنه أخذ وصلب . وهكذا لجأ الزنديق إلى عدو الله اليهودي ابن لاوي ، وحماه لأنهما من ملة واحدة ؛ كفر وزندقة - لعنه الله - .

فالزندقة كانوا أعداء ألداء للإسلام وعقيدته ، حيث وضعوا الأحاديث المكتوبة ، ولهم ضلالات كثيرة .

قال حماد بن زيد : [ وضعت الزنادقة على الرسول ﷺ اثني عشر ألف حديث ] . وقال المهدي : [ أقرّ عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث فهي تجول في أيدي الناس ]<sup>(١)</sup> .

## الفلاسفة

الفلسفة باليونانية : محبة الحكمة ، والفيلسوف : هو فيلا ، وسوفا وفيلا : هو المحب . وسوفا : الحكمة ، أي هو المحب للحكمة ، والحكمة عندهم قولية وفعلية<sup>(٢)</sup> .

قالوا : إن العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام ؛ علم ما ، وعلم كيف ، وعلم كم .

قالت الفلاسفة : ولما كانت السعادة هي المطلوبة لذاتها ، وإنما يكدر الإنسان لنيلها والوصول إليها ، وهي لا تنال إلا بالحكمة ، فالحكمة

(١) راجع تحذير الخواص للسيوطي . وقواعد التحديث : ص ٢٥٢ - ٢٥٣ . للقاسمي .

(٢) انظر الملل والنحل : ص ٥٨ - ٥٩ . وإغائة اللفهان .

تطلب إما ليعمل بها ، وإما للتعلم فقط ، فانقسمت الحكمة إلى قسمين :  
عملي وعلمي .

فمن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات أصلاً ؛  
ومنهم حكماء العرب وهم شرذمة قليلون ، لأن أكثر حكمهم فلتات  
الطبع وخطرات الفكر ، وربما قالوا بالنبوات . ومنهم حكماء  
الروم ؛ وهم منقسمون إلى القدماء - الذين هم أساطين الحكمة - وإلى  
المتأخرين وهم المشاؤون وأصحاب الرواق وأصحاب أرسطوطاليس ،  
وإلى فلاسفة الإسلام الذين هم حكماء العجم ، وإلا فلم ينقل عن العجم  
قبل الإسلام مقالة في الفلسفة ، إذ حكمهم كلها كانت متلقاة من  
النبوات ؛ إما من الملة القديمة ، وإما من سائر الملل .

غير أن الصابئة كانوا يخلطون الحكمة بالصبوة . قال سقراط بإنكار  
الأصنام وعبادتها ، وإثبات حدوث العالم حيث كان معروفاً بالتوحيد .  
وصرح أفلاطون بحدوث العالم . وحكى عنه تلميذه أرسطو وخالفه فيه  
فزعم أنه قديم ، وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة من المنتسبين إلى الملل  
وغيرهم ، حتى انتهت النوبة إلى أبي علي بن سينا . إن رسل الله تعالى  
وكتبه وأتباع الرسل في طرف ، وهؤلاء القوم في طرف آخر .

وكان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه قال : [ أنا وأبي من أهل  
دعوة الحاكم ]<sup>(١)</sup> - الحاكم ابن العزيز بالله العبيدي الفاطمي - فكان  
من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب خالق

(١) إغائة اللفهان ، وتليس إبليس .

ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى ، وكان هؤلاء زنادقة يستترون  
بالرفض ويبطنون الإلحاد المحض ، وينتسبون إلى أهل بيت رسول الله  
ﷺ - وهو وأهل بيته براء منهم نسباً وديناً - وكانوا يقتلون أهل العلم  
والإيمان ، ويدعون أهل الشرك والإلحاد والكفران ؛ لا يحرمون حراماً  
ولا يحلون حلالاً ، وفي زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل إخوان الصفا  
الذين سنتحدث عنهم فيما بعد<sup>(١)</sup> .

ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد - ووزير الملاحدة<sup>(٢)</sup>  
النصير الطوسي وزير هولاءكو - شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل  
دينه ، فعرضهم على السيف ، حتى شفى إخوانه من الملاحدة واشتفى هو ؛  
فقتل الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء العباسيين ، قتله التتار عند  
دخولهم بغداد سنة ٦٥٦ هـ . وكان الطوسي - نصير الإلحاد والشرك -  
وزير هولاءكو وقاضي التتار ومشيرهم وقد فعل التتر بمشورته - وابن  
العلقمي في بغداد - من سفك الدماء وانتهاك الحرمات والتنكيل بالمسلمين  
ما لم يسمع بمثله في أي عصر .. وبعد أن قتل العلماء والفقهاء أبقى  
الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ؛ فجلمة هؤلاء من التعطيل  
المحض ، وعطلوا الشرائع وعطلوا الصانع من صفات كماله .

(١) لقد أفردت بحثاً خاصاً بإخوان الصفا في هذا الكتاب ، فليراجع ذلك من احتاج إليه .

(٢) لقد كان النصير الطوسي وزيراً للتتار ، وكان ساحراً ويعبد الأصنام .

## الفلسفة وأخطارها

وحسبنا هنا أن نشير إلى فتوى خطيرة - تتسم بطابع عصر ابن تيمية - التي كان لها أثرها البالغ الذي دام قروناً طويلة ، وهي فتوى أبي عمر تقي الدين الشهرزوري ، المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . وقد أصدرها إجابة لمن سأله عن حكم الله فيمن يشتغل بكتب ابن سينا وتصانيفه ، فقال فيها : [ من فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرض لللعنة العظمى ، لأن ابن سينا لم يكن من العلماء ، بل كان شيطاناً من شياطين الإنس ] .

وسئل عن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعليماً وتعلماً ، فقال من كلام طويل : [ الفلسفة أسُّ السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة . ومن تلبس بها تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ عليه الشيطان ] . إلى أن يقول : [ فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المياشيم ، ويعاقب على الاشتغال بفنهم ، ويعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام ، لتخمد نارهم وتمحى آثارهم ] إلى آخر ما قال <sup>(١)</sup> . ونجد شبيهاً لهذا الرأي في الفلسفة والحكم عليها ، في رأي الإمام الذهبي في القرن الثامن ، وهذا إذ يقول :

[ إن الفلسفة الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ، ولا يركن إلى

(١) انظر : حياة ابن تيمية ؛ للدكتور محمد يوسف موسى طبعة القاهرة - ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .



اعتقادها من يلوح ~~نحوه~~ ، فإن هذا العلم في شق ، وما جاءت به الرسل في شق . وما دواء هذه العلوم وعلمائها القائمين بها علماً وعملاً إلا التحريق والإعدام من الوجود ، إذ الدين كان كاملاً حتى عرّبت هذه الكتب ونظر فيها المسلمون ، فلو أعدمتم لكان فتحاً مبيناً<sup>(١)</sup>

ونختّم بذكر ابن خلدون في الفلسفة وكتبها والنظر فيها ، وذلك إذ يَعتدُ فصلاً لإبطال الفلسفة وفساد أمر منتحليها فيقول فيه : [ إن هذا العلم كما رأيت غير واف بمقاصدهم التي حوموا عليها ، مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها ] . ثم يقول عن علومها الطبيعية وما يستعمله أصحابها من البراهين : [ فليكن الناظر فيها متحرزاً جهده من معاطبها . وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقهاء ، ولا يكبن أحد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها ]<sup>(٢)</sup> .

ونحن نعتقد أن ما ذهب إليه مؤسس علم الاجتماع من رأي ، وما انتهى إليه من حكم وما قدمه إلينا من إرشاد وتوجيه ، هو الحق كل الحق وهو الذي يليق بالعلماء الباحثين غير المتعصبين ، لذلك كان ابن تيمية وغيره حرباً على المنحرفين من الفلاسفة وأشباههم .

أما أبو نصر الفارابي - التركي الفيلسوف - فقد حذق في الفلسفة ؛

(١) فتاوى ابن الصلاح - نشر منير الدمشقي بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ : ص ٣٤ ، ٣٥ عن

(٢) المقدمة : ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

كتاب حياة ابن تيمية .

ومن كتبه تفقه ابن سينا . وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، وما يقرؤه الناس اليوم مأخوذ عن الطوسي وابن سينا (١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله : [ ... ثم حدث بعد هذا في الإسلام الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم ، حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة ، وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه ، وكان من أسباب ظهورهم أنهم ظنوا أن دين الإسلام ليس إلا ما يقوله أولئك المبتدعون ، ورأوا ذلك فساداً في العقل ، فرأوا دين الإسلام المعروف فاسداً في العقل ، فكان غلاتهم طاعنين في دين الإسلام بالكلية - باليد واللسان - كالخرمية أتباع بابك الخرمي وقرامطة البحرين وأتباع أبي سعيد الجنابي وغيرهم ] (٢) .

لقد تسفل العالم تسفلاً معيباً حتى أصبحت الفلسفة تقاس بمقدار الجرأة على هدم آراء الأولين ، وإن قام عليها ألف دليل وبرهان ، وبالشك في كل شيء وإن كانت تدعمه الحجة ولا يعوزه البرهان ، والله يقول : ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ) (٣) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) منهاج السنة النبوية : ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٣) سورة الحج : ٣ .

حقاً إن من لم يؤمن بالبرهان يكفر بلا برهان . وصدق الله العظيم  
حيث قال : ( وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ) (١) .

فعلى العقلاء أن يتدبروا عاقبة أمرهم ويحترموا عقولهم ، فالعاقل  
من أخذ الحيطة لنفسه وسار بعد أن تفكر ، ومضى بعد أن تدبر ،  
والعاقبة للمتقين .

## بعض أقوال الفلاسفة

إن دعوات الفلاسفة وأباطيلهم في الماضي والحاضر لم تعد تقنع  
اليوم حتى أديعائها ، وبالتالي لم يجنوا منها إلا المر والعلقم ، أما  
الأتباع والأنصار - أولئك الأقرام - الذين يروق في نظرهم ما يقوله  
الفلاسفة ، ويرددون الأباطيل على غير هدى ولا كتاب منير ، فإني  
أضع بين أيديهم جملة من أقوال الفلاسفة قديماً وحديثاً ، أذكرها لهم  
لعلهم يعقلون :

قال الفيلسوف اليوناني ابكنيت<sup>(٢)</sup> : [ العقيدة بالله يجب أن  
تكون مستمرة كاستمرار النفس ] . وقال الفيلسوف باسكال : [ كل  
شيء غير الله لا يشفي لنا غليلاً ] . وقال شاتوبريان : [ لم يتجرأ

(١) سورة الأنعام : ١١٩ .

(٢) سهام الدين المارقة : ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها .

على نكران الله غير الإنسان ] . وقال الفيلسوف فيو : [ الله - علم بكل شيء ومنتصرف في كل شيء ومدبر لكل شيء ، إدارة الرب المطلق السلطة ] .

وقال الفيلسوف برودون : [ الله هذا الموجود الذي لا يسدرك ولا يوصف ، ومع هذا فهو ضروري ] .

وقال أيضاً : [ إن ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تكشفه لنا عقولنا ] .

وقال لامارتين : [ إن ضميراً خالياً من الله كالمحكمة الخالية من القاضي ] .

وقال الكاتب الفرنسي في مطلع كتابه المترجم بروح الشرائع : [ إن الذين يقولون بأن قضاء أعشى قد أحدث كل العلولات التي نراها في الكون إنما هم في ضلال مبین ] .

وليت شعري أي ضلال أكبر من القول بإصدار المقدور مخلوقات عاقلة<sup>(١)</sup> . وفي هذا القدر كفاية لقوم يتدبرون .

---

(١) سهام الدين المارقة : ص ٢٢٥ .

## تعاون الفلسفة والوثنية على الضلال

إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق لحكمة بالغة ، وزودهم وأعدهم بما يمكنهم من أداء رسالة الحياة ، وما يكفل لهم البقاء والاستمرار ضمن الإطار المرسوم وفق المشيئة الإلهية .

فمن الناس من اعتصم بحبل الله وذاق حلاوة الإيمان ، ولزم الجادة واستقام على الطريق المستقيم ، وثمة فئة أخرى من الناس نكصت على عقبيها وتنكبت طريق الهدى والإيمان ، واتخذت إلهها هواها ولم تعرف لمنهج الحق طريقاً ، ولم تسترشد بعقلها لما هو خيرها ولم تحترم إنسانيتها ، بل جنحت واستكبرت فضلت السبيل وساءت منقلباً .

وقد أحسن العلامة أبو الحسن الندوي - أطال الله بقاءه - حين صور تعاون الفلسفة مع الوثنية على إضعاف الإيمان وإضلال الإنسان<sup>(١)</sup> فقال :  
[ وكانت الإرادة الخيرة القوية خاضعة دائماً للعلم الصحيح والإيمان القوي ، فإذا آمن الإنسان بحقائق وآمن بمضار ومنافع وخاف ورجا ورغب ورهب ، تبعت ذلك إرادته وطواعته أعضاؤه واستجابت له قواه ، ولكن فقد الإيمان القوي في العصر الجاهلي ، وشك الإنسان في وجود الله وفي وجود الآخرة وفي وجود الجنة والنار وفي نتائج أعماله وتصرفاته ، وتعاونت الفلسفة والشرك على إضعاف هذا الإيمان وإضعاف رابطة العبد وربيه ] .

(١) النبوة والأنبياء : ص ١٣٦ - ١٣٧ .

[ أما الأول فبالإلحاح الشديد على نفي الصفات ، وأما الثاني فبصرف هذه الصفات إلى المخلوقات ، فمن آمن بالأول لم ير حاجة للالتجاء والخوف والطمع من هذا الخالق ؛ الذي تجرد عن كل صفة وعن كل قدرة وعن الرحمة والمحبة ، ومن آمن بالثاني تشاغل بالمخلوقات والالتجاء إليها ، ولم ير حاجة أو لم يجد فراغاً للالتجاء إلى رب لا يُرى بالأبصار قد تنازل لكثير من خلقه في أمور العباد ] .

وهكذا توزع العالم في معسكرين : معسكر لا يجد في نفسه اندفاعاً وداعياً للالتجاء والدعاء والسعي للآخرة ، ومعسكر لا يجد فرصة للسؤال عن رب الأرباب ، ووجد كلاهما مرتعاً خصيباً في العصر الجاهلي . وهكذا ضاعت الإنابة المودعة في قلب الإنسان وضاعت القوى الفنية المودعة في أعضاء الإنسان ، في جحود وخمود وفي وثنية وخرافة ، وفي عبادة النفس والسلطان ، والطاغوت والشيطان .

وعكف العالم الإنساني كله من الشرق إلى الغرب على عبادة الأصنام وآلهة قد تخيلها أو توارثها ، أو مقاصد وغايات ومثل عليا في الحياة قد اخترعها وفرضها على نفسه . وحق عليهم كلهم قول إبراهيم عليه السلام حين قال : ( أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ) (١) .

(١) سورة الصافات : ٩٥ .

## [ إخوان الصفا ]

يذهب بعض المستشرقين إلى أن لإخوان الصفا علاقة وثيقة بمبادئ الإسماعيلية؛ أي إنها فرقة من الفرق أو جماعة من الجماعات التي تقول بمقولات أهل الباطل، ويلتقون مع الباطنية في كثير من المبادئ والمعتقدات.

وإخوان الصفا هم جماعة من المفكرين المسلمين، الذين ظهروا في البصرة سنة ٣٧٣ هـ. وذكر المؤرخون من هذه الجماعة خمسة نفر وغاب عنهم ذكر الباقيين، وكانوا أصحاب مذهب فلسفي حاولوا فيه التقريب بين الدين والعلم - كما يظهر - والاسم نفسه - على رأي بعض المستشرقين - له علاقة بكلمة: فيلسوف. فكلمة أخ تقابل الشطر الأول من لفظة الفلسفة [ فيلو ] وكلمة صفا تقابل معنى ومبنى الشطر الثاني منها؛ وهي كلمة سوا. وعليه يكون معنى الاسم محبي الحكمة. وإخوان الصفا رأي خاص في اسمهم؛ فيقولون في الجزء الرابع من رسائلهم صفحة ٧٣ - ٧٤<sup>(١)</sup>:

[ وإنما سمينا رسالتنا هذه رسالة السحر ليستدل إخواننا على الأسرار الخفية، وليكونوا إذا بلغوا معالي العلوم ذوي غنى عن الحاجة إلى من سواهم في جميع ما يحتاجون إليه من أمر معيشة الدنيا. فإذا وصلوا إلى هذه المرتبة صح لنا أن نسميهم بإخوان الصفا. واعلم يا أخي أن حقيقة

(١) انظر الخطط: ج ١ - ص ٩٣١ للمقريزي. ومقدمة ابن خلدون.

هذا الاسم هي الخاصة الموجودة في المستحقين له بالحقيقة لا على طريق المجاز .

[ واعلم يا أخي أنه لا سبيل إلى صفا النفس إلا بعد بلوغها إلى حد الطمأنينة في الدين والدنيا جميعاً ؛ وهو أن يعرف الإنسان بحسب قدرته توحيد الله جل جلاله . . . وبعد ذلك ما يكون به صلاح معيشة الدنيا والغناء فيها عن الحاجة إلى من عدم هذه الصناعة ، ومن لا يكون كذلك فليس هو من أهل الصفا ؛ لأنه لو كان من أهل الصفا لكان بصفائه عن دنوه الغناء ]<sup>(١)</sup> .

ومعنى هذا أن إخوان الصفا - كما يعرفون أنفسهم - هم هؤلاء الذين حذقوا علوم الدين والدنيا معاً ، واستغنوا بها عن الحاجة إلى من سواهم .

### رأي كازانوف:

ويقول كازانوف المستشرق المشهور : [ إنني على مثل اليقين من أن آراء إخوان الصفا هي آراء الإسماعيلية . وجماع هذه الآراء : الاعتقاد بعودة الإمام الذي يملأ الأرض عدلاً وسعادة . وقد اتهم خصوم القرامطة والحشاشين هؤلاء بالكفر ، ولكن هذه التهمة فيها كثير من الإغراق والسرف ، لأن الظاهرة التي تسود آراء الإسماعيلية هي الاعتقاد بوحدة الكون ، وهذا يقاوم الإلحاد وإنكار الخلق مقاومة عنيفة ]<sup>(٢)</sup> .

(١) قلعة الموت : ص ١١٠ . لعمر أبو النصر .

(٢) راجع المصدر السابق .



يقول أولياري : [ إن هناك ما يحمل على الظن بأن حركة إخوان الصفا كانت حركة إصلاح من جانب بعض الإسماعيلية ، الذين أرادوا الرجوع إلى تعاليم الإسماعيلية القديمة ]<sup>(١)</sup> .

ومن جهة ثانية فهناك تقارب كبير بين الإسماعيلية وإخوان الصفا ، وخاصة في أساليب نشر الدعوة والدعاية للمذهب ؛ وإخوان الصفا كالإسماعيلية يوصون : [ بأنه ينبغي لمن حصلت له هذه الرسائل من إخواننا الكرام ، أن يدفع منها إلى كل من يستحق ما يقرب من فهمه ، وما يعلم أنه يصلح له أو يليق بمرتبته أولاً فأولاً ، فكلما ارتفعت نفسه في العلم إلى درجة وانتهت إلى مرتبة في المعرفة ، رقي إلى ما بعدها ورفع إلى ما يتلوها ] .

ومن أبواب التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقاً كلياً في مذهب الحلول ؛ فهو في رسائل الإخوان - كما في تعاليم الإسماعيلية - المحور الذي تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم<sup>(٢)</sup> .

ووجه آخر من أوجه التشابه هو تفسير القرآن تفسيراً غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ ، وهذا الأسلوب هو أسلوب الباطن الذي جرت عليه بعض الفئات الإسلامية ومن تفرع منهم ، وإليك ما يقوله إخوان الصفا في هذا الشأن:

(١) يعتقد جولد زيهر أن رسائل إخوان الصفا كانت الأساس الذي قامت عليه معتقدات الإسماعيلية .

(٢) ونجد قسماً من رسائل إخوان الصفا في كتب الحشاشين المقدسة الذين كانوا فئة دأبها الفتك والانتقام .

[ واعلم أن للكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة ؛ وهي الألفاظ المقروءة المسموعة . ولكن لها تأويلات خفية باطنة ؛ وهي المعاني المفهومة المعقولة . وفي استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعجلين في دنياهم ، وفي معرفتهم أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم ]<sup>(١)</sup> .

والواقع أن الأفكار التي بثها دعاة الإسماعيلية بين طبقات المسلمين وغير المسلمين ، كان من شأنها أن قلبت حياتهم رأساً على عقب ، وأحدثت بينهم من التغيير ما لا تزال آثاره باقية إلى هذا اليوم ، فالفلسفة مدينة لهم برسائل إخوان الصفا .

وهي أول دائرة للعلوم والمعارف ظهرت في العالم . وقد حاولوا أن يبثوا فيها مبادئهم العلمية ونظرم الخاص إلى الطبيعة والإنسان ، وينشروا فيها آراء فلاسفة اليونان الذين كانوا في نظرم يساوون الأنبياء<sup>(٢)</sup> . فمهدوا بذلك السبيل لفلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وغيرهم ، إذ لا شك في أن كثيراً من نظريات هؤلاء الفلاسفة وأفكارهم السامة مأخوذ عن الكتب الاسماعيلية ؛ نذكر من ذلك نظرياً الفلاسفة المذكورين إلى ما يعرف بالاستعداد للنبوة ، أو بعبارة أخرى [ بالإمام الكامل ] أو [ الحكيم الكامل ] فإنها ولا شك من بنات أفكار الإسماعيلية . كما أن فلسفة التصوف مدينة بتأثيرهم في كتب ابن عربي والحلاج والغزالي وغيرهم<sup>(٣)</sup> .

(١) قلعة الموت : ص ١١١ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق .

## المنافقون

تتعرض المجتمعات الإنسانية لكثير من الآفات والمحن والغوائل والأمراض ، التي تظهر بأشكال مختلفة وأنماط متباينة بين الحين والآخر . وكما هو معلوم فليس المرض الجسماني هو الذي يهدد حياة الفرد والمجتمع فقط ، بل هناك أمراض كثيرة أخرى لا تقل خطراً عنه ، وفي مقدمتها الآفات الاجتماعية والنفسية ، وهي أسرع في التفشي وأفتك بالكيان الإنساني ، وأبشع الأمراض الوبائية التي تجتاح الأمم حيناً بعد حين . ولعل النفاق هو في طليعة هاتيك الآفات المدمرة . والنفاق نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر : هو الاعتقادي ، والأصغر : هو عملي ؛ مثل الكذب والرياء والخيانة وغيرها . وفي الحديث الصحيح : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتُّمِنَ خَانَ » .

فالأكبر يوجب الخلود في النار<sup>(١)</sup> ، في دركها الأسفل وهو : أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله ، مكذب به ، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس ، يهديهم بإذنه ، وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه . قال تعالى : ( يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ )<sup>(٢)</sup> .

(١) وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مؤلفاته بوصف حال المنافقين وصفاً شافياً متمماً . وانظر مثال ذلك في كتابه النافع (الإيمان) ص : ١٧٦ - ٢٢٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٦٧ .

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن ،  
وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر ، وقد ورد ذكرهم  
في ثلاث عشرة آية لكثرتهم ، وعموم الابتلاء بهم ، وشدة فتنهم على  
الإسلام وأهله ، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً ، لأنهم منسوبون إليه  
وإلى نصرته وموالاته ، وهم أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون عداوته في  
كل قالب ، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح ، وهو غاية الجهل والإفساد<sup>(١)</sup>

إن أساس النفاق هو الكفر والجبن ؛ أما الكفر فهو ما يبطنه المنافق ،  
وأما الجبن : فهو الذي يجعل المنافق يظهر خلاف ما يبطن من الكفر ،  
ولهذا لا يكون المنافق إلا جباناً ضعيف القلب ، يحسن الكيد والعمل  
في الظلام ، وإذا لقي المؤمنين أظهر لهم نفسه كأنه مؤمن ( وَإِذَا لَقُوا  
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا  
نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ )<sup>(٢)</sup> فهم لجبنهم يقولون : إننا مؤمنون . وإذا خلوا إلى  
قرنائهم من المنافقين والكاذبين قالوا : نحن نستهزئ بالمؤمنين بقولنا  
لهم : إننا مؤمنون .

والواقع يثبت أن الكافر أقل ضرراً من المنافق ، لأن المنافق يساويه  
في الكفر ويمتاز عليه بالخداع والتضليل ، وإمكان تسلله في صفوف  
المسلمين ، فيكون إيذاؤه شديداً والحذر منه قليلاً ، بخلاف الكافر  
الذي لم ينخدع بظاهره المسلمون ، فهو مكشوف ولا مجال للاشتباه فيه .

(١) انظر رسالة - صفات المنافقين : ص ١٥ - ١٦ لابن قيم الجوزية .

(٢) سورة البقرة : ١٤ .

وقد أحسن ابن قيم الجوزية - رحمه الله - الوصف حين قال عنهم :

[ فلكم كم من مقل للإسلام قد هدموه ؟ ! . وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه ؟ ! . وكم من علم له قد طمسوه ؟ ! . وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه ؟ ! . وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها ؟ ! . فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبليّة ، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون !!!  
( أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ) (١) .

اتفقوا على مفارقة الوحي ، فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون  
( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) (٢) .  
ولا جرم ( اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) (٣) .

درست معالم الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها ، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها ، وأفلت كواكبه النيرة من قلوبهم فليسوا يحيونها ، وكسفت شمس عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها . لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله ، ولم يرفعوا به رأساً ، ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأساً . خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة ، وعزلوها عن ولاية اليقين ، وشنوا عليها غارات التاويلات الباطلة ، فلا يزال يخرج عليها منهم كمين

(١) سورة البقرة : ١٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٥٣ .

(٣) سورة الفرقان : ٣٠ .

بعد كمين . نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لثام ، فقابلوها بغير ما ينبغي لها من القبول والإكرام [ (١) ] .

ثم يقول : [ رأس مالهم الخديعة والمكر وبضاعتهم الكذب والختر ، وعندهم العقل المعيشي ؛ أن الفريقين عنهم راضون وهم بينهم آمنون : ( يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ) (٢) ] .

ثم ينتقل للحديث عن صفاتهم الأخرى فيقول : [ لكل منهم وجهان ؛ وجه يلقي به المؤمنين ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين . وله لسانان ؛ أحدهما يقبله بظاهره المسلمون ، والآخر يترجم به عن سره المكنون : ( وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ) (٣) ] .

قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاءً بأهلها واستحقاراً ، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحي فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا أشراً واستكباراً ، فتراهم أبداً بالتمسكين بصريح الوحي يستهزئون ( اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ) (٤) .

خرجوا في طلب التجارة البائرة في بحار الظلمات ، فركبوا مراكب الشبه ، والشكوك تجري بهم في موج الخيالات ، فلعبت بسفنهم الريح

(١) انظر رسالة - صفات المنافقين : ص ١٦ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة : ٩ .

(٣) سورة البقرة : ١٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٥ .

العاصف ، فألقنها بين سفن الهالكين : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ  
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تُّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) (١) .

ثم يتحدث عن علاماتهم الفارقة فيقول : [ لهم علامات يعرفون بها ،  
مبينة في السنة والقرآن ، بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان .  
قام بهم - والله - الرياء ؛ وهو أقبح مقام قامه الإنسان ، وقعد بهم  
الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمان ، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك  
ثقيلاً ( وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ  
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ) (٢) .

يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن ، فإن كان لهم فتح من الله  
قالوا : ألم نكن معكم ؟ ! . وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم . وإن  
كان لأعداء الكتاب والسنة من النصر نصيب قالوا : ألم تعلموا أن  
عقد الإخاء بيننا محكم ، وأن النسب بيننا قريب ؟ ! .

فيا من يريد معرفتهم ، خذ صفاتهم من كلام رب العالمين ، فلا  
تحتاج بعده دليلاً ( الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ  
قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ) (٣) .

وأمرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد ،  
ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد . وأحدهم تلقاه بين جماعة

(٢) سورة النساء : ١٤٢ .

(١) سورة البقرة : ١٦ .

(٣) سورة النساء : ١٤١ .

أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد<sup>(١)</sup> : ( وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى  
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ )<sup>(٢)</sup> .

## من أهم علامات المنافقين

أقدم فيما يلي أهم علامات المنافقين :

١ - مرض القلب . قال تعالى : ( فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ  
مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ )<sup>(٣)</sup> .

٢ - الإفساد في الأرض . قال تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي  
الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا  
يَشْعُرُونَ )<sup>(٤)</sup> فهم يفسدون ولا يشعرون أنهم مفسدون ، بل ويحسبون  
أنفسهم من المصلحين . والفساد هو الكفر قولاً وعملاً ، وعمل المعصية  
والأمر بها ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بالمعصية فقد أفسد في  
الأرض ؛ لأن صلاح الأرض بالطاعة ، وفسادها بالمعصية ؛ وفساد  
المنافقين كفرهم وشكهم وتكذيبهم ومخادعتهم الله ورسوله والمؤمنين ،  
وموالاتهم لأعداء الدين ومحاربتهم لأولياء الله والداعين إليه .

(١) راجع صفات المنافقين : ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٥ .

(٣) سورة البقرة : ١٠ .

(٤) سورة البقرة : ١١ ، ١٢ .



٣ - رميهم المؤمنين بالسفه . قال تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا  
آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن  
لَا يَعْلَمُونَ ) (١) .

٤ - اللدد في الخصومة والعزة بالإثم . قال تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ  
يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ  
الْخِصَامِ ) (٢) . وجاء في الحديث الصحيح : « آية المنافق ثلاث :  
إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » .

٥ - موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين . قال تعالى : ( بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ  
بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
أَيَّبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ) (٣) .

٦ - الرياء والتكاسل عن أداء العبادات . قال تعالى : ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ  
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ  
النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا  
إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ) (٤) .

فمن صفات المنافقين الخداع ؛ يخادعون الله ويخادعون الناس ، أما  
وجه مخادعتهم الله تعالى فهو اعتقادهم أن أمرهم قد راج بين الناس ،  
وجرت عليه أحكام الإسلام في الظاهر ، وخفت حقيقتهم على الناس ،

(١) سورة البقرة : ١٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٤ .

(٣) سورة النساء : ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٤) سورة النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ .

فكذلك يظنون أن يكون حكمهم عند الله يوم القيامة ؛ فيروج أمرهم ويخفى عند الله كما راج وخفي على الناس ، وهذا محض الجهل لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . فالمنافقون متحiron ؛ فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ، ولا مع الكافرين<sup>(١)</sup> .

٧ - التحاكم إلى الطاغوت . قال تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا )<sup>(٢)</sup> .

٨ - الإفساد بين المؤمنين ، والكذب والخوف وكره المسلمين . قال تعالى : ( لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا .. )<sup>(٣)</sup> . وقال سبحانه : ( وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ . لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ )<sup>(٤)</sup> .

ومن صفاتهم - المنافقين - الكذب والحلف عليه ؛ جاء في الحديث : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتُّمِنَ خَانَ »

٩ - يعيبون أهل الحق ويرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم ، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف . قال تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي

(١) انظر : أصول الدعوة : ص ٣٨٦ وما بعدها / د . عبد الكريم زيدان .

(٢) سورة النساء : ٦٠ ، ٦١ .

(٣) سورة التوبة : ٤٧ . (٤) سورة التوبة : ٥٦ ، ٥٧ .

الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ<sup>(١)</sup>  
 وقال عز وجل : ( الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ  
 بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ )<sup>(٢)</sup> .

١٠ - الغدر وعدم الوفاء بالعهد والإضرار بالمؤمنين والسخرية منهم .  
 قال تعالى : ( وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَثِنَ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ  
 مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ )<sup>(٣)</sup>  
 وقال سبحانه : ( وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا  
 إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى  
 التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا  
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ )<sup>(٤)</sup> .

وهذا المسجد ما يزال يُتخذ في صور شتى ثلاثم ارتقاء الوسائل  
 الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين ؛ تتخذ في صورة أوضاع ترفع  
 لافتة الدين عليها لتختفي وراءها وهي ترمي هذا الدين ... ومن أجل  
 مساجد الضرار الكثيرة هذه ، يتحتم كشفها وإنزال اللافتات الخادعة  
 عنها وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه وراءها ، ولنا أسوة في كشف  
 مسجد الضرار على عهد رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة التوبة : ٥٨ .  
 (٢) سورة التوبة : ٦٧ .  
 (٣) سورة التوبة : ٧٥ ، ٧٦ .  
 (٤) سورة التوبة : ١٠٧ ، ١٠٨ .  
 (٥) انظر : في ظلال القرآن ج ١١ - ص ٣٥ ، ٣٦ .

فهذه أهم أمارات أهل النفاق . فعلى المسلم أن يحذرها ، وهي التي إذا ما نزلت بمجتمع قضت على معالمة وقوضت أركانه . وعلى المسلم أيضاً ألا يثق بعهودهم لأنهم كاذبون لم يفوا بالتزاماتهم ، ومن يعتمد عليهم يهلك ، ويا ضيعة أمة ، ويا ويل شعب ويا خراب ديار ، ويا فناء مجتمع غلب عليه منافقوه ؟ ! . فهم معاول هدم تنخر في قلب الأمة ، وليس لهؤلاء من جزاء سوى حجرهم أو ضرب أعناقهم حتى تخلص البشرية من مهازلهم وويلاتهم . . . ولقد قوضوا كثيراً من الممالك ولغموا كثيراً من الصروح ، وكم أشعلوا من فتن ! . فهم ليس لهم دين وإن ادعوه . وليس لهم صديق وإن تظاهروا بالوفاء له . ويصدق فيهم قول القائل : يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعي . ألا ساء ما يصنعون .

## الحشاشون

وفي أواخر أيام ملكشاه ظهر الحشاشون في وهاد مازندران التي كانت في وقت مضى معقل بابك الخرمي وأصحابه .

هذه الجمعية الدموية - التي نشأت على غرارها فيما بعد الجمعيات السرية في أوروبا وآسية - أسسها حسن الصباح - وكان زميلاً لنظام الملك في الدراسة - فلما خاب مطعمه في أن يلعب دوراً مهماً في الامبراطورية السلجوقية ، آلى على نفسه أن يقوض دعائم السلطة الشرعية بالسّم

والخنجر ، فالتحق بالخليفة الفاطمي في مصر وعينه هذا رسولاً على  
المشرق ، وفوض إليه الدعوة إلى مبادئ الإسماعيلية ونشرها .

ولم يكن للإسماعيلية حتى ذلك الحين إلا رؤساء أو دعاة يتدرجون  
في مراتب العقيدة السرية ، وأتباع أو رفقاء يلقنون مبادئها السرية  
بصورة تدريجية ، وتتألف منهم أغلبية الجمعية السرية .

وقد رأى الحسن فوراً أنه لا يستطيع تحقيق مشروعه بأمان ونشاط  
إلا بإنشاء طبقة ثالثة ، مؤلفة من عملاء يكونون أدوات صماء وعمياء  
في أيدي رؤسائهم ، يحركونهم كيفما يشاؤون ، فيلقون منهم الطاعة  
دونما حساب للعواقب ، وقد دعي هؤلاء العملاء بالفدائيين .

وكان رئيسهم الأعلى يسمى [بسيدنا] ويعرف عند العامة ، بشيخ  
الجبيل ؛ الذي كان الفدائيون يؤلفون حرسه وينفذون أوامره المميتة .  
وأطلق المسلمون على هؤلاء الحشاشين اسم الملاحدة ، وفي سنة ٤٨٣ هـ  
استولى الحسن الصباح على قلعة ألموت - عش النسر - المنبعا في جبال  
مازندران ومنها شرع يوجه هجماته على المدن الآمنة<sup>(١)</sup> .

## حركة المقنع

وفي أيام المهدي ثار هاشم بن حكم الملقب بالنبي المقنع . وكانت  
خراسان تعج دائماً بشتى الطوائف والمذاهب ، وكانت وقتئذ في حالة  
غريبة من الهياج والاضطراب .

(١) مختصر تاريخ العرب - ص : ٢٧٨ - ٢٧٩ .

كان هاشم رجلاً قصيراً بشعاً ، وكان يتقنع دائماً بقناع ذهبي بغية إخفاء قبحة عن أعين الناس ، ولذا سمي بالمقنع ، وكان يقول لأتباعه بأن روح الله تحل من حين لآخر في أحد عباده المجتبيين ، وأنها حلت الآن في شخصه ، كما حلت في شخص آدم ونوح وأبي مسلم ، وأن الديانة هي الإيمان فحسب .

وكانت تعاليمه الأخرى ثورية وإباحية على نطاق واسع ، فتبعه العديد من الناس ، وتمكن لفترة من الزمن أن يتحدى قوات الخليفة ، غير أنه ما لبث أن هزم وقتل وتشتت أتباعه في ددكيش .

وكان أتباع المقنع يرتدون الملابس البيضاء ، ولذا سموا بـ (المبيضة) . ولم تلبث أن ظهرت في جرجان - شرقي بحر قزوين - بمبادئ إباحية وتعصبية مماثلة ، وكانوا مصدر قلق ومتاعب للدولة<sup>(١)</sup> .

غير أن حركتهم قمعت دون صعوبة تذكر . والظاهر أن مبدأ النهلتية القديمة - وكان يجمع بين مبادئ المزدكية والمانوية - كان قد انتشر بين عدد كبير من الناس<sup>(٢)</sup> .

---

(١) جاء في دائرة المعارف الإسلامية ما يلي : وفي ١١ ذي القعدة عام ٥٧١ هـ نجح صلاح الدين من مكيدة دبرها الإسماعيلية لقتله ، بفضل الزرد الذي كان يحيط بقلنسوته ، وأراد أن يثأر منهم بمحصاره لمصياف ولكنه عدل عن ذلك لتعب جيوشه ، وربما كان سبب العنول أيضاً إتقاء وعيد الحشاشين . . . قلعة الموت - ص ١٦٥ .

(٢) مختصر تاريخ العرب : ص ٢١٤ .

## الملحدون

أكرم الله تعالى الإنسان ورفع من قيمته وأمدّه بملكات وقوى ربانية لا يعرف كنهها البشر ، وقد أحسن إليه - سبحانه - فصوره في أحسن تقويم ... هذه بعض النعم التي أكرم الله بها بني الإنسان ، والتي لا يمكن وصفها أو الوقوف على جوهرها . ففيها ما لم يعلم ولم يخطر على بال بشر ، ومع هذا فهناك طوائف من الناس قد تنكرت لأنعم الله ونكصت على أعقابها وحطت من إنسانيتها ، وارتدت كافرة ملحدة فكان مثواها إلى الدرك الأسفل من النار .

وصدق الله العظيم : ( قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ) (١) .

إن فكرة الإلحاد تقوم على ترويج التعاليم الشيوعية والإباحية والآراء الفوضوية ، التي ينجم عنها التحلل من قواعد السلوك والتجرد من الفضائل المتفق عليها .

وتقوم هذه الدعوى على الطعن في الأديان والذات الإلهية ، وكل ما جاءت به الرسل والأنبياء ودعا إليه المصلحون .

أما عن تعريف الإلحاد فقد يختلف فيه لاختلاف آراء الناس وتباين وجهات نظرهم . فقد يكون معناه : الإيمان بأن سبب الكون يتضمن الكون في ذاته ، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم .

(١) سورة عبس : ١٧ .

إن المشترعين لأنفسهم شريعة لم يأذن بها الله ، قد عبدوا غير الله وما اعترفوا بألوهيته الكاملة وألحدوا في أسمائه . أما المؤمنون بالله فهم على النقيض من ذلك ؛ إذ يتبعون شرع الله ويتقيدون بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما أنهم اتَّخذوا قول الحقِّ تعالى شعاراً لهم : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (١) . إننا لا نجد الإلحاد والضلال إلا عند مغفلين مضللين ، أو مقلدين متعصبين أو مجرمين شهوانيين أو مستكبرين مغرورين بالنزر اليسير الذي تعلموه من ظواهر الكون ، فظنوا أنفسهم عرفوا كثيراً وجاهلوا أنهم ما غمسا بعد أكفهم في شاطئ بحر صغير من بحور علم الكون (٢) .

وذلك أنه قد تطفئ على الإنسان شهواته وملذاته وأنانيته ، فيحاول أن يتهرب من بعض الحقائق التي يشعر بها في فرارة نفسه ، إرضاء لغرائزه وشهواته التي أخذت صبغة الانحراف والشذوذ ، أو إرضاء لأنانيته في كبره واستعدائه وحبه للسيطرة والإجرام . ويصح لنا إذاً أمعنا النظر أن نقول : إن الإلحاد بالله وإنكار وجوده - بعد وضوح الدلائل من خلال تأمل الإنسان في نفسه وفي الكون من حوله - ليس إلا تهرباً من الفضيلة والحق والخير والجمال ، لتبرير أعمال الرذيلة والظلم والقبح وقلب الحقائق ، وإرضاء للنزوات والغرائز والشهوات الجانحة الجامحة (٣) .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها بتصرف . (٣) المصدر السابق نفسه .



## مناقشة الملحدين

هل يستطيع أذكى وأعلم ملحد في الدنيا أن يأتينا بدليل واحد مقنع يدل على عدم وجود الخالق سبحانه ؟ ! .

إن الملحدين مهما اجتمعوا لذلك فلن يستطيعوا .

ما يضر الملحد لو عقل وأنصف - على فرض أنه لم تقم لديه الدلائل القاطعة على وجود الخالق بحد زعمه الفاسد - أن يؤمن بقوة ظنية لا يوجد ما يعارضها ؛ لا في الظن ولا في الوهم ، فضلاً عن اليقين . وهذه القوة إذا تم الإيمان بها تجعل منه ومن الناس جميعاً سعداء فضلاء ، يعيشون عمرهم عيش الرفاهية والنعم والطمأنينة النفسية والمحبة للخير .

بينما لا توجد قوة أخرى في الدنيا تستطيع أن تقف في وجه غرائز الإنسان الشاذة المجرمة وأنانيته الظلمة المستكبرة . أليس يقوم في ظن الملحدين احتمال صدق دعوة الرسل الذين يكذبونهم ؟ . وماذا ستكون حججهم بين يدي الله إذا قال لهم يوم القيامة : كذبتُم رسلي ، وأعرضتم عن البراهين التي بثتها في الوجود ؛ الدالة على وجودي ، والدالة على عدلي ، فحق عليكم عقابي ؟ ! .

يمثل هذا النوع من الاستدلال ناقش المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه فرعوناً ومن معه . قال تعالى :

( وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ) (١) .

إن الملحد ليلحد بالله الحق ، ثم تراه يجري وراء أوهام تافهة لا حقيقة لها في الواقع ، على توهم أن لديها بعض اللذات والشهوات النفسية ، أو بعض الإصلاح الفردي أو الاجتماعي .

وفيما كتبه (٢) ( أندرو كونواي إيفي ) - من العلماء الطبيعيين ذوي الشهرة العالمية من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٤٦ - تحت عنوان : وجود الله حقيقة مطلقة :

[ يظهر أن الملحدين - أو المنكرين - بما لديهم من الشك ، لديهم بقعة عمياء أو بقعة مخدرة داخل عقولهم ، تمنعهم من تصور أن كل هذه العوالم - سواء ما كان منها ميتاً أو حياً - تصير لا معنى لها بدون الاعتقاد بوجود الله ] وكما قال اينشتين : [ إن الشخص الذي يعتبر حياته وحياته غيره من المخلوقات عديمة المعنى ليس تعيساً فحسب ، ولكنه غير مؤهل للحياة ] .

ما هو شعور أكبر ملحد في الدنيا ؟ . إذا تراكبت عليه الهموم والأحزان والمصائب ، وصدمة المخاطر من كل جهة فلم يجد سبباً مادياً ينقذه ،

(١) سورة غافر : ٢٨ .

(٢) راجع : العقيدة الإسلامية وأسسها . وذيل الملل والنحل ج ٢ ص ١٠٠ .

أفلا يحفظ فيه - في أشد الحالات - فطرته الأولى فينادي : أيتها القوة  
المهيمنة على الكون أسعفيني ؟ !! .

ماذا كان قول فرعون حين أدركه الغرق ؟ . إنه قال : ( آمَنْتُ أَنَّهُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ) راجع الآية ٩٠ من سورة  
يونس .

إن تجربة إلقاء الملحدين في المخاطر والمآزق ، التي لا يجدون لدفعها  
سبباً مادياً ، هي من أعظم التجارب التي تكشف عن فطرتهم الأولى السليمة  
الصفافية ، والتي دخل إليها فيما بعد دخيل الفساد والشذوذ والإجرام ،  
منذ شنوا وجنحوا عن الحق بشهواتهم وأنانيتهم .

إن هذه التجربة لتكشف عن فطرتهم ، فيعلنون - من حيث يشعرون  
أو لا يشعرون - أن الذي وراء المادة هو الله الواحد العليم ، القادر المريد ،  
المتصرف بكل شيء .

إنهم ينادون الله بعد إلحاد ، ويلتمسون إنقاذه وعونه بعد كفر ،  
ثم إن الله تعالى - كدليل على وجوده وقدرته واستجابته لدعوة المضطر  
إذا دعاه - ينقذهم وينجيهم ، حتى إذا وصلوا إلى شاطئ السلامة  
ووضعوا أقدامهم على البر الآمن - في نظرهم - إذا هم يكفرون ويعودون  
إلى سيرتهم الأولى .

تلك هي نفوسهم المجرمة التي لم تلحد بالله لأنها لم تجد الدليل على  
وجوده ، ولكنها ألحدت به لترضي استكبارها وشهواتها . فهي لا تدعن

إلى الله إلا في الشدائد والمآزق ، فإذا أنعم عليها وأنجاها كفرت بأنعمه (١)  
وكذلك صور الله حال الكافرين في قوله تعالى : ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ  
فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا أَنْجَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ كَفُورًا ) . سورة الاسراء : ٦٦ .

## لا سند للإلحاد

بعد مناقشة الملحدين وسقوط دعواهم الباطلة وتخرصاتهم الواهية ،  
التي أثبتتها شواهد العقل والنقل ، فإني أضع بين يدي القارئ بعض  
النصوص الثابتة والحجج الدامغة التي تدحض دعوى الملحدين ، الذين  
نفوا وجود الله سبحانه بغير ما دليل أو برهان . وكل ما ذكره الملحدون  
ما هو إلا وهم لا يستند إلى منطق سليم ولا يدعمه شاهد أو علم مكين .

فقد عرف الإلحاد منذ عهود غابرة ، وقاومه الأنبياء والمصلحون عبر  
الأجيال والعصور المتعاقبة . وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ( وَقَالُوا  
مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ  
مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ) (٢) .

فهل ثمة فارق بين ما قاله أهل الجاهلية الأولى ، وبين ما يقوله أهل  
جاهلية هذا القرن ، عصر الصاروخ واكتشاف الفضاء ؟ ! .

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ، وذيل الملل والنحل : ج ٢ ص ١٠٠ وما بعدها للمقارنة .  
(٢) سورة الجاثية : ٢٤ .

على أن العصر الذي بلغ فيه العلم شأواً لم يصل إليه من قبل لم يستطع أن ينكر وجود الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بل إن علماءه من أشد الناس إيماناً بالله ، ولا نريد بالعلماء السطحيين من أدعياء العلم ، وإنما نقصد العلماء الحقيقيين .

ومما يؤيد هذا الذي نقوله ما نشره الدكتور دينرت (DENRET) من بحث ؛ حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم ، فتبين له من دراسة / ٢٩٠ / عالماً أنهم - بالنسبة للعقيدة الدينية - كما يلي :

- ٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا إيمانهم الكامل بالله .

- ٢٨ لم يصلوا إلى عقيدة .

- ٢٠ لم يهتموا بالتفكير الديني .

وهكذا نجد أغلبية ساحقة تزيد عن / ٩٠ / بالمائة يعلنون إيمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلمية ، ونجد من سواهم لا يزالون في تردد ، أو لم يهتموا بالعقيدة الدينية في أبحاثهم . وأغلب الظن أن المترددين سيصلون يوماً ، وأن الآخرين - الذين لم يهدم العلم لساحة الله - يعانون نقصاً ، لو تخلّصوا منه لوصلوا<sup>(١)</sup> .

ونختم هذا البحث عن الدليل العقلي على وجود الله - علاوة على ما قدمنا - بأقوال مشاهير العلماء .

(٢) مجلة الأزهر - مجلد ٢٩ . والعقائد الإسلامية : ص ٤٩ ، ٥٠ .

يقول هرشل العالم الفلكي الانجليزي : [ كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حدّ لقدرته ولا نهاية ؛ فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم ، وهو من صرح عظمة الله وحده ]<sup>(١)</sup> .

ويقول الدكتور وتز (WETZ) الكيماوي الفرنسي : [ إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله قد تزعزعت ، وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها ]<sup>(٢)</sup> .

ويقول فولتير ساخراً : [ لِمَ يشككون بالله ؟ ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي ]<sup>(٣)</sup> .

### الملحد كالوباء يجب التحصن منه

لا شك أن موجات الإلحاد قد طغت وأعمت عيون كثير من البشر عن رؤية الحق واتباع سبيل الهدى ، وقد انتشرت هذه الضلالات المسمومة بين صفوف الشباب ، خاصة الذين خدعوا بغواية المادية ودعوات الانحلال ، التي يروج لها صنف من البشر اتخذ إليه هواه ، ولبس مسوح الدجال فبث سمومه القاتلة بين شبابنا الذين استسلموا للهوى ، وأضحوا فريسة لهيمنة ظلمة الإلحاد .

(١) دائرة المعارف لوجدي : ص ٥٠٣ .

(٢) مجلة الأزهر - مجلد ٢٩ . العقائد الإسلامية : ص ٥٠ .

(٣) العقائد الإسلامية : ص ٥٠ .

ودعوة الإسلام تنكر لها هؤلاء المنحرفون وصبغوها بصبغة مشوهة ،  
كما نعتوا الإسلام بنعوت باهتة ؛ وأنه ما هو إلا مرحلة من المراحل  
الحضارية ، منكرين دور رسالة الإسلام الرائدة وزاعمين بأن الرسول  
محمداً ﷺ إن هو إلا مصلح اجتماعي .

إن هذا الكلام الذي يتردد بين حين وآخر ، ما هو إلا دعوة للإلحاد  
والإباحية ، وهي تشكل خطراً داهماً على كيان أمتنا العزيزة الماضية  
وأجيالها المتعاقبة .

ولا يخفى فإن الملحدين حقاً كالوباء ؛ يحتمى منه بالبعد عن المصاب  
به والفرار منه ، فكذلك الملحدون ، يجب على المؤمن أن يتحفظ لنفسه ،  
فلا يدينو منهم ولا يسمع لحديثهم . ويتحفظ لأسرته وأهله - فهو  
مسؤول عنهم - فلا يقربهم منهم ، ولا يمكنهم من مصاببتهم ، فهم  
شؤم ووبال يغوون في ثوب الناصحين ، ويلقون الداء في قالب الدواء .  
فهم على حد قول الشاعر :

ولا تحسبنُ هندا لها الغدر وحدها سجية نفس ، كل غانية هند

فعلى كل حريص وقاية نفسه وبنيه وقومه من شركهم ، وإلا تعرض  
المجتمع لآفاتهم وأخطارهم الجسام ، وما ظلمة الروح يعقبها سجنها إلا  
أثر من مجالسة هؤلاء المشوهين المفسدين .

نعم ، مجالستهم تذهب من الروح صفاءها وتملأ القلب شكاً بعد

اليقين ، وتجلب على النفس العناء بعد الهناء والشقاء بعد السعادة ،  
وذلك جزاء المعتدين :

( وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَظَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ  
الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) (١) .

ورد في الحديث الشريف : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ  
مَنْ يُخَالِلُ » (٢) .

يخالف بعض الشبان ويذهبون إلى ساحة هؤلاء ، فيستمعون منهم  
أضاليلهم ويقولون: يجب علينا أن نستكشف ما عندهم ونستمع لأقوالهم  
ونعرضها على عقولنا ، فإن كان خيراً عملنا به ، وإن كان شراً  
تركناه . فإنه لا يمكن أن يضلنا هؤلاء ، فإننا مؤمنون .

نعم يا صاح ، الحمد لله على نعمة الإيمان ، ولكن الأمر يحتاج إلى  
الحرص والوقاية . أما سمعت قول القائل :

ما أنت أول سارٍ غره قمرٌ ورائدٌ أعجبتة خضرة الدمن .

أقول : لقد فات هؤلاء الأغرار أن الإنسان ضعيف بطبعه ، يتأثر  
بسرعة مما يخالط ، وإذا وقع في شرك هؤلاء ، تراكمت عليه الظلمات ،  
وسهل على أعدائه - أعداء الشر - إضلاله وإفساده . والنفوس الإنسانية  
تقبل العدوى ، كما يقبلها الجسم . وقد ورد في الحديث :

(١) سورة الحج : ٣١ .

(٢) رواه أبو داود والترمذي .



« إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا » (١) .

وقوله : « فِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ » حديث صحيح (٢) .

وفي هذين الحديثين نهي وتحذير من دخول البلد الموبوء بالأمراض ، أو الخروج منه لمن كان في داخله ، كما أن المسلم مطالب بعدم الاستماع لداعي الشيطان ، بل عليه الاستجابة فقط لداعي الرحمن . والله تعالى يقول :

( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) (٣) .

كل ذلك ليحفظ عليك دينك ، ويبقي لك يقينك ، وهو أئمن ما يملكه المرء في الحياة ، تفدى به الروح والمال والولد (٤) .

ويعجبني ما قاله أحد العلماء : [ يندفع الشبان على قراءة كتب الملاحدة وجرائدهم وما إليها ، منفقين فيها نفيس أوقاتهم ، مضيعين فيها كثيراً من أموالهم ، بائعين فيها مهجهم ، ظانين أنهم يستفيدون منها

(١) رواه البخاري . انظر جواهر البخاري : ص ٤٦٧ .

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - ج ٢ . للألباني .

(٣) سورة الأنعام : ٦٨ .

(٤) بتصرف عن كتاب سهام الدين المارقة : ج ١ ص ١٥ - ١٦ .

ولو من جهة الأدب والعلم (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (١) .  
 فنتقدم إليهم بالنصيحة راجين منهم أن يقلعوا عن هذا الزعم ، فإن  
 هذه التجارة باثرة خاسرة لا تقاس ولا تقدر ، وربحها مظنون موهوم ؛  
 فما كتبهم وما جرائدهم إلا أساطير تلهيك عن الصلاة وعن ذكر الله  
 والدار الآخرة ، بل وعن منافعك الدنيوية لأن الزمن الذي تستغرقه في  
 قراءتها كان من أنفـس أوقاتك ، لو عملت فيه عملاً لعاد عليك بالربح  
 الجزيل ، ولو شغلته في نوم أو رياضة لعاد على جسمك بثوب العافية  
 القشيب ، فماذا أنت مقرر لنفسك ؟ . ولا خير في امرئ يقع فيما  
 لا سلامة فيه ، أو ما فيه بأس ولو مشكوكاً فيه [ (٢) ] .

هذه نصيحتنا أسديناها إليكم خالصة لوجه الله . وإلا فستعضون بنان  
 الندم ولات ساعة مندم . وصدق الله العظيم : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) (٣) .

## الملحد يطرح العقل ويستسام للأهواء

إن هذا العصر شر العصور - وإن سموه : عصر الحضارة والنور -  
 نعم ، جاهلية هذه الأيام شر من أهل الجاهلية الأولى عبدة الأوثان  
 والأصنام . فأهل الجاهلية الأولى بعث فيهم رسول الله ﷺ فقاوموه بكل

(١) سورة البقرة : ١٦ .

(٢) راجع سهام الدين المارقة في صدور الزنادقة : ج ١ - ص ١٦ .

(٣) سورة المائدة : ١٠٥ .

أنواع المقاومة ، وبدلوا أنفسهم وما يملكون لصدده عن دعوته ، فإنه كان يقول بإله واحد ، ويعجبون من هذا ويقولون : ( أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ )<sup>(١)</sup> . فلذلك بدلوا لصدده رقابهم وما يملكون .

وأما أهل جاهلية هذا العصر فقد عاش بينهم من نفى الألوهية بتاتاً ، ومن قال بتعدد الآلهة ، ومن شكك في كل شيء ، ومن اقتصر على خرافات وافتراضات ما أنزل الله بها من سلطان ، ومع ذلك نال عندهم الحظوة والمفخرة ولقب بأضخم الألقاب !! .

وإذا مات تقام له الذكريات ، ولا يزال مقدساً عند كثير من الطوائف حتى من غير أمته ، فقد رأينا كثيراً من المنتسبين لهذه الأمة يحتفل بذكري أساطين الشيوعية الملحدتين مثل ستالين ولينين وغيرهما !! . وسعنا أيضاً من احتفل برينان<sup>(٢)</sup> وما عهد ذلك عنا ببعيد . وهناك أيضاً من لا يزال يدافع عن من قال بتعدد الآلهة ، ووصفه بأنه رجل عالم ولا يجوز التجني عليه ، وقذفه والتشهير به وكشف ضلاله وفساد آرائه ومزاعمه !! . ويصدق عليهم قول من قال :

والليالي من الزمان حبالى      مثقلات يلسدن كل عجيب

ومن عجائب هذا الزمان أنك ترى كثيراً من الملحدة وعباد المادة ، قد تمادوا في حبها حتى ملكت عليهم كل مشاعرهم ، وحتى أشعلت في قلوبهم نار الأنانية والأثرة ، واستذلوا الفقراء واستعبدوا الضعفاء ،

(١) سورة ص : ٥ .

(٢) سهام الدين المارقة : ج ١ - ص ٢٠ .

واستخدموا لأغراضهم السافلة أمماً بأسرها ، وظلموا شعوباً بأجمعها دون أن تأخذهم فيهم شفقة ولا رحمة ، ودون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . وقد عشنا نحن المسلمين هذه المآسي والمحن على يد الشيوعية ودول الاستعمار ، الذين لا يزالون يتبجحون ويدعون بأنهم نصراء الإنسانية ودعاة الحرية ، وهم في الحقيقة أعداء الحرية والإنسانية .

وما يعانيه الزوج في أمريكا من قهر وإذلال ، على أيدي أمريكا عملاقة الغرب الكافر ، وما يلاقيه المسلمون من إرهاب وتعذيب ومحاكمة للدين لأكبر شاهد لما أقول .

أقول لأهل هذا العصر - وخاصة دعاة المادية والإلحاد وغيرها : ألم تسمعوا قول الرسول ﷺ لمالك بن برهة بن نهشل المجاشعي - سيد وفد بني تميم - حين سأله بقوله : يا رسول الله ألسنت أشرف قومي ؟ . فقال : « إِنْ كَانَ بِكَ عَقْلٌ فَلَكَ فَضْلٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ خُلُقٌ فَلَكَ مُرُوءَةٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ دِينَ فَلَكَ شَرَفٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ فَلَكَ حَسَبٌ ، وَإِلَّا فَانْتَ وَالْحِمَارُ سَوَاءٌ » (١) .

إن العقل يدعو إلى الاعتبار ، والحكمة تحث على الاستبصار ، والقرآن ينادي : ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ) (٢) . والملحدون خالفوا هذا وغلبت عواطفهم على عقولهم ؛ فدرجوا على العمل بالأهواء وما توجيه إليهم شياطين المصالح الموهومة ، وما تشغله في نفوسهم نيران الشهوات المشؤومة .

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢١ .

(٢) سورة الحشر : ٢ .

فهم إذا أنكروا الألوهية فليس عن نظر وتفكير ، وإذا نفوا الشرائع وحاربوها فليس عن تقديم المصلحة وحب للخير ، وإذا اختاروا الزندقة فليس ذلك لأنها بنيت على العقل الصحيح والفكر الرجيح . لا ؛ وإنما ذلك تخرص وتكهن ابتداءً بخاطر شيطاني ، فوجد إرادة مستسلمة تتأثر بسرعة لخلوها من عقيدة إيمانية راسخة ، فذهبت في تحقيق هذا الخاطر بكل ما أوتيت من قوة ، غير آبهة لخطره ولا ناظرة إلى ما فيه من أضرار جسام تعود على الروح والقلب في الدنيا ، يتبعها النكال والوبال في الآخرة . وقد أحسن من قال :

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِيْجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِسْلَامٌ

يقول الملحدون - تبعاً لعواطفهم وشياطينهم : [ لا إله للعالم ] !!  
والله يقول : ( قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ) (١) .

يقول الملحدون : إن الديانات أحاديث خرافة جاءت للجاهلين ، وساغت دعوتها على الأغرار المغفلين ، تخوفهم بإله لم تقم الأدلة بعد على وجوده !! . ويذكرون هذا دون أن يدعموه ببرهان أو يثبتوه بحجة . ونرد عليهم فنقول : اخسؤوا وتمتعوا حتى حين . فما دعاويكم - وإن طليتموها وموهتموها - إلا ( كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ) (٢) .

(٢) سورة النور : ٣٩ .

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩ .

حقاً لو كانت نفوس هؤلاء لها هدى واعتبار ، لاعتترفوا بأن الله جل وعلا خالق الكون ومبدعه . ولتوافقوا مع الشريعة الإسلامية تماماً ؛ فإنها دعت العقول إلى التفكير ، ودعت الناس إلى أن يتدبروا ويتبصروا وينظروا : ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ) (١) .  
( قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) (٢) .

قال أحد الحكماء : [ أشهد أن السموات والأرض آيات دالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدي عن الله الحجة ، ويشهد له بالربوبية ] .  
وقال قس بن ساعدة : [ إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعتراً . ليل داج وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج ] (٣) .

إن الشريعة الإسلامية تقول : ( قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَّ وَفِرَادَىٰ تُمَّ تَتَفَكَّرُونَ ) (٤) . وتقول أيضاً : ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ) (٥) . وقوله : ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ) (٦) . الخ .

أقول : ولا تزايلنا الثقة لحظة ، ولا يخالج تفاؤلنا ريب في مستقبل هذا الدين وانتصاره . وصدق الله العظيم :

(١) سورة المؤمنون : ١١٥ .

(٢) سورة يونس : ١٠١ .

(٣) سهام الدين المارقة : ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤) سورة سبأ : ٤٦ .

(٥) سورة الطارق : ٥ ، ٦ .

(٦) سورة الغاشية : ١٧ .

( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) (١) .

ونحن نبين عظمة هذا الدين ، نتوجه إلى أولئك الحاقدين وأضرابهم فنقول لهم : راجعوا أسفار التاريخ وصحائف السير الموثوقة ، فهي كفيلة تكشف الحقائق وتجلية المراحل التي مر بها الإسلام ، الذي غزا جل هذه المعمورة ؛ من الصين والهند شرقاً إلى قلب أوروبا وسواحل أميركا وأدغال القارة السوداء في زمن يسير . ألا فليطمئن الناس في هذا العالم المتلاطم العاتر ، لقد زحفت مبادئ الإسلام وغزت مجاهل أفريقيا مجردة من السلاح ، مسلحة بالإيمان والعقيدة الصحيحة ، كما اقتحمت هذه المبادئ أيضاً معازل الفكر الأوروبي والأمريكي ، وهناك قام دعوات أوروبيون وأمريكيون ، فدرسوا هذا الدين وفهموه ، واعتنقوه ديناً لهم ، وأخطوا أنفسهم بالدعوة إليه . فالمستقبل ولا ريب لهذا الدين ، الذي اتخذ من العلم شعاراً ، فأوجب في كلمة التوحيد - وهي من هذا الدين أساسه - أن تبنى على العلم ؛ فقال تعالى : ( فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) (٢) . وأمر المسلمين بما أمر به نبيه ﷺ أن يقول : ( وَقُلْ : رَبُّ زِدْنِي عِلْماً ) (٣) .

فالمؤمن الحق من يحلم بتطبيق شرع الله ورفع راية : ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) ويتطلع إلى الفضائل السامية ، مؤمناً بأنها سر السعادة الحقيقية ، وقطب الرحي في ذلك هو تعاليم الإسلام الحنيف .

(١) سورة الحجر : ٩ .

(٢) سورة محمد : ١٩ .

(٣) سورة طه : ١١٤ .

ونخلص من هذا كله بأن دعوى الباطل مهزومة مهما راوغ مفتعلوها ،  
وتجاهل الحق معتنقوها ، فتلك حتمية الباطل ونهايته . أما دعوة الإسلام  
وأنصارها فلهم البقاء والخلود ، لأن الإسلام مؤيد من قبل الله ومتكامل  
ثابت ؛ وهو دين سماوي عالمي ، والعلم يخدمه ويكشف من حقائق  
الكون ما يكون مادة بيان وبرهان ، لذا ينبغي - بل ومن الضروري -  
أن نخط طريق المستقبل بالعمل الجاد والتفكير المخلص ، وبذلك ننتقل  
من طور إلى طور لنبني شخصيتنا الإسلامية المستقلة الواعية ، وبذلك  
نستطيع أن نبني كما بنى أسلافنا الأمجاد ، الذين ساسوا الأمم والشعوب ؛  
وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس . والله حسبنا ونعم الوكيل .

## الصوفية

من ضمن الحركات التي أعملت جهدها في نخر الكيان الإسلامي ،  
حركة بالغت في مظاهر التدين والسلوك التعبدي وهي حركة التصوف ،  
وفي السطور القادمة نعرض لاثنتين من أهم مبادئها المظلمة ؛ ليقف المسلم  
من زخرف ألفاظها على حذر ، فيحتاط في دينه خشية الانزلاق إليها  
والوقوع في شباكها . ولنعلم أيضاً أين تقف هذه الحركة وأشياخها  
ومريدوها من كتاب الله وسنة رسوله .



## المبدأ الأول: وحدة الوجود :

ويعني أرباب التصوف بوحدة الوجود ؛ أن هذا الكون الواسع الشاسع ، بكل ما فيه من نجوم وكواكب سماوية ومخلوقات أرضية مختلفة الأشكال متعددة الأجناس ، بشرية كانت أم غير بشرية ، كلها تعتبر مظهراً لحقيقة كونية واحدة كبرى ، هي حقيقة الذات الإلهية . بمعنى أن هذه المخلوقات الكونية كلها ليست إلا ظللاً لأصل واحد هو الله سبحانه . وبتعبير آخر هو : أن الله سبحانه اختلفت مظاهر وجوده ، وتنوعت أسباب حقيقته حتى عمت أرجاء هذا الكون جميعه .

ويعبر عن هذا الشيخ حسن رضوان بقوله : إنما الوجود حقيقة هو ذات الحق تعالى ، وليس لتلك الأعيان والماهيات الظاهرة وجود حقيقي ذاتي لها ، وإنما المشاهد فيها انصياغها بنور الوجود الحق ، على نحو من أنحاء الظهور وطور من أطوار التجلي<sup>(١)</sup> .

فالشيء الذي هو الخالق هو المخلوق بعينه ، لكن في مرتبة أخرى غير مرتبة الخالقية<sup>(٢)</sup> .

ومثل هذه الادعاءات واضح البطلان ؛ لأنها مناقضة للشرع منافية للعقل ، إذ كيف يكون المخلوق هو عين الخالق ؟ ! . وكيف يكون

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق . وللتفصيل انظر كتابي : مصرع الشرك والخرافة .

(٢) المرجع السابق نفسه . ومن المفيد ذكره هنا قول المستشرق نيكلسون : إن الإسلام يفقد

كل معناه ، ويصبح اسماً على غير مسمى لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ ( لا إله إلا الله )

أصبح المراد بها : لا موجود على الحقيقة إلا الله . . . انظر هذه هي الصوفية : ص ٥١ .

الاثنان شيئاً واحداً ؟ ! . فهذا ضلال ما بعده ضلال ، وسفه لا سفه بعده ، إلا كلام من اختل عقله . نعوذ بالله من الضلال وأهله .

المبدأ الثاني : الحلول .

وهو من المبادئ التي انتهض الفكر الصوفي على أساسها ؛ فيقصد به أن روح الله سبحانه وتعالى حلت في بعض الأجسام التي اصطفاه واختارها فانقلبت هذه الأجسام البشرية إلى آلهة تسير على الأرض وتعيش بين الناس<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن مثل هذا الاعتقاد ليس من الإسلام في شيء ، وإنما هو واغل فيه من قبل الثقافات الأجنبية ، وماأخوذ من أخلاط المذاهب الدينية والفلسفية الأخرى ؛ كاليهودية والنصرانية والمجوسية واليونانية ؛ التي زعمت أن الله تعالى قد حل كله أو بعضه في جسد بعض المصطفين من الأشخاص ؛ مثل عيسى بن مريم والعزير وغيرهما ، حتى انتهى ذلك إلى كبرائهم . فها هو أبو يزيد البسطامي يقول في غرور بالغ : سبحاني . ونظير ذلك قول الحلاج بنشوة غامرة : أنا الحق . وما إلى ذلك من الأقوال والدعاوى التي لا تصدر إلا عن سفه نفسه ، وهجر دينه وناصب ربه العداء .

فانظر يا أخي - حماك الله - ماذا يفعل الغرور والانحراف بأهله ؟ ! .  
ويا ليت الأمر وقف عند هؤلاء فقط ، ولكنهم ضلوا بأنفسهم وأضلوا

(١) التصوف بين الحق والحلق : ص ٦١ .

غيرهم كما ~~تجمعوا~~ ~~وتكفوا~~ أفكارهم بازالته تنبت جذورها في عقول أهل  
الجهل من ~~أصحابهم~~ ~~الكثرة~~ وتشتعل أصولها في أفئدة أصحاب البدع من  
أقرانهم ، مصداقاً لقوله تعالى :

( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) . سورة يوسف : ١٠٦ .

حمى الله الإسلام من أفكارهم الدخيلة ، وصان الله المسلمين من  
أعمالهم الرذيلة ، وهدانا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم .

---

(١) وما يجدر ذكره أن الصوفيين لا يهتمون بالعلم ، حيث يفر أتباعهم من مجالسه بناء على أوامر  
شيوخهم ، الذين يطلبون منهم التشرذم والتفوق والمداومة على أذكارهم المخترعة ، وعدم  
الأخذ من العلماء ، والاقتصار على أقوال شيوخهم الوهمية ، وما ذلك إلا لبقى الأتباع  
عبيداً لأشيائهم وأسرى للجهل والخرافة .

ونظير هؤلاء فريق من الدعاة المعاصرين ، الذين ينفرون من مجالس العلم إلا إذا كان المحاضر  
من تجمعتهم أو طريقتهم ، وهذا هو التعصب المقوت الذي نهى عنه الرسول ﷺ وحذر  
منه . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ونحن لا نعم جميع من تسمى بالصوفية بهذه العقيدة ، ففيهم من يتبع الحق ويعمل على نهج  
السلف الصالح ويحرص على التمسك بالسنة الغراء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو  
الفضل العظيم .

## رأي محمد عبده في الصوفية

يقول محمد عبده<sup>(١)</sup> : [ إن التصوف بريضة النفس وما تثمره من الأحوال ، ليس من مستحدثات المسلمين ، بل سبقهم إليه قدماء الهند والصينيون واليونان وغيرهم .

وقد سرى إلى بعض صوفية المسلمين كثير من بدعهم وضلالاتهم وشعائيرهم وشاراتهم حتى إنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود ، فصارت هي غاية الطريقة عندهم ، كما كان تجريد التوحيد الشرعي غاية الطريق الإسلامي عند غيرهم ] .

ثم يستطرد قائلاً : [ إننا - على جهلنا بتاريخ دخول تلك الدخائل على صوفية المسلمين - نعلم أن الباطنية الذين كانوا يؤلفون الجماعات والأحزاب للكيد للإسلام ودولة العرب ، والسعي لإفساد الدين وإسقاط الملك ، قد دخلوا على المسلمين من باب التشيع والتصوف ، ولذلك نرى أكثر طرق الصوفية تتصل بأئمة آل البيت عليهم السلام ، وتنتهي إلى أصلهم علي المرتضى كرم الله وجهه ] .

وما عدا ذلك فهو مستحدث ؛ كطريقة النقشبندية التي تزعم أنها تنتهي إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . والباطنية هم الذين اخترعوا مسألة كون الشريعة لها ظاهر وباطن ، وكون أئمة الباطن هم العارفين بتأويل القرآن وحقيقة الدين دون غيرهم ، وكونهم يتصرفون بأمر

(١) حياة الأستاذ الإمام : ج ١ - ص : ١٢٣ - ١٢٥ .

الكون ، وهم الذين أدخلوا على التصوف بدعة وحدة الوجود البرهمية ،  
ونزعات فلسفة اليونان النفسية .

وكان غرضهم من ذلك إفساد عقائد الإسلام وإزالة سلطانه وحكمه .  
وكانوا يعنون بالأئمة والأقطاب وأهل الديوان المستورين أممة نحلتهم ؛  
الذين يريدون رفعهم إلى عروش الممالك ليتمموا لهم ما يريدون بقوة  
السلطة ، بعد التمهيد العظيم له بالدعوة . وقد تم لهم أمر الملك في مصر  
بدولة العبيديين ، ولكنهم عجزوا عن إبطال الإسلام وإفساد أمره .

لقد امتزجت دسائس الباطنية بتعاليم الصوفية ، فراج بعضها على  
الأكثرين وبعضها على الأقلين . وعز التمييز بينها حتى على كثير من  
العلماء الراسخين ، كما راج على الأكثرين ما دخل عليهم من البدع  
الأخرى ، لجهلهم بالسنة الصحيحة وسيرة السلف المقتدى بهم من  
من الصحابة وأئمة التابعين .

فالضلالات والبدع المتغلغلة في كتب الصوفية قسما ؛ أحدهما :  
ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف  
الإسلامي ، وليس له أصل من كتاب ولا سنة . ثانيهما : ما أحدثه بعض  
شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر المخالفة للسنة في ذاتها وفي کیفیتها .  
ولا يخفى أنه ليس لأحد بعد زمن الوحي أن يجعل بعض العبادات  
- التي لا أصل لها في الدين - شعائر تؤدي بطريقة مخصوصة في أزمنة  
مخصوصة بكيفية مخصوصة ؛ إذا لم يرد هذا التخصيص في السنة

المتبعة . مثال ذلك : صلاة رجب - الرغائب - وشعبان اللتين نصَّ  
الفقهاء على كونهما من البدع المذمومة . وقسَّ عليهما ما هو دون الصلاة  
من شعائره ؛ كاجتماع لقراءة الأوراد ، والدلائل والأذكار بالكيفيات  
المخصصة ، في الأيام المعلومة والمواسم المؤقتة ؛ كالموالد وما فيها من  
البدع والمنكرات الكثيرة .

### كلمة لابن خلدون عن التصوف

قال ابن خلدون في مقدمته ، في سياق الكلام عن التصوف<sup>(١)</sup> :  
[ ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة ، متكلمون في الكشف وفيما وراء  
الحس ، توغلوا في ذلك ، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة وملؤوا  
الصحف منه ؛ مثل الهروي في كتابه : المقامات وغيره . وتبعه ابن عربي  
وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي  
في قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة  
القائلين بالحلول . وإلهية الأئمة - مذهباً - لم يعرف لأولهم ، فأشرب  
كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم وتشابهت  
عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب - ومعناه رأس العارفين -  
يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ،  
ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان ] أ. هـ .

(١) مقدمة ابن خلدون .

## تخصّصات صوفية معاصرة

طالعنا جريدة الرأي الأردنية الغراء - بعددها رقم ٢٠٥٧ وفي الصفحة  
العاشرة بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ . الموافق ٣٠-٤-١٩٧٧ م .  
بالحوار الذي جرى بين مندوبة الرأي والشيخ حازم أبي غزالة - شيخ  
الطريقة الشاذلية - وكان الحوار بعنوان : حديث عن التصوف من  
وراء الحجاب . وفيما يلي ردي وتعقيبي على عدد من النقاط التي وردت  
على لسان الشيخ أبي غزالة وهذه بعضها :

١ - قال الشيخ حازم : [ إن الانفراد الذاتي عند المتصوفة للتجرد  
والانعزال للعبادة وذكر الله سبحانه ، هو كما كان عليه رسول الله ﷺ ] .  
فالجواب : إن دعوة ترك العمل والانعزال عن المجتمع دعوة للتخلف  
والضعف والضياع ، فإن المال والرزق من أهم أسباب القوة والمنعة  
وحفظ العقيدة والوطن .

ألم يقل الحق سبحانه وتعالى : ( وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ) (١) .  
وقد حث الإسلام على العمل ورفع شأن العامل ، فقال سبحانه : ( فَأْمُرُوا  
فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ) (٢) .

وكما هو معلوم فالكسب هو سنة الأنبياء عليهم السلام . قال عليه  
الصلاة والسلام : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

(٢) سورة المسك : ١٥ .

يَدِهِ . وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » (١) .

ومن جهة ثانية فقد نهى رسولنا ﷺ عن السؤال فقال : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَحْتَضِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » (٢) وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » (٣) .

إن الدعوة إلى التجرد عن الكسب - موضع البحث - دعوة إلى البطالة والكسل ، وفي ذلك تهديد خطير ودعوة سافرة لانهايار المجتمع وتعطيل لإعمار الأرض ، ومخالفة صريحة لروح الإسلام وطبيعة الدعوة المحمدية التي جاءت لصالح البشرية وإسعادها وخلصها من الفقر والمرض والجهل .

إن الإسلام - والحمد لله - دين العمل المنتج والنشاط الدائم ، ولم يكن في يوم من الأيام دين بطالة أو كسل أو تطفل . ورحم الله أبا بكر الصديق فقد خرج صبيحة يوم توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده في سوق المدينة ، ولما طلب منه ترك ذلك ليشتفرغ لشؤون الخلافة قال : فمن أين أطمع عيالي ؟ ! .

وهذا رد على من قال بالتواكل ، ولم يقل بترك العمل والانعزال عن المجتمع إلا من جهل العلم والشرع ، وأساء فهم المراد بالمال . ألم يضرب الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدُرته من كان متفرغاً

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

(٣) متفق عليه .



للعبادة في المسجد ؟ . وقال له : إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ؟ .  
وقد ثبت في الحديث عن أم سليم أنها قالت : يا رسول الله : خادمك  
أنس ، ادع الله له . فقال : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا  
أَعْطَيْتَهُ » (١) ، وكذلك ورد عن الرسول ﷺ أنه قال : « نِعَمَ الْمَالُ  
الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ » (٢) .

وكما لا يخفى على كل ذي بصيرة ، فإن الدعوة للبطالة والانزواء  
دعوة صريحة للفقر والتذلل وإهانة للنفوس الكريمة ، ولا يوجد أشد على  
النفوس والمجتمع من الفقر ، وكان الرسول ﷺ يستعيد من الفقر ويقول :  
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذُّلَّةِ » .

وأكثر الصحابة - رضوان الله عليهم - كسبوا الأموال وخلصوها ،  
ولم ينكر أحد منهم على أحد . فهؤلاء هم قدوتنا ، فعلينا بالاتباع لا  
بالابتداع .

أقول : إن فيما أوردت من آيات كريمة وأحاديث صحيحة ، تجدها  
تحض وتحث على العمل والسعي للكسب الحلال ، ما دام ذلك بالطرق  
المشروعة ، وتلك سنة الأنبياء والمرسلين ... فهل بعد هذا البيان الواضح  
الذي لا يختلف فيه اثنان ، مجال للدعوة إلى التجرد للعبادة والتفرغ ،  
دون عمل أو كسب للحصول على العيش الشريف ؟ ! ألم يكن في  
دعوة التجرد والتفرغ والانعزال افنتشات على الشرع الحنيف ومدعاة  
للتواكل والهوان ؟ !

(٢) رواه الإمام أحمد .

(١) متفق عليه .

٢ - قال الشيخ أبو غزالة : بإمكانية الجلوس مع الحق سبحانه ومكالمته والوصول إليه .

الجواب : تعقيباً على هذا أسوق النصوص التالية :

قال تعالى : ( وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ) (١) .

وكذلك يقول تعالى : ( وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) (٢) .  
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ تَعَالَىٰ ؟ . قال : نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ » (٣) .

يخبر الحق سبحانه في الآية الأولى رسوله موسى - عليه السلام - بأنه لن يراه ، كما في قوله تعالى : ( لَنْ تَرَانِي ) وحين أفاق موسى عليه السلام من الصعق ، قال : ( سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ) وفي الآية الثانية ينفي الحق تبارك وتعالى مكالمته لكائن من كان من خلقه - سبحانه عز وجل - إلا من وراء حجاب ، وهذا في حق أنبيائه وخيرة خلقه من رسله الكرام .

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٢) سورة الشورى : ٥١ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم والترمذي .

وكذلك عندما سئل رسولنا عليه الصلاة والسلام ، عن رؤية الله سبحانه ليلة المعراج أجاب بالنفي وقال : « أنى أراه ؟ . » .

بعد هذه النصوص الشريفة من القرآن والسنة ، التي تنفي كلها نفياً قاطعاً إمكانية مكالمة الحق سبحانه بدون حجاب ومجالسته !! . بعد هذا كله يطلع علينا في هذه الأيام من يدعي ويقول بإمكانية المكالمة والمجالسة والوصول لجناب الحق سبحانه !! . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أقول : إذا لم يحصل ذلك للأنبياء الكرام ، فكيف يجوز ذلك لغيرهم ؟ ! . أليس فيما ذكرناه من أدلة قرآنية ونصوص نبوية ، كفاية لإبطال دعوى التحدث والمجالسة والوصول إلى الله عز وجل ؟ ! . إن لنا في سيرة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - القدوة والأسوة الحسنة . فهل نقل عن واحد منهم أنه جلس مع الله ، أو وصل إليه أو كلمه ؟ ! . وهم من القرون المفضلة .

٣ - أما دفاع الشيخ - أبو غزالة - عن الحلاج وتبرئته ، والتماس الأعذار له عندما نطق الحلاج بكلام يخرج صاحبه من الملة الإسلامية ؛ بدعوى أنه الحق حين قال الحلاج : أنا الحق . وما في العجة إلا الله .

الجواب : جاء القرآن والسنة باللغة العربية ، وبلسان عربي مبين ، ونحن معشر المسلمين لم يتعبدنا الحق سبحانه بالطلاسم ، وإنما تعبدنا سبحانه بما أنزله في قرآنه العربي المبين ، وبما جاء في سنة نبيه المطهرة

الواضحة النقية . ولنسمع قول الحق سبحانه : ( وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ) (١) .

وكذلك يقول عز وجل : ( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) (٢) .

أقول : إذا كان القرآن الكريم يفسر بغير اللغة العربية ، فكيف يخاطبنا ربنا تبارك وتعالى بتدبره ؟ ! .

إذن : ما قاله الحلاج ونطق به لسانه : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله . هو من الكفر الصريح ، الذي لا يتنازع فيه اثنان من عقلاء الأمة .

وبناءً على ما بدر منه فقد أجمع علماء بغداد - في عصره - على كفره وزندقته ، ورفعوا أمره إلى الخليفة ، وأفتوا بقتله سنة ٣٠٩ هـ . وإليك موجزاً من مصير الحلاج بعدما صرح بما صرح به من الكفر والإلحاد .

جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ صفحة ٢٦١ - ٢٧٢ ما خلاصته : [ بعد أن أجمع علماء بغداد في عصره قرروا ما يلي : أن يضرب - الحلاج - بالسياط ألف ضربة ، وأن تقطع أطرافه ويحز رأسه ، وأن يحرق بالنار لزندقته حيث قال : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله ] .

(١) سورة القمر : ١٧ .

(٢) سورة محمد : ٢٤ .

وفعللاً ضرب ألف جلدة يوم الثلاثاء ٢٣ ذي القعدة سنة ٥٣٠٩ هـ .  
ثم قطعت أطرافه الأربعة ، وأحرق بالنار وصلب رأسه على جسر بغداد ،  
وألقي رماده في نهر دجلة .

وقال أتباعه : إنه لم يمّت ، ولكن شبه لهم . وسيعود بعد أربعين  
يوماً .

فهل إجماع العلماء في تلك القرون المفضلة كان خطأً ؟ !! . وهل  
تجتمع الأمة على ضلالة ؟ ! .

أترك الجواب لأصحاب العقول الراجحة ، والأفهام الصحيحة  
والفطر السليمة .

## علماء السوء

لما كان العلم منحة ربانية ، وعبادة إسلامية ، وفريضة دينية وشعيرة تعبدية ، فقد أولاه الإسلام جل عنايته وعول عليه ؛ فهو ركن هام وأساس قويم لا تستقيم الحياة إلا به . لذا نجد الإسلام قد رغب فيه ورفع منزلة طلابه وحض على طلبه والتحصن به ، لأنه السلاح المتين والحصن المكين الذي من سلك إليه وولج في كنفه وعرف سبيله ، فقد اطمأن وفاز وحقق العبودية لله الواحد القهار .

ويكفي العلم شرفاً أنه صفة جليلة من صفات الله تعالى ، وفي هذا يقول سبحانه للملائكة الكرام : ( إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ )<sup>(١)</sup> . وقال عز وجل : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ )<sup>(٢)</sup> .

ومن جهة ثانية فقد أثنى سبحانه على العلم<sup>(٣)</sup> والعلماء فقال : ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ )<sup>(٤)</sup> . وقال سبحانه وتعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة البقرة : ٣٠ . (٢) سورة آل عمران : ٥ .

(٣) العلم علمان : محمود ومذموم . والمحمود قسمان ، فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين ، كعرفة العقيدة الصحيحة والإيمان بالله ، وغيره من العبادات . أما فرض الكفاية ؛ فهو ما له صلة بمصالح الدنيا . . . والمذموم : مثل السحر والتنجيم والكهانة والتنويم المغناطيسي والشعوذة والحجابه والفتح بالفنجان وغيرها من الأعمال الضارة .

(٤) سورة الزمر : ٩ . (٥) سورة فاطر : ٢٨ .

ولقد حدد القرآن سمات العلماء ، ورسم لهم صورة مشرقة منيرة توحى بما يصنعه العلم في قلوب أصحابه وسلوكهم ؛ فيملاً قلوبهم خشية ورجاء ، ويفيض على جوارحهم قنوتاً وطاعة وعبادة .

قال تعالى : ( أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) (١) .

والعلماء - لما يرون من آثار قدرة الله ، ولما يفهمون من علمه وتدبيره وعظمته - هم أعرف به وأخشاهم له وأحرصهم على طاعته ورضاه ؛ فهو سبحانه ولي نعمهم ومصدر علمهم ، وهو الذي وهبهم العقل والتفكير ورفعهم فوق كثير من خلقه وجعلهم هداة وقادة ، فإذا أفسدوا وزاغوا بعلمهم عن أصله ، وانحرفوا به عن نهجه وأصبحوا دعاة إلحاد وفجور؛ يقطعون على المؤمن الطريق إلى الله ، فقد نكثوا عهدهم وخانوا أمانتهم وتخلوا عن رسالتهم ، وكفروا بنعمة ربهم وبعدوا عن إنسانيتهم (٢) .

وضرب القرآن مثلاً لعالم انسلخ من آيات الله ، فصوره في صورة إنسان هابط ممسوخ في صورة حيوان ، قال تعالى : ( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثُ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

(١) سورة الزمر : ٩ .

(٢) منهج القرآن في التربية .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١)

واتخذ من علماء يهود مثلاً لعلماء السوء أنفسهم - واتخذوا من العلم بضاعة يأكلون به أموال الناس بالباطل ، وهم بما يلبسون من مسح - ملابس الكهنوت - وبما يدعون من علم ، وبما يحملون من كتاب فتنة للناس ، لهم في قلوب أتباعهم قيمة ، ولهم في الحياة شأن واعتبار .

وعلماء السوء هم آفة المجتمعات في كل زمان ومكان ؛ فوظيفة العلماء في الحياة أنهم هداة البشرية في طريقها إلى الله ، وهم حملة مشاعل الهدى والنور ، وهم حماة المثل والأخلاق ، فإذا فسدوا أصبحوا فتنة كبيرة ، وفسد بفسادهم خلق كثير ، ولذلك وضع القرآن من قيمتهم وحط من شأنهم وسلكتهم في زمرة الأنعام ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :

( مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) (٢)

ومن جهة ثانية فإن للعلماء العاملين مكانة رفيعة سامية ؛ لما ورد عن النبي عليه السلام - حينما ذكر له رجلان أحدهما عابد والآخر عالم - فقال : « فَضَّلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحَتَّى النَّمْلَةَ فِي مَجْرَاهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْمَاءِ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ » (٣) .

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦ . (٢) سورة الجمعة : ٥ .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .



وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ  
النُّجُومِ أَوْشَكَ أَنْ تُضِلَّ الْهُدَاةَ » (١) .

كل ذلك الإكرام للعلماء الذين يحرسون الإسلام ؛ الأمناء على دين الله .  
الداعين الحكام والمسؤولين كافة إلى تطبيقه ، بلسان صدق . فكانت  
أعمالهم ترجماناً لتعاليم القرآن والسنة . يقولون للناس أجمع - حكاماً  
ومحكومين : تعالوا من هنا الدرب ؛ درب الإسلام صراط الله العزيز  
الحميد .

وكذلك فمنزلة العلماء منزلة رفيعة - رفعها الله - إذا ما أدوا ما نيظ  
بهم . ويكفيهم فخراً أنهم ورثة الأنبياء ، والله يقول فيهم : ( إِنَّمَا  
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) . يعني : العلماء بالله عز وجل .

قال ابن عباس : [ يريد : إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي  
وسلطاني ] . قال مجاهد والشعبي : [ العالم من خاف الله تعالى ] . وقال  
الربيع بن أنس : [ من لم يخش الله فليس بعالم ] .

وقال تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ  
بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ) (٢) .

جاء في الحديث : « يُجَاءُ بِالْعَالِمِ السُّوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَذَفُ فِي النَّارِ  
فَيَدُورُ بِقُضْبِهِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَا . فَيُقَالُ لَهُ : بِمَا لَقِيتَ هَذَا ؟  
وَإِنَّمَا اهْتَدَيْتَنَا بِكَ . فَيَقُولُ : كُنْتُ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ » .

(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .

(١) رواه الإمام أحمد .

وقال رسول الله ﷺ : « أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَاءُهَا » (١) . وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا . » .

وليس يعيب علماء المسلمين أن يعجزوا عن الدفاع عن الإسلام مرة ومرات ، وأن يؤدي هذا العجز إلى نتائجها الطبيعية والمنطقية ، وإنما يعيبهم أن لا يبذلوا ما استطاعوا من جهد ووقت في الدفاع عن الإسلام . ولا شك أن بعضهم قد استفرغ جهده ووقته في هذا السبيل ، لكن الظروف لم تكن مواتية في بعض الأحيان . ولا شك أيضاً في أنهم لا يزالون يستفرغون كل جهد ووقت في كفاحهم المستمر ، وهو يرجون أن يكتب لهم النصر والغلبة .

وفي البلاد الإسلامية اليوم جيل مثقف ثقافة إسلامية عالية - والحمد لله على نعمائه - حريص على أن يعيد للإسلام ما فقده ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا عيب فيهم إلا أن بعضهم متأثر بأسلافه إلى حد كبير في بعض الاتجاهات ، حيث يصرف هؤلاء أكثر جهدهم في العبادات والمواظب ، ولو أنهم صرفوا أكثر جهدهم في تذكير المسلمين بعقيدتهم وما أصابها من الشرك ، وشريعتهن المعطلة وقوانينهن المخالفة للشريعة ، وحكم الإسلام فيها لكان خيراً لهم وللإسلام .

فعلى هذه الطبقة المسلمة والمتعلمة المؤمنة ، العمل على إقناع الطبقات

(١) رواه الإمام أحمد وغيره . انظر السلسلة الصحيحة : ج ٢ - ص ٣٨٦ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

الثقافة ثقافة غير إسلامية - افرنجية - لأنهم المسيطرون على الحياة العامة ويبدعهم الحكم والسلطان في بلاد الإسلام ، وكان من الأولى أن يبذل علماء المسلمين جهداً في إقناع هذا الفريق وتعليمه ما يجهل من تعاليم الإسلام وأحكامه ، وإعلامه بدستور البشرية وتشريع السماء ، فلو عرف هؤلاء الإسلام على حقيقته لكانوا خير السفراء والدعاة للإسلام .

إن من أهم واجبات علماء الإسلام أن يبينوا للحكام والقادة ورجال الهيئة التشريعية حكم الإسلام في القوانين المخالفة للإسلام وفيمن يضعها وينفذها ، ومعظم هؤلاء مسلمون يكرهون أن يحددوا قيد شعرة عن الإسلام ولكنهم يجهلون أحكامه .

كما أن من واجبات علماء الإسلام عدم إصدار أي قانون جديد إلا تحت رقابتهم وبعد استشارتهم ، حتى لا يصدر أي قانون جديد على خلاف الإسلام .

فلنعلم جميعاً أن العيب الوحيد في كل بلاد الإسلام هو جهل المسيطرين عليها بأحكام الإسلام ، وجهل جمهور المسلمين أحكام دينهم . ووسيلتهم هو إصلاح هذه الحال بتعليمهم الإسلام بالطريقة التي درج عليها وألفها ، ولن يستنكف مسلم أن يتعلم ما يجهله من أحكام دينه<sup>(١)</sup> .

وإني إذ ألفت نظر علماء الإسلام إلى اتخاذ وسائل معينة ، لمعالجة أحوال المسلمين ، وهم أصحاب رسالة عظيمة ، هؤلاء هم ورثة الأنبياء

(١) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه : ص ٦٤ وما بعدها . بتصرف .

كما ورد ذلك في الآثار ، وعليهم تبعات جسيمة فلا بد من تحملها .  
وهذه نصيحتي لأن الدين النصيحة .

وفي اعتقادي أن خير ما ينفع الإسلام هو تعريف الجميع بالإسلام  
صراحة ، وبيان ما لحق به من محاولات تشويه وتحريف لمعالمه السامية  
وعقيدته النقية الصافية ، على أيدي الأعداء من دعاة السوء والفساد ،  
وطوابير التنصير والاستشراق ، ولنا في سلفنا الصالح القدوة الحسنة ؛  
أمثال ابن حنبل وابن تيمية وسلطان العلماء العز بن عبد السلام ،  
وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله أجمعين .

قال تعالى : ( وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ) (١) .

### تعطيل مهمة العلماء

لا يخفى على أحد أن كثيراً من العلماء في هذه الأيام قد تخلوا عن  
مهماتهم ، والواجبات الخطيرة التي يفترض ألا تسند إلى غيرهم مما أفقدهم  
ثقة الأمة بعد أن أصبح هؤلاء العلماء يسخرون القرآن لمصلحة الحكومات ؛  
بدل أن يجعلوه وسيلة لإنقاذ الشعوب والنهوض بها .

وكلما حزب الأمر إحدى الحكومات لجأت إلى بعض العلماء ،  
فأسرعوا يردون المسلمين إلى طاعة الحكومات ؛ التي تبيح الخمر والزنا

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .

والكفر والفسوق والمجون ، وتستبدل بحكم الإسلام أهواء الناس  
ونزوات الحكام والأحزاب (١) .

وطال هذا الأمر بالمسلمين حتى ظن جمهرة المسلمين أن ما نحن فيه من  
فسوق وعصيان هو الإسلام الصحيح ، ففشا الفجور والفسق والبدع  
والشرك وعم الفساد وعز الإصلاح ، وكل ذلك بفضل تضليل علماء  
السوء المنتسبين إلى الإسلام وتهاونهم في إقامة أحكامه .

والذي لا ريب فيه أن مكانة علماء الدين جزء من مكانة الإسلام نفسه ،  
والتقدير الذي ينالونه جزء من تقدير الإسلام نفسه ، ولن يكون للإسلام  
المكانة والتقدير اللذان يليقان به ، إلا إذا كان لعلمائه مكانة وتقدير

(١) ومن المؤسف حقاً في هذا الزمان ، أن العالم الذي ينال حظوة وتقدير لدى الحكام والسلاطين ،  
لا بد له من توفر مؤهلات وشروط خاصة به ومن أهمها : الولاء المطلق لسيدته صاحب النعمة  
والصويلحان ، والتزلف والركوع على أعتابه والتسبيح بحمده والامتثال لأمره ، وإصدار  
الفتاوى بما يتناسب وذوق الحاكم بأمره ، وحسب عرف سيد عصره ، وإن كان ماسونياً  
وعلوأ لدينه وبني قومه .

وبهذا يستطيع الواحد من هؤلاء التمشيخين الجهلاء نيل المراد بملء الجيوب والبطون ،  
والحصول على المراتب والنياشين ، وذلك على حساب الدين ومصالح المسلمين . وكم عرفنا  
من هؤلاء التمشيخين المتعممين الوصوليين ، الذين كانوا يصعدون المنابر أيام الجمع  
— وفي مدينة الزرقاء — فيتملقون ويتبجحون ويموهون على العامة والبسطاء ويتخرصون ،  
أما أحكام الدين والسُنن المعطلة والعقائد المشوهة ، فلا تهمهم . وقد تجادلت مرة مع أحدهم  
بهذا الشأن ، إلا أن شيطانه استحوذ عليه وأخذته العزة بالإثم ؛ واستمر في ظلماته متاجراً  
بالنفاق والبدع السقيمة وخرافات التصوف المفقوتة التي بدلس بها على العوام ، فيركن إليها  
ضعاف العقيدة والنفوس العليلة . . . ومع أن الكثير من هؤلاء الدجاجلة معروف ومكشوف  
إلا أنه يجب التحذير من ضلالهم وإفكهم وكشفهم ، فهم يلتقون مع أعداء الله في محاربة  
المسلمين وتشويه الدين . . . ولا يحيط المكر السيئ إلا بأهله . . . . .

في نظر المسلمين ، وإجلال واحترام في نظر الحكومات ، وكما هو معلوم بالضرورة أننا لا نؤمن برجال الدين لأننا نعتبر كل مسلم رجل دين ، وكل متفقه عالماً دينياً .

فلا يقر الإسلام علماء دينيين رسميين ، ولا رجال دين رسميين ، بل يجيز لكل مسلم مثقف - مهما كان شأنه - أن يتحدث باسم الإسلام ، مادام يملك القدرة على التحدث عنه .

إن لون الحكم في معظم دول المسلمين يكاد يكون مغايراً لشريعتهم ، حيث تسود القوانين الوضعية بدلاً من القوانين الشرعية ، وإن شعوب هذه الدول تكاد تكون مستعبدة استعباد السادة للرقيق ، وتفرض هذه الأحكام الكبت والسكينة والانزواء ، فهل رأينا ثورة لعلماء الدين ضد أي لون من ألوان الحكم الجائر في دولة مسلمة ؟ !! . اللهم لا ، وألف لا !! .

علماء الدين في بلاد المسلمين لهم القدرة على أن يجعلوا مطية لرقبات الحكومات ، وأن يجعلوا هذا الدين الضائع ملبياً لكل اتجاهات هذه الحكومات ، سواء كانت خيراً أم شراً .

وخطباء المساجد مستعدون لأن يذيعوا على الناس ما يطلبه أسيادهم ، ولكنهم غير مستعدين لأن يشيعوا المعاني الإسلامية من تلقاء أنفسهم ، وبوحي من عقيدتهم وأفكارهم ، وخاصة ما يتعلق بالتوحيد والجهاد والحكم الصالح .

لقد استعان الاستعمار والاحتلال في شرقنا الإسلامي ببعض المحسوبيين على الإسلام ، وصدرت فتاوى كثيرة من العلماء بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، لا جهاد الاحتلال الذي يمتص دماء المسلمين ، والله تعالى يقول : ( إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (١)

### مواقف خالدة

وفيما يلي أضع بين يدي القارىء بعض المقتطفات لبعض مواقف علماء الإسلام ، أسوقها هنا لتكون درساً وعبرة للأجيال ؛ لقد كان علماء الدين في العصور الإسلامية الأولى أصحاب كرامة يضحون بالأرواح ، كذلك كان في العصور الإسلامية الأولى ملوك وحكام بلغوا القمة من الجبروت والسطوة ، لم يستطيعوا أن يسيطروا يوماً على علماء الدين ؛ ليسخروا دين الله لأهوائهم ورغباتهم . فهؤلاء العلماء من الرعييل الأول الذين عطروا التاريخ ، وكانوا بحق منارة في سجل الخالدين .

أولاً : غاضب العز بن عبد السلام سلطان دمشق - الصالح إسماعيل - لأنه استعان بالافرنج ومنحهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف ، فأنكر

(١) سورة المائدة : ٣٣ .

عليه الشيخ ذلك وترك الدعاء له في الخطبة ، وغضب السلطان عليه ، فقرر الهجرة إلى مصر ، وفي منتصف الطريق وصل إليه رسول السلطان يرجوه العودة إلى دمشق وقال له الرسول : ما عليك إلا أن تقبل يد السلطان ، وتعود الحياة إلى مجاريها . فأجاب الشيخ بإباء وشمم : يا مسكين ، والله ما أرضاه أن يقبل يدي ، فضلاً عن أن أقبل يده . أنتم في واد وأنا في واد . والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به أ.هـ . ولقي سلطان مصر الصالح أيوب ، فسأله أحد تلاميذه عن لقائه السلطان ، فأجاب : استحضرت هيبة الله فصار السلطان قدامي كالقط<sup>(١)</sup> .

ثانياً : امتنع أبو حنيفة عن تولي القضاء للخليفة المنصور ، وأوذي في سبيل ذلك حتى مات . وامتنع غيره لأنهم كانوا يرون أن الإمكانيات لا تتوفر لهم في إقامة العدل كما يرضاه الله تعالى .

ثالثاً : ومن مواقف علماء الإسلام الخالدين ؛ موقف الإمام مالك الذي أفتى أهل المدينة المنورة بمبايعة إبراهيم بعد أن بايعوا المنصور وقال : إنكم بايعتموه مكرهين وليس على مكره يمين .

رابعاً : وبعد ذهاب دولة بني أمية طلب من الإمام الأوزاعي أن يفتي بحل دماء بني أمية فأجاب بأن دماءهم حرام . والسيف وصلت فوق رأسه .

خامساً : وكذلك لا ننسى مواقف علماء السلف الصالح الذين جاهدوا

(١) انظر : الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه . ورسالة إلى ورثة الأنبياء : ص ٣١ وما بعدها .



بكل ما يملكون في سبيل الإسلام ؛ أولئك الذين خلفوا آثاراً تقرأ .  
ومنهم الإمامان ابن حنبل وابن تيمية ، عليهم رحمة الله جميعاً<sup>(١)</sup> .

سادساً : ونذكر من الخلف الصالح هؤلاء الخالدين ؛ عز الدين  
القاسم ، سيد قطب ، حسن البنا ، محمد الياس ، المودودي ، الندوي .

إن الفرق بين علماء الدين في العصور السابقة ، وبين علماء الدين  
في أيامنا كبير ؛ فأولئك كانوا يطلبون بدينهم رضا الله والآخرة ،  
وهؤلاء يطلبون بدينهم الزلفى للحكومات والدنيا ، ويدفعونه ثمناً  
للمناصب والجاهات .

لقد ارتكبت المظالم واستحلّت المحارم ، وأريقّت الدماء وانتهكت  
الأعراض وعم الفساد في الأرض ، وتعدى الحكام والقادة حدود الله ،  
فما تحرك العلماء للمظالم ولا غضبوا من استحلال المحارم ، كأن  
الإسلام لا يطلب إليهم شيئاً ، ولا يفرض عليهم فرضاً ، ولا يوجب  
عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يلزمهم نصيحة الحكام  
والمطالبة بالرجوع إلى أحكام الإسلام .

(١) وفي هذه الأيام يحمل لواء الإصلاح ويقف في وجه الإلحاد والشرك والابتداع وخرافات  
التصوف ، ثلة فاضلة من العلماء الأجلاء نذكر منهم : الشيخ محمد أبو شقرة والشيخ يوسف  
البرقاوي والشيخ أسعد بيوض التميمي ، من كبار موظفي وزارة الأوقاف الأردنية ،  
والشيخ عبد العزيز بن باز رئيس البحوث والإفتاء والإرشاد وأحفاد الإمام المجدد الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب في السعودية والشيخ عبد الله الأنصاري رئيس الشؤون الدينية والقاضي  
أحمد بن حجر في قطر والمحدث الشيخ ناصر الدين الألباني ، والشيخ نسيب الرفاعي في  
سورية ، وأنصار السنة المحمدية والشيخ محمد قطب في مصر ، نفع الله بهم الأمة وجزاهم الله  
عنا خيراً .

إن العلماء ورثة الأنبياء ، وما يليق بالعلماء أن يقفوا هذا الموقف من ميراث الأنبياء . ولقد فرض الإسلام على العلماء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن سيقوم بهذا الواجب إذا أهمله السادة العلماء ؟ ! .

وبعد : فإن عزة الإسلام من عزة علمائه ، وقوته من قوتهم ، فإن شتم - أيها العلماء - أن تشعروا بالعزة والقوة فاعملوا لعزة الإسلام ولقوة المسلمين .

هذه دعوتنا صادقة مخلصه لوجه الله ، فهل من مجيب ؟ ! والله الموفق والمستعان .

## فساد العلماء

كان سفيان الثوري - رحمه الله - يقول : إذا فسد العلماء فمن بقي في الدنيا يصلحهم ؟ ! . ثم ينشد :

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الزاد إذا الملح فسد

ثم يقول : وفسادهم بميلهم إلى الدنيا ، وإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره ؟ ! .

وكان يقول : العلماء ثلاثة : عالم بالله وبأمر الله ؛ فعلامته أن يخشى الله ويقف عند حدوده . وعالم بالله دون أوامر الله ، فعلامته أن يخشى الله ولا يقف عند حدوده . وعالم بأوامر الله دون الله ؛ فعلامته

أن لا يقف عند حدود الله ولا يخشى الله ، وهو ممن تسعر بهم النار  
يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

ومن صفات علماء الآخرة : ألا يتسرعوا إلى الفتوى ، وألا يفتوا  
إلا بما يتيقنون صحته . وقد كان السلف الصالح يتدافعون الفتوى حتى  
ترجع إلى الأول<sup>(٢)</sup> .

وقال سعيد بن المسيب : « إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا  
منه فإنه لصر » .

وقال بعض السلف : إنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من  
دينك أفضل منه .

وفي ختام بحثي هذا أقول : إن المسلمين أجمع مشتركون في المسؤولية ،  
وإن كانت مسؤولية العلماء أعظم وأوثق ؛ ويؤيد عموم مسؤولية  
المسلمين قول النبي الكريم ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ - والخطاب عام -  
لَا يَهْتَمُّ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ »<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع مجلة المجتمع العدد ٣٣٩ سنة ١٩٧٧ . الكويت .

(٢) للبسط في هذا المقام يراجع كتاب : أعلام الموقعين - للعلامة ابن القيم ، فهو سفر نافع جدير  
بالمطالعة والاعتناء .

(٣) رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية . المقاصد الحسنة ص : ٤٢٨ .

## الأمراء والحكام الجاثرون

مما لا شك فيه أن الصراع بين الحق والباطل مستمر ، ولن يتوقف مادام الليل والنهار ، ولكن العاقبة للحق وأهله ولو كره المجرمون . إن المؤامرات على الإسلام وأهله تترى ولن تنقطع ، ولها في كل يوم وجه ، ولكل وجه قناع وتتحول من كيد إلى فتنة إلى حروب ومنازعات ، يشتعل أوارها لأنفخ الأسباب ، حيث ينقسم البلد الواحد إلى فئات وطرائق متنازعة متناحرة ، فرّقها الدخيل وتزعّمها العميل ، الذي ليس له من مهمة سوى التفرقة وإشعال الفتيل ؛ مما أفقد الأمة صوابها لغياب الراعي المصلح وفقدان الدليل .

لقد ابتليت أمة العرب والإسلام بحكام وأمراء منذ زمن ليس بالبعيد - ابتليت بهم فجنوا وتجنوا على الإسلام وأهله - ولا زالت شعوبهم تدفع ثمن تفريطهم ، وستبقى حتى يأتي اليوم الذي يكون فيه كرسي الحكم والإمارة بيد أهل الحل والعقد وعن طريق الشورى - كما كان عليه عهد السلف الصالح - وليس وراثياً ؛ بحيث يصبح إشباعاً للشهوات وتحصيل المطالب والرغبات ، حيث تتعطل المصالح العامة وتهدر القيم وتسود المصالح الفردية ، وتؤثر على حساب المجتمع لأجل فئة قليلة اشترت الكرسي بكرامتها ، وعلى حساب ماء وجهها الذي تبخر حيث باعت نفسها للشيطان ، وربطت مصيرها الأسود بحلف إبليس الذي يضم كل ناعق خسيس .

لا زال المسلمون يجنون ويحصدون ثمار تفريطهم ، خاصة وأن  
حكامهم وأمراءهم الذين ابتليت بهم أمتهم قد تركوهم يئنون تحت  
وطأة الأعباء الثقيلة ، والتركات المثقلة التي لا تحسد الأمة عليها .

هذا ما كان يرجوه ويخطط له أعداء هذه الأمة منذ أمد بعيد . هؤلاء  
الحكام الذين بنوا على الإسلام دنياهم ومناصبهم ، والذين لا صلة لهم  
بالإسلام ودعوته وتعاليمه ، إلا ما كان محققاً لأهدافهم وأغراضهم .

إن دعوة الإسلام لأهل الأرض خفت صوتها ، وضاع أثرها وأصبحت  
أثراً بعد عين ؛ لأن هؤلاء الحكام لم يكن لهم أي تفكير فيها ولا بما  
ستؤول إليه ؛ حيث كان جل اهتمامهم بمناصبهم ومناصبهم الشخصية ! .

وكما لا يخفى ، فإنهم كانوا ينظرون لأمة الإسلام كقطعان من الخلق ؛  
تنفذ ما يسند إليها من تعليمات ، وتدفع الضرائب وتحقق المآرب  
فحسب .

أما إقامة أمرها على الدين ، وبناء كيانها على الخير ، ونشدها صالحها  
العام في كل حين ... فلم يكن إلا ما تلوكة الألسنة ولم ينفذ منه  
شيء إلا بمقدار ، ولم يكن لهم من سبيل سوى ما يزعمون به تملقاً ورياءً .  
ومن جهة الواقع فلا يتطرق إلى الحياة عملاً ، سوى شراء الذمم والتلاعب  
بمقدرات الأمة ..

فهل يستغرب أن يتصدع الإسلام ، وتضعف شوكته وتتلاشى دولته ،  
بعد أن تبقى هذه الأحوال عصوراً متتابعة ؟ !! .

هؤلاء الحكام لم ينهمكوا ولم يكلفوا أنفسهم في التفكير في مصير الإسلام ووحدته وقوته ، واستئصال شأفة الموقفات التي تقف في وجهه كعقبة كآداء ، ولم يكن يخطر ببالهم صد الاعتداءات المتعاقبة والضربات المتكررة ، التي وجهت إلى المسلمين في الحقب المتتابعة ، لأن الإسلام نفسه لا يعنيههم ، وهو - إذا اهتموا به - يجيء بعد اهتمامهم بخاصة أنفسهم وشؤون ملكهم وكراسيهم وأسرهم وأهواء حاشيتهم . الخ .

ولقد دفع المسلمون ثمن هذا الانحراف والعصيان السافر والاستهانة البالغة ، دفعوا الثمن غالباً لأنهم لا بد أن يحصدوا نتاج ما زرعه تلك الفئة ، التي تربعت على سدة الحكم وأهملت الأمة ، ولم تقف في وجه الباطل وتقوم الاعوجاج ، الذي صدع صرح الأمة وأعادها إلى حيث مطامع الأعداء .

إنها دسائس الأعداء ومعاول الهدم ، وتخطيط الصليبية القديمة والحديثة ؛ وها نحن ندفع الثمن لتخلفنا وعدم تطبيق شرع الله ، واستبدال شرع وضعي به ، يتمشى مع الهوى والشيطان . قال تعالى :  
( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) (١) .

لقد انقسم المسلمون في أرجاء الأرض طرائق قديداً ، وها هم يؤلفون حوالي خمسين دولة - أو دويلة على الأقل - ليس لها في سياسة العالم وزن يذكر ، ولا في توجيه شؤونه رأي يسمع .

(١) سورة المائدة : ٤٤ .

إن أسباب الفرقة لا تزال باقية ، وإذا استمر هذا الحال - لاسمح الله -  
فستنتهي حتماً بتلاشي الإسلام وزوال عقيدته بعد شريعته . والحروب  
تحاك ضد المسلمين في كل مكان ولا حول لنا ولا قوة .

ففي أثيوبيا - أريتريا - مدغشقر - تانزانيا - الفلبين - الباكستان -  
أندونيسيا . اقرأ هذه القرارات لتعرف<sup>(١)</sup> قرارات مؤتمر الكاثوليك  
والبروتستنت لمنطقة شرقي جاوه :

لقد انعقد المؤتمر المذكور في مدينة مالانج بجاوه الشرقية سنة ١٩٦٢  
ميلادية ، وأوصى بمشروع يستهدف إتمام تنصير جاوه في مدى عشرين  
سنة ، وتنصير أندونيسيا في مدى خمسين سنة . وأوصى المؤتمر بالوسائل  
التي تتبع لتحقيق هذه الغاية<sup>(٢)</sup> .

١ - التوسع في إنشاء المدارس بحيث لا تقبل المدارس الإعدادية والثانوية  
منها إلا النصراني فقط .

٢ - افتتاح مدارس الكتاب المقدس في المدن التي يكثر فيها المسلمون ،  
وأن يكثر النصراني من الزواج بفتيات مسلمات .

٣ - محاولة إغراء أبناء المسلمين بمعونتهم وإدخالهم المدارس النصرانية ،  
واجتذاب المسلمين عن طريق المستشفيات ودور الأيتام .

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة : ص ٣٣٣ .

(٢) نفس المصدر .

٤ - طبع الإنجيل باللغة العربية لنشره وتوزيعه على المسلمين المقلدين ،  
الذين يحسنون قراءة العربية .

٥ - إغراء المسلمين الذين يشتغلون بالسياسة ، وذلك بإسناد مناصب  
عالية إليهم ، وزواج النصرانيات المتعصبات بشباب مسلمين  
ضعاف الإيمان .

٦ - إقامة الكنائس بجوار المساجد ، وتوجيه النصارى كيلا يدخلوا  
المدارس الحكومية التي أغلب تلامذتها مسلمون ... ثم إعلان  
الحرب على اللغة العربية .

## خدم الاستعمار

لم يحدث أن فصل المسلمون عن أنفسهم - في عصر من العصور -  
كما فصلوا اليوم ، بسبب الاستعمار الأجنبي الذي هاجم ديارهم ،  
وأصابهم في ثرواتهم المادية . ولم يكتف بذلك بل حتى هاجمهم في  
لغاتهم وثقافتهم وعقيدتهم ، وصاغ منهم كائنات على صورته تردد  
ما يقول ، وتعمل ما يوحي به دون أن تدرك أنها إنما تعمل ضد نفسها ،  
وتحارب كيانها . فتلكم هم الحكام الذين أصبحوا خدماً للاستعمار .

فبينما تجدهم متمسكين في الغالب بالانتساب إلى الإسلام ، والافتخار  
بترائه وحضارته وقيمه - وذلك ما يعبر عن أنفسهم الباطنة وذاتيتهم



الكامنة - إذا بك تجدهم يقاومون كل رجوع للإسلام ويتمسكون  
بشريعة المستعمر ولغته وتفكيره !! .

وهكذا أصبحنا أمام جبهة داخلية ؛ ترفض علينا أن نتكلم لغتنا  
أو نتعلم بها ، كما ترفض علينا أن نتخلى عما أسسه المستعمر من  
قوانين في بلادنا وإحلال الشريعة الإسلامية محلها .

هذا حال القسم المسؤول في الحكومات الإسلامية ، الذين تسلموا  
المناصب وأصبحوا يقومون بدور المستعمر ، في الذب عن الأفكار  
الأجنبية والاتجاه الغربي العام ، وحضارته المتمثلة في القوانين المحدثه .

لقد استفحل أمر الأعداء<sup>(1)</sup> في ديارنا على أيدي المسؤولين من الحكام  
الملاحدة ، وأصبحنا على أيديهم أضحوكة الأمم . هؤلاء الحكام الذين  
لا يريدون الإسلام حكماً ولا يحكمون بشرائع الإسلام ، التي تعطلت  
وكبلت فأصبحت رهينة في قفص الاتهام . هؤلاء الحكام ليس لهم وجهة  
نظر ولا مهمة تنتظرهم لتحقيقها في الحياة ، لتعود بالخير على أمتهم  
ومجتمعهم ، اللهم إلا أنهم جعلوا من أمتهم ذليلاً ومطية للمستعمر  
ومطمعاً للطامعين .

وهكذا ربط هؤلاء مصيرهم بأعداء الله ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم .

(1) هذه بعض مخططات أعداء الإسلام المنظورة . . . فماذا عمل أنصار الإسلام من مخططات  
لحمايته من خطر الإبادة والضياع ؟ ! . أهل الباطل ينشرون باطلهم في معازل الإسلام الحق ،  
ويخططون لتخليصه من معتنقيه ، فعلى المسلمين الحذر من هذه الغفلة وليحفظوا دينهم ،  
ولينصروه بالمهج والأرواح فقد بلغ السيل الزبي . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وستبقى مجازرهم التي نفذوها ضد شعوبهم - ومنها المذابح في الصومال وأوغندا وعدن وأفغانستان - وحرق العلماء والأطفال والنساء ستبقى جرائمهم هذه وصمة عار لتاريخهم الأسود .

## الإسلام وتوزيع المسؤولية

أمر الله رسوله ﷺ - ومعه المؤمنين - أن يتمسك بما أوحى إليه من القرآن فيعمل هو وأمته به ، لأنه الحق الموصل إلى الخير والنجاة في الدارين .

فيجب على المسلمين - حكاماً ومحكومين - القيام بحق القرآن وحق نبيه ﷺ والعمل على نشر الإسلام والعمل به ، وحمايته من الدخلاء والأوهام والخرافات والإسرائيليات ، التي ألصقها المبتدعون والزنادقة من تأويل وتحريف ، لصرف الناس إليها وصدّهم عن الإسلام . والله تعالى يقول : ( فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ) (١) .

كل إنسان مطالب بأداء حق الله ؛ من توحيدهِ والإيمان به رباً وعبادته وتعظيم شعائره دينه والوقوف عند حدوده .

وبأداء حق نفسه وحفظها من المهالك ، والسعي على المعاش من طرق مشروعة ، وبأداء حق كل ما وكل إليه من أمر أو وظيفة أو عمل يدبره

(١) سورة الزخرف : ٤٣ - ٤٤ .

ويحسنه ويرعاه ، فكلنا راع ومطالب بالالتقان والإحسان فيما استرعيه ،  
ومسؤول عنه ومؤاخذ عليه أمام ضميره وأمام المجتمع وأمام الله ، الذي  
لا تخفى عليه خافية ، فمن أحسن القيام بأداء الواجبات الشاملة عاش  
سعيداً ونال ثواباً جزيلاً .

ومن قصر في الرعاية وخان في الأمانة ، ابتلي بالهم والفشل وجرّ على  
نفسه الخزي والعذاب ، فإن قرّ في الدنيا من العدالة لسبب أو لأسباب ،  
فسيوخذ يوم القيامة بما قصر وجنى بالنواصي والأقدام : ( إِنَّ رَبَّكَ  
لَبِالْمِرْصَادِ ) (١) .

وقد وزع النبي ﷺ المسؤولية في الأعمال على الأفراد والأسر والحكام ،  
وعلى الأمة كلها من القاعدة إلى القمة ، لأن الجميع متضامنون في جلب  
المصالح ودفع المضار حين قال : « كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛  
الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... » (٢) .

فهذا الحديث دعامة كبيرة في القيام بالواجبات والحقوق ، والرعاية  
لما تحت اليد من أي عمل خاص أو عام ، وهو يقرر المسؤولية الفردية  
والاجتماعية في النفوس والأعمال .

فالحاكم على جميع المستويات مسؤول عن كل شيء تحت يده في  
وظائفه ، من حيث تنظيم حياة الشعب وحفظ الدين والنفس ، وتطبيق

(١) سورة الفجر : ١٤ .

(٢) رواه البخاري .

أحكام الشريعة ومحاربة أعداء الله بكل الوسائل الممكنة ، ونشر الإسلام في جميع أرجاء الأرض .

ففي الحديث الشريف : « مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » (١) .

## حاكم عادل

ليس غرضي أن أذكر ههنا أحداث التاريخ ، ولكني سأخص جانباً واحداً يتعلق بعدالة حاكم من سلفنا الصالح ، كان - ولا يزال - مضرب المثل في العدالة والنزاهة ، ذلك هو الفاروق عمر - رضي الله عنه - وذلك لمجرد التمثيل ليتأسى به الخلف ، وليكون عبرة لأولي الألباب . وهذه بعض الأمثلة :

بينما عمر بن الخطاب جالس إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا مقام العائذ بك . فقال عمر : لقد عدت بمجير ، فما شأنك ؟ . قال : سابقت على فرسي ابناً لعمر بن العاص (٢) فسبقته ، فجعل يقمعني بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين . فبلغ ذلك عمراً أباه فخشى أن آتيك فحبسني في السجن ، فانطلقت منه فهذا الحين جئتك .

(١) رواه البخاري . المعنى : إذا مات الحاكم ولم يكن قد تعهد أمر رعيته بالنصيحة والرعاية ، فهو من أهل النار . كما أخبر الرسول ﷺ .

(٢) كان الصحابي عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أميراً - حاكماً عاماً - على مصر عندما وقعت هذه الحادثة مع ابنه والمصري صاحب هذه المقالة .

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو أمير على مصر :  
إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم<sup>(١)</sup> أنت وولدك فلان . وقال للمصري :  
أقم حتى يجيء . فقبل عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج وهو  
قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه قام المصري فرمى  
إليه بالذرة - عصا صغيرة - وضربه ، فلم ينزع حتى أحب الحاضرون  
أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين .

فقال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت . قال : ضعها على  
ضلع عمرو . قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني ، قال : أما والله  
لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ثم قال لعمرو :  
يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً<sup>(٢)</sup> ؟ ! .

هذه صورة مشرفة أيها القارئ الكريم ، تبين بجلاء كيف كان  
العدل - الذي هو أساس الملك - مطبقاً على الرعية ؛ لا يفضل أحد على  
آخر ولو كان أميراً أو حاكماً .

أولئك السلف الصالح الذين كانوا موجهين توجيهاً ربانياً ، مدعنين  
لأمر الله . فكانوا بحق مضرب المثل في العدل والحكم والاستقامة .

وهكذا تبدو ثمرات العدل في الحكم نوراً يستضاء به ، ومشعلاً  
للهداية فيشيع الطمأنينة في النفوس ، وينتظم شؤون المسلم حتى يشمل  
بأبي جوانب الحياة .

(١) أي احضر موسم الحج - لأداء مناسك الحج - وبصحبتك ولدك - الذي تسابق مع المصري .  
(٢) راجع حياة الصحابة - ومنهاج المسلم للجزائري : ص ١٦٤ .

وهذه حادثة أخرى وعبرة مثل أضعها بين يدي القارىء ، ليقارن بين موقفين مختلفين لحاكمين حكما في زمن واحد ، كان أحدهما يستظل بظل الجاهلية الأولى<sup>(١)</sup> ، والآخر كان ينعم بظلال الإسلام . وهذه مجريات الحادثة : روي أن كسرى أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولا لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل عن عمر وقال : أين ملككم ؟ . فقالوا : ما لنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة . فخرج في طلبه فرآه نائما فوق الرمل ، وقد توسد درته ؛ وهي عصا صغيرة كانت دائما في يده يغير بها المنكر .

فلما رآه على هذه الحال ، وقع الخشوع في قلبه وقال : رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبتة ، وتكون هذه حالته !! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنت . وملكنا يجور ، فلا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا<sup>(٢)</sup> !! .

فهذه الحادثة تصور حال الحاكم المسلم المؤمن بربه ، العادل بين رعيتة الساهر على أمنها والحريص على كيانها ، كما تبين من جهة أخرى حال الحاكم الكافر الذي لم يحكم بأمر الله ، بل اتبع الهوى وضل السبيل فخر عقبي الدار ( وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا )<sup>(٣)</sup> .

(١) هو كسرى ملك الفرس المعروف .

(٢) انظر المرجع السابق : ١٦٥ .

(٣) سورة الجن : ١٦ .

## التعصب والعصبية

التعصب لغة : الإحاطة والشد . من عصب القوم الرجل عصباً ، من باب ضرب . وعصب القوم بالنسب : أحاطوا به . وتعصب وعصب رأسه بالعصاة : أي شدّها ، وهكذا فالتعصب لغة موضوع للعصبية مطلقاً .

إن الله سبحانه وتعالى قد ارتضى للبشرية الإسلام الذي يتساوى الأفراد في ظلاله ، فكان حرباً على معتقدات الجاهلية وأوهامها ، لما لها من خطر على العقول والأخلاق . وشن غارات على تقاليد الجاهلية التي كانت قائمة على العصبية والفخر وتعظيم القبيلة وتقديس زعامتها .

لقد حرم الإسلام إحياء أي نزعة من نزعاتها أو دعوة إليها ، بعد أن أهال التراب على العصبية بكل أشكالها وصورها .

وهكذا فقد أعلن الرسول ﷺ براءته ممن يفعل ذلك قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ » (١) .

هكذا يتساوى الجميع فلا امتياز للون معين من البشرية ، ولا لجنس خاص من الناس ، ولا لرقعة من الأرض . ولا يحل لمسلم أن يتعصب للون على لون ولا لقوم على قوم .

(١) رواه أبو داود .

ولا يحل لمؤمن - يؤمن بالله واليوم الآخر - أن ينتصر لقومه في الحق والباطل والعدل والجور .

عن وائلة بن الأسقع قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْعَصَبِيَّةُ ؟ .  
قال : أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ » (١) .

وعدل النبي ﷺ مفهوم هذه الكلمة ، التي كانت شائعة في الجاهلية ومأخوذة على ظاهرها : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » . ولما قالها لأصحابه - بعد أن رسخ في قلوبهم الإيمان يريد بها معنى آخر - عجبوا ودهشوا ، وقالوا : يا رسول الله ؛ هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ ! قال : « تَمَنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرٌ لَهُ » (٢) .

ومن هنا نعلم أن كل دعوة بين المسلمين إلى عصبية إقليمية ؛ كدعوة الحزبية ، أو إلى عصبية غنصرية ؛ كدعوة القومية أو الصوفية الضالة إنما هي دعوة جاهلية يبرأ منها الإسلام ورسوله وكتابه .

إن معالجة هذه الظاهرة المرضية ، التي تسري في المجتمعات البشرية ، ويمتد أثرها إلى الشباب المسلم ، حتى أصبحت سماً قاتلاً تجرعه أمة الإسلام وغيرها من الأمم ، ولقد أعلن الإسلام عليها الحرب منذ بعثة رسول الله ﷺ ، وتبعه صحابته الأطهار ومن تبعهم من السلف الصالح ، هذه الظاهرة الفتاكة التي شتت شمل الأمة وَفَّتَتْ في

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه البخاري .



عضدها ، ومزقت الجماعة وانقسم المسلمون بسببها شيعاً متفرقة ، وفرقاً متناحرة وجماعات متنايذة .

وكانت كل طائفة من هذه الطوائف تستند إلى نبذة من الأحكام والأدلة ، وتدعي التمسك بها ، وتطعن بغيرها وتشكك في عقيدتها وتتهم سلوكها ، وتعرض بسمعتها ثم يستغل أعداء الدين هذه الخلافات لغرس سمومهم بينها مطبقين قاعدة المستعمرين : فَرَّقْ تَسُدْ ..

إن العقيدة واحدة وإن الحق واحد ، وإن رائد المسلم هو التمسك بالحق وأن يوزن الرجال على ضوء الحق ، دون أن يكون تقديس الأشخاص وتعظيم الرجال فوق الحق والمبدأ ، وإلا وقع في شباك الجاهلية من جديد ، التي حذر منها القرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ حيث يقول الحق جل وعلا : ( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) (١) .

وهذا المرض الخطير والظاهرة العجيبة ، تسري بين المسلمين وغير المسلمين ، وأن العصبية الممقوتة تسود العالم تحت شعارات مختلفة ومبادئ كثيرة ؛ كالجنس والعنصر واللون والدين والقوم واختلاف الأنظمة .

إن الإسلام الحنيف قد ألغى الاعتداد بالأنساب والألوان ؛ فقد روى البخاري أن أبا ذرٍّ وبلالاً الحبشي - رضي الله عنهما - وكلاهما من

(١) سورة المائدة : ٥٠

السابقين الأولين - تغاضبا وتسابا ، وفي ثورة الغضب قال أبو ذر لبلال :  
يا ابن السوداء . فشكاه بلال إلى النبي ﷺ فقال النبي لأبي ذر :  
« أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ ؟ ! . إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » (١) . وعن أبي ذر أن النبي  
ﷺ قال له : « انظُرْ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ  
تَفْضُلُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ » (٢) . وقال ﷺ : « كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ  
مِنْ تُرَابٍ » (٣) .

وبهذا حرم الإسلام على المسلم أن يسير مع هوى الجاهلية ؛ في التفاخر  
بالأنساب والأحساب ، والتعظيم بالآباء والأجداد ، لأن ذلك تفرقة  
للصفوف وقطع لروابط الأخوة وإفساد للمجتمع ، وهذا يتعارض مع  
دعوة الإسلام وتعاليمه السامية .

إن العصبية المقوتة ، التي تسود العالم تحت شعارات مختلفة  
ومبادئ كثيرة ؛ كالجنس والعنصر واللون والدين والقوم وغيرها ،  
تحتاج إلى وقفة لإلقاء الأضواء عليها . وقبل البدء بالكلام نقرر  
الأمر التالي :

أولاً : إن العصبية المقوتة تنشأ عن شعور غريزي بالأنانية .

ثانياً : لم يغفل الإسلام أهمية رابطة الدم والجنس والعنصر والقوم  
والدين ، بل أقرها ضمن نطاق الحق والعقل ، وبنى عليها أحكاماً  
شرعية كما سنوضح ذلك .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(١) رواه البخاري .

(٣) رواه البيهقي .

ثالثاً : إن التعصب الذي نعتبره مرضاً ينكره الإسلام ويبرأ منه ويجب استئصاله ، هو التعصب المذموم الذي نحذر المسلم من قبوله والوقوع فيه ، وإن العصبية المذمومة القديمة والحديثة ، التي تنص عليها بعض الأديان وتقرها بعض الدول وتبني عليها أساس وجودها وبدء عملها ، يرفضها الإسلام بشكل حازم وينأى عن إقرارها . وإن الإسلام حارب التعصب الذميمة بكل أشكاله وأنواعه ومظاهره ، سواء أكان في العقيدة أو الاجتماع أو الاجتهاد أو المعاملة .

رابعاً : إن التمسك بالحق والثبات على المبدأ ليس تعصباً مذموماً ، بل هو تعصب محبوب ومطلوب ، وهو من المبادئ الفاضلة التي يقرها العقل والمنطق ، ويجيز الدفاع عنها والتضحية في سبيلها ، وبذل الجهد لنشرها والسعي لتطبيقها .

خامساً : إن التحلل من القيم والمتاجرة بالمبادئ والتهرب من الواجب ؛ ومخالفة المؤمن لدينه والخروج عن عقيدته ، ليس تسامحاً بل هو تحلل وميوعة وضعف واضطراب فكري ، وقلق عقلي ونفاق اجتماعي وطريق للفساد والرذائل . عن واثلة بن الأسقع قال : قلت : يا رسول الله ما العصبية ؟ . قال : « أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ » (١) .

سادساً : ونخلص من هذا إلى بيان التعصب المذموم والعصبية الجاهلية ؛ بأنها تنكب الحق والإعانة على باطل ، وإكراه الآخرين على

(١) رواه أبو داود .

قبول العقيدة والفكرة التي يحملها الإنسان<sup>(١)</sup> . روى البيهقي وأبو داود مرفوعاً وموقوفاً عن ابن مسعود قال : « مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رَدَىٰ فَهُوَ يَنْزِعُ بِذَنبِهِ »<sup>(٢)</sup> .

## أنواع التعصب

للتعصب المذموم أنواع كثيرة ؛ منها ما يرجع إلى القبيلة أو الجنس أو العرق ... وسأتعرض إلى بعضها فيما يلي :

### ١- التعصب القبلي :

وهو أقدم أنواع التعصب ؛ وذلك أن المجتمعات كانت تتكون من قبائل ، وكانت كل قبيلة تشكل خلية واحدة وكتلة مترابطة ، وكان أبناءها متضامنين متعاونين يدافع كل منهم عن أفراد قبيلته ، وتتأثر القبيلة كلها لأحد عناصرها ، وإذا وصل إلى أسماعهم أن أحد أفراد القبيلة أصابه ضيم أو اعتدى عليه آخر ، أو تنازع مع ثالث أو تقاتل مع أجنبي فإنهم يهبون عن آخرهم ويقفون مع قريبهم لينصروه ، سواء كان ظالماً أو مظلوماً ، ويسرعون إلى نجدة دون أن يكلفوا أنفسهم السؤال عن القضية أو الأدلة ، وقبل أن يعرفوا الحق من الباطل ، وفي هذا يقول الشاعر :

(١) مجلة هدي الإسلام - عمان - العددان الرابع والخامس - ١٣٩٣ هـ .  
(٢) رواه أبو داود والبيهقي عن ابن مسعود .

لا يسألون أخاهم حين ينسبهم في النائبات على ما قال برهانا  
والإسلام الحنيف أقر علاقة القرابة بين أفراد الأسرة والقبيلة ،  
ورتب على هذه العلاقة أحكاماً شرعية ؛ فمنع زواج المحارم وأقر النفقة  
بين العصابات ، وفرض الدية على العاقلة ، وأباح الدفاع عن العرض ؛  
وشرع الميراث بين الأقارب ، واهتم بالنسب ومنحه مكانة سامية ..

ولكن الشارع الحكيم حين بين حدود ذلك ، قيده بالضوابط والقواعد  
والأحكام ، التي تحول بين المبدأ وبين الظلم ، وأوضح الغاية من ذلك  
وهي : إقامة الحق والتعاون في سبيل الخير والبر . روى أنس عن رسول  
الله ﷺ أنه قال : « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » . قالوا : يا رسول الله ،  
ننصره إذا كان مظلوماً ، فكيف ننصره إذا كان ظالماً ؟ . قال :  
« تَمْنَعُهُ عَن ظُلْمِهِ » (١) .

وعندما حاول بنو مخزوم التشفع لامرأة منهم في حد من حدود الله ،  
غضب رسول الله ﷺ وأنكر أن تصل علاقة القرابة هذا الأمر ، وأن  
الحق فوق الجميع وأعلن المبدأ العظيم : « لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ  
سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَيَّهَا » . رواه الستة إلا ابن ماجه .

وقال تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ  
وَالْعُدْوَانِ ) (٢) . وقال سراقه بن مالك : خطبنا رسول الله ﷺ فقال :  
« خَيْرُكُمْ الْمُدَافِعُ عَن عَشِيرَتِهِ مَا لَمْ يَأْتُمْ » (٣) .

(١) البخاري وأحمد والترمذي .

(٢) سورة المائدة : ٢ .

(٣) رواه أبو داود .

## ٢ - التعصب القومي :

وهو نسبة إلى القوم الذين تربطهم عوامل اللغة والعرق والأرض والثقافة والتاريخ والآلام والآمال المشتركة والدين . وينسجون حول أنفسهم سياجاً وهمياً للتمييز عن القوميات الأخرى ، ويرفعون الشعار القومي لجميع أفراد العرق نحو هدف معين - شريفاً كان أو وضيعاً - فلنستمع إلى حديث رسول الله ﷺ الذي أرسله الله تعالى لخلاص البشرية من أحوال الشرك والوثنية ، حيث يقول : « إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ ، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ .. لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى .. » (١) .

كما جاء قوله ﷺ أيضاً : « النَّاسُ لِآدَمَ وَحَوَاءَ .. إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْأَلُكُمْ عَنْ أَحْسَابِكُمْ وَلَا أَنْسَابِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (٢) .

أما دعاة القومية والعنصرية الذين لازالوا يتخبطون في صحراء الأوهام ، متمسكين بدعواتهم التي تجافي الواقع والفضيلة الإنسانية التي جبلت عليها النفوس ، فلا زالوا يتخيلون لقوميتهم من المزايا والصفات والقيم ما يربو على غيرها ، وهذا يدعوهم إلى التعالي ، والتعصب لقوميتهم بازدراء بقية القوميات . ويعبر عن ذلك هتلر ألمانيا بشعاره : [ الجرمان فوق الشعوب ] . واتخذ هذا المبدأ طابعاً سياسياً عند النازية .

أما التعصب القومي المتغترس والمتعالي فإنه يظهر واضحاً جلياً في

(٢) رواه ابن جرير .

(١) رواه الإمام أحمد .

النزعة اليهودية ؛ بوصفهم لأنفسهم بأنهم [ شعب الله المختار ] . ويلحق بهذا النوع من التعصب ، التعصب العنصري أو التمييز العنصري .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَفَلَاحِ الْجَمَاعَةِ ثُمَّ مَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةِ عَمِيَّةٍ ، يَنْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي » (١) .

إن ديننا الحنيف قد جعل من كل الأجناس أسرة واحدة ؛ الأسود والأبيض والأحمر والأصفر .. ألم يجعل من سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي إخوة ؟ ! يحاربون في صف واحد ضد عدو واحد ومن أجل هدف واحد ؛ هو رفع راية الإسلام والتوحيد بإعلان الحق والعدل . ( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ) (٢) .

ألم يقل نبي الإسلام ﷺ : « سَلَمَانَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ » ؟ . وهكذا نجد أن الإسلام الحنيف قد ساوى بين الأفراد على اختلاف ألوانهم وتباين قومياتهم ، وفي هذا يتم الوفاق وتجتمع الكلمة بحبل الله المتين ، الذي يجمع الناس على راية واحدة ؛ حيث تذوب الفوارق وتنتهي العصبية التي طالبنا الإسلام بتركها والتخلص من تبعاتها ، التي يتخذها الشيطان وأعوانه سيفاً بتاراً يشهرونه في وجه أمة الإسلام ، التي أرادها الله سبحانه وتعالى المنفذة والمطبقة لشرعه وسننه الكونية .

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٦ .

## ٢- التعصب العنصري :

إن التمييز العنصري أو التعصب العنصري - كما يسمى أحياناً - هو أساس اللقاء بين أفراد معينين ونبذ أفراد عنصر آخر ، والابتعاد عنهم وقطع كل العلاقات والروابط التي تربطهم مع أفراد العنصر الآخر والتأفف عن الاجتماع بهم ، ويخصص لكل من البيض أو السود مرافق خاصة للحياة ؛ كالمدارس والسيارات والمستشفيات والفنادق وغيرها من وسائل الحياة .

ولوضوح الرؤية فإننا نضرب عدة أمثلة للتدليل على واقع التمييز العنصري وحقيقته . فمن ذلك : ما يتمثل بالتمييز العنصري في فلسطين المحتلة على يد عصابات الصهاينة ؛ حيث نرى التمييز واضحاً جلياً بين اليهود أنفسهم - الشرقيين والغربيين - فتم التفرقة بين اليهودي الذي كان أصله من بلد عربي ، وبين من كان من أصل غربي ؛ كان قد عاش وتربى في أوروبا أو أمريكا .

هذا حال اليهود فيما بينهم ، أما نظرتهم إلى العرب المقيمين بينهم في فلسطين ؛ فهي نظرة استعلاء واحتقار ، تشبه إلى حد بعيد حال الزنوج في أمريكا ، صاحبة دعوى الحرية والديمقراطية !! .

هذا قليل من كثير عن أعمال عصابات بني صهيون وتعصبهم السافر ، الذي يفوق جرائم حكام دولة جنوب أفريقيا الاستعمارية العنصرية . أما عن موقف الإسلام الحنيف فقد جاء لإبطال التعصب والعصبية ؛



حيث شن عليها حرباً طاحنة ووأدها في مهدها ، بعد أن كانت سلاح  
الجاهلية الفتاك ، فكان الإسلام هو المنقذ للبشرية من غوائل الجاهلية  
وبرائنها . وكان في دعوته الشريفة يهدف لتحقيق الحقائق التالية :

### الحقيقة الأولى :

إقرار مبدأ المساواة بين أفراد الجنس البشري ، وأنهم سواسية في  
الحقوق والواجبات كأَسنان المشط على اختلاف أجناسهم وألوانهم .  
ومن خلال ذلك يعلن رسول الله ﷺ موقفه من سلمان الفارسي فيقول :  
« سَلْمَانٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » (١) .

فالناس جميعاً سواءً في نظر الإسلام ، وإن أصلهم واحد ؛ فالأب واحد  
والأم واحدة والإنسان الأبيض لا يفضل الأسود والأسمر ببياضه ،  
ولا يمتاز عنه بعنصره ، فلا قيمة باختلاف اللون مادامت الحقيقة  
الإنسانية واحدة ، ولا أثر للظواهر مادام الجوهر واحداً ، وإن جميع  
البشر ينحدرون من نفس واحدة كما قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ) (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَلَكِنْ  
يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » (٣) .

(١) رواه الحاكم في المستدرک والطبرانی في الكبير .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) رواه مسلم .

## الحقيقة الثانية :

إن اختلاف الأجناس والألوان واللغات آية من آيات الله تعالى ، التي تدل على عظمته وتوجب التأمل والنظر وتدعو إلى الإيمان . قال الله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ) (١) . ويسمو الإسلام بهذا الواقع البشري ليدعوه إلى التعارف والتعاون والتآلف فيقول عز وجل : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ) (٢) .

## الحقيقة الثالثة :

التفاضل بين الناس يعتمد على مبدأ التقوى والورع والعبادة ، والصلة بين الإنسان وربه وبين العبد وخالقه ، فلا مفاضلة على غير هذا الأساس . ولم يخلق الله شعباً فوق الشعوب ولم يميز قوماً على غيرهم . وإن قيمة الإنسان في المجتمع ، ومكانته عند الله تعالى ، تنحصر بما يقدمه من عمل نافع وجهد مشكور وخدمات طيبة ومن عبادة وإصلاح . قال تعالى : ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ . كُلُّكُمْ لَأَدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَبْيَضَ وَلَا لِأَبْيَضَ

(١) سورة الروم : ٢٢ .

(٢) ، (٣) سورة الحجرات : ١٣ .

عَلَى أَحْمَرَ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى . اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَد . أَلَا فَلْيُبَلِّغِ  
الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ » (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ فَاحْبِبْهُمْ إِلَى اللَّهِ  
أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ » (٢) .

وهناك التعصب الديني ، الذي كان سبباً لاندلاع معارك عنيفة بين  
الشعوب ، وعداوات وأحقاد قضت على الألفة والوثام وكل ما من شأنه  
تيسير الصلة وربط المصالح المشتركة ، وقطع دابر الفتنة بين الشعوب  
والأمم ، وخير المجتمع وسعادة أفرادها .

ولقد كان موقف الإسلام من الأديان الأخرى موقفاً متسامحاً ، يدعو  
لتوثيق عرى المودة وقطع كافة المعوقات ، وتضييق الخناق على كل دعوة  
ترمي للفساد ومحاربة الأديان ؛ حيث كانت دعوته إلى حرية الاعتقاد  
وعدم الإكراه في الدين ، لأن الدين والعقيدة محلها القلب ، الذي  
لا يصل إليه نفوذ أو تأثير مادي . ولهذا قرر القرآن الكريم المبدأ  
الصريح في هذا المجال بقوله تعالى : ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ  
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ) (٣) .

وأكد رسول الله ﷺ ذلك في أقواله وأفعاله وسيرته ، وجهر به في  
أشد الحالات التباساً بالإكراه . ولقد كان موقف الرسول العظيم ﷺ مع

(١) رواه البيهقي عن جابر .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده والبخاري والطبراني .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٦ .

أهل الذمة بعد هجرته ؛ حيث كانت أول خطوة تمت بهذا الخصوص ما عقده الرسول ﷺ من عهد وميثاق مع اليهود والنصارى والمشركين بعد الهجرة مباشرة ، وأعلن ﷺ المبدأ الإسلامي في مضمار التعاون والإنصاف والمعاملة معهم بقوله : « لَهُمْ مَالَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا » .

هذا موقف الإسلام الحنيف من الديانات الأخرى ، كما رسمه رب العالمين سبحانه وتعالى ، ونقّده رسول الله الكريم ليكون دستوراً للعالمين .

وإذا أردت - أخي القارئ - أن تدرك عظمة الإسلام وسمو مبادئه وتوازن أحكامه وحسن تطبيقه ، فما عليك إلا أن تنظر إلى الطرف المقابل ، لتلمس المعاملة الوحشية التي تلقاها المسلمون من مخالفيهم في الدين والعقيدة في أرجاء المعمورة ، سواء في البلاد العربية - كما عمل الصهاينة عند احتلال القدس وحرق الأقصى المبارك - أو في غيرها من تشاد وأثيوبيا - أريتريا - والفلبين وتركيا والصين والهند وروسيا . وسواء في التاريخ المعاصر أو القديم ؛ عند انتصار الإسبان على المسلمين في الأندلس ، وعندما هتك الصليبيون بيت المقدس ، وكيف عامل كفار قريش محمداً وصحبه ، وكيف فعل التتار عند سقوط بغداد .

ولتسمع - أخي القارئ - هذه القصة التي تبين نوازع النفس وأثر البيئة من جهة ، وتظهر أثر التربية الإسلامية من جهة أخرى : اختلف أبو ذر الغفاري مع بلال الحبشي ، فاحتد أبو ذر وقال له : يا ابن السوداء . وسمع رسول الله ﷺ ذلك فغضب غضباً شديداً وقال :

« طَفَّ الصَّاعُ ، طَفَّ الصَّاعُ . لَيْسَ لِابْنِ الْبَيْضَاءِ عَلَى ابْنِ السُّودَاءِ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ أَوْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ » .

فوضع أبو ذرُّ خده على الأرض وقال لبلال : قم فطأ عليه . هكذا كان الإسلام يسوي بين الأفراد ؛ لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى . وهذا ميزانهم الحساس الذي يزنون به الأعمال والتصرفات ، وهذا دستور وتشريع رسول الإسلام العظيم ، الذي ارتضاه رب العالمين للناس أجمعين ؛ في المشرقين والمغربيين ، ومن تنكبه كان من الخاسرين .

والقرآن الكريم عندما يحرم أمراً ، يحرم جميع الوسائل التي تؤدي إليه ، سداً للذرائع ؛ لأنه ما أدى إلى الحرام فهو حرام . كما ينبذ جميع النتائج الناشئة عن الحرام ؛ لأن ما بني على الباطل فهو باطل .

فالإسلام نهى عن العصبية العنصرية ، وحرّم الالتقاء على أساس العنصر أو القوم أو العرق ، وأبطل التفاخر بالأنساب . وإليك الحديثين الشريفين التاليين : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ - الكبر والنخوة - وَفَخَرَّهَا بِالْآبَاءِ . مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ . أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ . لِيَدْعَنَّ رِجَالٌ فخرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ » (١) .

(١) رواه أبو داود والترمذي ، واللفظ له وقال : حديث حسن . والبيهقي بإسناد حسن أيضاً ، كما قال المنذري .  
الجعل : دويبة أرضية .

وعن أبي عقبة - وكان مولى من أهل فارس. قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً ، فضربت رجلاً من المشركين فقلت : خذها مني وأنا الغلام الفارسي . فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال : « فَهَلَّا قُلْتَ : خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ » .

وبعد : فهذا مجتمعنا اليوم يئن تحت وطأة الأنانيات ، وتأكله وتكاد تأتي عليه الخصومات ، وتقتله الحزبيات والعصبيات في حدودها الضيقة ومستنقعاتها المليئة بالأقذار والأكدار .

هذه هي أمتنا الإسلامية الخالدة ذات الرسالة الواحدة ، أصبحت وكأنها أمم متناحرة لا ترقب إحداها في الأخرى إلا ولا ذمة .

وقد نسيت رسالتها وأضاعت رشدتها وبعدت عن ربها ، وتناست دينها وتنكرت لمبادئها واتخذت إلهها هواها .

( فَكُفِّرَتْ بِنُعْمِ اللَّهِ فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ) (١) .

وهكذا وقعت فيما وقعت فيه من العذاب . وصدق الله العظيم إذ يقول :  
( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) (٢) .

لقد عاش سلفنا الصالح بالإسلام عيشة المحبة والسلام ، تآخوا وتناصروا فكانوا كالأنجم الزهر في حياة البشرية التائهة ؛ أناروا لها

(١) سورة النحل : ١١٢

(٢) سورة الأنعام : ٦٥ .

الطريق وقادوها إلى حيث الرفعة والمجد والسعادة . دينهم النصيحة  
وخلقهم التواضع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

شعارهم الخالد قول الحق تبارك وتعالى : ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا  
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَصَّاكُمْ بِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١) .

## الشعبوية

الشعبوية لفظ مأخوذ من الشعوب - جمع شعب - وهو جيل الناس ،  
وهو أوسع من القبيلة وأشمل .

قال الزبير بن بكار : الشعب ، ثم القبيلة ثم العمارة ، ثم البطن ،  
ثم الفخذ ، ثم الفصيلة . وعلى هذا فالعرب شعب والفرس شعب  
وهكذا .. وقد ذهب قوم إلى أنها مأخوذة من الشعوب في قوله تعالى :  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ  
لِتَعَارَفُوا ) (٢) . قال في اللسان : والشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب  
ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم .

لقد كان الشعوبيون أصنافاً مختلفة ؛ منهم فرس ومنهم قبط ومنهم  
نبط ومنهم أندلسيون . وقد صبغت شعوبية كل صنف من هؤلاء صبغة

(١) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

خاصة ؛ فالفرس صبغت صبغة وطنية تدعو إلى الاستقلال ، واتخذت في بعض الأحيان شكل زندقة وإلحاد . والنبط ظهرت في شكل عصبية الأرض وزراعتها ، وتفضيل معيشة الحرث والزرع على الصحراء ومعيشتها .

والقبط ثاروا ثورات مختلفة على العرب ، وأرادوا طردهم من بلادهم وكانت آخر ثورة كبيرة في عهد المأمون ، فلما هزموا لجؤوا إلى الكيد بإعمال الحيلة واستعمال المكر ، وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج<sup>(١)</sup> .

وكانت الشعوبية درجات متفاوتة ، تبدأ معتدلة هادئة وتنتهي متطرفة عنيفة .

يذهب ابن قتيبة إلى أن الذين اعتنقوا الشعوبية هم سفلة الناس وغوغاؤهم فيقول : [ ولم أر في هذه الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب . من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء اكرة القرى ، فأما أشرف العجم وذوو الأقدار منهم ، وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم . ويرون الشرف نسباً ثابتاً ]<sup>(٢)</sup> .

لقد كانت حركة الأشراف سرية خفية ، لا يجروون أن يظهرها بها لكبر مراكزهم ، وخشية من الشك فيهم عند الخلفاء - لأن هؤلاء كان لهم مناصب رفيعة - فهم يؤيدون - من وراء حجاب - هذه الحركة

(١) المقرئزي : ج ١ - ص ٧٩ - ٨٠ . نقلاً عن ضحى الإسلام - ج ١ .

(٢) ضحى الإسلام : ج ١ .



فلا يراها ابن قتيبة وأمثاله في معظم الأحيان . وقد ذكر ابن قتيبة أن  
 من ذهب مذهب الشعوبية [ قوماً تحلوا بحلية الأدب ؛ فجالسوا الأشراف ،  
 وقوماً اتسموا بميسم الكتابة فقتلوا من السلطان ، فدخلتهم الأنفة  
 لأدبهم ، والفظاظة لأقدارهم من لؤم مغارسهم وخبث عناصرهم ،  
 فمنهم من ألحق نفسه بأشراف العجم ، واعتزى إلى ملوكهم وأساورتهم ،  
 ودخل من باب فسيح لا حجاب عليه ، ونسب واسع لا مدافع عنه ،  
 ومنهم من أقام على خساسته ؛ ينافح عن لؤمه ، ويدعي الشرف للعجم  
 كلها ليكون من ذوي الشرف ، ويظهر بغض العرب بتنقصها ،  
 ويستفرغ مجهوده في مشاققتها ، وإظهار مثالبها وتحريف الكلم في  
 مناقبها ، وبلسانها نطق وبهمها أنف وبآدابها تسليح عليها ، فإن هو  
 عرف خيراً ستره ، وإن ظهر شراً حقره ، وإن احتمل التأويلات صرفه  
 إلى أقبحها ، وإن سمع سوءاً نشره ، وإن لم يجده تخرصه ]<sup>(١)</sup> .

لقد كان للشعوبية تأثير كبير في الأدب والعلم والثقافة العامة ، حتى  
 إن طبقة منهم بلغت أعلى المناصب في الدولة الإسلامية .

لقد اتخذ الشعوبيون بدعة التشيع عشاً يلجؤون إليه ، ووكراً يأوون  
 فيه ، وستاراً يستترون به ؛ بغية الوصول إلى مراميهم والنيل من الحكم  
 الإسلامي ، الذي لم يرق لهم منها وتعاليمه ، فحنوا إلى باطل

(١) كتاب العرب . من رسائل البلغاء : ص ٢٧٠ . وانظر ضحى الإسلام : ج ١ .

أقوامهم وحكم طواغيتهم . فهم بذلك يستجوبون العمى على الهدى ،  
ويناصرون الوثنية على حساب الرسالة الإسلامية .

لقد أَلَّفَ أحد الشعوبيين - وهو المدعو إعلان الشعوبي - كتاباً في  
مثالب العرب ، فأجازه طاهر بن الحسين عليه بثلاثين ألفاً .

وإذا كان هؤلاء العقلاء الماكرون هم رؤساء هذه الدعوة المنحرفة ،  
وكانت حربهم علمية دينية أكثر منها ثورات ظاهرة ، فلا ريب أن  
يكون هذا وغيره من الأسباب التي عجلت في توسيع شقة الخلاف والتنكر؛  
وفقدان أي تعاطف للتخلص من مخلفات تلك الحروب ، التي أنت  
أخيراً على كل بادرة أمل للتقارب بين هؤلاء المنشقين عن دولة الإسلام ،  
وبين أمة العرب والمسلمين التي تمثلهم دولة الخلافة ، وبهذا انقطعت عرا  
الوفاق ، وظهرت نواياهم الشريرة ، مما حدا بهم أخيراً أن يكفروا  
بالإسلام وبالمسلمين .

زرعت بذور الفرقة والتمزق بين هذه الأجناس جميعها ، وأخذ كل  
جنس يطالب بإحياء قوميته ، ويتوق إلى الاستقلال الذاتي ، وكانت  
دور السفارات الغربية ملتقى دعاة القومية العربية ؛ يتلقون منها النصح  
والإرشاد ، والمعونات التي تساعدهم على المضي في الدعوة إلى القومية  
العربية<sup>(١)</sup> .

حقاً إن مقياس الفضل التدين لا الدم ، فقد كان علي بن أبي طالب

(١) الأفعى اليهودية : ص ٨٢ .

رضي الله عنه لا يفضل شريفاً على مشروف ، ولا عربياً على عجمي ،  
ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل .. (١) .

والله تعالى يقول : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) (٢) . ورسول الإسلام عليه  
الصلاة والسلام يقول : « لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .  
أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال : لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً  
لوليته .

أما دعاة القومية والطائفية فهؤلاء هم أعداء للأمم والشعوب ودعواتهم  
مقضي عليها . ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) (٣) .

## الشعبية الحديثة

بعد أن منَّ الله تعالى على البشرية برسول الرحمة ، المبعوث برسالتها  
الخاتمة ، ومنقذها من أوحال الشرك والوثنية ودعوة التعصب والقبلية ؛  
حيث عم الأمن وساد الوثام ، بدخول الناس في دين الله أفواجاً ، تلك  
الرسالة الخالدة التي تساوى في ظلالها الأبيض والأسود والعربي والعجمي ،  
والتي جعلت من الرعاية والمستضعفين قادة وأبطالاً ، يسوسون الشعوب  
ويقودون الجيوش ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) .

وهكذا ساد المسلمون في الأرض عاملين بشرع الله ومنفذين لأحكامه ،

(١) شرح منہج البلاغة ، لابن أبي الحديد عن المدائني : ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) سورة الحجرات : ١٠ (٣) سورة الفتح : ٢٣ .

ومهتدين بهدي رسول البشر محمد ﷺ الذي أرسله الله تعالى لتخليص العالم من حيرته وضلاله ؛ حيث غلبه الجور والحرمان والإلحاد والفجور والشرك وعبادة الطاغوت ، التي كان يزرع العالم تحت وطأتها ويعاني الأمرين من ويلاتها المدمرة .

وبعد التوسع وانتشار الإسلام شرقاً وغرباً ، مع امتداد الفتوحات الإسلامية ، التي امتدت حتى شملت أرض فارس وبلاد الروم ، وأخيراً دخل الإسلام بلاد الصين على أيدي القادة من جند الإسلام ، حيث دخل سكان تلك البقاع في دين الله ، ولم يتوقف الفتح بل استمرت جيوش الحق تطارد فلول الباطل حتى دكت عروش وهتكت أستاره ، وساد نور الإسلام بعد انحسار ظلام الشرك في أرجاء أفريقيا وآسيا وأوروبا ، على أن ذلك الانتصار ونشر الدعوة المحمدية بهذه السرعة التي فاقت كل تصور كان منسجماً مع رسالة التوحيد وهدى نبي الإسلام .

وليس كما يزوّج أعداء الإسلام والدساسون من دعاية مغرضة ، بأن الإسلام انتشر بالسيف - هكذا يتهمه هؤلاء الأعداء - والله العليم البصير يتولى بالرد عليهم ، ويكشف طوياتهم الحاقدة حيث يقول سبحانه :  
( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ) (١) .

فقد واجه الحكم العربي الإسلامي بعض الكُره والتذمر لدى المحكومين ؛ حيث تعرضوا للعرب بالمثالب ، وأن العرب قد استعلوا عليهم ، كما

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

بدأت تظهر النعرة الشعبوية التي كانت مكبوتة في الصدور ، فهؤلاء أصحاب الحقد الدفين وأمثالهم من الشعوب التي انقطعت دولة أسلافهم بدولة الإسلام ؛ كأبناء الأكاسرة وأولاد المجوس وغيرهم ، بدأ هؤلاء يحاربون حكم العرب حرباً سلمية ؛ مدارها نقاش قومي حول المفاضلة في الأصول ، انتهت بتوجيه حملات شعواء على العرب ، لاسيما في القرن الثالث للهجرة ، بعد أن تسلم الأعاجم بعض المناصب في الدولة العباسية .

ولا نخالي إن قلنا إن دعوة الشعبوية هذه كان وقعها مؤلماً وصداءها واسعاً ، حيث سببت شرخاً لا يزال أثره بائناً في جسم أمتنا ، ثم توالى المحن وانتشرت الفتن التي طوحت بصرح دولة الإسلام العملاق ومن كافة الوجوه .

ولقد امتدت أيديهم إلى التاريخ فشوهوه ، وإلى الحضارة فبهتوها ونالوا من أصحابها ودنسوها ، والأدب أيضاً لم ينج من دسهم وتشويههم ؛ حتى إن الأحاديث اصطنعوها ونسبوا للرسول عليه الصلاة والسلام ، واعتمدوها ليتكثروا عليها لتأييد دعواهم وإثبات باطلهم . ومن أمثلة ذلك ما روي أن الرسول ﷺ قال : لَأَنَا بِبَعْضِهِمْ أَوْثَقُ مِنِّي بِبَعْضِكُمْ <sup>(١)</sup> . وفي حديث آخر : سيأتي ملك من ملوك العجم فيظهر على المدائن كلها إلا دمشق <sup>(٢)</sup> ... كما وضعوا كثيراً من الأحاديث عن الصحابة وغيرهم ، مما كان له الأثر في تشويه الإسلام .

(١) ، (٢) تيسير الوصول : ج ٣ - ص : ١١١ ، ١٢٧ نقلاً عن ضحى الإسلام ج ١ .

وهكذا كانت نزعة الشعوبية التي انتهجت المظهر الأدبي والفكري في بيان نقائص العرب ؛ بتأليفهم الكتب التي تطعن وتهاجم العرب وحضارة الإسلام ، وتشيد بالفرس والأعاجم وفضائلهم من جهة أخرى . ولم يغفل دورهم الشائن في الدعوة إلى الإلحاد والزندقة وتشجيع الثورات المسلحة ضد الدولة الإسلامية ، وخاصة إبان ضعف دولة بني العباس .

ومن بين تلك الحركات : الراوندية والمقنعية والخرمية وغيرها ؛ وكانت هذه الحركات الهدامة تهدف إلى إحياء الديانات القديمة وإعادة النفوذ الفارسي وغيره ، ولن يتأتى ذلك إلا بالقضاء على الإسلام . وقد منيت جميعها بالفشل والهزيمة .

وكذلك استغلوا دعوة آل البيت لهدم الإسلام ، مثل دعوة السبئية أتباع ابن السوداء اللعين عبد الله بن سبأ - والكيسانية - أتباع المختار الثقفي - والشيعنة الإمامية وغيرها ، وكانت تهدف في الظاهر لإعادة الخلافة لآل البيت ، بينما تهدف في الحقيقة لهدم الإسلام وتقويض دعائمه وإزالته .

ولا يغيب عن البال ما كان لفتنة خلق القرآن ، وما أدت إليه من نتائج ، وما كان من خلافتها دامية في عهد بني العباس وغيرهم في العصور التالية ، وإدخال العجم في الجيش - وخاصة في عهد المعتصم - مما أدى إلى إضعاف سلطة الخلافة وزعزعة وحدة المسلمين .

يقول بعض الشعوبيين في العرب : [ لم تنزل الأمم كلها من الأعاجم ، في كل شق من الأرض ، لها ملوك تحميها ومدائن تضمها ، وأحكام تدين بها ، وفلسفة تنتهجها وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات ؛ مثل صناعة الديباج ولعبة الشطرنج ، ورمانة القبان ، ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق ، والقانون والاصطراب ، ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم قواصيها ويقمع ظالمها ، وينهى سفيها ، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ، ولا أثر في فلسفة ، إلا ما كان من الشعر ، وقد شاركتها فيه العجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الأوزان والعروض ... ]<sup>(١)</sup> .

ومما يجدر ذكره أن دعوة الشعوبية كانت سلاحاً فتاكاً ، استخدمته الأجهزة الموثورة والهيئات الحاكمة ، لضرب الإسلام والمسلمين ولتقويض دعوة الإيمان .

وفي العصر الحاضر استطاعت أطراف جديدة أن تؤدي ذلك الدور ، الذي كان يتولاه أولئك الأعداء التقليديون . إن هؤلاء الأعداء الجدد ، الذين يتزيفون بأثواب جديدة وشعارات مستعارة ، كان لهم من التخطيط والأهداف ما عجز عنها أجدادهم أصحاب تلك النعمة الحاكمة ؛ من حيث الدس والتشويه وإثارة الفتن والشبه لإشعال نار العداوة في جسم أمة الإسلام ، ليخلو لهم المجال وتكون لهم اليد الطولى في كل أمر ومن ذوي الأولوية في تسيير دفة الحكم كما يحلو لهم .

(١) العقد الفريد : ج ٢ . ص ٨٦ لابن عبد ربه .

حقاً لقد كثر أعداء الدولة الإسلامية وكثرت أسلحتهم ، فاتخذوا  
الشعبوية المقيتة مطية لتحقيق أغراضهم ونواياهم الشريرة كما كانت  
دعوة الاستشراق والتنصير في مقدمة الدعوات التي ظهرت حديثاً ، وقامت  
بإثارة النعرات الطائفية والدعوة إلى القومية والتحزب وغيرها .

ومما لا ريب فيه أن الخلافة الإسلامية كانت هدفاً لمطاعن المستشرقين  
ودسائسهم ، لأن الخلافة كانت شبحاً رهيباً في أعين المنصرين والمستشرقين  
اليهود وغيرهم . كيف لا ؟ ! وهي التي كانت بهيبتها وسطوتها تنزل  
عروش أوروبا ، وتحمل لواء الإسلام بصدق وأمانة ، وتذود عن  
المقدسات التي توحدت دون حدود أو سدود طوال خمسمائة عام !! .

ومن أجل هدم الخلافة ابتدع شياطين اليهود فكرة القومية التركية  
- الطورانية - أولاً ، ثم القومية العربية - اقتداءً بها ونكاية بأمة  
الإسلام - بدلاً من الوحدة الإسلامية الشاملة ، التي كانت تضم الأبيض  
والأسود والهندي والفارسي والعراقي والقفقاسي والعربي والألباني .. الخ  
وكانت لهم أدوار كبيرة في الإدارة والحضارة العامة وسلطات الجيش .

وقد وضع بعض الشعبويين كتباً طافحة في المثالب ضد الدولة العربية  
الإسلامية ، كما نزع بعضهم إلى المغالاة في نقدهم ، وذلك بتشجيع  
من خاصتهم .

لما أُلّف إعلان الشعبوي - المتقدم ذكره - كتاباً في مثالب العرب  
أظهر طاهر بن الحسين ارتياحه لهذا الكتاب ، وكافأه عليه بثلاثين



ألفاً<sup>(١)</sup> ، بل تجاوز الأمر هذا الحد حتى إن بعض الشعوبيين أظهروا جفاءهم للإسلام كرهاً بالعرب ، كما حارب كثيرون منهم دعوة التوحيد نكاية بدولة الخلافة الإسلامية .

وإلى جانب هذه الحملات الشعبوية في داخل الأمصار الإسلامية ، ظهرت حملات أخرى في خارجها ولاسيما في أوروبا - - فقد استهلت النهضة الأوروبية بعثها بصندوق كتب كثيرة حملت على العرب ودينهم ونبيلهم ، حملات بشعواء مستوحاة من العواطف المليئة ، والنزعات السياسية .

وتحت هذه التأثيرات فإن الأوروبيين ما إن أخذوا يؤرخون المدنية حتى تجاوزوا العرب إلى اليونان ، متناسين الحضارة العربية ، حتى كأن هذه لم تكن حلقة زاهرة في سلسلة التمدن العالمي ، وحتى كأنها لم تكن كذلك صلة الوصل بين التمدن القديم والحديث .

والواقع أن الأوروبيين ليسوا هم وحدهم الذين تناسوا العرب ، إبان ما صار هؤلاء رعية جاهلة لسواهم تؤمر فتطيع ، وتهان فتصبر ، بل إن العرب أنفسهم تناسوا تاريخهم ، ونسوا ماضيهم وأمجادهم !! .

ثم ما إن استيقظوا في عصر القوميات ، وبادروا إلى ترديد ذكريات مفاخرهم أولاً ، ثم إلى الدعوة لقوميتهم واستغلالها ثانياً ، حتى ابتلاهم الاستعمار بشعوبيات جديدة صوبت سهام التحطيم نحو صدر كل من قوميتهم ومدنيتهم ، وساهم في هذه الشعوبيات كثيرون من مواطنيهم .

(١) العروبة والشعوبيات الحديثة : ص ٩ وما بعدها .

وقد برزت هذه الشعوبيات الجديدة على شكل واضح ، حينما انبرت القومية العربية بأجلى مظاهرها إلى إثبات وجودها من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ، وإلى الإعراب عن تصميمها على التحرر من الاستعمار غير أن العالم العربي - الذي خدع من قبل حلفائه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، حيث لم يف الحلفاء بوعودهم للعرب لإعطائهم الحرية والاستقلال - لم يستكن للاستعمار ، بل قام مناضلاً ضده ، فكان على المستعمر أن يقابل نضال العرب بنوع جديد من المقاومة تتفق مع سياسة العصر ، واتبع سياسة : فرق تسد .

وقد استعان المستعمر على تطويق العرب بشعوبيات جديدة ، تستوحي مبادئها من تاريخ كل قطر من أقطارهم<sup>(١)</sup> ، وسأتناول فيما يلي بعض الشعوبيات التي استعان بها الاستعمار في الوطن العربي ؛ حيث دعا إليها ليرتكز عليها في بقائه ، ولينفذ سياسته بمساعدة بعض أبناء هذه الأمة ، حتى ينال أهدافه ويحقق أغراضه الاستعمارية ، وسأقتصر على شبهاث الشعوبية في مصر ولبنان ، موضحاً هذه الدعوات الهدامة ، وموجزاً دور الاستعمار في ذلك ، رغم أنه استغل الشعوبية الحديثة في معظم الأقطار العربية .

وعلى سبيل المثال : استغل الشعوبية في العراق ، من جهة التفرقة بين الشيعة وأهل السنة ، والدعوة الكردية ، وغيرها ، وفي المغرب استغل دور الشعوبية ، فأثار الاستعمار الفرنسي البربر ، واستغل بعض زعمائهم

(١) نفس المصدر السابق .

للدعوة للرجوع بهم إلى ما كان عليه أسلافهم قبل تشرفهم باعتناق الإسلام .

وبذلك حصلت التفرقة بين الإخوة المؤمنين الذين تجمعهم رابطة العقيدة . كل هذا من أجل أن يحقق المستعمر أغراضه ، وليستمد القوة لإطالة مدة بقائه .

### الشعبوية في مصر

وجد المستعمر بمصر القومية الفرعونية أمميته المنشودة ، استناداً إلى وجود تاريخ خاص بمصر حافل بالأمجاد ، سابق للتاريخ العربي ، فدفع بعض المفكرين من الأقباط إلى تبنيها ، اعتماداً على ما دونه الأستاذ أوليري وغيره من الأجانب الداعين إلى هذه القومية .

وكان المصريون جميعهم من دعاة الجامعة الإسلامية ، على اعتبار أن مصر إسلامية في دينها وحضارتها ، وهي جزء من عالم إسلامي يلتف حول الخلافة ، وتجمع بين أجزائه الأخوة الدينية .

لذلك فإن المصريين الذين كانوا يعانون الآلام من أعمال دولة الحماية - إنجلترا - دون سواهم من رعايا السلطنة العثمانية ، أنكروا على الشريف حسين - أمير مكة - وعلى أنصاره اتفاقهم معها خلال الحرب العالمية الأولى ، وشجبوا ثورتهم على الخليفة<sup>(١)</sup> .

(١) العروبة والشعبيات الحديثة : ص ١١ - ١٢ .

وقد كان لانتشار فكرة القومية في أوروبا ورواجها ، أثر فعال فيما بعد على الأوساط المثقفة في مصر ، حتى إذا برز أنصار القومية الفرعونية - ومن ورائهم دولة الحماية - وجدوا لصوتهم صدى في هذه الأوساط ، التي كانت تتلمس سبيلاً إلى القومية ، في عصر لم تعد أهدافه تتفق مع الجامعات الدينية المكشوفة ، وكان من نتيجة ذلك قيام بلبله في الأفكار وتشتت في المقاصد ، وذلك خلال الصراع الذي حدث بين جامعة إسلامية تتنكر لكل قومية ، وبين قومية فرعونية تجاري النزعات القومية وتكافح كل كتلة دينية .

وخلال هذا الصراع بين المبدئين ، وخلال هذه اللجاجة من الفوضى التي جاءت على ما يريد الاستعمار ، برزت فكرة القومية العربية بمصر ، وأخذت تشق طريقها بصعوبة بين هذين التيارين ، كما كان لنكبة فلسطين أثر طيب في جمع شتات العرب .

وبعد تأسيس الجامعة العربية ونكبة فلسطين ، التي كانت عواقبها وخيمة ، والتي كانت معقد الآمال للوحدة والاتحاد ، ولكنها ويا للأسف كانت نكسة شملت العرب ، وكان أثرها سيئاً على الشعوب - ومن بينها مصر الإسلام - بالإضافة إلى تشريد شعب فلسطين ، الذي وقع ضحية الاستعمار وكبش فداءً لتجار الحروب وسماستهم .

أما تأثيرها على مصر فكان من ناحية دعوة القومية الفرعونية ، التي كسبت أنصاراً وجمهوراً جديداً ، حيث ارتد إليها من كان يناوئها

ويجاهرها بالعداء ، ولكن الله سلم هذه المرة وأعاد لمصر وجهها العربي الأصيل ، لتبقى في مقدمة الصفوف وبيدها القيادة العربية ، ومنازة من منائر المسلمين رافعة لراية التوحيد ، ومعقلاً من معاقل الإسلام .

### الشعوبية في لبنان

مذ احتل الفرنسيون لبنان بعد الحرب العالمية الأولى ، وعهدت إليهم عصبية الأمم بالانتداب ، طمعوا أن يخلقوا فيه أمة إذا طالبت بالاستقلال ، فإنما تطالب بالاستقلال عن العروبة ، وعن كل شيء يتصل بها . وطمعوا أيضاً بأن يجعلوا من وطننا ذي الوجه العربي ، إذا تلفت إلى الماضي فإنما يولي وجهه شطر الفينيقية . وإذا التفت إلى الحاضر فإنما يتجه بقلبه إلى الغرب عامة ، وإلى الأمم الحنون - فرنسا - خاصة ؛ وذلك على أمل أن يبقى لبنان - يوم تزلزل الأرض زلزالها ضد الاستعمار في بلاد الشام - مستقراً أميناً لهم ، ومركزاً استراتيجياً في شرقي البحر المتوسط .

وكانت دولة الانتداب دائبة في محاربة كل مناوىء لدعوتها ، حيث القومية العربية كانت عقبة كأداء في وجهها بلبنان ، فساقت إليها البعثات ، حيث وضعت الإرساليات الدينية الفرنسية الكتب ، ونشروا الصحف وكلها حرب على العروبة وما يتصل بها .

وشاءت دولة الانتداب أن تجند وزارة التربية الوطنية ومدارسها ،

لخلق ناشئة جديدة تكاد لا تعرف عن بلادها إلا النزر القليل ، الذي اختاره الانتداب ، ولكنها عليمة بكل شيء يتعلق بفرنسا ومآثرها .

كما استخدمت فريقاً من أساتذة المدارس لوضع كتب مدرسية ، إذا قرأها التلميذ خرج منها على اعتقاد أنه كان من فضل الباري على لبنان أن خلقه خلقاً مستقلاً عن أولئك العرب جيرانه ، الذين لا شغل لهم إلا الفتن ، ومن فضل المولى إذ جعله مصوناً من كل فاتح ، وأعدّه ملجأً للمظلومين !! .

كما عملت فرنسا على أن تربط لبنان بماضيه البعيد ، كما ربطت حاضره بها ، فراحت توحى إلى صنائعها أن يوجهوه إلى الفينيقية على غرار فرعونية مصر ، فإذا بنا نرى بعض الفئات يدعون إلى هذه الشعوبية ويتغنون بها ويطرونها شعراً ونثراً ، ونشروا عنها بالصحف والنشرات الأخرى ، وأخيراً فترت وقام على أنقاضها شعوبية جديدة ؛ بالدعوة إلى القومية المتوسطة ؛ نسبة للبحر المتوسط .

كما أن الاستعمار ساعد - وبكل طاقاته - على زرع بذور الكراهية بين اللبنانيين أنفسهم ، حيث لا زال ذلك واضحاً في تشريعاتهم ودستورهم ، من حيث الوضع الطائفي ، والتفريق بين الطوائف ؛ كمسلم سني وشيعي ، وماروني ودرزي وغير ذلك من النعرات الطائفية ، التي كانت سبباً في التفرقة بين السكان ، ومنهاجاً رسمه المستعمر للتدخل في الشؤون الداخلية للبنان<sup>(١)</sup> .

(١) العروبة والشعوبيات الحديثة : ص ٢٥ . بتصرف .

وما لا يخفى على ذوي البصائر ، فقد دفعت لبنان الثمن باهظاً ،  
نتيجة البذور المسمومة التي غرستها دولة الانتداب الفرنسي داخل أرض  
لبنان إبان انتدابها ؛ فقد دفعت ضريبة المصير ، التي دفعتها كل  
دولة ابتليت بفرنسا وحليفاتها الغربيات ، وإن مصائب الجزائر ومحنها  
التي حلت بها على يد فرنسا لأكبر شاهد على ما نقول .

أما لبنان المعذب فقد اكتوى بنار الفتنة الهوجاء التي اجتاحته ،  
ودفع أكثر مما كان متوقفاً ؛ فما هي أحداثه الجسام لا زالت محتدمة  
ملتهبة منذ عام ١٩٧٥ حتى إعداد هذه الفصول .

فالمعارك مستمرة بين أبناء الوطن الواحد ، ودول الاستعمار تقف  
متفرجة مباركة هذه الدماء الزكية التي تنزف ، وعشرات الألوف من  
الضحايا الأبرياء ، علاوة على تدمير الاقتصاد وتخريب الديار ، التي  
أصبحت موثلاً لليوم والغربان . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

## ضلالة العلمانية

هي اصطلاح حديث يقصد به ما ليس دينياً أو كهنوتياً . ولعله مشتق من لفظ العالم . وترجع أصول العلمانية إلى ردود الفعل لثورة مارتن لوثر في سنة ١٥٢٠ م على البابا ، وانتقاده العنيف إياه لبيع صكوك الغفران للعصاة والخاطئين من النصارى ، مقابل مال كثير يدفع للبابا فيضمن لهم دخول الجنة ، ولسخط لوثر على عبادة القديسين ، ودعوته إلى العمل بالكتاب المقدس وحده ، ولم تلق هذه الدعوة أول الأمر استجابة ذات شأن ، ولكن لما أخذ أتباع لوثر يكثرون ، سلطت عليهم الكنيسة والأمراء - الذين انحازوا لها - ما يصفه جوستاف لوبون بقوله : [ أبيد الشيوخ والنساء والأطفال ، وصار رئيس برلمان - اكس - البارون - دويين - مثلاً يحتذى به ؛ لقتله في عشرة أيام ثلاثة آلاف شخص وتدمير ثلاث مدن ، واثنين وعشرين قرية ] .

وبعد هذه المجازر انتهى الرأي السياسي إلى تجريد الدولة من كل نشاط ديني ، وإبعاد الخدمات الدينية عن نطاق إشرافها وتوجيهها ، وعدم تحميل ميزانية الدولة شيئاً من نفقات الكنائس والأديرة ، وتحريم التعليم الديني في المدارس والمعاهد الحكومية .

فهل كفت الدول - لاسيما في غربي أوروبا - حقاً عن النشاط الديني ، وغسلت يديها منه ؟ . يهمننا في الإجابة عن هذا السؤال الجانب الخارجي



من نشاط الدول العلمانية؛ فالثابت في تاريخ الاستعمار الأوروبي الغربي؛ في آسيا وأفريقيا، أن هذه الدول اتخذت من الدين وسيلة لتسوية استعمارها، ونهب أرزاق أهل المستعمرات وحرمانهم من ثقافتهم الوطنية، ومن نفض نير الاستعمار عن أعناقهم.

وسأضرب المثل التالي عن زيف هذه العلمانية وكذبها، وخصوصاً بما جرى في الجزائر لوقوعها في محيطنا العربي والإسلامي، فهو أنموذج صارخ لعلمانية الغرب. وسننقل المثل التالي من كتاب الكاتبين الفرنسيين كوليت وفرانيسيس جانسون، المعنون بـ [الجزائر خارج القانون] <sup>(١)</sup> قالاً:

[ لعل العبث بالدين هو المجال المفضل لدى القائد - روفيجو - ليعيث فيه فساداً واستهتاراً؛ فقد وقف هذا القائد الفاجر ونادى بين قومه، بأنه يلزمه أجمل مسجد في مدينة الجزائر، ليجعل منه معبداً لإله النصراني، وطلب من أعوانه إعداد ذلك في أقرب وقت ممكن، وأشار لهم إلى جامع كتشاوه لأنه كما قال: أجمل جوامع الجزائر طرازاً. وحدد يوم ١٨ من ديسمبر سنة ١٨٣٧ لإنجاز هذا العمل، وفي الموعد المحدد تقدمت بطاريات الجيش تزحف إلى المسجد، فإذا بداخله أربعة آلاف مسلم اعتصموا به خلف المتاريس، فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ودخرتهم بالسناكي ..]. ثم وضع في الكاتدرائية أجمل منبر في الجزائر، وهو آية في النقش العربي. وعلى هذا المنبر وقف الحاكم

(١) انظر كتاب الإسلام ومشكلات الفكر: ص ٥٠.

- بوجو - يقول: [ إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاماً  
لن يكون للجزائر إله غير المسيح <sup>(١)</sup> ] .

وهو بطبيعة الحال غير المسيح الذي يؤمن به المسلمون - كما أمرهم  
بذلك دينهم - ولا هو المسيح الناصري الذي قال للناس : أحبوا  
أعداءكم . باركوا لاعنيكم .

وهكذا نرى أن اللادينية العلمانية منهاج الدنيوية ، لا مجال فيها  
للإيمان بما وراء العالم المادي كالإيمان بالله ، ولا مجال فيها لتصور  
حياة أخرى بعد الموت . فاللاديني ينكر وجود الوحي كمصدر للعقيدة  
والعلم ، وما نسميه نحن عقيدة وقيماً خلقية ، إنما هي خرافات ابتدعتها  
المجتمع أو التاريخ ، أو نتيجة للآثار الحيوانية الموجودة في الإنسان ،  
ارتكزت على التقدم البشري في الحياة الحاضرة .

وليس من الغريب أن تساعد اللادينية في انتشار الأمراض النفسية  
والروحية في حياة الأفراد ، فالإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى أساس  
راسخ البنين ، فإذا ما فقد هذا الأساس سرعان ما تنتابه العقد النفسية ،  
وهذا من طبيعة العلمانية وأثرها في حياة الأفراد ، أما الدين فإن تأثيره  
في سلامة النفس والروح يعترف له به علم النفس الحديث ، وهناك  
تأثير خطير للعلمانية ، حيث يهبط بمصدر القيم الإنسانية من مستوى  
الإله إلى مستوى البشر <sup>(٢)</sup> .

(١) المصدر السابق .

(٢) ومما يجدر ذكره أن العمل تحت مظلة العلمانية خروج على شرعية الإسلام ودينه ، وحرب =

فالعلمانية إذن مذهب أوروبي مناهض للدين ، برز في القرن الميلادي الماضي ، وسرت عداوته إلى بلادنا الإسلامية والشرق عامة ، حين نظروا بعين الوهم في أعماق ضعفهم إلى الغرب في ذروة تفوقه ، فظنوا أن كل ما يصدر عنه حق وجميل ١١ . وتعتمد هذه الدعوة على الواقع الذي تدركه الحواس ، ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة ، والتحرر من العقائد الغيبية ، التي هي عندهم ضرب من الأوهام ، ومن العواطف بكل ضرورها .

فالأديان عندهم أساطير كلها ؛ كان الناس يخضعون لما تخوفهم به من العذاب ، ثم تحرروا من هذا الخوف الموهوم الذي زعمته الأديان . وقد غاب عن هؤلاء أن الدراسات التجريبية محدودة الميدان والمدى ، لا تتناول إلا المدرك والمحسوس ، والمدرك والمحسوس أقل بكثير مما يخضع لحسنا وإدراكنا ، وقد عرف أصحاب هذه الدراسات ، حين اكتشفوا أن الموجات التي تدخل في مدى إدراكنا الحسي ، ليست إلا شيئاً ضئيلاً تافهاً بالقياس إلى المعروف منها فضلاً عن المجهول<sup>(١)</sup> .

هذه فكرة موجزة عما تحققه العلمانية وما جاءت به دعوتها الهدامة ، فلنر في الجانب الآخر ، كيف حقق الإسلام كل ما عقد على العلمانية

= سافرة على أوامره وتمرد على أحكامه . كما أن علمانية التعليم والقانون والإعلام ، والحكم القائم على غير الشريعة عدوان على شريعة الإسلام ، وأن علمانية المجتمع وعلمانية تقاليد وعاداته واقتصاده القائم على الربا وأشباهه ، عدوان صارخ على شرعية الإسلام ودستور المسلمين .

(١) انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص ١٠٠ . الإسلام ومشكلات الفكر .

من آمال ، لم تتحقق لا في داخل الدول ولا خارجها :

أولاً : ليس في الإسلام هيئة ولا طبقة تحترف صناعة الدين أو تستأثر بشرح أحكامه ؛ فكل مسلم مدعو لقراءة الدين والتفقه فيه ، وله الحرية أن يفهم ما يشاء مادام يفهم لنفسه ، وله أن يستعين بمن هم أرسخ منه قدماً في اللغة ، وأقدر منه لثقافتهم وعلمهم ليأخذوا بيده . فليست تلاوة القرآن حكراً لأحد ، ولا هي ممنوعة عن أحد ، بل إنها مستحبة كلما تيسرت للإنسان ، والإنسان يصلي وحده بلا رقيب ولا موجه ، وإذا اجتمع المسلمون تقدم أحدهم فأمهم ، مادام يعرف أصول الصلاة ، ولو كان أشعث أغبر لا يؤبه له .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت : [ قد أتصلت بالقرآن - بعد أن التحق الرسول بربه - أفهامُ العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نص في معنى واحد ، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات ، لا على أنها دين يلزم وإنما هي آراء وأفهام ] .

ثانياً : عبادة المسلمين وصلاتهم جائزة في كل شبر من كل أرض ، فالله تعالى يقول : ( فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَسَمَّ وَجْهُ اللَّهِ )<sup>(١)</sup> . وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ... وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً »<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : ونبي المسلمين ورسول الله إليهم بشر مثلهم ؛ يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، وكان له كل نشاط الآدميين ؛ فتزوج وأنجب

(٢) أصله في الصحيحين رواه أحمد .

(١) سورة البقرة : ١١٥ .

وصام وأفطر وحارب وسالم وعاهد ، وعرف اليتيم والشكل ؛ ماتت له زوجات وبنات وبنون ، وأكد القرآن والحديث بشريته ، ووصفه القرآن بأنه عبد الله ، وقال عن نفسه : إنه عبد يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد . ففي القرآن : ( سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ) (١) . وفيه : ( قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ) (٢) . وفي الحديث : « لَسْتُ مَلَكًا وَلَا جَبَّارًا إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي مَكَّةَ » (٣) .

والرسل جميعاً - عند الإسلام - ليسوا إلا مبلغين لرسالات الله ، ووظيفتهم الإرشاد والتعليم عن طريق الوحي .

رابعاً : الأصل في الأشياء الإباحة ، ولا تحريم إلا بأمر الله ؛ في نص من القرآن أو نص من الحديث قطعي الورد . فالإباحة والتحريم من حقوق الله وحده ، ولا يشاركه في ذلك شريك من رسول أو خليفة أو هيئة أو جماعة أو طبقة أو فئة ، وبالتالي لا يوجد من يغفر الذنوب إلا الله ، وكلُّ مسؤول عن عمله ؛ لا تنفع أحداً عند الله قرابة حتى للرسول الكريم ، فقد قال ﷺ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (٤) . وقال : « لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » (٥) .

(٢) سورة الأعراف : ١٨٨ .

(٤) رواه البخاري .

(٥) رواه البخاري وأحمد ومسلم والنسائي ، انظر نيل الأوطار : ج ٧ ص ١٤٨ .

وأخيراً يساوي الإسلام بين رسل الله جميعاً وأديانهم : ( آمَنَ  
الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ  
وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا  
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) (١) .

وقد أمر الإسلام المسلمين أن يعاشروا أهل الكتاب بالحسنى وأن يأكلوا  
طعامهم ويتزوجوا نساءهم ، والله سبحانه يقول : ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ  
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) (٢) .

وقد نشأ من ذلك جو من الحرية في الرأي والإخاء الإنساني والتعاون  
الأخوي (٣) ، أتاح للمسلمين وإخوانهم من أهل الكتاب - نصارى  
ويهود - أن يتعاونوا في إنشاء حضارة إنسانية ، بقصد التسامح وكرهية  
القسر والعنف .

وقد روى مصطفى كامل في كتابه الشهير - المسألة الشرقية - أنه لما  
فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح - السلطان التركي - وانتخب  
النصارى الروم بطريركاً قال له السلطان محمد : كن بطريركاً  
لليونان والله يحميك . وفي كل الأحوال والظروف اعتمد على مساعدتي ،  
وتمتع بكل الامتيازات التي كانت لأسلافك من قبل (٤) .

فهل علمانية - كائنة من كانت - قادرة على أن تحقق هذا أو شيئاً

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٣) عن كتاب الدين ومشكلات الفكر . وكتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية ص ١٠٠ .

(٤) الإسلام ومشكلات الفكر : ص ١٨٨ .

قريباً منه ؟! لا أعتقد أنه يوجد من يحقق مثل هذا ، سوى أتباع الإسلام الذين تشرفوا بحمله وتطبيقه .

وفيما يلي أضع بين يدي القارئ الكريم رأي جريدة فرنسية معروفة بدقة التحري كجريدة - لوموند - الباريسية ، التي لا تنفي وجود الاتجاه اللاديني في جمهورية تونس ، وقد جاء في إحدى مقالاتها ، في الفصل المعنون - بين العرب والإسلام - ٢٩ يناير ١٩٥٨ م<sup>(١)</sup> .

[ لقد وضع السيد الحبيب بورقيبة حداً لتعدد الزوجات - كان ذلك في عام ١٩٥٨ م . ثم منع تعدد الزوجات بتاتاً - وللطلاق الانفرادي وللإستبداد الزوجي ، وجعل قبول الزوجين معاً إجبارياً . هذا التحرير العائلي يتضاعف بتحرير سياسي واجتماعي ، والنساء منذ الآن ناخبات ومنتخبات - ١١ مستشارة بلدية انتخبن في السنة الماضية - يدخلن في جميع الوظائف ، ويوجد من بينهن فعلاً نحو مائة في التعليم و ١٥٠٠ في الإدارات و ٧٠٠٠ في المشاريع المختلفة .

إن تونس في هذا الميدان تظهر بمظهر الأمة المرشدة ؛ لقد نهجت الطريق المفتوحة من طرق تركيا الكمالية ، فالتطور في تونس ذو إحساس دقيق بصفة خاصة ، فالحجاب أخذ يقل خصوصاً عند الفتيات وظهور الأزواج في الأزقة أصبح أكثر عدداً ، ويزداد يوماً عن آخر جلوس الرجال والنساء جنباً إلى جنب في الاجتماعات السياسية ، وفي البوادي - حيث المعارضة أقوى - تجد التقدم أقل سرعة .

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص ١٥٨ - ١٥٩ .

إن بورقيبة لم يحاول أن يفرض هذا التطور ، بل إنه يفضل أن تسقط هذه - الخرق الشنيعة - من ذات نفسها ، وهو يدافع عن نفسه أيضاً ضد اللادينية ، وبالأحرى إنه يريد الانفصال عن الإسلام ، ولكنه يبذل جهده للتوفيق بين الحضارة العصرية الضرورية ، والتقاليد الدينية . ومهمته بالتدليل على أن إصلاحاته إذا كانت لا تحترم دائماً النصوص الحرفية للقرآن ، فإنها لا تعارض روحها ، وبهذا الاعتبار فإن الاتجاه التونسي أقرب لنظيره في النظام المصري منه للنظام الكامي .

فبالنسبة للتعليم التقليدي نجد بورقيبة يقيم الدليل على نفس التحديد بل وعلى نفس المرونة ، فقد تجنب مهاجمة الجامع الكبير - الزيتونة - وجهاً لوجه ، ولكنه منذ سنتين يحدد بالتدريج دوره ومهامه ، ويفكر - كما قيل لي - في تحويله إلى مجرد كلية لعلم اللاهوت في إطار الجامعة التونسية .

هذه الإصلاحات المختارة كنماذج من بين غيرها ، تفصح عن نوايا جد مؤكدة لتحويل تونس إلى دولة عصرية . وجميع الشباب التونسي يصادق في هذه الناحية على عمل الرئيس ، بل إن أفراداً يجدونه شديد البطء شديد الخجل ، ولكن بورقيبة يفضل هو أيضاً احترام المراحل ومع ذلك ، فمن رأي بعضهم أن التحضير - اقتباس الحضارة - لا يعني بالضرورة التغرب - التحول غربياً - ويقولون : لما ترتبط بهذه الشهرة مع الغرب ، ونعلن ذلك بهذا التكرار ؟ ! . وهكذا فإن



اتجاهاً يتكون حالياً عند بعض المثقفين ، لفائدة نوع من الإصلاح  
والحياد على الطريقة المصرية [ (١) ] .

وهكذا نرى بأن تونس كانت الدولة العربية السبّاقة في تغيير الفقه  
الإسلامي واستبداله بالقوانين الوضعية ، كما جردت البلاد من كل  
القيم والمعايير الإسلامية ، وبهذا تكون قد اقتدت بما انتهجته تركيا  
الكمالية ؛ من حيث إلغاء التشريع الإسلامي ، والاستعاضة عنه بقوانين  
الغرب وحضارته الدخيلة .

ومما لا شك فيه أن القانون تأثر بمثل هذه الأفكار والنزعات . ومهما  
زعم أهل الحل والعقد في تونس فإن قانونهم الشخصي يختلف عن  
القانون الإسلامي التقليدي ، كما يختلف عنه القانون العلماني في  
تركيبها تماماً (٢) .

إن الأمة التي تبتز صلة حاضرها بماضيها ، وتستهيء بأمجادها ،  
وتتنكر لحضارتها ، هي أمة لا تستحق البقاء . إن مفهوم كلمة الدين  
في الغرب ، غير مفهومها في الإسلام ، وكل مقارنة بين المفهومين غش  
وخداع وتضليل .

ولا يصح أن يقال في التعريف الإسلامي : دولة دينية ودولة علمانية ،

(١) المغرب المسلم ضد اللا دينية : ص ٩٥ - ٩٦ . لإدريس الكتاني . عن كتاب : الصراع  
بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

(٢) من مقال للمستشرق - شاخت - تعريف الأستاذ فضل الرحمن الأنصاري . ملحفاً في مجلة  
برهان ديسمبر ١٩٦٣ م . راجع كتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

بل هناك شيء واحد لا خلاف فيه ولا حيدة عنه هو : دولة إسلامية .  
يقول المستشرق - ولفرد كانتول سميث - <sup>(١)</sup> : إن العلمانية التركية  
التي قام بها أتاتورك في تركيا ، هي حركة إصلاحية إسلامية . وهكذا  
يجب أن يفهم الإسلام <sup>(٢)</sup> .

وهكذا تظهر أحقاد أعداء الأمة واضحة ، فلنعدّ قراءة مقولة هذا  
المستشرق الماكر ، حتى تتبين لنا ضغائنه المبيتة في تزيينه للدعوة  
العلمانية . التي يكون فيها الدين مفصلاً عن الحياة ، وتصبح الأمة  
تحت رحمة الأهواء والشيطان .

### حركة الثورة الكمالية في تركيا

إن الثورة الهدامة التي شهرتها تركيا الكمالية على الإسلام وتعاليمه  
وتقاليد الدين والاجتماعية والأخلاقية ، لم تكن إلا طوراً جديداً  
من أطوار الثورة على الإسلام ، بالرغم من أن هذه الثورة قد اتخذت

(١) انظر كتاب الله أو الدمار للأستاذ سعد جمعة .

(٢) لعلّ الحبيب بورقيبة كان مقلداً للترك في علمانيتهم الخبيثة المستوردة ؛ إن لم يكن داعية  
للعلمانية . حيث نجد في تصريحه المنشور بالأهرام في ٢٠ - ١٢ - ١٩٧٥ م بأنه أصدر في  
سنة ١٩٥٦ م قانوناً يمنع تعدد الزوجات ، ويعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة  
عام وغرامة مالية ٢٤٠ ديناراً .

وفي مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط متلبساً بجريمة الزواج بثانية ، ولم يخل  
سبيله ، إلاّ بعد أن قرر أن هذه الثانية خلية وليست زوجة . . . وهكذا يطيب لبعض  
الحكام المنتسبين للإسلام أن يحرّموا ما أحلّ الله ، وأن يخلّوا ما حرم الله . ألا ساء ما يزرّون .

لون التمدُّين والتحرر من أغلال الماضي . أو بعبارة أخرى ؛ تحرير تركيا من كل لون ديني ، وصبغها بالصبغة المدنية الحديثة ، والعمل بنظام الحكم العلماني ، وتقليد حضارة أوروبا وسمومها الفتاكة التي زحفت على أرض الإسلام ، لتقويض دعائمه والقضاء على تعاليمه وأحكامه . وهكذا تم لأعداء الإسلام ما أرادوا من جعل دولة الخلافة حكومة علمانية . ذلك أن الترك الكماليين لم يقفوا عند إلغاء الخلافة الإسلامية وإلغاء صبغة الدولة الدينية ، ولكنهم ألغوا أحكام الشريعة الإسلامية حتى في أصولها ، التي مازالت مطبقة في سائر أقطار العالم الإسلامي ، ومن بينها : أحكام الميراث والزواج والأحوال الشخصية ، واستبدلوا بها قوانين غربية وأطلقوا عليها صبغة اجتماعية مدنية ، ثم ألغوا تلاوة القرآن بالعربية تخلصاً من نفوذ القرآن وتأثيره ، ونفذوا تعاليم أسيادهم وطبقوها ، ذلك لأنهم كانوا حفنة مرتزقة مدسوسة في البلاد ، وبدعم من أعداء الإسلام ؛ ابتداءً من الاستعمار والصهيونية وانتهاءً بالحركة الماسونية العالمية .

وأكثر من ذلك أنهم في سنة ١٩٢٨ حاولوا إلغاء الصلاة الإسلامية ، واستبدالها بصلاة تجري على نحو القداس النصراني وتقرن بالموسيقى ، ولكنهم عدلوا عن المشروع حينما شعروا بما يثيره من الإنكار والسخط لدى عامة المسلمين . وعمد الكماليون المجرمون بعد ذلك إلى إلغاء الكلمات العربية من اللغة التركية ، وإلى كتابتها بحروف لاتينية بحجة المعاونة على نشرها - ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون طمس

هذه اللغة الحية ، لغة القرآن وحضارة الإسلام - وأنتى لهم ذلك -  
فالله لكتابه حافظ ولشريعته الغراء منقذ ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) .  
لم يدخر الكماليون وسيلة للحملة على تعاليم الإسلام وأفكاره ،  
والانسلاخ بتركيا عن حظيرة المجتمع الإسلامي ، والاتجاه بها إلى  
أحضان أوروبا النصرانية ، وزجها في حظيرتها الملحدة لتصبح مستنقماً  
للرديلة ، ومعولاً للتخريب بدلاً من أن تكون مناراً تستضيء به أوروبا ،  
ومشعلاً رائداً لقيادة البشرية إلى طريق السعادة والتقدم (١) .

### أخطر شخص في تاريخ الإسلام

(مصطفى كمال أتاتورك)

هو من مواليد سلانيك - والتي يزيد فيها عدد اليهود عن نصف  
السكان - وكان من أبرز شخصيات الاتحاد والترقي ، كما برز كعضو  
فعال في جمعية الماسون ، أثناء كونه ضابطاً في جيش الأتراك ، وتقلب  
في عدة مناصب كبيرة ، ويرجع كثير من المؤرخين أصل مصطفى كمال  
إلى يهود الدونمة (٢) .

وسواءً أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح ، فإن أعمال هذا الضابط  
فيما بعد دلت على أنه يعتبر أخطر شخص في تاريخ الإسلام ، وأن على  
يديه تم هدم الخلافة الإسلامية .

(١) انظر الأفي اليهودية في معاقل الإسلام : ص ٩٠ وما بعدها .

(٢) مجلة الوعي الإسلامي - الكويت - نوفمبر ١٩٦٥ - ص : ٦٦ .

وبعد كل هذه الأعمال الإجرامية ، التي أوقعها السفاح أتاتورك - لعنه الله - في دولة الخلافة ؛ نفذ أكبر مؤامرة ضد أبناء أمة الإسلام ، بهدم الخلافة الإسلامية ، وجعل من تركيا الإسلام مزرعة غربية لنشر الرذائل وحياسة المؤامرات .

وهكذا - بعد أن أحالت خطة مصطفى كمال تركيا إلى قطعة أوروبية في ثوبها الجديد - تحكمت الدولارات اليهودية ذات الوجه الأمريكي في مصير تركيا .

وبذلك تم لأعداء الأمة ما أرادوا تحقيقه في غياب حكم الإسلام .

أقول : إن الخلافة الإسلامية - وعلى عهد الخلفاء عامة وعهد المجاهد المؤمن السلطان عبد الحميد الثاني خاصة - والذي لم ينصفه مؤرخو التشويه والافتراء ، وقد وقف موقفاً مشرفاً ، لم ولن ينساه التاريخ - وسيخلد على مر العصور - إنه الموقف الذي يجب أن يتوقف عند ذكره كل مؤرخ منصف إجلالاً وتكريماً .

لقد أغفل كثير من المؤرخين المعاصرين دور الكثير من عظماء الإسلام وتجاهلوه ، ومن بين هؤلاء الخليفة عبد الحميد الثاني ، الذي تميز بصفات القائد المؤمن المدافع عن شرف الإسلام ، وهو الذي رفض كل إغراءات اليهودية العالمية وتوسلاتها ؛ من أجل فتح باب الهجرة لليهود إلى فلسطين واستيطانها . وقد خرج أبو الصهيونية الحديثة - هرتزل - خائباً بعد مقابلة للسلطان ، وكان برفقته وفد صهيوني جاء

متوسلاً للسماح بهجرة اليهود لأرض المقدسات ، وقد صرخ السلطان في وجوههم الكالحة بقولته الخالدة بشأن فلسطين والمقدسات : إن أرض وطننا لا تباع بالدراهم .

والتاريخ يشهد بأنه ظل متمسكاً بموقفه الخالد ، ولم يفرط بذرة من تراب فلسطين .

وبعد أن نزع عن تركيا ثوب الإسلام الخالد ، الذي أوصلها إلى ذروة المجد والسؤدد ، غدت تركيا أرضاً مهملة في الميزان الدولي ، ورسالتها فقط خدمة اليهودية العالمية وعبيدها من دول الغرب .

وعندما قامت دولة العصابات على أرض فلسطين المغتصبة ، اعترفت بها تركية مصطفى كمال ، وتعاونت معها في كل الميادين ، وسخرت تركيا كل أجهزتها لخدمة اليهودية العالمية ومحاربة العروبة والإسلام . وبعد وفاة أتاتورك تسلم دفعة الحكم ساعده الأيمن - عصمت إينونو - الذي سار على نهج سلفه ، حيث زاد الفساد والانحلال ومحاربة الفضائل .

وأخيراً قيص الله لتركية من يعيد للبلاد قلدسيتهام ومكانتها بين الأمم . وقد قام بهذا الدور الرائد الشهيد عدنان مندريس ، الذي أعاد للبلاد وجهها الإسلامي وقضى على الفساد وأعاد فتح المساجد ، وأنشأ عشرة آلاف مسجد ، وشجع مدارس الدين ، وتدرّس القرآن واللغة العربية في كافة المدارس .

إن صلة تركيا لم تنقطع عن الإسلام وستبقى ... وبعد مدة تمكنت الصهيونية العالمية بالتعاون مع بعض العملاء الإطاحة بحكم الشهيد عدنان مندريس ، وتسليم الحكم إلى جمال غورسل الألعبوبة في يد الغرب والصهيونية وأعاد تركيا إلى عهد الفساد والانحراف السابق . وكما صرح كثير من المؤرخين فإن جمال غورسل من يهود الدونمة ، وقد حارب كل تقارب مع الدول الإسلامية وجعل من تركيا مطية للاستعمار<sup>(١)</sup> .

لعمري إنها لم تكن مصادفة أن يلتقي في تركيا أساطين اليهودية العالمية وأساتذة الماسونية ، من أمثال - استراوس ومورجانتو - اليهوديين وكانا سفيرى الولايات المتحدة في تركيا ، حيث تعاونوا مع أكبر أساطين اليهودية العالمية ومفكريها - وهو اليهودي المتعصب حاييم ناحوم - على رسم طريق المستقبل للدولة التي كانت إلى زمن تهز العالم وتقرع بجنودها الأبطال أبواب غربي أوروبا . إن حاييم ناحوم كان ممثلاً لتركيا في عدة محافل دولية ومنها مؤتمر لوزان ، حيث حقق مكاسب كبيرة وعزز من قبضة اليهودية على حكومة الأتراك ، وقد أعجب مصطفى كمال بحاييم ناحوم وبتصرفاته مما دعاه لاتخاذ مستشاراً له ، وبالتالي فقد نفذ مخطط اليهودية العالمية ، الذي أعدت له وتكالبت على إنجازه باذلة كل ما تملك من وسائل ، وذلك للوصول إلى فلسطين وتحقيق حلمها المنشود بهدم الخلافة الإسلامية .

(١) انظر الأسمى اليهودية في معاقل الإسلام : ص ٩٣ وما بعدها .

لقد رسم اليهود الخطة ونفذها مصطفى كمال على الشكل التالي<sup>(١)</sup> :

١ - فصل تركيا عن باقي أجزاء الدولة العثمانية ، حيث حطم الامبراطورية الإسلامية بعد إلغاءه للخلافة الإسلامية .

٢ - قلد بعض الدول الغربية التي تظاهرت بالعلمانية والمبطنة حرصها على الدين ، حيث أعلن العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، كما اضطهد علماء الدين المسلمين أبشع اضطهاد ، وقتل منهم العشرات وعلق جثثهم على أعواد الشجر<sup>(٢)</sup> .

٣ - أغلق كثيراً من المساجد ومنها جامع أيا صوفيا ، الذي حوله إلى متحف ، كما حرم الأذان والصلاة باللغة العربية ، وألغى دائرة الشؤون الإسلامية وكل ما يتعلق بوزارة الأوقاف .

٤ - فرض العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة ، كما فرض القوانين المدنية السويسرية وألغى المحاكم الشرعية والتقويم الهجري واستبدل به الغربي .

٥ - شجع المرأة والشباب الأتراك على الدعارة والفجور وأباح المنكرات ، كما قضى على التعليم الديني في المدارس كافة والجامعات ، ومنع تأسيس المدارس الخاصة لتعليم الأطفال - الكتاتيب - واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، ليقطع ماضي الشعب التركي عن حاضرة ومستقبله .

(١) محمد دروزة - تركيا الحديثة - نقلاً عن الأفعى اليهودية ص : ٩٤ .

(٢) محمد توفيق محمد : كمال أتاتورك . عن الأفعى اليهودية .



٦ - فتح باب تركيا على مصراعيه ليدخل منه علماء اليهود ، الذين نبذتهم ألمانيا واستقبلهم أحسن استقبال ، واستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية على الأساليب الحديثة ، واستدعى ما يزيد على ٤٠ أستاذاً من اليهود لتوسيع أقسام تلك الجامعة ، كما أسس حزب الشعب الذي اضطهد الأمة .

وليس لنا من تعقيب على إجراءات مصطفى كمال الإجرامية ، التي اتخذها في تسرع ورعونة ضد الخلافة الإسلامية وأمة الإسلام ، إلا أن نسجل تعليق دائرة المعارف الماسونية فهي تقرر : [ أن الانقلاب التركي عام ١٩١٨ م الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة ؛ فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة ، وأبطل المحاكم الشرعية ، وألغى دين الدولة الإسلام ، وألغى وزارة الأوقاف ... ] (١) .

أليس هذا الإصلاح هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة ؟ !! .  
فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسونية سابقاً ولاحقاً ؟ !! . لا أظن أن له مثيلاً إلا من أصبح عبداً للشيطان الرجيم .

---

(١) دائرة المعارف الماسونية - ص : ١٦٢ عن الأفعى اليهودية : ص ٩٦ .

## الدَّسَّاسُونَ

ما أكثر الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ إنهم ممن يزعمون أنهم من أتباع المسيح عليه السلام ، الداعي إلى مكارم الأخلاق ومحاربة الرذيلة والفساد ، والعمل بما فيه خير البشرية والحث على التحلي بالإخلاص والأمانة ، وسائر الفضائل وفي مقدمتها الصدق . ويؤسفنا أن يكون الدَّسَّ هذه المرة من رجل قريب منا ، يسكن وطننا العربي ويحمل اسماً فيه شيئاً من العروبة ، وهو المدعو [ لويس معلوف ] مؤلف المعجم القاموس المسمى بـ [ المنجد ] الذي يكثر تداوله بين طلبة المدارس ؛ لحسن ترتيبه وكثرة صورته ولوحاته ... ولقد وجدنا على الصفحة ٤٨٨ من هذا المعجم عند مادة [ طلق ] العبارة التالية : [ الطلقاء : الذين أدخلوا في الإسلام كرهاً ] . وهو يشير بذلك إلى قول الرسول ﷺ إلى كفار قريش يوم فتح مكة .. : « اذْهَبُوا فَاَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ » .

وهكذا تنقلب السماحة والعفو عند المقدرة ، وكرم النفس عند صاحب المنجد إلى إكراه وقسر ووحشية<sup>(١)</sup> .

ولن أذكر الآيات القرآنية الكريمة التي تنهى عن إكراه الكفار على اعتناق الإسلام ، ولن أذكر الحوادث التاريخية الكثيرة التي أكرم فيها المسلمون غير المسلمين ، وقبلوا العيش معهم بل وعينوهم في مناصب عالية ، وإنما أوجه هذا السؤال إلى صاحب المنجد وأمثاله العاقبين :

(١) الماسونية في العراق

لو كان الإسلام يُكره الناس على اعتناقه ، فهل كنت تعيش اليوم في الوطن العربي الإسلامي ، أنت وطائفتك ؟ ! . مقيمون على دينكم كما كان يقيم عليه آباؤكم وأجدادكم منذ مئات السنين ، تحت رعاية الإسلام وراية أهل العقيدة والإيمان ؟ ! .

### جورجي زيدان واقترائه

كنت أعجب من السطو على الحقائق ، ويزداد عجبي من محاولة ربط الماسونية بأمر غريبة ومستحيلة ، لكن العجب زال عندما وقعت على جذور السطو .

من افتراءات المؤرخ الدساس - زيدان - مثلاً قال عن قصر غرناطة الذي أشادته الأيدي العربية الإسلامية ، وخطط له العقول المسلمة : [ والظاهر أن يداً ماسونية بنته ] واستطرد في دسه وقال عن جامع أحمد بن طولون : [ والذي يغلب على الظن أن بناءً ماسونياً بناه ] . ولم يقف عند هذه الدسائس بل تعداها هذه المرة إلى حاضرة الرشيد مدينة السلام - بغداد - التي يشهد الغرب القديم بعظمة هندستها ، وجمال تخطيطها الذي أشرفت عليه العقلية الإسلامية ...

ويستنتج من كل ما تقدم : [ أن الذين بنوا مدينة بغداد كانوا من الإخوة البنائين الأحرار ] .

هذه أقوال وآراء جورجي زيدان كلها ظنية وظاهرية ، لا شك أنه بهذا يظهر اضطرابه وتناقضه والتشنج العقلي الذي ينتابه ... ويا ليتته أراح نفسه من الهذيان والريبة .

فانظر أخي القارئ إلى مدى انحراف وهذيان دعاة السوء ، وكتاب الباطل ومؤرخي الزور والبهتان .

لقد شوه زيدان وأمثاله حقائق كثيرة من تاريخ أمتنا ، صاحبة الحضارة العريقة في كل ميدان<sup>(١)</sup> . فلا بد من ربط للتربية العقلية والثقافة العربية الإسلامية لشباب الجيل ، الذين يقودون أمتهم للنهضة والتقدم ، في زمن تكاد أن تنفصم فيه عرا الأخلاق والوثام من جهة ، وبين المادة والمعارف من جهة ثانية . وعلى هذا المنهاج ومن هذه المنطلقات يصاغ العمل الصالح ، الذي ينطلق للمجتمع سلوكاً قويمًا وأخلاقاً حميدة ومثلاً علياً .

---

(١) ونظراً للمطاعن الكثيرة والذس والتشويه الذي تزخر به كتب جورجي زيدان وأمثاله ضد الإسلام ومبادئه ورجاله ، ومن منطلق النصيحة فإنني أنصح بمقاطعة هذه الكتب المشوهة وحرقتها ، كما يجب على المربين والمصلحين والدعاة تحذير الأمة من فسادها وزيفها ودسها . كما نحثر من مؤلفات أصحاب الأقلام المأجورة أمثال : إحسان عبد القدوس وأنيس منصور ونجيب محفوظ وأشباهاها من الكتب الملحدة الساقطة .

## مزامع جورجي زيدان حول الدخيل في العربية

لقد كثر الدس والظعن على لغة القرآن من قبل الدساسين ، أعداء الأمة وأعداء لغة القرآن .

إن بعض هؤلاء الدساسين قد اعتبر معظم الألفاظ العربية - التي يوجد بينها وبين ألفاظ أخواتها من اللغات السامية نوع من الشبه - أنها من الدخيل في العربية من تلك اللغات . وبعضهم الآخر قد زاد عن هذا الحد ، فاعتبر حتى اللفظ العربي الذي لا يوجد له شبه في لغة من اللغات السامية دخيلاً إلى العربية ، من لغة أجنبية أخرى وجد فيها لفظ شبيه بهذا اللفظ العربي .

فهذا جورجي زيدان يقول : [ إننا نستدل على تكاثر الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ، بخلو أخواتها من أمثال تلك الألفاظ ، فإننا إذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبيهاً في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها ]<sup>(١)</sup> .

وبناءً على هذه القاعدة نجده يستدل على عُجْمَة كلمات هي في الواقع من صميم العربية . فانظر إليه يقول : [ عثرنا في السنسكريتية على ألفاظ تشبه ألفاظاً عربية ، تغلب أن تكون سنسكريتية الأصل ؛ لخلو أخوات العربية من أمثالها . كقولهم : صبح وبهاء . فإنهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ، ويدلان على الإشراق أو الإضاءة . ولا يعقل أنهما

(١) انظر آداب اللغة العربية : ج ١ ص ٣٦ . جورجي زيدان .

مأخوذان عن العربية ، لأن السنسكريتية قد دونت قبل العربية بزمن  
مديد . ونظن أن لفظ سفينة سنسكريتي<sup>(١)</sup> .

والذي أريد أن أنبه عليه أن مناقشة هذه الآراء ، والدفاع عن اللغة  
العربية - لغة القرآن الكريم - ليس من باب التعصب للعربية بل  
إنصافاً لحقها المهضوم ، ووضع حد لهذا التطاول الذي اتخذه بعضهم  
معراجاً للطعن في إعجاز القرآن الكريم ، وإلقاء بعض الأضواء أمام  
القارئ ، حتى لا يشتط به الفكر ولا ينساب وراء الأوهام والظنون .

إزاء هذه المواقف نقول : إن اعتبار كل لفظ في اللغة العربية ،  
شبيه بلفظ آخر في لغة من اللغات السامية ، دخيلاً إلى العربية من  
تلك اللغة ، منهج خاطيء لا يقوم على أساس علمي ؛ ذلك أن اللغات  
السامية - كما هو مقرر عند العلماء - ترجع جميعها في الأصل إلى لغة  
واحدة أطلقوا عليها [ اللغة الأم ] ثم بمرور الزمن ونزوح الناطقين بها  
إلى مناطق مختلفة ، ومجاورتهم لأصحاب لغات مختلفة ، تشعبت  
هذه اللغة إلى عدة لهجات ، أخذت تتباعد فيما بعد حتى استقلت  
كل منها عن الأخرى وأصبحت لغة مستقلة .

أما بالنسبة لما استدل به جورجى زيدان ، على تكاثر اللغات الدخيلة  
في اللغة ، بخلو أخواتها الساميات من أمثال تلك الألفاظ ، والحكم  
رأساً عليها بأنها من الدخيل ، بمجرد وجود ألفاظ مشابهة لها في غيرها  
من اللغات ، فهذا استدلال باطل وحكم مناف للصواب .

(١) آداب اللغة العربية : ج ١ ص ٣٨ .

ذلك أنه بعد ظهور علم اللغة المقارن ، وتخصص كثير من الدارسين في هذا العلم ، استطاع الباحثون في اللغات السامية أن يثبتوا لنا أن اللغة العربية هي أكثر اللغات السامية احتفاظاً بالكلمات القديمة ، التي يرجح أنها كانت مستعملة في اللغة الأم ، عن طريقة جمع الكلمات القديمة في كل منها والمقارنة بينها (١) .

وعلى هذا فيكون من الراجح أن هذه الألفاظ العربية ، التي لا يوجد لها شبه في اللغات السامية الأخرى ، مما احتفظت به اللغة العربية من اللغة الأم ، بينما سقطت من تلك اللغات بإهمال الاستعمال ، والاستيعاض عنه بلفظ آخر يدل دلالته . هذا فضلاً عن أن مجرد تشابه بين لفظين من لغتين مختلفتين ، لا يصلح دليلاً على كونه أصيلاً في لغة أخرى كما بينا (٢) ...

وما ارتكز عليه في احتمال أن تكون الألفاظ التي ذكرها زيدان دخيلة إلى العربية من السنسكريتية ، بحجة أنها قد دونت قبل العربية بزمن مديد ، لا يصلح مرجحاً لهذا الاحتمال ... الخ .

هذا ما أحببت أن ألفت نظر القارئ ، عسى أن يكون له عوناً في دراساته ، ويجنبه الشطط في القول والانحراف عن جادة الحق والصواب . والله الموفق وهو الهادي إلى سبيل الرشاد .

(١) تاريخ اللغات السامية . إسرائيل ولفنسون : ص ٨ . الآداب السامية - محمد عطية الأبراشي : ص ١١ . والتهديب في أصول التعريب لأحمد عيسى : ص ٥٧ .  
(٢) هدي الإسلام : عمان - عدد ٧ - ١٩٧٤ م - ١٣٩٤ هـ .

يقول المؤرخ فيليب حتي ما يلي<sup>(١)</sup> : [ ولم تبدأ أمارات - علامات - الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر . وكانت الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان ، تعلموا أو استوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين ] . وحبذا أن يعذرنا الدكتور فيليب حتي إذا قلنا إن النهضة بدأت في النصف الأول - لا الأخير - من القرن التاسع عشر . ثم إن حصر شرف الحركة الجديدة بنصارى لبنان فيه ظلم للتاريخ وللأدب معاً . وقد كنا نربأ بالدكتور فيليب حتي أن يساير قوماً ليسوا من نجره ولا من أهل موكبه . ولقد رد على الدكتور حتي ناقد في مجلة الثقافة القاهرية - السنة الحادية عشرة - العدد ٥٣٨ - ١٨ أبريل - نيسان ١٩٤٩ ص ٤٢-٤٣ . وكان الأخلق بالدكتور حتي أن لو ظل بعيداً عن هذا المجرى الضحل ، الذي يخوض فيه بعض من لا شأن لهم بعد في عالم الأدب والتاريخ . إنه أكثر علماً من أن يضع النصف الثاني مكان النصف الأول من القرن التاسع عشر ؛ حتى يهيم مكاناً قلقاً لأشخاص جاؤوا في الحقيقة في أعقاب اليقظة الأدبية لا على رأسها . إن القضية قضية تاريخ وأرقام وكتب مطبوعة لا قضية عواطف .

يمثل هذا يحارب المنصرون والمستعمرون العرب والمسلمين . أما أشد ما نلقاه نحن فهو أن هؤلاء يستخدمون في هذا السبيل أفراداً منا ،

(١) التبشير والاستعمار : ص ٢٢١ . نقلًا عن مجلة المسرة . حريصا - لبنان - تشرين ثاني ١٩٤٨ م .



أفراداً لا يتورعون عن أن يسخروا العلم والضمير ، ويقلبوا الحقائق والأرقام رأساً على عقب حباً بالزلفى أو الاتجار .

على أن هذا أيضاً لن يفت في عضد الشرق ، وستظل الثقافة العربية ولغة القرآن - على الرغم من أفراد باعوا أنفسهم في غير سبيل الله - تمثل الرسالة التي أداها العرب والمسلمون في تاريخهم المجيد وفي تاريخ العالم<sup>(١)</sup> .

## المستغربون

### تمهيد:

إن التغريب في أبسط مفهوم له ؛ هو حمل المسلمين على قبول أفكار الغربيين ، والخضوع لنفوذهم وسلطانهم ، وتقبل الاحتواء في بوتقتهم ، بحيث لم يبق معارضة لسيطرة الغرب ونفوذه في ديار الإسلام .

---

(١) ومن الحق أن تقرر أن اللغة العربية عنصر هام من عناصر وجود الإسلام ، لذلك يجب على المسلمين المحافظة عليها ، ونشرها وتدريسها في معاهدهم وجامعاتهم بدل استعمال اللغات الأجنبية وهذا يساهم في اتصال كل مسلم مباشرة بمنبع دينه - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - كما يساعد على فهم ما ألصق بالدين من بدع وضلالات . واللغة العربية هي اللغة الحية الخالدة - بفضل القرآن الكريم - فيجب أن تكون القاسم المشترك الذي يجتمع عليه المسلمون كلهم . وبهذا يتحقق تقارب المسلمين ووحدهم التي أرادها الله .

لقد نشط المستشرقون بأعمال الدس والتخريب في معاقل الإسلام ، وكان لهم تلاميذ من أبناء الإسلام ، تعلم بعضهم في أوروبا واستهوى بعضهم الآخر مناهج المستشرقين وبحوثهم ومعارفهم ، فساروا منجذبين إليها أشد الانجذاب ، متأثرين بها أعمق التأثير ، لا يكادون يحدون عنها قيد أنملة أو يرضون بسواها ، أو يحسون بأي التواء أو زيغ فيها .  
ومن الممكن أن نسمي هذا الفريق المستغربين ؛ دلالة على نزوعهم هذا المنزع الغربي في أسلوبه المنهجي ولونه الدراسي .

إن المستشرقين يصدرّون لنا بضائعهم بما فيها من دس وتحريف ، فيأتي المستغربون فيروجون هذه البضائع ، ويبذلون جهودهم الخائنة أو الخاطئة في الدعوة إليها والإغراء بها ، وبذلك يتبين لنا أن كلاً من المستشرقين والمستغربين خطر يهدد أمتنا وبلادنا وثقافتنا<sup>(١)</sup> .

ويعجبني ما قاله الشيخ محمد الغزالي ، محذراً من خطر هؤلاء المستغربين<sup>(٢)</sup> : [ هناك مستشرقون مصريون ولدوا في بلادنا هذه ، ولكن قلوبهم وعقولهم تربت في الغرب ونمت أعوادهم مائلة إليه ؛ فهم أبداً تبع لما جاء به . إنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا بيد أنهم خطر على كياننا ؛ لأنهم كفار بالعروبة والإسلام ، أعوان - عن اقتناع أو مصلحة - للحرب الباردة التي يشنها الاستعمار علينا بعد الحرب ، التي مزق بها أمتنا الكبيرة خلال قرن مضى . وهم سفراء فوق العادة لانكلترا وفرنسا

(١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير : ص ٤١٧ - ٤١٨ . بتصرف .

(٢) مقدمة كتاب : ظلام من الغرب . للشيخ محمد الغزالي .

وأمریکا - دول التصريح الثلاثي - الذي خلق إسرائيل وحماها ، أما أولئك المستشرقون السفراء فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف والمجالس ، وأن يختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ، لیسقطوا من بناء الإسلام لبنة ، وليذهبوا بجزء من مهابته في النفوس ، وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاتفت فيه الصهيونية والصلبية في العصر الحديث .

إن هذا النفر من حملة الأقلام الملوثة ، أخطر على مستقبلنا من أخطار السافرين . فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم ، وقد يقولون كلمات من حق تمهيداً لألف كلمة من الباطل تجيء عقبها [ .أ.هـ . وفيما يلي بعض الأمثلة لتلك الأقلام المأجورة ، التي لم تتورع عن اللس والتشويه لحقائق الأشياء ، كما كان لها الكثير من المواقف الهدامة التي عجز عنها أعداؤنا السافرون .

#### ١ - طه حسين :

أصدر طه حسين كتابه - الفتنة الكبرى - وهو جزآن ؛ الأول يتحدث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والثاني يتحدث عن علي وبنيه رضي الله عنهم أجمعين .

قال أحد الباحثين : [ يفجؤنا طه حسين في الفقرة الأولى من كتابه - الفتنة الكبرى - ج ١ وفي الصفحة الخامسة بالذات - بقوله : وأكاد أعتقد أن الخلافة الإسلامية كما فهمها أبو بكر وعمر ، إنما كانت

تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة ، ولكنها لم تنته إلى غايتها ، ولم يكن من الممكن أن تنتهي إلى غايتها ، لأنها أجريت في غير العصر الذي كان يمكن أن تجري فيه ، سبق بها هذا العصر سبقاً عظيماً .

إذن فالخلافة الإسلامية تجربة ، وأية تجربة ؟ . إنها تجربة جريئة ! . ثم ماذا ؟ ! . توشك أن تكون مغامرة ! . تماماً كما يغامر المغامرون ، فيهتبلون الفرص ويخترعون الأنظمة ، فقد تنجح حيناً وتفشل أحياناً ، وصفحات التاريخ حبلى بهم ؛ ابتدأت بمغامرين يعلمهم الله وحده وانتهت بهتلر وموسوليني اللذين يعرف مغامرتهم كل الناس .

وأبو بكر وعمر من جملة هؤلاء المغامرين ، أما أن وحي السماء قد رسم الطريق لأبي بكر وعمر فنفى عن حكمهما صفة التجربة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد رباهما وأعدهما في مدرسة ، فأبعد عنهما سمة المغامرة ، فذلك ما لم يفقهه طه حسين <sup>(١)</sup> .

ويختتم طه حسين الجزء الأول من الفتنة بالكلام التالي : ص ٢١٨ :  
[ قد تركت المسلمين وأمامهم طريقان ، كلتاها مستقيمة واضحة الأعلام ليس فيها عوج ولا التواء ؛ إحداهما هي الطريق التي سلكتها الأمم من قبلهم ؛ وهي طريق الملك الذي يقيم أمره على الحزم والعزم وعلى القوة ، ويحل مشكلات الدنيا بوسائل الدنيا فيرقى ويقوى ويزدهر ، ثم يصيبه الضعف والانحلال والتواء ، لينتقل من طور إلى طور ومن دولة إلى دولة ومن شعب إلى شعب .

(١) الفكر الإسلامي المعاصر : ص ١٧٢ - ١٧٣ .

والأخرى هي هذه الطريق الجديدة التي مهدها النبي عليه الصلاة والسلام ، ورفع أعلامها صاحباها ، وهي التي لا تقيم السلطان على القوة ، وإنما تقيمه على المحبة والعدل ، وتجعل القوة أداة من أدواته ، ووسيلة من وسائله ؛ ولا تعرف أثره ولا تحكماً ولا جبرية ولا تحل مشكلات الدنيا بوسائل الدنيا ، وإنما تحلها بوسائل الدين ؛ هذه هي التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى الرغبة في الخير والنفور من الشر ، وعلى الإيثار على النفس والتبرؤ من الأثرة ، وتعتمد قبل كل شيء على صفاء النفوس ، ونقاء الضمائر وطهارة القلوب ، وتتخذ الدنيا كلها لا أقول : وسيلة إلى الآخرة ليس غير . ولكن أقول : وسيلة إلى الآخرة من جهة ، ووسيلة إلى دنيا جديدة تزداد رقياً وصفاءً ونقاءً وطهراً كلما تقدمت بها الأيام من جهة أخرى .

نظر المسلمون بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - فإذا هم على رأس هاتين الطريقتين ، فأما أكثرهم فسلكوا الطريق الأولى ، وامتحنوا فيها وما زالوا يمتحنون بما امتحنت به الأمم والشعوب ، وأما أقلهم فحاولوا أن يسلكوا الطريق الثانية ، ولكنهم كانوا ناساً من الناس ، فلم يكادوا يتقدمون في طريقهم تلك حتى امتحنوا في أنفسهم ودمائهم ، وحتى غلبهم الأكثرون عدداً على أمرهم .

وينظر المسلمون فإذا الطريق الأولى ما زالت مزدحمة بهم جميعاً ، يتهافتون فيها كما يتهافت الفراش في النار ، وإذا الطريق الثانية ما زالت

قائمة واضحة بينة الأعلام ، ولكنها خالية لا يقدر على سلوكها إلا أولو العزم من الناس ] .

[ إذن ينعي طه حسين في ختام الجزء الأول الخلافة ، ويوهن من عزائم المسلمين الساعية إلى إعادتها ، وينبههم إلى أن المسلمين الأوائل تنكبوا عن طريقها منذ أمد بعيد ، واتبعوا طريق الملك الذي يحل مشكلات الدنيا بالدنيا ، فالخلافة تحتاج إلى أولي عزم من الناس ، وأين أولو العزم الآن ؟ ! ! ] . وكأن لسان حاله يخاطب مسلمي عصره ويقول لهم : عليكم بالقبول بما قبل به الآباء ، ولا تشغلوا أنفسكم بما كان عليه الأجداد الأوائل ، الذين لم يقبلوا عن الخلافة بديلاً . فلا ضير عليكم ولا بأس . وهكذا قبل هذا الداعية المنحرف أن يكون بوق شر وتضليل ، حيث طعن أمته ودينه بخنجره الذي ارتد إلى نحره بعون الله . والعاقبة للمتقين .

٢ - علي عبد الرازق والإمامة :

ومن بين المستغربين<sup>(١)</sup> الذين تولوا نشر الفساد في معازل الإسلام ، وبثوا سمومهم وأحقادهم في التراث الإسلامي وقيمه وحضارته ، من بين هؤلاء كان علي عبد الرازق ؛ الذي تولى مهمة الإفساد والفساد في تاريخ أمته وعقائدها .

ومن المعروف أن المسلمين أجمعين قد اتفقوا فيما مضى على أن الإمامة

(١) ومن ضمن عصاة الاستغراب : سلامه موسى ، توفيق الحكيم ، جورجى زيدان ، قاسم أمين وغيرهم .

واجبة شرعاً ، وأن أمور الدين لا تستقيم إلا بوجود الإمام ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الخوارج .

وفي سنة ١٩٢٤ ألغت حكومة مصطفى كمال الخلافة العثمانية ، وقد أهدر المجلس الوطني التركي رسالة شرح فيها وجهة نظره في إلغاء الخلافة ، إلا أن الرأي العام في العالم الإسلامي لم يقابل هذا العمل بالارتياح ، وأخذ بعض مفكري المسلمين يتبادلون الآراء لإقامة خلافة إسلامية .

أما الرسالة التي أصدرها المجلس الوطني التركي بعنوان [ الإسلام وسلطة الأمة ] فقد ترجمت إلى اللغة العربية ، وطبعت بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٤ .

وفي سنة ١٩٢٥ أصدر علي عبد الرازق - وكان قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية الابتدائية - كتابه [ الإسلام وأصول الحكم ] وبين الاسمين تشابه كما ترى .

وقد جاء في كتاب : الإسلام وسلطة الأمة . ص ٥ ما نصه :

[ إن هذه المسألة - الخلافة - دنيوية وسياسية أكثر من كونها مسألة دينية ، وإنها من مصلحة الأمة نفسها مباشرة ، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة وتعيينه ، وشروط الخلافة ما هي ؟ ] .

وقال علي عبد الرازق في ص ١٦ ما نصه : [ إنه لعجب عجيب أن

تأخذ بيدك كتاب الله الكريم وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس ، فترى فيه تصريح كل مثل ، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين ( مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ )<sup>(١)</sup> ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة أو الخلافة . إن في ذلك لمجالاً للمقال : ليس القرآن وحده الذي أهمل تلك الخلافة ولم يتصد لها ، بل السنة كالقرآن أيضاً قد تركتها ولم تتعرض لها ] .

وفي رسالة المجلس الوطني التركي ص ٤ ما نصه : [ إن الفرقة المسماة بالخارجية تنكر وجوب الخلافة وتقول : إن أمر نصب الخليفة وتعيينه ليس واجباً على الأمة الإسلامية بل هو جائز ، ووجوده وعدم وجوده سيان ] .

ويقول علي عبد الرزاق في ص ٣٣ ما نصه : [ .. فكيف وقد قالت الخوارج لا يجب نصب الإمام أصلاً ، وكذلك قال الأصم من المعتزلة ، وقال غيرهم أيضاً كما سبقت الإشارة إليه ؟ ! . وحسبنا في هذا المقام نقضاً لدعوى الإجماع أن يثبت عندنا خلاف الأصم والخوارج وغيرهم ، وإن قال ابن خلدون : إنهم شواذ ] .

وهكذا ردد علي عبد الرزاق في كتابه ما جاء في رسالة المجلس الوطني التركي ، وزاد عليها شيئاً من فساد الفهم ، وسوء الأدب في حق النبي ﷺ وحق كبار الصحابة .

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .



وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية النصرانية كتاب علي عبد الرازق بالترحيب والتصفيق ، وذلك لخشيته من كل فكرة ترمي إلى تكتل العالم الإسلامي ، وارتياحها إلى نشر مثل هذه الآراء الخبيثة ، التي ضمنها علي عبد الرازق كتابه ، تلك الآراء التي تخدم أهداف الاستعمار وتحقق آماله في السيطرة على الشعوب الإسلامية وإذلالها إلى الأبد . وقد كشف المؤلف عن نفسه الخبيثة في حديثه مع مراسل صحيفة - البورص أجبسيان - حينما سأله هذا المراسل ؛ هل يمكن أن نعتبرك زعيماً للمدرسة ؟ . فأجاب : لست أعرف ماذا تعني بزعيم مدرسة . فإن كنت تريد بهذا أن لي أنصاراً ، يسرني أن أصرح لك أن الكثيرين يرون رأبي ، لا في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي بأسره ، وقد وصلتني رسائل التأييد من جميع أقطار العالم التي نفذ إليها الإسلام . ولا ريب أنني رغم الحكم لا أزال مستمراً في آرائي وفي نشرها لأن الحكم لا يعدل طريقة تفكيري .

وسأسى إلى ذلك بكل الوسائل الممكنة ؛ كتأليف كتب جديدة ، ومقالات في الصحف ومحاضرات وأحاديث . أ.هـ.

والآراء التي أراد علي عبد الرازق أن ينشرها بين المسلمين ويؤلف فيها الكتب ، تتلخص في الطعن في حكومة النبي ﷺ واتهام كبار الصحابة بأشنع التهم ، ولم يكن من بين هذه الآراء الحض على مكافحة الاستعمار ، والجهاد في سبيل الاستقلال والحرية ، ولا عجب

في ذلك فبيت عبد الرازق كان في ذلك الوقت من البيوت العريقة في خدمة الاستعمار ، فقد أنشأ حسن عبد الرازق حزب الأمة سنة ١٩٠٨ لمحاربة الحركة الوطنية . وبعد سنة ١٩١٩ م انضم آل عبد الرازق إلى حزب الأحرار الدستوريين الذي كان يعمل مع الإنجليز .

وقد انعقدت هيئة كبار العلماء برياضة المرحوم محمد أبي الفضل الجيزاوي - شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت - صباح الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤ هـ - ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ م وكان عدد أعضائها أربعة وعشرين عالماً . ولما مثل علي عبد الرازق أمام الهيئة حياها بقوله : السلام عليكم . فلم يرد عليه أحد ، وبعد مناقشة طويلة أصدرت الهيئة حكمها بإدانة المتهم وإخراجه من زمرة العلماء .

ويترتب على الحكم المذكور : محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى ، وطرده من كل وظيفة ، وقطع مرتباته في أي جهة كانت ، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية .

أما حيثيات الحكم فمنها ما يلي : -

١ - إن الشيخ علياً جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة ، لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا .

وقالت الهيئة : وواضح من كلامه - المؤلف - أن الشريعة الإسلامية عنده شريعة روحية محضة ، جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه

فقط ، وأن ما بين الناس من المعاملات الدنيوية وتدبير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به ، وليس من مقاصدها .

وهل في استطاعة الشيخ أن يشطر الدين الإسلامي شطرين ، ويلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا ، ويضرب بآيات الكتاب العزيز ، وسنة رسول الله ﷺ عرض الحائط ؟ ! .

٢ - ومن حيث إنه زعم أن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغاً للشريعة ، مجرداً عن الحكم والتنفيذ ، ولو صح هذا لكان رفضاً لجميع آيات الأحكام الكثيرة الواردة في القرآن الكريم ، ومخالفاً أيضاً لصريح السنة . ثم أوردت الهيئة كثيراً من الأحاديث التي تهدم مزاعم المؤلف ، وختمت ذلك بقولها : [ فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد ﷺ إن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان ، وإنه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه ؟ ! ] .

٣ - ومن حيث إنه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضع غموض ، أو إبهام أو اضطراب أو نقص ، وموجباً للحيرة ، وقد رضي لنفسه بعد ذلك مذهباً . هو قوله : [ إنما كانت ولاية محمد ﷺ على المؤمنين ولاية رسالة غير مشوبة بشيء من الحكم ] .

وما زعمه الشيخ علي مصادم لصريح القرآن الكريم ؛ فقد قال الله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ

الله<sup>(١)</sup> . ثم أوردت الهيئة آيات كثيرة تتضمن معنى الآية السابقة ، وتنحو نحوها .

٤ - ومن حيث إنه أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام ، وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا ، وقال إنه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة ؛ يعني بعض الخوارج والأصم ، وهو دفاع لا يبرئه من أنه خرج على الإجماع المتواتر عند المسلمين ، وحسبه في بدعته أنه في صف الخوارج لا في صف جماهير المسلمين .

٥ - ومن حيث إنه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية ، وقال إن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية ، جعلوه متفرعاً عن الخلافة ، فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء . وكلامه غير صحيح ، فالقضاء ثابت بالدين على كل تقدير ، تمسكاً بالأدلة الشرعية التي لا يستطيع نقضها ... الخ<sup>(٢)</sup> .

هكذا ينكشف كل يوم موقع جديد من مواقع الأعداء ، كما تسلط الأضواء على أصابع الدس والتشويه لأعداء أمتنا الإسلامية ، ومن بينهم هؤلاء المستترين بثياب الإسلام ، الذين زرعوا ديار أمتهم بغراسهم المسمومة ودعواتهم الهدامة ، ولكن الله لأعدائه بالمرصاد ، حيث تكفل سبحانه بهؤلاء الأعداء وغيرهم ، من الذين يحادون الله ورسوله

(١) سورة النساء : ١٠٥ .

(٢) الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرازق . وذيل الملل والنحل : ص ٧٣ وما بعدها .

والمؤمنين ، فرد كيدهم إلى نحورهم وجعلهم عبرة للمعتبرين .

فليعلم أعداء الإسلام أينما ثقفوا ، وتحت أي شعار أو قناع تستروا ،  
أنهم غير معجزى الله ، وأن مصيرهم المحتوم هو الفشل والخزي والعار ،  
كسابقينهم الذين باعوا أنفسهم للشيطان ، فصرعتهم الأهواء والشهوات .  
وصدق الله العظيم : ( أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ  
وَجَحَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ  
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) (١) .

---

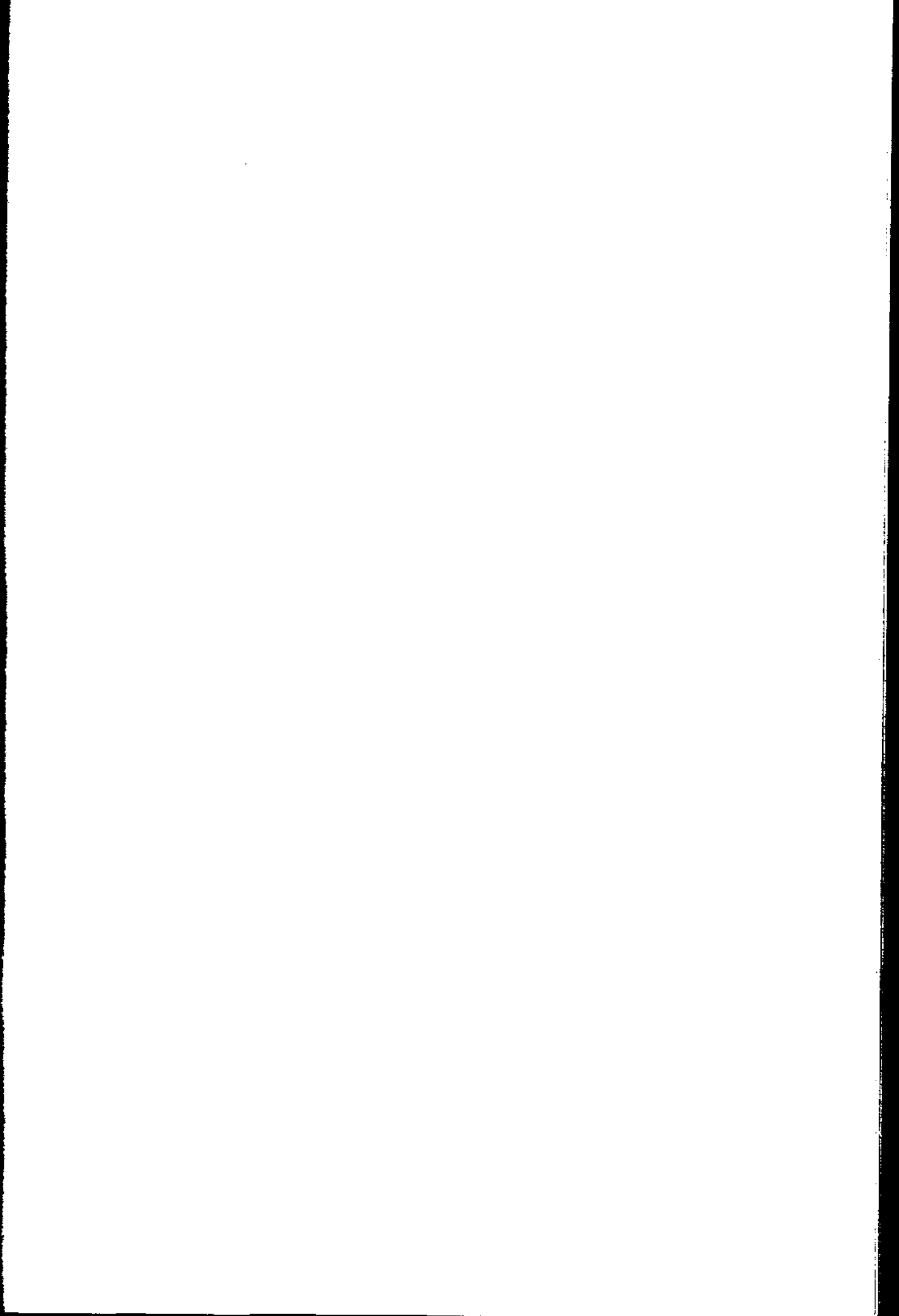
(١) سورة الجاثية : ٢٣ .

تم الجزء الأول بعون الله سبحانه وحسن توفيقه ، ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى  
وأوله : باب الشرك والابتداع والتدليس .

والحمد لله رب العالمين ، الذي بفضله وتوفيقه تم الصالحات .

وأرفع إلى الله - سبحانه وتعالى - أكف الضراعة راجياً منه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً  
لوجهه الكريم وأن يتقبله منا إنه سميع قريب مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد عبد الله ورسوله الأمين وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى  
آله وأصحابه المطهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



## فهرست الجزء الأول من الكشاف الفريد

الموضوع	الصحيفة
بين يدي الكتاب لفضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري ..	أ
الإهداء .	٣
شكر وتقدير ..	٥
تقديم بقلم فضيلة الشيخ محمد نسيب الرفاعي ..	٧
من أنوار التنزيل .	١٥
من مشكاة النبوة ...	١٦
من درر الترات ...	١٧
مقدمة الكتاب	١٩
<b>الباب الأول - الفصل الأول</b>	٢٩
طلائع معاول الهدم ...	٣١
اليهودية ...	٣٣
أعداء الحق والإيمان	٣٤
المسلمون مع بني النضير ..	٣٨
المسلمون وبنو قريظة ...	٣٩
أضواء على العلاقات اليهودية المسيحية ..	٤٣
الكفرملة واحدة ...	٥١
كيف تتعاون ملل الكفر	٥١
الماضي درس للمستقبل ...	٦٢
سنن الحياة وعبرها ..	٦٦
<b>الفصل الثاني - الفرق الإسلامية .</b>	٧٣
أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية ...	٧٥
أول تنازع ...	٧٨



الصحيفة	الموضوع
٧٨	الخلاف الثاني ..
٧٩	الثالث .
٧٩	الرابع .
٨٠	الخامس .
٨١	السادس .
٨١	السابع .
٨٢	الثامن .
٨٢	التاسع ..
٨٤	العاشر .
٨٩	ظهور الفرق
٩١	الخوارج ..
٩٣	جنود بدعة الخوارج
٩٨	أهم بدع وضلالات الخوارج
٩٩	المعتزلة - القدرية - وفرقها .
١٠٣	بيان مقالات فرق الضلال
١٠٦	الشيعة
١٠٤٧	فرق الشيعة
١٠٩	ذكر شيع الشيعة
١١١	الشيعة الإمامية الاثني عشرية
١١٣	الأُسُس التي قام عليها مذهب الشيعة الإمامية
١١٦	التقية
١٢٠	فكرة المهدي عند الشيعة والسنة ..
١٢١	المهدي عند الشيعة
١٢٤	المهدي عند أهل السنة
١٢٨	الجبرية...
١٣٢	الجهمية
١٣٥	المرجئية

١٣٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الأشاعرة
١٣٩	...	...	...	...	...	...	...	...	...	اليزيدية - عبدة الشيطان
١٤١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	بعض معتقدات اليزيدية
١٤٥	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الفصل الثالث .
١٤٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الفرق الباطنية
١٥٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الإسماعيلية ..
١٥٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	بعض مبادئ الإسماعيلية
١٥٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	القرامطة
١٥٩	...	...	...	...	...	...	...	...	...	مجمّل مذهب القرامطة .
١٦٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم
١٦٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الفاطميون
١٦٦	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الفاطميون وبيت المقدس
١٦٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	تعاليم دار الحكمة
١٧١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الدروز
١٧٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	لمحة عن أصل الدروز وتاريخهم
١٧٦	...	...	...	...	...	...	...	...	...	ألوهية الحاكم .
١٨٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	إحدى رسائل الدروز التي تكشف ألوهية الحاكم .
١٩٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	لاهوت المعبود وناسوته
١٩٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	بعض معتقدات الدروز
١٩٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	النصيرية - العلوية .
١٩٨	...	...	...	...	...	...	...	...	...	أهم معتقداتهم وآرائهم
٢٠١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	جواب ابن تيمية عن النصيرية
٢٠٨	...	...	...	...	...	...	...	...	...	طائفة البهرة
٢١٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	بعض معتقدات البهرة
٢١١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	حياة البهرة الاجتماعية
٢١٦	...	...	...	...	...	...	...	...	...	طائفة الآغاخانيّة ..
٢١٩	...	...	...	...	...	...	...	...	...	أحمد الاحسائي والشيخية...

الصحيفة	الموضوع
٢٢٣	الحركة الكشفية وكاظم الرشتي
٢٢٦	الديانات الاستعمارية .
٢٢٨	ظهور البائية
٢٣٢	إعلان الدعوة البائية ..
٢٣٨	كتب البباب ...
٢٤٠	الحركة البهائية خليفة البائية
٢٤٠	حياة البهاء
٢٤٣	البهائية والصهيونية
٢٤٤	البهائية والإنكليز ..
٢٤٥	عقائد البهائية
٢٤٦	الصوم ...
٢٤٩	الصلاة .
٢٥٠	الحج .
٢٥٠	الزكاة .
٢٥٠	الزواج ..
٢٥١	المسارح
٢٥٢	أعيادهم .
٢٥٤	تكفير البهائية
٢٥٥	الحركة القاديانية ...
٢٦١	بعض تحريفات القاديانيين وتأويلاتهم
٢٦٣	القاديانية والاستعمار ...
٢٦٥	خدمات غلام أحمد لبريطانيا
٢٦٩	تحريم الجهاد
٢٧٠	القاديانية ثورة على النبوة المحمدية ..
٢٧٣	ترحيب القوميين الهندين بالقاديانية
٢٧٥	أهم نشاطاتهم
٢٧٨	فتوى صريحة بتكفير القاديانيين

	الباب الثاني - الفصل الأول										
٢٨١											معاول هدم مختلفة
٢٨١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	معاول الهدم الخارجية
٢٨٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الحروب الصليبية وآثارها
٢٨٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	بعض أسباب الحروب الصليبية ودوافعها
٢٨٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	حالة المسيحيين في البلاد الإسلامية
٢٨٨	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	مقدمات الحروب الصليبية
٢٨٩	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	حصار أنطاكية وتحريرها
٢٩٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	مذبحة معرة النعمان
٢٩١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	فتح القدس ومذبحتها
٢٩٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	غزو التتار للبلاد العربية
٢٩٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	التتار يزحفون على بغداد
٢٩٦	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	تدمير بغداد ونهبها
٢٩٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	نهاية آخر الخلفاء العباسيين
٣٠٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	سقوط الأندلس وآثاره
٣٠٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	سقوط غرناطة - عاصمة الأندلس
٣٠٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	خيانة فرديناند للمسلمين
٣٠٦	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	اضطهاد مسلمي إسبانيا وتنصيرهم
٣٠٨	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	ضياع إسبانيا الإسلامية
٣١٠	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الاستعمار
٣٢٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الاستعمار والنصرانية
٣٢٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	الكنيسة تتعاون مع الاستعمار
٣٢٨	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	إسرائيل من صنع الاستعمار
٣٣٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	نكبات المسلمين في أفريقيا
٣٣٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	المحنة في أنيوبيا
٣٣٨	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	ارتيريا الشهيدة
٣٤٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...	زنجبار الضحية

الصحيفة	الموضوع
٣٤٣	أسباب نكبتها
٣٤٤	المدبحة الرهيبة
٣٤٩	الماسونية - تعريفها
٣٥٠	دوافع تأسيسها
٣٥١	أصل الماسونية
٣٥٤	الماسونية والأديان
٣٥٦	موقف الكنيسة الكاثوليكية الحديث
٣٦١	من أخطار الماسونية
٣٦٦	الماسونية معول هدم للأديان
٣٦٨	الماسونية والأخلاق
٣٧٠	صلة الماسونية بالشيوعية والصهيونية
٣٧١	من أهداف الماسونية
٣٧٢	الماسونية وتدخلها في إسقاط خلافة العثمانيين
٣٧٤	ماسونية شهود يهوه
٣٧٦	ماسونية الاتحاد والترقي
٣٨٢	الماسون - أثر القوة الخفية في الإسلام
٣٨٣	الماسونية تحقق أهداف الصهيونية
٣٨٦	الصهيونية - تعريفها
٣٨٩	جنور الصهيونية
٣٩٣	الصهيونية الحديثة
٣٩٨	بعض ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون
٤٠٧	خلاصة بعض محاضر حكماء صهيون
٤٠٧	بعض أقوال زعماء الصهاينة
٤١٣	محاربة الصهيونية للإسلام
٤١٩	تدمير العقيدة الإسلامية
٤٢١	فتوى إسرائيلية جديدة
٤٢٣	مقارنة بين حضارتين

الصحيفة	الموضوع
٤٢٤	الإسلام لا يقر العدوان
٤٢٥	من هذا الحاخام ؟
٤٢٧	الشيوعية .
٤٣٢	رأي الشيوعية في الأديان
٤٣٦	أهم مساوئ الصراع الطبقي في فلسفة ماركس
٤٣٧	النظرة الإسلامية في فلسفة الحياة ومشكلاتها وحلولها ..
٤٣٩	بعض جرائم الشيوعية ..
٤٤١	القيم والأخلاق عند الشيوعيين
٤٤٢	الشيوعية والأُسرة ..
٤٤٤	من أقوال قادة الشيوعية
٤٥١	المادية ..
٤٥٢	أثر المذهب المادي
٤٥٥	مناقشة الماديين .
٤٥٧	جنايات المادية ..
٤٦٠	أقوال لبعض العلماء الداحضة لأفكار الماديين...
٤٦٦	الوجودية ..
٤٦٧	مبادئ الوجودية ..
٤٧٣	الاستشراق والمستشرقون ..
٤٧٨	تاريخ الاستشراق
٤٧٩	ميدان الاستشراق
٤٧٩	دوافع الاستشراق
٤٨٢	أهداف الاستشراق ووسائله
٤٨٥	وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم
٤٨٩	التنصير - تمهيد
٤٩٠	بواعث التنصير
٤٩٣	خطر الوحدة الإسلامية على الغرب
٤٩٦	بعض افتراءات المنصرين

الصحيفة	الموضوع
٤٩٨	إعداد المنصرين
٥٠١	مبادئ التنصير
٥٠١	التطبيب والمعالجة
٥٠٣	استغلال آلام البحر
٥٠٤	استخدام المستوصفات والمستشفيات
٥٠٥	اعترافهم بخداع المرضى
٥٠٧	استخدام العنصر النسائي للتنصير :
٥١٠	السياسة طريقتي التنصير وميدانه الفسيح
٥١٣	الاستعمار بناصر التنصير ويدعمه
٥١٥	التنصير يتعاون مع الصهيونية ويستخدمها
٥١٧	أخطر وثيقة لمنصر قسيس
٥٢٥	غزو تنصيري جديد
٥٣٠	اقتراحات
٥٣٣	فتوى ونداء إلى الرأي العام الإسلامي
٥٤٠	القوانين الوضعية
٥٤٤	من جنائيات القوانين الوضعية.
٥٤٨	فصل الدين عن الدولة
٥٥٩	الراسمالية
٥٦٨	الاشتراكية
٥٧٣	الاقتصاد الإسلامي هو الحل لمشاكل الراسمالية والاشتراكية
٥٧٧	الفصل الثاني - معاول المهدم الداخلية
٥٧٩	المرتدون
٥٧٩	الردة - معناها ومدلولها
٥٧٩	ماذا يفعل المرتد
٥٨١	موجبات الردة
٥٨٧	من أين جاءت معاول المهدم والردة ؟ !
٥٨٩	ردة غريبة عجيبة

الصحيفة	الموضوع
٥٩٢	لماذا يحارب الإسلام العصبيات ومظاهرها .
٥٩٦	المتنبئون
٦٠٠	أشهر المتنبئين الكذابين ..
٦٠٩	الزنادقة
٦١٢	ابن السراوندي
٦١٤	الفلاسفة .
٦١٧	الفلسفة وأخطارها ..
٦٢٠	بعض أقوال الفلاسفة
٦٢٢	تعاون الفلاسفة والوثنية على الضلال .
٦٢٤	إخوان الصفا ..
٦٢٨	المنافقون
٦٣٣	من أهم علامات المنافقين
٦٣٧	الحشاشون
٦٣٨	حركة المقنع
٦٤٠	الملحدون .
٦٤٢	مناقشة الملحدين .
٦٤٥	لا سند للإلحاد ..
٦٤٧	الملحد كالوباء يجب التحصن منه
٦٥١	الملحد يطرح العقل ويستسلم للأهواء
٦٥٧	الصوفية
٦٦١	رأي محمد عبده في الصوفية
٦٦٣	كلمة لابن خلدون عن التصوف
٦٦٤	تخرصات صوفية معاصرة ..
٦٧١	علماء السوء
٦٧٧	تعطيل مهمة العلماء
٦٨٠	مواقف خالدة .
٦٨٣	فساد العلماء



الصفحة	الموضوع
٦٨٥	الأُمرء والحكام الجائرون
٦٨٩	خدم الاستعمار
٦٩١	الإسلام وتوزيع المسئولية
٦٩٣	حاكم عادل
٦٩٦	التعصب والعصبيّة
٧٠١	أنواع التعصب
٧١٢	الشعوبية ..
٧١٦	الشعوبية الحديثة
٧١٦	الشعوبية في مصر ..
٧٢٦	الشعوبية في لبنان
٧٢٩	ضلالة العلمانية
٧٣٩	حركة الثورة الكمالية في تركيا
٧٤١	أخطر شخص في تاريخ الإسلام
٧٤٧	الساسون ..
٧٤٨	جرجي زيدان وافتراءاته ..
٧٥٠	مزاعم جرجي زيدان ..
٧٥٤	المستغربون - تمهيد ..
٧٥٦	طه حسين ..
٧٥٩	علي عبد الرازق والإمامة ..

رقم الإيداع في دار الكتب القطرية  
٢٢ - لسنة ١٩٨٣م

طبع بمطابع مؤسسة الخليج للنشر والطباعة